

**IJA # 135**

**Part of Arabic Translation of the book,  
*October Earthquake: Yom Kippur 1973* by Zeev Schiff**

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

مركز الدراسات الفلسطينية

تريبات عربية عسكرية

(( زلزال في أكتوبر ))

اعداد / القسم الهبيري

مركز الدراسات الفلسطينية

العدد / ٣

السنه / ١٩٧٥

يوميات الاحداث ٢٦ ايلول ١٩٧٣

٣٠ ايلول ١٩٧٣

١ تشرين اول ١٩٧٣

٣ تشرين اول ١٩٧٣

٤ تشرين اول ١٩٧٣

٥ تشرين اول ١٩٧٣

الخطة العربية

التحضير

يوميات الاحداث ٦ تشرين الاول - يوم الغفران - حتى نشوب الحرب

٦ تشرين اول - يوم الغفران - الحرب

حاجز الخوف

فشل الاستخبارات

امان وطمانينة

يوميات الاحداث ٧ تشرين اول ١٩٧٣

استراتيجية اطفاء الحريق

يوميات الاحداث ٨ تشرين اول ١٩٧٣

خط بارليف

يوميات الاحداث ٩ تشرين اول ١٩٧٣

مفاجات جيش الدفاع الاسرائيلي

يوميات الاحداث ١٠ تشرين اول ١٩٧٣

١١ تشرين اول ١٩٧٣

يوميات الاحداث ١٢ تشرين اول ١٩٧٣

١٣ تشرين اول ١٩٧٣

#### جدول زمني

يوميات الاحداث ١٤ تشرين اول ١٩٧٣

#### المقاتل العربي

يوميات الاحداث ١٥ تشرين اول ١٩٧٣

١٦ تشرين اول ١٩٧٣

١٧ تشرين اول ١٩٧٣

١٨ تشرين اول ١٩٧٣

#### السلح الجوي

يوميات الاحداث ١٩ تشرين اول ١٩٧٣

٢٠ تشرين اول ١٩٧٣

٢١ تشرين اول ١٩٧٣

٢٢ تشرين اول ١٩٧٣

٢٣ تشرين اول ١٩٧٣

٢٤ تشرين اول ١٩٧٣

٢٥ تشرين اول ١٩٧٣

#### اسرائيل التي كانت لن تكن

#### ملاحق

- أ - تقرير من الاستخبارات المصرية على منشآت الاشغال
- ب - امريوي لقائد الجيش المصري الثالث
- ج - توجيهات وزارة الحربية المصرية حول تدريب قناصة الدبابات

يقدم مركز الدراسات الفلسطينية ترجمة كاملة لكتاب "زلزال أكتوبر" من بين الكتب العبرية عن حرب تشرين ، وتأتي أهمية هذا الكتاب : من كونه يبين الحركات العسكرية وبصورة تفصيلية لجميع المعارك - من وجهة نظر العدو - في الجبهتين السورية والمصرية .

وقد كرس المؤلف الفصل الاول للاستعدادات العربية للحرب وعن خطة التمويه التي لجأ اليها العرب من اجل تحقيق مفاجأة كاملة لاسرائيل وفي هذا الفصل ايضا يتحدث المؤلف عن حالة اللامبالاة التي كانت تسود اسرائيل قبيل الحرب والثقة المبالغ فيها بالنفس .

ويتناول الفصل الثاني المعارك اليومية التي دارت على الجبهتين المصرية والسورية ونتائج هذه المعركة على الجبهتين ، وفي غضون ذلك يتحدث عن فشل الاستخبارات في تقدير الموقف بشكل صحيح وعن حالة الاضطراب داخل اسرائيل . ورغم ان المؤلف يجد نفسه مضطرا خلال سردة للمعارك للاعتراف بحقائق تتعلق بتطورات المعارك الا انه مع هذا لا يتخلص من عقدة المبالغة والتهويل التي تسيطر على الكتاب في اسرائيل في وصفهم للحروب العربية الاسرائيلية ، التي لا تخفى ما فيها من مبالغة وظلوع على القارىء .

ويخصص المؤلف الفصل الثالث لشفرة الدفرسوار ويتحدث من خلاله عن المعارك التي دارت غربي القناة ومن عملية العبور الى ان تم وقف اطلاق النار ثم تجدد الاشتباكات . وقد كرس معظم الفصل الرابع والآخر للتحدث عن النتائج السياسية والعسكرية للحرب وعن الدروس المستنبطة منها وعن الاحتمالات العسكرية والسياسية في المستقبل ويحلل في هذا الفصل جوانب كثيرة تتعلق بقوة اسرائيل العسكرية بعد حرب تشرين وفشل سياسة الردع واعادة تنظيم الجيش الاسرائيلي كما تضمن الفصل

تصورات المؤلف للحرب القادمة ، وما نوعها ، وما الاسلحة التي ستستخدم فيها  
واهداف اطراف المواجهة من وراء هذه الحرب .  
والتعريف بالمؤلف وهو زئيف شايف يساعدنا على سبر غور الكثير من الجوانب  
المتعلقة بضمون هذا الكتاب فالمؤلف معروف بصلاته القوية بالمؤسسة العسكرية  
الاسرائيلية ويعتبره البعض مرجحا في الشؤون العسكرية الاسرائيلية وصلاته مع  
القادة العسكريين تمكنه من الحصول على اية مادة او معلومات يحتاجها لاصدار  
سلسلة من الكتب العسكرية . وقد اصدر منذ عدوان حزيران مجموعة من الكتب عن تلك  
الحرب وعن حرب تشرين باللغة العبرية والانجليزية ، منها كتاب عن حرب الاستنزاف .  
وقد دعي من قبل الحاف الاطلسي ووزارة الدفاع الامريكية واليابانية لاقاء  
محاضرات عن ميزان القوى العسكرية في الشرق الاوسط .  
اننا دائما بحاجة الى معرفة اسرائيل في ايام السلم والحرب على حد سواء  
وهذه المعرفة هي اول عوامل النصر على اسرائيل ، فزلزال في اكتوبر وثيقة اسرائيلية  
لتلك الحرب ونتائجها .

مركز الدراسات الفلسطينية

## زلزال نسي أكتوبر

ستمر سنوات قبل ان تتكشف جميع التفاصيل ، وتوضح الحقيقة كاملة عن حرب أكتوبر . وحتى عند هذا الحد لن يكون ذلك الا وجها واحدا للحقيقة . أما الوجه الاخر فلن يتكشف الا عندما يقوم العرب بفتح أوراقهم وملفاتهم ، فحتى ذلك الحين يبقى وصف الحرب غير مكتمل الملامح . ان الامر معتد ، لان اشخاصا كثيرين من زعماء وقادة عسكريين ، يعتقدون - كل على انفراد - بان الحقيقة الى جانبه . وهناك الكثير من التفاصيل الهامة قد اخفيت . كما ان هول الحرب قد ادى الى ان يكون الكثير من التفاصيل الهامة غير كامل او انه لم يتم تسجيلها اطلاقا . ومنذ اللحظة التي بدأت اجمع فيها الوقائع والتفاصيل من حرب تشرين لم اصدمت بعدة متناقضات لم يكن بالامكان التوفيق بينها .

فأنا لا اعتقد بأنه يجوز للصحفيين الحكم على من أوكل اليهم قيادة معارك إسرائيل حتى عام ١٩٧٢ كنت لم أشعر شخصيا انه لا مفر من حرب جديدة بين إسرائيل وجاراتها . ولكن في عام ١٩٧٣ - وبعد ان كرر السادات رفضه للحرب ، وكذلك بعد اخراج المستشارين الروس من مصر - اصبحت أيضا بروح التفاؤل التي هبت في صفوف الجيش الاسرائيلي . وبقي الامر كذلك الى ان صرح موشيه ديان وزير الدفاع الاسرائيلي السابق في صيف عام ١٩٧٣ بأنه لا يتوقع قيام حرب واسعة بين إسرائيل والعرب خلال العشر سنوات القادمة وان حدود الدولة ستبقى كما هي .

وعلى اثر هذه الاقوال كتبت في صحيفة ( هارتس ) بتاريخ ٥ حزيران عام ١٩٧٣ أن من يعتقد بان الجمود السياسي سيستمر مدة طويلة مخطئ . ويوقع غيره في الخطأ . ففي الوضع الراهن ، وبسبب الجمود العسكري والسياسي يظهر انه لا مفر من وقوع حرب جديدة في المستقبل . وقد امتنعت في هذا الكتاب بقدر الامكان من تخصيص نفسي قاضيا ، ومن القيام بكيل التناء لهذه الجهة او تلك .

فهذا واجب المؤرخين الذين سيكون بإمكانهم فحص الوقائع من زاوية أوسع وأبعد ، وبعد ان يكونون قد تخلصوا من المشاعر الشخصية . وقد حاولت

بقدر الامكان الاعتماد على مادة موثوق بها ، كتسجيلات للقادة  
كانت قد اخذت خلال المعارك ، ووثائق أخرى مختلفة .  
وفي هذا الكتاب " زلزال في اكتوبر " تنشر للمرة الاولى اجزاء من هذه التفصيلات  
وكذلك مقاطع من تلك التسجيلات ، كما ان هنالك تفصيلات اخرى لم يحن بعد موعد  
نشرها لاسباب أمنية .

وفي هذا الكتاب ليس هنالك ابطال رئيسيون . . فمن خلال الاشخاص الذين  
ذكرتهم بصورة شخصية ، اولت ان اؤكد على امور وحوادث اعتبرت لها هامة فسي  
نظري . فما حدث لكل واحد منهم في ساحة المعركة ، وفي مخازن الطوارئ وفي  
القيادات المختلفة ، قد حصل بالطبع لكثيرين غيرهم .

### المؤلف

١٦ يول ١٩٧٣

يوم الاربعاء ، ليلة ١٥ من السنة العبرية . . اسرع العاملون في المؤسسات  
والدوائر في انباء اعمالهم ، ثم توجهوا الى منازلهم استعدادا لاجازة  
طويلة : ثلاثة أيام . كما ان جماهير من الناس قد خرجت في رحلات ونزهات .  
في هذا اليوم قام وزير الدفاع موشه دايان ورئيس الاركان دافيد  
المازار بجولة على خط وقف النار الاسرائيلي - السوري في طائرة هليكوبتر .  
وقبل ذلك بيومين ، في ٢٤ أيلول ، قام وزير الحربية المصري أحمد اسماعيل  
علي بجولة خلف خط وقف النار . وقد جاء هذا الخبر الصغير الذي نشر  
في الصحف المصرية ( بصورة متواضعة - لجلب الانتباه ) انه  
قد قام بزيارة خط الجبهة للجيشو السوي تقوم بمناورات شاملة .  
ولقد اعتقدت المخابرات الاسرائيلية ان هذه المناورات تأتي  
ضمن المناورات الموسمية المعتادة ، ولكن موشه دايان ودافيد المازار كانا قلقين .  
في ١٣ أيلول قام سرب من الطائرات الحربية الاسرائيلية بالتحليق شمالا  
فوق البحر المتوسط ، قرب الساحل السوري . وعندما كان السرب في اتجاه



الميناء السوري طرطوس، الذي يبعد عن اسرائيل اكثر من ٢٠٠ كيلو متر  
حاولت طائرات ميغ سورية اعتراض هذا السرب . ( ادعى السوريون بعد ذلك  
بان الطائرات الاسرائيلية قد دخلت العمق السوري للقيام بالتصوير ) . وقد  
نشبت معركة جوية لعدة ثقل عن خمس دقائق ١٦ طائرة ميغ سورية مقابل ١٢  
طائرة اسرائيلية ( فانتوم وميراج ) . وقد تم اسقاط تسع طائرات . كما اصيبت  
ايضا طائرة ميراج اسرائيلية ، نجح قائدها في اسقاط احدي طائرات الميغ  
وهبط بالمنزلة الى البحر . وقامت طائرات اسرائيلية بحماية الطيار الهابط الى  
ان وصلت طائرة هليكوبتر اسرائيلية وقامت بانقاذه هو وطيار سوري بجانبه  
في البحر . وفي هذه الاثناء اسقطت اربع طائرات ميغ ٢١ حاولت عرقلة  
عملية التخليص .

كانت هذه ضربة قاسية للسوريين . وكانت القيادة العامة لجيش الدفاع  
الاسرائيلي مقتنعة بان السوريين لا يمكنهم الامتناع عن القيام بالرد . ولكن  
كان الاعتقاد بان السوريين سيكتفون بضربة واحدة في عملية موسعة تستغرق  
عدة ساعات . كما اثبتت امكانية قيام سلاح المدفعات السوري بالدخول الى  
منطقة الجولان واحتلال احدي المستوطنات ولو لعدة ساعات .  
وفي اليوم التالي للمعركة الجوية ذكرت الصحف اللبنانية ان السوريين يقومون  
بنقل قوات من حدود الاردن الى الجبهة الاسرائيلية ، وفسروا ذلك في اسرائيل  
بانه لفتة سورية الى حسين بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين  
ولكن بسبب المعركة الجوية فان هذا الخبر كان كافيا لزيادة الاستعداد  
الاسرائيلي في منطقتي الجولان . فتم نقل بطاريتي مدفعية من سيناء الى المنطقتين .  
فالجبهة الجنوبية لا تدعو للقلق . كذلك نقلت ألوية مدعمة من الجنوب الى الشمال .  
ومع ذلك فقد كان الخبراء الاسرائيليون راضين عن الاخبار القائلة بحصول  
خلافات بين حكومة دمشق من جهة والخبراء الروس لديما من جهة اخرى ، على  
أثر المعركة الجوية . ( ولقد سرت هذه الانباء قصدا ضمن مخطط الخديعة  
العربية ) . فلقد قيل بان سلاح الجو السوري غير راض عن الطائرات الروسية ،  
وان دمشق تطلب بشدة طائرات ميغ ٢٥ لمنازلة اسرائيل . وايضا

للخندق على الروس فقد حددت دمشق تحركات الخبراء الروس في سوريا .  
هذه الاخبار المشجعة لم تخف عن اعين القيادة الاسرائيلية أن  
التجمعات السورية على طول الحدود آخذة في الازدياد . وفي ليلة رأس  
السنة العبرية اقترح دايان على رئيس الاركان التوجه لمقابلة ممثلي المستوطنات  
في هضبة الجولان . وقد صرح وزير الدفاع للمثلي المستوطنات بأن شبكة  
الصواريخ ضد الطائرات التي اقامها السوريون قرب الحدود قد اتسعت اخيرا  
حتى انها أصبحت لا تقل كثيرا عن شبكة الصواريخ المصرية التي اشتهرت بأنها  
واحدة من الشبكات المركزة والمتقدمة في العالم .  
كما قال دايان للصحفيين الذين رافقوه محذرا دمشق - بأن جيش  
الدفاع الاسرائيلي سيرد بشدة وبقوة على تحرشات السوريين . ولكن  
في ذلك الوقت كانت آلة الحرب المصرية - السورية في أوجها .  
وقبل لقاء دايان مع ممثلي المستوطنات في الهضبة ، اتفق مع قائد الجبهة  
الشمالية اللواء يتسحاق حوفا ، على انه لن يمنع حركة المتزهين في هضبة  
الجولان في رأس السنة حيث تجتذب الهضبة الكثير من الاسرائيليين والسواح .  
ويجب اتخاذ وسائل الاستعداد المناسبة بدون اخافة الجمهور .  
لم يخطر ببال قائد الجبهة الشمالية انه سوف يدخل في منافسة مع  
السوريين بعد عشرة ايام ، في معركة شرسة على وجود اسرائيل ، ولكنه منذ  
عدة اشهر وهو يحاول اقناع الجبهة الشمالية بأن الخطر الكبير على اسرائيل  
يتوقع مجيئه من الجبهة الشمالية بالذات ، وليس من جيش مصر الكبير . كما انه  
في مقابلته الان ايضا مع دايان والعازار يري بان الحدود مع سوريا اكثر  
خطرا ، ولذلك يجب أن يوجه اليها اهتمام أكبر ، فليس هنالك في خط وقف  
النار بين اسرائيل وسوريا عائق طبيعي (كقناة السويس) . والجيش السوري  
المرتكز في الاساس على المدافع وعلى الوحدات الالية ، يتواجد بجانب خط  
وقف النار تماما . ويكفيه ان يحرك دباباته ويسير . والانتقال من حالة دفاع  
الى حالة هجوم سهل ، ومن الصعب الشعور به . والكل ينظرون الى الجيش  
المصري لانه اكبر الجيوش العربية . وفي حين تفصل صحراء سيناء بين الجيش

المصري والتجمعات السكانية في اسرائيل ، فان الجيش السوري قريب من ميدان  
الجليل ، و اذا استطاع ان يزحف جيش الدفاع الاسرائيلي من هضبة الجولان  
فانه سينقل المحركة الى قلب اسرائيل وقد وصلت الان انباء بأن الاتحاد  
السوفياتي قد زود السوريين ايضا بصواريخ ارض - ارض من نوع (فروغ)  
التي يبلغ مداها حوالي ٩٠ كيلومترا .  
علاوة على ذلك فان المسافة التي تضطر الطائرات السورية لقطعها  
للوصول الى قلب المراكز السكانية الاسرائيلية ، لم تتغير بسبب المكاسب الاسرائيلية  
في حرب الايام الستة . اما في الجنوب فقد استولت اسرائيل على المطارات المصرية  
في سيناء ، وهذا شلت حركة المطارات المصرية على طول قناة السويس من  
الجانب الغربي . ولكن في الشمال لم يود احتلال هضبة الجولان الى ابعاد  
المطارات السورية الى الخلف . والموضوع الجوي قد اطلق اسحق حوفي من زاوية  
اخرى . ف جيش الدفاع الاسرائيلي يعتمد دائما على سلاحه الجوي القوي  
عالذي بإمكانه تقديم معونة حاسمة في صد هجوم (العدو) . ولكن السوريين  
قد اقاموا شبكة صواريخ كثيفة ارض - جو . وهكذا ففي الحرب سيكون على سلاح  
الجو القيام اولا بالقضاء على بطاريات الصواريخ الموجودة على خط الجبهة  
وبعد ذلك فقط سيستطيع الالتفات الى مدربات (العدو) والمهاجمة .  
ودايمان يحرف اراء حوفي . وقد قال في احد هذه اللقاءات " أما  
أن حوفي يزح أو انه يتكلم بجد ، فما العمل اذا كان الامر كذلك ؟ .  
تقرر تخصيص مبلغ من المال لاكمال انشاء قناة ضد الدبابات في هضبة  
الجولان ، ونشر النخام كثيرة حولها . ولكن ذلك كنقطة في بحر . وفي اسرائيل  
لا يوجد شعور بان هنالك عاصفة كبيرة تقترب . واللواء حوفي ايضا قال بحسب  
ذلك : " كانت اكبر مفاجأة بالنسبة لي في هذه الحرب هي كونها نشبت ، فرفم  
انني كنت أخشى ان الامر سيحدث ، الا انني لم أكن أو من بذلك .  
وبقوة هذا الايمان نجحت اسرائيل في اقناع الولايات المتحدة ايضا  
بأن لا تنتظر بجدية للانباء التي تصلها تباعا حول نية العرب واستعدادهم .  
وفي ملفات وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية تجمعت معلومات تقول بأن

مصر وسوريا تنويان شن الحرب . وقد سأل مندوب امريكي كبير محدثه الاسرائيلي فيما اذا كان الاسرائيليون يعرفون من هجوم يدبر ضدهم ؟ وكان جواب الاسرائيلي باننا لا نؤمن بأن ذلك سيحدث فالحشودات في مصر هي لمتاورات الخريف والسوريون يخشون من جيش الدفاع الاسرائيلي . ان الاستخبارات الاسرائيلية تعتبر عملية بما يدور في الشرق الاوسط وفي الدول العربية على وجه الخصوص . وقد حصلت لنفسها عبر الاعوام على الشهرة والمركز . وقد قبل التقدير الاسرائيلي هذه المسرة ايضا .

٣٠ أيلول ١٩٧٣

في القيادة العامة ازدادت مخاوف اللواء (اسرائيل طحل) نائب رئيس الاركان ورئيس قسم القيادة العامة . وكان ينوي هذا المساء ان يتناول الطعام مع رئيس قسم التموين (نحميا قين) . وقد عاد (طل) لتوه من جلسة مع رئيس الاركان ، اوصي خلالها بارسال قوة من المدرعات الى هضبة الجولان او تجنيد وحدة مدرعات احتياطية وارسالها الى هناك . وقد امر رئيس مكتبه (يجال) بان يلقي وجبة الطعام مع (اللواء قين) وبدلا من ذلك دعا رئيس قسم الاستخبارات (ايلي زيميرا) للتفرغ لشرب فنجان من القهوة ودعمه احد مساعديه الكبار الزعيم (اريسه شيلو) . وتوجه (طل) اليهم . فنفسه ليست هادئة ، وهو يريد ان يضع الشكوك حول تقديرات رجال الاستخبارات . وقد رسم لهم صورة اخرى وتوصل الى نتيجة محاكاة لرأيهم - كل شيء معد للحرب !

وحسب تقدير (طل) فان السادات كان ينوي القيام بهجوم في شهر ايار . ولكن الهجوم الذي لان الاسد ، الرئيس السوري ، شعر بأنه ليس مستعدا . وبعد ذلك قام الاسد بحملة سريعة وضخمة لشراء الاسلحة . وقد قام الروس بتزويده بدبابات حاملة جسر ، وبصواريخ (فروغ) . ودبابات تي ٦٢ باعداد كبيرة ، وكميات ضخمة من الصواريخ المضادة للطائرات . وبعد ذلك بدأ السوريون بدعم بالاربات الصواريخ في الجبهة . وكانت هذه هي مصدر شكوك (طل) . ولكنه لم ينجح في جعل محدثيه يتحاورون معه .

١ تشرين أول ١٩٧٣

ظهر صباح هذا اليوم لأول مرة في الصحف الاسرائيلية نبأ عن توتر علمي الحدود . ونشرت صحيفة هارتس في احدى صفحاتها الداخلية نبأ عن حالة تأهب في هضبة الجولان بعد قيام السوريين بنقل وحدات عسكرية من حدودهم مع الاردن . وفي هذه المواضيع تستقي الصحف الاسرائيلية اخبارها من المصادر العسكرية الاسرائيلية فقط . وهذه المصادر تطلب من الصحفيين عدم تضخيم الانباء ، حتى لا تؤدي الى اثاره الفزع في اسرائيل ، والى اطلاق الحرب ، وتشرح هذه المصادر للصحفيين موقفها بقولها ان التوتر قد نشأ عن المعركة الجوية الكبيرة في ١٣ ايلول وان السوريين هم القلقون ، وليس على الجندور الاسرائيلي ان يكون منزعجا .

وعلى قناة السويس قام الجندي تسفي بيتان - وكان يقوم بأعمال الاستكشاف بارسال تقارير عن حركة كبيرة للجيش المصري قرب القناة . ومن نقل قوافل من القوارب ووسائل العبور . وقد كسر تقاريره هذه خلال مدة ايام . وكان جواب قائده : " انك ترى الشيء شيئين " . وتتراكم التقارير في مكتب ضابط الاستخبارات القيادي وهو ملازم شاب باسم ( بنيامين سيمان طوف ) ، وكان قد انتهى قبل عام دورة ضباط استخبارات . وقام هذا الضابط بتسجيل التغييرات الحاصلة في الاستعدادات المصرية . كان يجمع التفاصيل من خلال مراقبة المنطقة والاماكن الاخرى وكانت حصيلة ملاحظاته لا تتفق مع تقديرات رؤسائه ، وتقديرات قسم الاستخبارات في رئاسة الاركان بأن الجيش المصري يستعد للقيام بمناورة كبيرة ( تحرير ٤١ ) . وفي تقرير أرسله هذا الضابط الى قائده امر به عن مخاوفه وكتب يقول : " قد تكون عملية ( تحرير ٤١ ) ما هي الا تغطية لعملية حقيقية " . ولكن قائده لم يوافق على هذا التقرير واخبره بأن تقديره يناقض تقرير قسم الاستخبارات . لذلك من الافضل له ان يوافق على شطب استنتاجاته الكئيبة . وبجرة قلم شطبت هذه الاسطر من بند النتائج . وسكت ( سيمان طوف ) . فقد كانت علاقته مع قائده متوترة منذ مدة وكان بينهما تبادل عبارات . وقد فسر قائده سكوتته

بالموافقة ، ولكن في مساء اليوم التالي قام (سيمان طوف) بأعداد تقرير جديد وأكثر شمولاً توصل فيه الى نفس النتيجة الخطيرة .  
كذلك كان هنالك في قسم الاستخبارات برئاسة الاركان شخص اخر من المتشائمين ولم يكن على استعداد لقبول التقدير العام لقادته وزملائه ، وهو رئيس الدائرة السورية في قسم الابحاث . وكان اكثر تشاؤماً من زميله رئيس الدائرة المصرية . ومع انه لم يكن ضليحاً بما يجري خلف قناة السويس لكنه كان مقتنعاً بان الجيش السوري يستعد للقيام بعمل خطير . . . . . وام يكن هناك من يشاركه الرأي فسي الاستخبارات ، ولكن وجد عزاء في (اللواء حوفي) قائد الجبهة الشمالية الذي اتصل معه مباشرة وقبل رأيه حول الوضع الخطر في هضبة الجولان .

٣ تشرين اول ١٩٧٣

اجتمعت الحكومة الاسرائيلية في جلسة غير عادية ، ولكن ليس من اجل ان تبحث في الوضع العسكري ؟ حشودات الجيوش العربية على الحدود آخذة في الازدياد ، ولكن ذلك لم يكن هو الموضوع الذي بحثته الحكومة ، فبالامس مادت جولدا مئير من رحلتها القصيرة والشاقة في اوربا . . . . . وايحال الون ، الذي حل محلها طيلة الايام الثلاثة ، لم يتلق اي تقرير عن الوضع على الحدود ، والان ، تجتمع الحكومة الاسرائيلية كي تسمح من جولدا من رحلتها . . . . . فبعد ان اشتركت في اجتماع دواي في ستراسبورغ توجهت الى فيينا لمقابلة المستشار النمساوي برونو كرايسكي ، الذي استسلم للضغط العربي وقرر افلاق محطة عبور المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي في ارضه ، ووزراء (المبايع) فقط . . . . . الون - جليلي - ديان ، قاموا بعد ذلك ببحث الوضع الامني .  
قام محررو الصحف الاسرائيلية بالنزول ضيوفا على سلاح البحرية ، وتجولوا في منشآت سلاح البحرية في حيفا . . . . . وعندما قاموا بجولة في سفينة الموارينج الجديدة التي بنيت في اسرائيل ، جلسوا لتناول وجبة الخدء وانضم اليهم رئيس الاركان دافيد العازار ، وقام بعد ذلك بالاجابة على الاسئلة . . . . . وقد طلب احد الصحفيين معرفة ما يجري على الحدود الشمالية ، وكانت الاجابة (هنالك استعدادات) السوريون يقومون بتركيز قواتهم ، ولكن ذلك تأمب دفاي .

وفي الوقت الذي كان رئيس الاركان فيه جالسا مع محرري الصحف بدأت فسي سوريا ومصر حركة غربية .. فطائرات شركة الطيران الروسية (ايرفلوت) قد غيرت هذا اليوم من خطوطها العادية في الشرق الاوسط وفي اوربا وهبطت فسي دمشق والقاهرة ، وقامت بنقل الخبراء والمستشارين السوفيات الحامطين فسي هاتين الدولتين من مائلاتهم ، باتجاه الشمال ، للاتحاد السوفياتي . وفي مصر بقي بعد عملية اخلاء المستشارين السوفيات بصيف ١٩٧٢ بنحو مئاة من الخبراء اما في سوريا فعدد هم اكبر حوالي ٢٠٠٠ مستشار وافراد عائلاتهم . اخلاء غريب .. فهذه اشارة تخدير بان شيئا ما يجري في مصر وفسي سوريا . وفي ذلك المساء كانت هنالك حفلة وداعية في قيادة القوات المدروعة بسينا على شرف قائدها اللواء ابراهيم (البرت) مندلو . وفي يوم الاحد السابع من تشرين اول كان على (كالمان ميغن) ان يخلف البرت . وقد وصل كالمان هذا اليوم من جولة دراسية في انجلترا . والجميع يتمنون لالبرت نجاحا فسي وظيفته الجديدة . وبصوته الهاديء يجيب البسرت بقوليه :  
هذه حفلة وداعية ، ولكني امسرف اني لسن اترك ، فهناك حرب سوف تنشب .  
وقد فوجيء بعض الضباط بهذه الاقوال ، ولكن ضباطا آخرين كانوا يبادلون البرت هذا الشعور منذ عدة ايام بأن أمرا ما يجري وراء القنساء .  
ان البرت من خيرة ضباط المدفعية في جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد قساد في حرب الايام الستة الكتيبة المدروعة التي اخترقت الخط السوري في هضبة الجولان واستولت على القنيطرة ، وقد عين الان قائدا لسلاح المدرعات . وقد قال عند قدومه الى سيناء في ايلول ١٩٧٢ (اليوم يسود الهدوء سيناء ولا يظهر بأن المصريين سيخاطرون بالحرب ، ولكني متأكد انه فسي فترة وجودي بسينا سوف تندلع النار وينقطع السمود) .  
كانت الانظار موجهة نحو الجولان ، ولكنه تقرر مع ذلك وللمرة الثانية فحصر ما يجري وراء القنائة . والحوادث تذكرنا بأساة يونانية تقول انه لا ففر من الكارثة التي يجب ان تقع .. فجيش الدفاع الاسرائيلي يبذل جهدا للحصول على معلومات حول ما يجري فسي الحارف الاخير ولكن بسبب خطأ طاريء ضاعت المعلومات .

وكان هذا اليوم هو اليوم الذي قال فيه رئيس الأركان  
لمحرري الصحف ان التأهب في الجانب الآخر يحصل طابعا دافعا .  
٤ تشرين أول :

ادت الصور الجوية ، التي اخذت وراء القناة ، الى تفيير رأي رئيس  
الأركان وجعلته يقرر بأن الاستعدادات المصرية أصبحت هجومية . ولم يحدد  
يسلم مع الاستخبارات في تقديرها بان احتمالات الحرب ضعيفة . وقال لرجال  
الاستخبارات ( انتم تقولون بانها ليس هنالك دليلا بأن الحرب ستنتشب .  
هل لديكم معلومات ايجابية بأنه لن تكون هناك حرب؟ ) .  
احد رجال الاستخبارات تصفح اوراقه وقال : ( هنالك خبر في هذا الموضوع )  
تفحص البت الصور التي التقطت وراء القناة وقرر دعوة الضباط الذين  
يقضون اجازاتهم . وفي اليوم التالي فقط اعلنت رئاسة الأركان  
فرض حالة التأهب ج الذي يلغى كسبل اجازة .  
ويستمر الاخلاء الروسي ، في ميناء اللاذقية السوري ترسو سفينة ركاب كانت  
قد انتهت لتوها من تفريغ اسلحة للجيش السوري . كما هبطت طائرات ( ايرفلوت  
اخرى في دمشق والقاهرة . وهذه دلائل سيئة ، ولكن ليس بها حسب رأي  
استخبارات جيش الدفاع الاسرائيلي شواهد على حرب قريبة . وفي المؤسسة  
المركزية للاستخبارات فان الشعور اكثر تشاؤما ، ولكن في الاستخبارات الاسرائيلية  
الكلمة الاولى هي لقسم الاستخبارات التابع لجيش الدفاع الاسرائيلي . وفي  
حين تعمل المؤسسة على جمع المعلومات ، تسيطر الاستخبارات العسكرية على  
البحث الاستراتيجي ، الذي تقع عليه مسؤولية تقدير الموقف الوطني .

#### ٥ تشرين اول

عشية يوم الخفران ، يتزايد اخلاء المستشارين السوفيات ، اتضح اليوم انه  
تم استدعاء الاحتياطي ايضا في كل من سوريا ومصر . وهذا الاستدعاء لم  
يكن على مستوى كبير ، ولكنه يدل على ان هذه الجيوش تعد قوات احتياطية  
استراتيجية . وعلى الجبهة السورية حصلت خلال هذه الليلة عدة تهييرات .  
وحسب المبدأ الحربي السوفياتي فهذه علامات مميزة لتفجير التأهب ليصبح هجوما .



وتم تقديم المدفعية المتوسطة كما تم نقل كميات بارزة من المدرمات الملحقة  
بفرقة المشاة الى الخط الامامي . وفي المقابل تم تقديم دبابات تشكل لسواء  
مدوما احتياطيا . كما تم نقل طائرات قاذفة من اماكن وجودها الدائم فسي  
المطارات الداخلية الى المطارات الامامية . كل ذلك يدل على استعداد للهجوم .  
ووصلت من الجهة المصرية انباء مماثلة . فالمدفعية تتدفق وتتدفق على  
الجبهة . وقوات كبيرة تمسك في العادة حول القاهرة تم نقلها الى الجبهة .  
وبالقرب من خط القناة يمكن مشاهدة الجيش المصري ، وهو يقوم بنقل اجهزة  
ثقيلة باتجاه خط المياه . والان يقومون بنقل الجميع الى الامام ، نحو مناطق  
عبور جهمزها المصريون في السنوات الاخيرة . وفي قطاع المتلة والفردان وشمالهما  
تشاهد اجهزة عبور كثيرة . من الواضح ان كلا من الجيشين مستعدان للهجوم .  
نقاش خاص في رئاسة الاركان ، الموضوع : المناورة التي يقوم بها الجيش  
المصري . والاستخبارات متطلبة في رأيها بأن احتمالات الحرب ضعيفة . وعند  
مناقشة مسألة اخلاء عائلات المستشارين السوفيات قال رجال الاستخبارات (من  
الجائز ان تكون قد نشبت ازمة في العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفياتي) .  
ولكن التقدير هذه المرة لم يرغز رئيس الاركان . . لذا قرر الاعلان عن حالة  
استعداد ج في الجيش النظامي . وقبل ذلك كان هنالك استعداد اقل فسي  
هضبة الجولان ، ولكن الاستعداد الان يشمل جيش الدفاع الاسرائيلي بأسره . . .  
وفي الساعة ١١ صدر الامر لجميع الوحدات بالاستعداد .  
يوجد في جيش الدفاع الاسرائيلي ثلاث درجات من التأهب . والعليا فيها  
هي تأهب ج . والاشد منها فقط هو الامر بالدخول للمواقع انتظارا لاطلاق  
النار . وتأهب ج ليس ماديا في جيش الدفاع الاسرائيلي . فمن ناحية عملية  
يشكل امرا بالانتظار ، ويتضمن الغاء الاجازات في الجيش النظامي . ورئاسة  
الاركان تشغل فرقة القيادة العليا . وليس في هذا التأهب امرا صريحا بالدخول للمواقع .  
فسدا في يوم الخفران ستتوقف سلطة الاذاعة عن العمل . وقد صدر  
الامر لمحطة اذاعة جيش الدفاع الاسرائيلي بأن تكون على استعداد ، لاحتمال  
استئناف البث لاذاعة نداء الى رجال الاحتياط . .

اقترح بحضر الضباط في قيادة البرت نقل الدبابات الى الامام .. ولكن البرت رفض الاقتراح وقال للضباط الذين توجهوا اليه ان هنالك امرا واضحا يدعمو الى عدم القيام بذلك، فهناك مخاوف من ان يتدهور الموقف وتحدث سلسلة من ردود الفعل لدى الطرف الاخر . وقال البرت انه لا يريد اي تغيير في المظهر الخارجي للقوات . وألبرت عسكري مطيع للاوامر وهو يطلب من رجاله ايضا تنفيذ الاوامر مهما كانت .

اجتمعت الوزارة الاسرائيلية في جلسة غير عادية .. وحضر الجلسة اقل من نصف الوزراء . اما الباقي فقد كانوا قد توجهوا الى منازلهم .. ويختمال الون موجود في كيبوتس جينو سار الواقع على بحيرة طبريا ، واثنان من الوزراء المتدينين توجهوا الى القدس . وقد سمع الوزراء من الاستعدادات والتوتر على الحدود وفي المرسل احد الوزراء بعد جلسة الوزارة حاييم بارليف وزير التجارة والصناعة ورئيس الاركان السابق عن رأيه في الوضع . فأجاب بارليف اننا مستعدون الان بما لدينا من دبابات في سيناء . ان نسوق الدبابات المصرية التي تعد ١٥٠٠ دبابة . فبارليف يقدر ان الدبابات الموجودة في حالة تأهب دفاعي تستطيع ايقاف وصد قوة تفوقها خمسة اضعاف . وبعد الجلسة طلبت رئيسة الوزراء من سكرتيرها ان يعرف مكان تواجد كسل وزير في اليوم التالي الذي يصادف يوم الخفران وذلك لاحتمال دعوة الوزارة الى جلسة عاجلة .

بقي الجيش في معسكراته وهناك اماكن من السهل تنفيذ اوامر التأهب فيها . وفي سلاح الجو تتركز القوة في عدة قواعد هواجزة سلاح الجو مدربة وعلى أهبة الاستعداد للانطلاق . كذلك فان القوة البحرية متمركزة في عدة قواعد . وقد وصل أمر التأهب في القواعد البحرية في الوقت الذي غادر فيه جزء كبير من اطعم الزوارق الحربية قواعدهم لقضاء الاجازة . واعطي الامر الى حراس ابواب المعسكرات بأيقاف كل من لم يغادرها بعد . وقد تم تأخير جزء بسيط من الاطعم المعارية . ولكن الغالبية كانت قد غادرت معسكراتها في طريقها الى محطات الباصات والقطارات .. وكان على الجيش ان يقوم بجمع هؤلاء من منازلهم اليوم وفي يوم الخفران .

قررت رئاسة الأركان إرسال المدونات إلى الجبهتين . وأرسلت إلى سيناء كتية  
مدونات أخرى ، كما نقلت إلى الجولان بقية كتية المدونات التي بدأت  
التوجه للفضية فيما بين رأس السنة ويوم الغفران .  
حوالي منتصف الليل فاد رئيس الأركان مكتبه متوجها إلى منزله ، وقبله غادر  
مساعدته إسرائيل طال مكتبه متوجها إلى منزله في رحوبوت . وقد روى رئيس  
الأركان بعد الحرب أن ما ألقه عندما كان متوجها من رئاسة الأركان إلى منزله  
هو تفكيره بحالة التأهب التي أعلنها في أيار - حزيران سنة ١٩٧٣ ، ففي تلك  
الفترة وصلت أنباء عن حشودات عسكرية على طول الحدود ، وقدرت الاستخبارات  
أن الحرب قد تنشب وأعطت تواريخ لاحتمال نشوبها ، ولكنها بنفس الوقت قدرت  
أن احتمالات الحرب ضعيفة جدا . ولكن رئيس الأركان عارض هذا التقدير وأعلن  
من حالة تأهب وفي المقابل تقرر في ذلك الوقت اتخاذ عدة أعمال استعدادا  
للحرب . وقد كلفت هذه الأعمال ميزانية الدولة ٦١ مليون ليرة إسرائيلية . والآن  
يفكر العازار - حسب أقواله - في هذه المصروفات الضخمة ، ويخشى أن يكون  
تقدير الاستخبارات سليما هذه المرة أيضا وبذلك يكون قد خلق ضجة لا مبرر لها .  
قبل ذلك بأسبوعين ، في يوم الجمعة ٢١ أيلول ، وبعد عدة أيام من الحمل  
الصعب ، توجه الرئيس المصري أنور السادات لقضاء عطلة نهاية الأسبوع . وبعد  
إقامة الصلاة مع الجمهور في مسجده القريب إلى نفسه ، توجه السادات إلى منزله  
الصيفي في الإسكندرية وخطه الحرب التي تحدث عنها عدة سنوات بأنه سينتقم  
من هزيمة ١٩٦٧ أصبحت جاهزة . ولكن خطأ كثيرة لحكومة مصر كانت قد  
فشلت . ففي أوائل سنة ١٩٧١ وعد السادات بأن تكون هذه هي السنة  
الحاسمة وفي أوائل ٧٢ أقسم أنه حتى مجيء يوم مولد النبي محمد ، فإنه  
سيهزم إسرائيل في سيناء بحرب شرسة . . . وأنا لم تتحقق وموده فإنه يعرض  
نفسه لخطر انقلاب عسكري . . . كما أن فني الفشل بالمعركة خاطرا عليه .  
ومع غروب الشمس يستقبل السادات محرر صحيفة ( الأهرام ) محمد حسنين  
هيكل في الشرفة المطلة على البحر . وهيكل لا يعتبر رجل الثقة التامة بالنسبة  
للسادات ولكن السادات بانفعاله يكشف لمحرر ( الأهرام ) بأن الحرب التي  
ينتظرها العرب ستشبه عما قريب . كذلك يكشف لهيكل عن اسم العملية . ( الشرارة ) .

عندما اجلس السادات مع هيكل ، كان كل شيء معدا وجاهزا ، وفي اسرائيل لم يقدروا نبالا نشر في الصحيفة اللبنانية (النهار) - المحروفة بصلاتها مع زعماء المنظمات - يقول ان القاهرة قد اعلمت شخصية فلسطينية كبيرة بأن مصر ستقوم قريبا بعملية عسكرية كبيرة هدفها ايجاد ضغوط امريكية على اسرائيل .

في احد الايام بأواخر شهر اذار قرر الرئيسان المصري والسوري - حسب كل الدلائل - القيام بالحرب في اواخر هذا العام . كما تغيرت صور برامج السادات الحربية منذ ان طلب في صيف ١٩٧٢ من الاتحاد السوفياتي اخراج العسكريين الروس من مصر . ومنذ خروج الروس لم يخش السادات من أن يكشف فيما لو قام بالحرب . فقد قال لصحفي غربي جاء اليه ، انه بعد خروج المستشارين الروس لم يعد باستطاعة منتقديه الادعاء بان كل ما استفعله مصر في المجال العسكري ليس الا كسبا روسيا ومن صنع المستشارين الاجانب . فبعد اسبوع من خروج الروس أمر السادات وزير حربيته ، احمد صادق ، بالاعداد للحرب .

وفي اوائل تشرين اول ١٩٧٢ عرض صادق خطة عملية (جرانيت ١) وهي خطة لحرب محدودة ، وتقوم في اساسها على اجرائين : انزال كتيبة مظلات مصرية في سيناء بحيث تنظم نفسها للدفاع . ومقابل ذلك تقوم خمسون طائرة مصرية بمهاجمة شرم الشيخ . واسرائيل ستحاول القضاء على كتيبة المظليين ، وفي حين تحاول مصر تشغيل مجلس الامن الذي سيعلم عن وقف القتال . ويقف القتال في حين تتواجد في سيناء كتيبة مظليين مصرية ، وتتضمن الحامية السياسية ، وتقوم الولايات المتحدة بالضغط على اسرائيل للتوصل الى تسوية من خلال الانسحاب من سيناء .

لم يكن الرئيس المصري راضيا عن تفاصيل هذه الخطة وبالذات الاقتراح بانزال كتيبة مظليين في سيناء ، فقد تكون لديه انطباع بأن وزير حربيته يشك في قدرة الاسلحة المصرية . واحمد صادق يحذر من سلاح الجو الاسرائيلي ومن اصاباته في الجبهة الداخلية المصرية ، التي يرى انها ليست مستعدة للحرب .

وبعد ذلك باسبوع لعلم السادات ان احمد اسماعيل قد خلف احمد صادق في منصب وزارة الحربية وبقي من الخطة السابقة الاقتراح بشأن القصف الموسع

لشرم الشيخ ، ولكن هذا الامر ايضا قد اصابه الاختلال نتيجة لنشوب الحرب  
بين الهند والباكستان . فقد رأى السادات انه يجب تأجيل الحرب لانه في وضع  
كهذا لن تكون الدول العظمى سعيدة بمازاجها بقضايا اسرائيل وجاراتها .  
وفي هذه الاثناء نجح احمد اسماعيل علي في اقناع السادات بأنه يجب على  
مصر ان لا تكتفي بعملية محدودة ، فان الاسرائيليين سيردون بشدة حتى على  
عملية محدودة كهذه . لذلك على مصر ان لا تخشى من القيام بعملية واسعة اكثره  
والتي يمكن ان تنتج مزايا افضل واكبر . وتم الاتفاق على القيام بتخطيط عملية  
عبور واسعة لقناة السويس . وفي ١٤ كانون ثاني ١٩٧٣ قدم احمد اسماعيل  
للرئيس المصري خطة العبور التي اطلق عليها جرانيت ٢ .  
استعدت مصر للقيام بهجوم في شهر ايار ، وكانت المشكلة التي واجهتها  
هي اعداد الجيش واقناع السوريين بالانضمام للحرب . في شهر آذار  
استقبل السادات الصحفي الامريكى (ارنودى بور شجرب)  
من مجلة (نيوزيك) وجرى بينهما حديث طويل . وقال الصحفي ان الخبراء  
المسكرين يعتقدون ان اسرائيل سوف تعزم مصر ، وان السلاح الجوي  
الاسرائيلي سيعمل ضد الاهداف المصرية في الجبهة الداخلية . وكان رد  
السادات انه يتخذ ما حصل اخيرا في حرب فيتنام مثالا له ، فهناك خسائر  
الفييتكونغ في هجومه الكبير قرابة ٤٥ ألف رجل ، ومع ان هذا الهجوم كان  
بمقاييس فشل عسكري ولكنه كان ايضا نقطة تحول سياسي لصالح الفييتكونغ . وندما  
عاد النزاع الى الجمود ، شن جيش فيتنام الشمالية هجوما شاملا . وفي هذا  
الهجوم خسرت الفيتناميون اكثر من ٧٠ ألف رجل ولم يفوزوا بشبر من الارض ، ومع  
كل ذلك انتصروا . فالامريكيون قرروا التوقف عن القتال ، وهم يستعدون الان  
لانسحاب ، وقد اعجب الرئيس المصري بهذه العملية ، وبدون شك فانه سيسعى  
للحصول على مكاسب سياسية وتحريك الوضع من اجل التوصل الى انسحاب اسرائيل .  
وقد وصل نبأ استعداد المصريين للبدء قريبا بالحرب ، الى علم الامريكيين  
في أواخر آذار ، كما قامت شخصية غربية بمقابلة السادات وارسلت الى جوزيف  
سيسكو مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط . تقريرامفاده ان السادات

قد اقسام اليمين على انه سوفي بوعده بشأن الحرب خلال اسابيع معدودة . ولكن سيسكولم يقبل هذا التقدير ، فقامت هذه الشخصية بايلاغ تقريرها الى الدكتور كيسنجر ايضا الذي قبل التقرير بان السادات سوف يخوض الحرب ولكن كيسنجر رفضه تقديرا لشوب الحرب خلال اسابيع . وبعد ذلك حاولت هذه الشخصية مقابلة السفير الاسرائيلي في واشنطن سمحاح دينتس بصورة عاجلة . وخلال خمسة ايام اتملت هذه الشخصية ثلاث مرات بالسفارة وفي كل مرة كانت تتلقى من مكتب السفير ردا سلبيا بحجة انه ليس لدى السفير وقت للمقابلة . وبعد المرة الثالثة تخلت عن فكرة المقابلة .

ان مصر لمن تشن حربا في ايار ، لان الرئيس السوري يرى ان جيشه غير مستعد بعد للحرب . كذلك فان العسكريين المصريين يقولون انهم بحاجة لعدة اشهر لاكمال الاستعدادات . والقاء نظرة على جدول مقابلات ورحلات السادات في هذه الفترة يكشف عن حالة استعداد خاصة . ولكن الحركة الواسعة بين مصر وسوريا في هذه الفترة لم تترأى اشتباه لدى سلطات المخابرات الاسرائيلية .

في ٢ نيسان وصل وزير الحربية المصري احمد اسماعيل علي الى دمشق لتنسيق برامج التعاون بين الجيشين المصري والسوري ، وبعد ان قضى ثلاثة ايام في رئاسة الاركان السورية عاد الى مصر ، وفي ٦ ايار هبطت الطائفة الهليكوبتر التي تقل احمد اسماعيل علي في بغداد وبعد ذلك بيومين عاد فزار رئاسة الاركان السورية . وفي اسرائيل اعتبرت هذه الزيارات مجرد لقاءات تنسيق عادية . ولكن في الاردن كان هنالك شعور اكبر بهذا الاستعداد الغريب . ففي ١٣ ايار وزعت على كبار ضباط الجيش الاردني رسالة سرية من الملك حسين يعلمهم فيها ان دولا عربية معينة تستعد لشن الحرب ، ولكن حسب تقدير الملك حسين ، فان هذا الاستعداد غير كامل . وبعد عدة ايام تسربت بعض تفاصيل رسالة الحسين للمصحف اللبنانية ، ولكن في اسرائيل لم يكن لهذا الخبر اية اهمية .

ان احمد اسماعيل علي ، وزير الحربية المصرية الاصل ، هو المخرج من وراء الكواليس ، فبعد ان تقررت الحرب اصبح هو منسق البرامج . وهذا الضابط

البالغ من العمر ٥٥ عاما يحبه الروس كثيرا ، فقد انهى دراساته في الاكاديمية العسكرية بموسكو سنة ١٩٥٧ . وفي عام ١٩٧٢ قام السادات اكراما للروس بعزل وزير الحربية احمد صادق الذي وقع في مشاكل مع المستشارين السوفيات ويمين مكانه احمد اسماعيل علي . وقد قدم احمد اسماعيل علي الى وزارة الدفاع ممن سلطات الاستخبارات وهو معروف في الجيش المصري بانه صاحب اتجاه هجومي ، وعندما بدأت حرب الاستنزاف كان رئيسا لقسم العمليات في رئاسة الاركان المصرية ، وعندما استشهد رئيس الاركان المصري عبد المنعم رياض ، في حرب الاستنزاف ، عين احمد اسماعيل علي مكانه . ولكن الحظ لم يساعده حينئذ . وفي ايلول عام ١٩٦٩ وبعد عدة كبوات للجيش المصري وبعد الفخارة الاسرائيلية المدروعة في خليج السويس عزل عبد الناصر احمد اسماعيل علي من وظيفته ، والسادات هو الذي اعاده للخدمة في ايار كرئيس لجهاز الاستخبارات . وكان الدافع الشخصي لاسماعيل لرئيس الاركان المصري سعد الدين الشاذلي اثره الهام في الاعداد للحرب .

بعد عشرة ايام من زيارة اسماعيل لسوريا ، وفي ١٩ ايار ، نشر خبر مفاجئ ، مفاده ان السادات قد قام بزيارة خاطفة الى دمشق استمرت ٧ ساعات . وفي ١٢ حزيران حضر السادات مرة اخرى الى دمشق . ولم يجد الاسرائيليون جوابا على السؤال القائل : ماذا يريد السادات من زيارته المتلاحقة والقصيرة الى دمشق ؟ وفي هذه الاثناء قامت بحثة عسكرية سورية بزيارة طويلة الى مصر دعا على زيارات المصريين .

وفي آب امتد النشاط الى الاردن . وفادرحسن الخولي بمبعوث السادات القاهرة في ٦ آب متوجها الى عمان . أنه لا مرغيب حقا ، فالقاهرة تعتبر الاردن خارجا عن الخط . وبعد أربعة ايام من ذلك اصطحب حسن الخولي معه رئيس وزراء الاردن زيد الرفاعي متوجها الى دمشق . وكانت سوريا قد هاجمت الاردن قبل ذلك بثلاث سنوات والان يسرع الرفاعي الى مقابلة الاسد برعاية مصر . وفي اسرائيل يفسرون ذلك برغبة الدول العربية المتطرفة في

كسب مساعدة الدول العربية المنتجة للنفط والتي لها ميول عربية مثل السعودية .  
ولم تكن اجهزة الاستخبارات في اسرائيل والولايات المتحدة تعرف انه في هذه  
اللقاءات يقوم السادات والاسد باعداد البند الاخير في الخطة العربية ،  
وهو تأمين الجناح الاردني . وهذه الفكرة لم تخطر مطلقا على بال الخبراء .  
وفي ٢٩ آب حضر وزير الدفاع السوري طلاس الى عمان . وحضر معه ايضا  
قائد القوات المغربية في سوريا الجنرال عبد السلام سفاوي ، وقد وصلت  
طلائع هذه القوات الى سوريا في اواخر شهر اذار ١٩٧٣ . والان تريد سوريا  
ان تعرف فيما اذا كان الاردن سيوافق على ادخال ألفي جندي مغربي للسي  
أراضيه . وقد رفض الملك حسين العرض ولكن المحادثات بهذا الشأن استمرت معه .  
وفي ١٢ أيلول انتهى في القاهرة مؤتمر قمة اشترك فيه السادات والاسد  
وحسين . واعلنت مصر وسوريا استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الاردن . وكان  
هذا الثمن لحسين مقابل حماية الجناح السوري . حتى ان الاسد صار  
مستعدا لقمع الفلسطينيين الذين يرون في التقرب من حسين خيانة ، وفي  
اليوم التالي ، في ١٣ أيلول جرت المعركة الجوية الاولى تجاه  
الساحل السوري ، وبها خسرت سلاح الجو السوري ثلاث عشرة طائرة .  
ان حرب يوم الغفران هي الحرب الاولى التي خطط لها العرب  
بصورة رئيسية ، محاولين ان لا يتركوا اي أمر للمصنف . وهذه المرة كان  
الاستراتيجيون وراء المبادرة والمباغتة . اما في عام ١٩٤٨ فمع ان الحرب بادروا  
بعملية (غزو البلاد) ، الا ان الخطة العربية حينئذ كانت هزيلة وعلى مستوى  
ضعيف من الناحية العسكرية ، كما ان التنسيق بين الجيوش العربية كان سيئا .  
وفي عام ١٩٥٦ فان اسرائيل هي التي بدأت القتال ، فالمبادرة كانت لها .  
أما مصر فقد اضطرت ان ترد فقط . كذلك ايضا في حرب الايام الستة ، فان  
العرب اعدوا لاسرائيل سببا للحرب ، حيث فرضوا حصارا بحريا على مضائق  
تيران وقاموا بتجميع قوات كبيرة من الجيش في سيناء ، ولكن المبادرة بالمجوم  
كانت من جانب اسرائيل .  
ولقد نأمل ناصر ان ينتصر في المعركة السياسية فقط بدون ان يحارب فعلا .



والعرب من ناحيتهم توضعوا قيام جيش الدفاع الاسرائيلي بانزال الضربة الاولى .  
وفعلا ، فقد بدأت الحرب حسب خطط الهجوم والمبادرة الاسرائيلية . وفي  
حرب الاستنزاف ١٩٦٩ - ١٩٧٠ كان المصريون هم الذين بدأوا ولكن كانت  
هذه نصف حرب ، وكانت غاياتها محدودة وثابتة . أما في عام ١٩٧٣ - ففي  
حرب يوم الغفران - فان العرب هم الذين حددوا موعدها . ولقد استفادوا  
من ميزة المفاجأة والمبادرة ، علاوة على التفوق الذي كانوا يتمتعون به في  
مجال كمية الاسلحة .

لقد استخلص العرب من الهزائم المتكررة ، عبرا ونتائج ولكن بصورة بطيئة  
ومن اولى هذه العبر ان لصاحب المبادرة افضلية كبيرة من البداية ، كما ان له  
فرصا ضخمة حتى ولو كان الجانب الاخر يتمتع بإمكانية كبيرة لتحمل الضربات . ولقد  
عرف العرب ان الجيش الاسرائيلي يتمتع بصفة الرد السريع وبإمكانية كبيرة  
للمناورة ، فخرجوا من ذلك بنتيجة ان المبادرة الاولى لا تكفي بل يجب  
السعي للوصول الى المكاسب الرئيسية منذ بداية المعركة وحتى لا يتأثر الاجراء  
الثاني من الوجهة السياسية فيجب الاعداد لمعركة سياسية ودبلوماسية تمنح  
اسرائيل من النصر . وباستطاعتهم الاعتماد على معونة الاتحاد  
السوفياتي وعلى مجلس الامن الذي يؤيد معظم اعضاء العرب .  
وكانت هناك نتيجة اخرى استندت على التقدير القائل بان اسرائيل وجيشها  
مستعدان لحرب خاطفة فقط ، وان اسرائيل غير مؤهلة من وجهة اقتصادية  
للاستمرار في التجنيد الشامل لاكثر من عشرين يوما ، وان مخزون ذخيرتهما لا  
يكفي لاكثر من ١٤ يوما في قتال مركز ، وان اسرائيل لا تستطيع ان تقاتل في  
اكثر من جبهة واحدة . . . وكتب محمد حسنين هيكل يقول : ان خوف اسرائيل  
ينبع من إمكانية فتح جبهتين ضدها في وقت واحد .  
.. وفي محاولة من المصريين لتفهم الحالة النفسية للاسرائيليين ، توصلوا  
الى ان الطريقة الافضل في جعل اسرائيل تنهار نفسيا هي ايقاع خسائر  
كثيرة في ارواح سكانها وقبل ان يشن المصريون حرب الاستنزاف قال رئيس  
الاركان المصري انه يكفي ان تقوم مصر بقتل سبعة اسرائيليين يوميا حتى  
تنهار اسرائيل خلال عدة اشهر .

لذلك رأى المصريون انه لا يكفي ان يملكوا زمام المبادرة ، بل يجب العمل على  
جبهتين وفي آن واحد . فبعد توجيه الضربة المفاجئة يجب الانتقال الى حرب  
استنزاف طويلة تعتمد على كمية الاسلحة الضخمة وعلى القوة البشرية  
التي تأتي من الدول العربية الاخرى . ففي حرب استنزاف  
طويلة تتغلب الكثرة العربية على النوعية الاسرائيلية .  
وبعد ان وجد المصريون انه ليس بالامكان العمل ضد اسرائيل في ثلاث  
جبهات ، سعت مصر وسوريا معا الى تأمين الجناح الاردني ، حيث الحصول  
على وعد من الملك حسين بأن يقوم بحشد قواته على حدود اسرائيل ، وأن لا  
يسمح لجيش الدفاع الاسرائيلي بالدخول الى سوريا من الجنوب داخل الارض الاردنية .  
كما تم التوصل الى اتفاق مماثل مع اللبنانيين خشية توفيل الاسرائيليين الى  
سوريا من طريق مرجعيون . ومع هذا لم تعرف حكومتا كل من الاردن ولبنان  
متى ستشب العرب ، ولكنهما ابلختا عن احتمال نشوب حرب مع اسرائيل . وكذلك  
لم تبلغ بغداد عن موعد نشوب الحرب ، وقد قدمت بغداد بهذا بأنه فسي  
حالة اشتعال الحرب فانها سترسل قوات عراقية الى الجبهة السورية . وكانت  
هذه القوات ستستعمل كأحتياطي استراتيجي بكامل من مصر وسوريا .  
أما خطة التنفيذ العربية التي اكتمل اطارها في ١٤ كانون  
ثاني ١٩٧٣ ، فقد ارتكزت على النقاط التالية :

- ١- تكون البداية عبارة عن هجوم شامل على الجبهتين المصرية والسورية  
تشارك فيه عدة مئات من الدبابات وشرات الالاف من المشاة ، ولو أدى ذلك  
الى خسائر كبيرة للمهاجمين . ففي الهجوم الشامل فرصة  
مقبولة للقضاء على الخطوط الاسرائيلية والحصول على مكاسب بسرعة .
- ٢- يكون كل من القصف المدفعي المسبق والقصف الجوي قصيرا ويتركز  
بصفة خاصة على الجبهة وبالقرب منها . وبذلك يتم تأمين المفاجأة بالانقضاض  
الشامل . كما أن العمليات داخل العمق الاسرائيلي يمكن أن تؤدي الى  
استنزاف كافة الاسلحة الجوية المصرية والسورية . فالاسلحة الجوية يجب  
ابقاؤها ما أمكن للمرحلة الثانية من القتال . والطائرات التي يجب نقلها

للمطارات الامامية هي فقط تلك التي ستشارك في المرحلة الاولى من القتال . أما الطائرات الاخرى فتحفظ في المطارات الخلفية .  
٢- لجيش الدفاع الاسرائيلي ، في الخطوط الامامية ، قوات صغيرة موزعة لذلك يجب ، وبشكل تام ، مفاجأة هذه القوات لتحقيق الضربة الاولى قبل تجنيد الاحتياطي الاسرائيلي .

٤- لن يشغل المهاجمون في المرحلة الاولى بالمواقع الاسرائيلية ، ولكن عليهم ان يتفولوا في الداخل ، ويحبروا القناة ، ويفتحوا ثغرات بين المواقع الاسرائيلية ، وتحقيق نفس الخطة في الجولان . وعلى القناة يبدأ المشاة بالانقضاض مستخدمين الزوارق . وبعد ذلك يقيمون جسورا لعبور المدعيات والمشاة الاخرين .  
٥- مع حلول الظلام ، يتم انزال رجال الكوماندو بالمثليات ويقوم هؤلاء بالاستيلاء على الممرات " المتلة و جدي " ومفارق الطرق . ومهمتهم هي اعاقه وصول الاحتياطي والنجادات للجيش الاسرائيلي وعرقلة النشاط الاسرائيلي في الخطوط الداخلية للجبهة .

٦- لمضاعفة حدة صدمة الهجوم المفاجيء ، هنالك احتمال ضرب احد المراكز السكانية الكبرى في داخل اسرائيل من بعيد ، وذلك بصواريخ - ارض جو - من طراز قلط مداها حوالي ١٠٠ كيلومتر .

٧- هدف المرحلة الاولى من القتال هو الاستيلاء على قناة السويس في الجبهة المصرية ، وكذلك هضبة الجولان حتى الاردن في الجبهة السورية ، أما هدف المرحلة الثانية فهو التوفل حتى ممرات العتلة و جدي في سيناء . وشق طريق خلف نهر الاردن في محورين - جسر بنات يعقوب ، وشمال بحيرة طبرية .  
٨- اذا حصل أمر طاريء يتوقف المهاجمون وينتظمون في كتل مدعة . ويقام من الامام سور من الاف الدبابات . كما تقام من الخلف شبكة من مشعات بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات وفي هذه الاثناء ترسل المي الجبهة القوات الاحتياطية الاستراتيجية من الدول العربية الاخرى .  
لقد اختار العرب لهجومهم يوم الغفران ، وعلى افتراض انه يمكن في هذا اليوم مفاجأة الاسرائيليين مفاجأة كاملة . فهذا هو اليوم الوحيد في العام

الذي يعطل فيه ايضاً الراديو والتلفزيون . كما انه لا يوجد فيه اية حركة علمية  
الطرق ، ويصعب على زعماء اسرائيل تشويش هذا اليوم المقدس الذي يتواجد  
فيه معظم الشعب في الكس . ولكن الحرب لم ينتبهوا الى ان معظم الاسرائيليين  
يتواجدون في هذا اليوم بالذات في الكس أو في منازلهم ، ولذلك يسهل  
استدعائهم . أما في رأس السنة العبرية وفي عيد العرش فان مئات الاسرائيليين  
يتواجدون على الطرق ، وسياراتهم يمكن ان تسد الطرق مع بداية الحرب والتجنيد الشامل .  
هنا نذكرك رأياً عند رجال الاستخبارات العسكرية في اسرائيل .  
الاول ، وهو الاقل مقبولية ، مفاده ان الروس كان لهم دور حاسم في جسر  
مصر وسوريا للحرب ، ووزم رغبتهم في التقارب بين الكتل الدولية ، رأى الروس  
ان مركز رئيس الولايات المتحدة قد ضعف . وهذا هو الوقت المناسب المتوصل  
الى كسب جديد في الشرق الاوسط ، اذا ما ارادوا عدم اضاءة هذه الساحة كلياً .  
والرأى الثاني يقول بأن الاتحاد السوفياتي كان يعرف عن القرار العربي  
بالخروج للحرب . وقد حذرت موسكو كلا من مصر وسوريا بانهما غير مستعدتين  
بعيد من ناحية عسكرية . ولكن عند ما رأى الكرملين انه ليس من السهل تغيير  
رأى السادات والاسد ، قام الروس بالمساعدة في التخطيط العملي وأعدوا  
المعدات العسكرية للمرحلة الثانية من الحرب . وهكذا فاذا فشل العرب في  
الحرب يستطيع الروس ان يدعوا بأنهم قاموا بتحذير العرب مسبقاً . وأما اذا  
انتصر العرب فسيتمكن الروس من قطف ثمار النصر باعتبارهم قد ساعدوا العرب  
في التخطيط للعملية وفي اثناء المصارف ايضاً .  
لا شك ان الاتحاد السوفياتي كان يعلم بموعد الهجوم ولتأمين مستشاريه  
وعائلاتهم امرهم بمغادرة سوريا ومصر قبل نشوب الحرب . كما بدأ الروس  
قبل ذلك بعدة ايام بتحميل السفن في موانئ البحر الاسود من اجل الحرب .  
ولتضليل اسرائيل قامت مصر - قبل الحرب بعدة اشهر - باشاعة انطباع  
بأنها تتوجه الى النضال السياسي بعد ان يئست في المرحلة الحالية من  
الكفاح العسكري . وقد تم ابراز أهمية سلاح النفط اكثر من أهمية سلاح  
القتال . كما بذلت جهود سياسية لحزل اسرائيل سياسياً . وصرفت لبيبي

أموالا طائلة لاقتناع دول افريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . وقد ذكر المراقبون الاسرائيليون في القدس ان توجه القاهرة نحو سلاح النفط سيلزمها بايجاد تسويات مع الدول العربية ذات الميول الغربية كالسعودية وامارات الخليج العربي . وطالما ان السادات يعلق آمالا على سلاح النفط فسوف يوجب استخدام سلاح القتال ، واكثر من ذلك فان التقديرات قد أكدت أن سلاح النفط سيثبت عدم فعاليتها . وهكذا بلعت اسرائيل الخلم الاول في خطة الخديعة .

في اواخر شهر آب زار كورت فالد هايم السكرتير العام للأمم المتحدة الشرق الاوسط . وقد فوجيء الكيرون باستعداد سوريا لاستقبال الدكتور فالد هايم والبحث معه في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ذلك القرار الذي عارضته دمشق بكل شدة لانه يتضمن بشكل غير مباشر الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود . ومن دمشق توجه فالد هايم الى القاهرة . وفي ذلك الوقت كانت خطط الحرب الحربية قد اصيبت جاهزة .

وتحدث المصريون مع سكرتير الامم المتحدة ، وسربوا للصحف انباء مفادها انهم يؤمنون بالتوصل الى تسوية في الشرق الاوسط . وفي نفس الوقت بدأ المصريون بنشر انباء مفادها ان القوات المصرية والسورية غير مستعدة اطلاقا للحرب . وذكروا ان شبكة الدفاع الجوي المصرية وبطاريات الصواريخ المضادة للطائرات هي في حالة متدنية من ناحية تقنية ، وعللوا ذلك بان فاعلية هذه الشبكة قد انخفضت بعد رحيل المستشارين السوفيات في صيف ١٩٧٢ كما وصلت انباء من سورية مفادها ان الطيارين السوريين غير راضين عن طائرات الميج السوفياتية . كما تكرر التلميح بوجود شقاق بين السوريين ومستشاريهم الروس وان دمشق مهتمة بشراء اسلحة حديثة من الغرب .

وكان واضحا للمسؤولين من خطة الخديعة ان الامر سيكون معقدا وصعبا عند المباشرة في حشد الجيوش قرب الحدود ، لذلك قاموا عدة مرات بتحريك جيوشهم باتجاه الحدود ثم اعادتها لاماكنها . وعندما بدأ حشد الجيوش

الحرية في اواخر ايلول ، استعداد الحرب يوم الغفران ، كان ما حدث  
في شهر حزيران ما زال منطبعاً في ذاكرة القادة الاسرائيليين  
وذلك عندما قامت في اسرائيل ضجة لا مبرر لها .  
وقبل موعد الهجوم بفترة قصيرة تحدث المصريون والسوريون عن قيام قواتهما  
بمناورات الشتاء . وحتى اللحظة الاخيرة تقريبا كان الاسرائيليون مقتنعين  
بأن حالة الاستعداد في القناة ما هي الا مناورة كبيرة . والمناورة المصرية  
التي كانت كلمة السرفيها هي ( تحرير ٤١ ) لم تكن سوى تغطية للاستعدادات  
الاخيرة للحرب ، وقد بدأت في ١ تشرين اول وانتهت بشن حرب فعلية . ومن  
هذه اللحظة تغيرت اواصر عملية " تحرير ٤١ " لتصبح اواصر عملية عبور القناة  
والتي كانت كلمة السرفيها هي " جرائت ٢ " .  
لقد اعطت المعركة الجوية التي جرت في ١٣ ايلول فرصة للسوريين لتوسيع  
خطة الخديعة - فلقد بدأوا عندها بنشر انباء مفادها ان اسرائيل تستعد  
للهجوم على سوريا . وكما حدث قبل حرب الايام الستة . فلقد نشرت بشكك  
مركز انباء مفادها ان اسرائيل تقوم بحشد جيوشها على الحدود السورية . ولم  
تمض سوى ايام معدودة حتى انضم راديو موسكو والمصحف الروسية لهذه الخطة  
وكانت الخاية الرئيسية لذلك هي تبرير حشد الجيش السوري على الحدود . وقد  
قالوا في دمشق - ووصل هذا القول لاسرائيل - انه ليس لدى السوريين  
شك في ان اسرائيل تنوي القيام بهجوم حتى قبل الانتخابات العامة المرتقبة  
في اسرائيل . وقيل في دمشق ان حكومة اسرائيل تشعر نفسها فانها ضعيفة  
بسبب نكساتها السياسية والاقتصادية ، لذلك فهي تبحث عن انتصار في مجال  
آخر . وان انتصارا عسكريا سيعيد لها ثقة الجماهير الاسرائيلية لذلك قيسل  
في دمشق ان على العرب ان يتنبهوا وان يحشدوا جيوشهم على طول الحدود .  
ومرة اخرى " فهموا " في اسرائيل مخاوف سوريا ، كما زاد الانتصار في المعركة  
الجوية من هذا " الفهم " .  
لم تكن خطة الخديعة الحربية لتتجح لو لم يبق سر موعد بدء المعركة طي  
الكتان . وفي سوريا كان هنالك ثلاثة اشخاص فقط يعرفون هذا الموعد

وهم الرئيس ، ووزير الدفاع ، ورئيس الأركان .. حتى الرئيس العراقي لم يبلغ  
بشكل واضح عن قرار شن الحرب . والقادة العرب في الجبهة لم يتلقوا النبأ  
الاقبل موعد الهجوم بساعات قليلة ، وكان التحرك نحو الجبهة يتم ليلا فقط .  
كما لم يسمح للجنود الذين وصلوا حديثا للجبهة بدخول مدينة السويس والقرى  
الواقعة في المنطقة الزراعية الحازلة . كما ألغيت جميع الاجازات اعتبارا من ٢٨ أيلول .  
وقبل نصف ساعة فقط من الهجوم في منطقة قناة السويس شوهد الجنود  
المصريون وهم يسيرون على طول القناة بملابسهم الداخلية وبدون سلاح ، وذلك  
لاظهار ان هذا يوم هادئ . كما شوهد في موقعين اطفال يلعبون على  
التلال الترابية في الجانب المصري للقناة .

وهكذا مرت الايام العصيبة اليوم الرابع والخامس - ٣ و ٤ تشرين أول -  
وزادت الشكوك الاسرائيلية في اليوم السادس فقط ولكن ليس لدرجة اعلان التعبئة  
العامة . وفي يوم الخفران فقط ومع بزوغ الفجر اقتنعت حكومة اسرائيل بأن الحرب  
ستشب ذلك المساء ، وقد وصل لتوه نبأ من مصدر موثوق للغاية .. ومفاد  
النبأ ان العرب سيبدأون الحرب مع غروب الشمس . ولكن بسبب ما قيل  
للمسؤولين من ان العرب سيبدأون العطية في الساعة ١٨٠٠ ، على كل حال ،  
فان خطة الخديعة العربية كانت كاملة وتم تنفيذها كما يجب . ومع ان اسرائيل  
قد شعرت منذ مرحلة معينة بما يجري ، الا انها لم تصدق ما يجري أمام  
عينها . وعندما بدأت الحرب ، وحتى قبل ذلك ، رأى الاسرائيليون  
ان الدهاء العربي قد تغلب هذه المرة على الذكاء اليهودي .

\* \* \* \*

٦ تشرين اول ١٩٧٣ - يوم الخفران - قبل بدء الحرب :  
قبيل الساعة الرابعة صباحا بدقائق ، رن جرس الهاتف في منازل ثلاثة  
اشخاص في تل أبيب وهم رئيس شعبة الاستخبارات برئاسة الأركان اللواء  
إيلي زعيرا ، والسكرتير العسكري لرئيسة الحكومة الزعيم إسرائيل  
ليثور ، والسكرتير العسكري لوزير الدفاع الزعيم يشعياهو ريب .  
كانت المحادثة قصيرة جدا : ( ورد نبأ يقول ان مصر وسوريا تنويان شن  
حرب هذا اليوم ، وساعة الصفر هي الساعة ١٨٠٠ ) .

اتصل ليثور برئيسة الحكومة في منزلها برمات ابيب ، فطلبت منه ان يدعوه  
بعض الوزراء لاجراء مشاررات عاجلة في الثامنة صباحا فقام ريبب بايقظ  
وزير الدفاع - بمنزله الكائن في صهلة - وبعد ذلك اتصل هاتفيا  
برئيس مكتب رئيس الاركان العقيد افنر شيلو .

كذلك استيقظ دافيد العازار على رنين الهاتف في الرابعة صباحا ، وبعد  
ذلك بدقائق معدودة اتصل به رئيس شعبة الاستخبارات ، كما اتصل العازار  
- وهو ما يزال يرتدى ملابسه - بقائد السلاح الجوي بيني بيلد وسأله عن  
الساعة التي يستطيع فيها السلاح الجوي ان يكون مستعدا للهجوم . ويجيب  
بينني : ( كما اتفقنا امس ، في الساعة ١٣٠٠ ) . وينهي رئيس الاركان المحادثة  
بقوله : ( اصدر رأيا لسلاح الجو لأن يكون مستعدا في تلك الساعة للهجوم اذ ان الامر ) .

وفي الخامسة صباحا كانت رئاسة الاركان مجتمعة . وكان الجميع حاضرين  
باستثناء قادة المناطق الثلاث ، الشمالية والوسطى والجنوبية . وتم دعوة هؤلاء  
في وقت لاحق ، لان عليهم ان يقطعوا مسافة طويلة للوصول . وافتتح العازار  
الجلسة واعلن عن النبأ الذي وصل ومن الامر الذي اصدره للسلاح الجوي . كما  
اصدر تعليماته باستدعاء الاحتياطي الجوي ، ومجموعة من رجال الاحتياط  
التابعين لرئاسة الاركان . وكان اول المتحدثين عن ألوية الاركان حسب  
العادة هو رئيس شعبة الاستخبارات . ومرضعيرا حالة التأهب في الجيوش  
العربية والنوايا العربية ، ومع انه كان قد قدر بالامس بان فرص نشوب الحرب  
ضعيفة ، الا انه عاد اليوم وقال ان الانباء الجديدة قد زادت من احتمالات الحرب .  
وقد انتهى العازار الجلسة بقوله : ( ورغم ذلك فانني اخرج بنتيجة أن العرب

سيبدأون الحرب هذا المساء فولذا سأطلب التعبئة الشاملة وآمل ان يلقي طلبي الموافقة ) .  
وفي حوالي الساعة السادسة صباحا وصل وزير الدفاع الى مكتبه وطلب من  
رئيس الاركان ومن مساعده اللواء طال الحضور الى مكتبه . ويوجد مرطوبيل  
بين مكتب رئيس الاركان ومكتب وزير الدفاع . وخلال دقائق اجتمع في غرفة  
دايان حوالي ثمانية اشخاص وكان التوتير كبييرا .

وقال وزير الدفاع : هلموا نتحدث اولا عن الامور الصغيرة واضاف قائلا :



يجب ان نحمل على اخلاء الاطفال والنساء من مستوطنات هضبة الجولان).....  
فدايان يعتقد ان المسألة لا تتعلق بحرب شاملة ولكن باشتباك كبير في هضبة  
الجولان . واقترح دايان اخذ اطفال المستوطنات في نزهة وانذا لم يحدث شيء  
خطير يعادون الى منازلهم . وفي الوقت الذي كان دايان يتحدث فيه عن  
الاطفال والنساء في مستوطنات هضبة الجولان كانت تشاهد في مطار دمشق  
عائلات المستشارين السوفيات وهم يحملون حقائبهم الصغيرة وينقادون على عجل .  
والان يتحدثون في فرقة وزير الدفاع عن الامور الكبيرة ، فقد اقترح  
المازار انزال ضربة وقائية ومسبقة ولكن دايان عارض ذلك بشدة . وظهرت  
علامات عدم الرضى على وجه المازار بوضوح ، ويحدد ذلك بساعة  
تقريبا عرض هذا الموضوع على رئيسة الحكومة .

والموضوع الثاني هو تعبئة الاحتياطي . وقد اقترح المازار تعبئة جميع  
احتياطي الجيش الاسرائيلي اى اعلان التعبئة العامة ولكن دايان عارض ذلك  
وكان اقتراحه الاول هو تجنيد كتيبة مدربة من الاحتياطي وارسالها الى هضبة  
الجولان ، وكتيبة اخرى من الاحتياطي وارسالها الى سيناء . وبدأ الجدل  
واظهر وزير الدفاع بعض الليونة وقال انه مستعد بان يوصي امام فولدا مثير  
بتجنيد لواء مد ~~والتعبئة~~ لكل جبهة من الجبهات ولم يتم بتصديق الامر  
فورا بل اجله حتى صدور قرار رئيسة الحكومة ، وقد زاد هذا من تاخير وصول  
الجيش الاسرائيلي الى الجبهات .

وفي الساعة الثامنة وصل كل من دايان والمازار الى مكتب رئيسة الحكومة  
في تل ابيب ، واشترك في النقاش كل من الوزراء ايجال الون ، ويسرائيل  
جليلي . وادلى المازار مرة اخرى باقتراحه انزال ضربة وقائية بالحرب ، ولكن  
فولدا ايضا عارضت . وكان واضحا لرئيس الاركان ان الضربة الوقائية لن تمنع  
الحرب الان ، ولكنها يمكن ان تعرقل الهجوم العربي ، وان تدمر القيادات  
ومراكز الاتصالات العربية ، وان تصيب مخازن اسلحة العرب ومطاراتهم ، فكل  
دولة تريد الحياة كانت تفعل مثل ذلك عندما تكتشف بان اعداءها سيقضون  
عليها خلال ساعات معدودة . وهكذا تصرف اسرائيل عام ١٩٥٦ وهم

١٩٦٧ وقد كان كل من فولدا مثير وموشه دايان من مخططي الضربة الوقائية  
في عام ١٩٥٦ . وفي عام ١٩٦٧ أيد دايان شن الحرب بعد اغلاق المضائق .  
وعلى مقربة منهما كان يجلس ايجال الون الذي طور في كتاب له نظرية تقوم على  
الهجوم الوقائي المسبق . وبررها من نواح سياسية واخلاقية . ولكن انزال  
اسرائيل سياسيا وارتباطها بالولايات المتحدة كان لهما اثر على قرار الوزراء . كما  
كان للشعور القائل بان المناطق المدارة هي حزام أمني كاف لتلقي الضربة الاولى  
أثره ، وكذلك فان نسبة القوى بحد ذاتها هي في مصلحة الجيش الاسرائيلي .  
وبدأوا يبحثون مسألة تعبئة الاحتياطي ، ولكن النقاش كان قد تأخر أرحما  
ومشرين ساعة على الأقل . فحتى لو تقررت التعبئة العامة فلن ينجح جنود  
الاحتياطي في الوصول الى ساحة القتال قبل ان يفتح الحرب النار ، ومرة اخرى بيد النقاش :  
دايان : ( سوف يتهمنا العرب بالعدوان ، وسيقول العالم ان الحرب قد  
بدأت بسبب التعبئة في اسرائيل ) .

فولدا : ( ان العالم لا يهمني الان ... وتوجهت الى رئيس الاركان وسألته :  
كم لواء مدرعا يوجد عندنا؟ ) - فاجابها رئيس الاركان على سؤالها ، واضاف ان  
الحد الأدنى اللازم هو تعبئة مائة الف رجل . ووافقت رئيسة الحكومة . فهذا  
حل وسط . وخرج احد مساعدي العازار بسرعة من الخرفة واتصل هاتفيا  
بمساعد رئيس الاركان اللواء طال ونقل له القرار . وكانت الساعة تشير الى الثامنة  
والنصف تقريبا . . . وبدأت اخيرا آلة الاحتياطي في التحرك ، وكان وزير الدفاع  
ما زال مقتنعا بان حجم التعبئة اكبر من اللازم . . . وقال دايان لفولدا مثير  
مبتسما : لن استقبل حتى ولو كان قرارك بزيادة التعبئة ، فانا اعتقد انه يكفي  
تعبئة حوالي ٣٠ ألف رجل فقط .

وفي غرفة الانتظار كان سفير الولايات المتحدة كينيث كيتينج ينتظر رئيسة  
الحكومة ، وكان هو وأركان سفارته يعلمون منذ يومين عن حشودات الجيوش  
العربية . وخلال هذين اليومين امرتوا عن قلقهم في احاد يثوم مع الاسرائيليين  
اكثر من قلق الاسرائيليين انفسهم . . . وصوت ضعيف قالت فولدا لكيتينج : ( ليس  
لدينا شك في أن العرب سيثنون الحرب ، لذا يجب تحذيرهم مسبقا ، كما  
يجب منع سفك الدماء ) .

واكتفى كيتينج بسؤال واحد : (هل ستكونون البادئين في فتح النار؟) واجابت غولدا بالنفي ، وازافت انها ستبذل كل ما في وسعها لاقتناع زملائها بأن لا تكون اسرائيل هي البادئة بفتح النار .

وقبل ذلك اتخذت غولدا والوزراء الذين كانوا معها في ذلك الوقت قرارا غير عادي في ايام الحروب وهو ان تقوم اسرائيل بابلاغ العرب بانها تقف على نواياهم كما انها تعرف موعد بدء الهجوم ، وكان الافتراض انه من المحتمل ان يرتدع العرب في اللحظة الاخيرة عندما يتضح لهم ان خططهم اصبحت مكشوفة .

واجتمعوا في رئاسة الاركان لنقاش جديد ، ووصل قائد الجبهة الجنوبية شموئيل جونين . وقام دافيد المازار بمرض خطفه وتلخص في أن يحصر الجيش الاسرائيلي اليوم وهذا جهده للكبح ، قوات اللواء جونين تمتص الضربة ثم تقوم بتجميع قواها ، وبعد ذلك يقوم الجيش الاسرائيلي بعبور القناة وفقا للخطة المحددة سلفا . وقام اللواء طال بمرض خطط التعبئة . ووصل وزير الدفاع قبيل انتهاء الجلسة . وكان دايان مهتما بالدرجة الاولى بما يجري في هضبة الجولان وطلب مرة اخرى معرفة ما اذا كان قد بدء باخلاء مستوطنات الهضبة .

وبحث السفير الامريكي في اسرائيل بتقرير مستعجل عن محادثاته مع رئيسة الحكومة الاسرائيلية . وقام الموظف المناوب في وزارة الخارجية الامريكية بايقاظ د . هنري كيسنجر وزير الخارجية من نومه وقام هذا الموظف بدورها لاتصال فورا مع ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية في المكان الذي يقضي فيه اجازته بفلوريدا .

وكان التوتر المفاجيء على طول الحدود الاسرائيلية مفاجأة للرئيس الامريكي فحتى ذلك الصباح لم يسمع عن احتمال وقوع حرب وشيكة في الشرق الاوسط . وقام الرئيس نيكسون باصدار تعليماته الى وزير خارجيته بتشغيل الخط الاحمر حالا واطلام الكرطين عن الخطر المنتظر . وكذلك ارسال تقرير بما حدث للسكرتير العام للامم المتحدة د . كورت فالدهايم . كما اتفق على ارسال رسالة مستحجلة للرئيس المصري . وكان حسن الزيات وزير الخارجية المصرية في ذلك الوقت موجودا في نيويورك .

كيسنجر : ماذا تريدون يا زيات ؟

وسأل د . كيسنجر الزيات : ما هي الفائدة التي تتوخونها من اعمالكم ، ان اسرائيل على علم بكل ما يجرى ، وانها ستقوم خلال يومين بتعبئة احتياطيها وبشن هجوم وقائي حاسم ، لهذا عليكم التفكير بالامر .

ورعد الزيات د . كيسنجر بنقل كلامه للسادات ، واتصل حالا من مكاتب المفوضية المصرية بنيويورك مع مكتب الرئيس المصري في القاهرة . وكان السادات في ذلك الوقت موجودا في غرفة العمليات في رئاسة الاركان المصرية . وهناك اعتقاد بانهم عندما علم السادات والاسد ان اسرائيل على علم بأن الهجوم الحربي سيبدأ في المساء ، قررا تقديم ساعة الصفر . وهناك اعتقاد آخر أكثر معقولة مفاده : ان ساعة الصفر قد تخيرت قبل ذلك وبدون أية علاقة بالمحادثة التي اجراها كيسنجر مع الزيات حول علم اسرائيل . فبسبب ما ركزوا في اسرائيل على الساعة السادسة مساء ، ومع ان النبأ لم يشر الى ساعة معينة بل الى وقت بعد الظهر وقبل مغيب الشمس .

وفي حين كان د . كيسنجر يتحدث الى رئيس الولايات المتحدة ، اتصل اللواء جونين من رئاسة الاركان في تل أبيب بقائد القوات المدرعة في سيناء البرت مندler وكانت هذه احدى المكالمات المصرية في ذلك اليوم . وقد روى اللواء جونين لالبرت انه قد صدر الامر بالتعبئة العامة وأكد ان الهجوم الحربي سيبدأ في الساعة السادسة مساء ، وصادر تعليمات له بتوجيه الامر للمواقع بالاستعداد لتلقي ضربة . ولكن بدون تحريك الدبابات في الوقت الراهن على ان تتحرك الدبابات في الخامسة فقط .

وشرح اللواء جونين الموقف بقوله اني لا اريد ان يشاهد المصريون حركة دباباتنا من مواقعهم والا فانهم سيعطون على تنسيق نار مدفعيتهم مع التفخيرات التي تحصل في تحركاتنا . كما اني لا اريد ان يعلموا عن تأهبنا كذلك يجب الحذر من تصعيد العمليات . واذاف ومع كل ذلك فليس في نية المصريين البدء باطلاق النار .

ووافق البرت على رأى جونين ، ولكنه لم يوافق في الجدول الزمني الذي

تقرر له . فاذا كان المصريون ينوون فتح النار في السادسة فانه يجب الاسراع  
بتحرك الدبابات . والساعة الخامسة مساء وقت متأخر جدا . . . . . فهناك حاجة  
لساعتين على الاقل للقيام بعدة عمليات تمهيدية ، ولتشغيل خطة الدفاع ، وقد  
وافق جونين على هذا الاعتراض وقام بتغيير اوامره على ان تتحرك  
الدبابات في الرابعة بعد الظهر .  
وحصل نقاش في قيادة البرت فقد قال مساعده انه يمكن الحفاظ على  
روح الاوامر مع البدء بالتحرك قبل الساعة المحددة في نفس الوقت . في حين  
راى البرت انه يجب القيام بما يستلزمه المنطق العسكري مع التذكير بأنه يجب  
الحذر من التحرش بالطرف الاخر . والامتناع بالتالي عن التسبب في تدهور  
الموقف . وألبرت عسكري يحب التقيد بالاوامر وهو يطلب من جنوده تنفيذ  
الاوامر بدقة . . . . . وكان قد رفض في الصباح اقتراحا باصدار الاوامر للجنود  
الموجودين على الخط الامامي بالقيام بلبس الصدرية الواقية ووضع الخوذ  
الفولاذية على رؤوسهم . وبعد مشاورة مع جونين قال ان هذا التغيير يمكن  
ان يؤدي ايضا الى اشغال الحرب . فاذا قام الجنود الاسرائيليون بلبس  
الصدرية الواقية ووضع الخوذ الفولاذية ، فقد يعتقد المصريون بان الجيش  
الاسرائيلي يتأهب لامر ما فيقومون بالدخول الى مواقعهم واستحكاماتهم  
وبالتالي يزداد التوتر . وتكفي حركة واحدة لجندي غير مدايح للاوامر لتبادل  
اطلاق النار . كما قد يقوم المصريون باستغلال الموقف كما حدث عام ١٩٦٨  
عندما استغلوا حادثا بسيطا وقاموا بالقصف المدفعي على طول الجبهة .  
ولم يصدر الامر للمواقع بالاستعداد لتلقي ضربة الا بعد ان اتصل اللواء  
جونين . وقد انقذ هذا الامر حياة الكثيرين كما صدر الامر لعدة  
مواقع بارسال الاشخاص الذين ليست لهم وظائف قتالية الى الخطوط الخلفية .  
كما صدر الامر لنقاط المراقبة الواقعة بين المواقع للانتقال الى مواقع قريبة .  
ومع ان تقارير نقاط المراقبة مهمة الا ان الجنود الموجزين فيها مكشوفون  
تماما . وفي نحو الساعة الواحدة بعد الظهر وصلت الى معظم المواقع اوامر  
بالاستعداد لتلقي ضربة . وهذا الامر يعني التأهب للحرب ولكنه يعني

وجوب ارتداء الصدريه الواقية والخوذ الفولاذية ، ووجوب اخلاء الميدان من معدات معينة ، والاستعداد للقصف كما حدث في حرب الاستنزاف وكان هنالك في مواقع القناة جنود احتياط من اللواء القدسي ومن اعضاء الناحال . ومعظم هؤلاء لم يتواجدوا على القناة ايام حرب الاستنزاف ، ولم يكن غالبية جنود المدرعات المتواجدين قرب القناة يتمتعون بخبرة قتالية . فقيادة الوحدات هم فقط الذين اشتركوا في حرب الاستنزاف كما اشترك بعض كبار القادة ايضا في حرب الايام الستة .

واتصل قائد القطاع الشمالي بالبرت كي يستوضح منه فيما اذا كان قد صدر الامر بتحريك الدبابات . واجاب البرت بالنفي و اضاف قائلا ( لا تحرك الدبابات ) . ويقول من كان حاضرا في الخفرة انه قال ذلك بصوت تودد وكان واضحا انه غير راض عن هذا الامر . وجمع قائد القطاعين الاوسط والجنوبي قادة قواته المساعدة وسمع هؤلاء منه ان المصريين قد يفتحون النار في الساعة الخامسة مساء وفقا لخطط الدفاع القديمة على ان يبدأ التحرك في الساعة الرابعة فقط ، وبعد ذلك بساعة يكون الجميع مستعدين . وعلى التلة الترابية قرب القناة ، شمال البحيرة المرة الكبرى وقف ثلاث جنود من رجال سلاح المهندسة وكان احدهم يحمل بيده آلة تصوير لالتقاط صورة لزملائه . وكانوا يريدون ان تظهر القناة ومن خلفها في الصورة . . . فهي صورة تذكارية ، وكان هؤلاء الجنود قد وصلوا القناة من اجل فحص جهاز الاشعاع الكائن بجانب المواقع الاسرائيلية . وقد تبين لهم هذا الصباح ان الانابيب المخصصة لرش المحروقات معطلة ، وهذا الجهاز هو احد جهازين للاشعاع موجودين في الخط . وفي اليوم التالي عند عودتهم السى تسل ابيب سيقدموا تقريرا مفاده ان جهازى الاشعاع ليسا صالحين . وكانوا يتجولون بالقرب من القناة ويلتقطون صوراً تذكارية . وبينما كانوا يقفون على السدة الترابية مرت بجانبهم احدى المسرفات ، وقد دعاهم السائق بان يساروا ويقفوا بالداخل . واعلنت حالة الانذار تأهباً لامتصاص الضرر وينبغي العودة الى الموقع . ومن جهة اخرى كانت اللامبالاة

تسود الموقع الاسرائيلي علي جبل الشيخ . فعند الظهيراتصل احد رجال  
الموقع الاسرائيلي مع قيادته وتحدث مع ضابط كبير وبعد مشاورات فنيّة قال  
الجندى انه حسب كافة الدلائل فان السوريين ينورون القيام بالهجوم على  
موقع جبل الشيخ وقد روى احد الجنود ، ويدعى دورون ممن نجوا من هذا  
الموقع بان الضابط بواسطة الهاتف اجاب ( بان كل شيء معروف .. هذه مناورة  
سورية ولا داعي للقلق ) . وفعلا فان رجال موقع جبل الشيخ لم يكونوا قلقين  
ولم يقوموا باخذ مواقعهم خلف المدفع المضاد للطائرات الموجود في ذلك  
الموقع وفي الصباح وبعد حديث مع رئيس الركان اصدر قائد الجبهة الشمالية  
امرا باسناد موقع جبل الشيخ بعدة مقاتلين ولكن هذا الامر لم ينفذ ، بيد ان  
الحميد حوفي لم يعلم بذلك . لقد بدأت آلة الحرب التابعة لجيش الدفاع  
الاسرائيلي بالعمل تنطلق في طريقها وتتسلق المرتفع الكبير وسرعة . وخرج  
السعاة لاستدعاء رجال الاحتياطي . وكان على رجال الاحتياطي التجمع في  
الاماكن المخصصة لذلك على ان يتوجهوا بعد ذلك الى مخازن الوحدات من  
اجل التزود بالاسلحة والذخيرة ثم الاسراع الى الجبهة وكان الكثير من هؤلاء  
متواجدين في بيوتهم ، وبعضهم كانوا في الكس لاداء صلاة يوم الغفران . وفي  
الطريق من سيلون الى تل ابيب كان يسير احد المارة وهو من افراد الاحتياط  
سير على الاقدام ، وكان يرتدى الخاكي ويحمل حقيبة عسكرية كما كان يضع  
وشاح الصلاة على كتفيه . كما كان يمسك بيده بكتاب الصلاة ( عند اليهود )  
ويتم بشفتيه فعليا . وباللما لم يلتزم فعليا فانه لم يشأ المساس  
بقدسية الحميد لهذا فقد آثر الذهاب مشيا على الاقدام الى مكان وحدته .  
ووصل الى احدى الكس في تل ابيب ساع وابلغ وزير الشؤون الاجتماعية  
ميخائيل احزاني عضو الحزب الديني وابلغه باجتماع الحكومة في الساعة الثانية  
عشر . وفي كئيس اخر طلب الى رئيس المعارضة مناحيم بيغن بالتوجه لتسلم  
تقرير من سكرتير الحكومة .

وفي احد الاحياء الشعبية لمدينة روجوموت طرق احد السعاة باب منزل  
اسرة ليفي ، انه يبحث عن دورون البالغ من العمر ٢٤ سنة . وكان دورون

قد عاد بعد ظهر امس من نزهة زفاف قصيرة ، ففي يوم الثلاثاء تزوج صديقه  
وتوجه الى ايلات . لقد مكث هناك ثلاثة ايام . وعاد الى تل ابيب . ان د ورون  
يحمل مضدا حريا ، وقد اصطحبت زوجته ووالديه الى الشارع حيث افترقوا .  
وفي حيفا على الكرمل دق الهاتف في منزل طالب ( هندسة معمارية ) فسي  
كلية الهندسة التطبيقية التخنيون موشي فكس وكان صاحب المكالمة صديقه  
عاموس بن دافيد من مستعمرة نحلل ومن المعروف ان موشه و عاموس يحملان  
قادة سرايا د روع في الاحتياط . و اراد عاموس ان يعلم فيما اذا كان صديقه  
موشي قد تم استدعاه للاحتياط وبعد دقائق قليلة وصلت الدعوة . وكان  
وداع موشي لزوجته سريعا .

وفي عشية عيد راس السنة ولد ابنيها متان . وابتسم ولوح بيديه مودعا  
الطفل وابنته البالغة من العمر سبعة عشر شهرا بدون تقبلهما . واصبح  
موشي قائد أول سرية احتياط دخلت المعركة في مرتفعات الجولان .  
وبعد اربع وعشرين ساعة من ذلك فارق الحياة . كما أن زميله عاموس سقط فسي  
معركة بعد ذلك .

وفي مكان آخر بمدينة حيفا استلمي طالب اخر انه ملازم احتياط اسحق  
انام عضو مستوطنة هعوجين وهو طالب في السنة الرابعة في كلية هندسة  
الات ، ويشغل اسحق البالغ من العمر سبعة وعشرين سنة قائد فصيل  
في وحدة الاستطلاع التابعة للفرقة التي يقودها اريك شارون . وفي الخدمة  
النظامية عمل اسحق في وحدات النحال المنقولة جوا أما الان فعليه الوصول  
الى مكان التجمع بالقرب من بئر السبع . وفي الساعة الثانية عشر اجتمعت  
الحكومة الاسرائيلية في المسافيرا في تل ابيب وقد تغيب عن  
هذه الجلسة اثنان من الوزراء المتدينين وهما بورك وفير هافتك .  
انطلق البيرت في الساعة الثامنة في سيارة برفقة نائبه ضابط المخابرة  
وضابط الحركات للقيام بجولة تفتيشية في قيادته . وكان قد قام قبل ساعة  
من ذلك بزيارة المكان وثار عندما لاحظ ان امورا معينة لم تكن جاهزة للمعركة .  
أمر بلهجة فاضحة اجراء تفتيش اخر . كانت ترابط في المحسكر دبابات كثيرة



في الحظائر . وكانوا قد اقترحوا في القيادة قبل ساعة من الزمن أن تنتشر  
الاليات في الحقل من اجل تقليص خطر ضربها خلال غارات مفاجئة . ورفض  
البرت هذا الاقتراح بدعوى أن الاوامر تقضي بعدم احداث اية تخييرات على  
التشكيل . واثناء انتقالهم بين الاليات في هذه الاثناء سمعوا فجأة دوى الطائرات .  
وجه البرت وضباطه ابصارهم حيث شاهدوا طائرات ميغ مصرية تهاجم مطار ريديم  
وبدأت الحرب . وبينما كان البيوت وضباطه يسارعون الى دخول غرفة العمليات  
التابعة لقيادة قوات الدروع في سيناء ، وصل جونين الى مكتبه في قيادة  
المنطقة الجنوبية . ولم يكن يدري ، حتى تلك اللحظة ، ان الحرب قد بدأت .  
واتصل على الفور بالبيرت هاتفيا . نادى جونين بواسطة التليفون "البرت" من  
المستحسن تحريك الالوية الى الامام وعدم الانتظار حتى الساعة الرابعة .  
واجاب البيوت : اجل من الافضل . انهم يقصفون الان " ريديم " . كان  
التخيير على الامر يتمثل في تحريك الدبابات واستخدام خطة الدفاع بعد ذلك .  
اتصل البيوت مع قائد اللواء المسؤول عن القطاع الاوسط والجنوبي . وقد وجد  
انه كان يصدر التعليمات الى قادة القوات المساعدة . وبينما كان امر اللواء  
يستمع الى الامر بالاسراع في تحريك الدبابات مرت من فوق رأسه اربع طائرات  
ميغ مصرية وألقت قنابلها على مصنع كرمجوار .

وفي المبنى المؤلف من عدة طوابق لرئاسة الاركان كان المرسلون العسكريون  
يستمعون في مكتب رئيس شعبة الاستخبارات الى تقرير من العميد زعيرا . ووضح  
زعيرا " ان العرب سيفتحون النار ثم يدعوا بعد ذلك اننا نحن الذين بدأنا  
الحرب . وقبل دقائق قليلة من الساعة الثانية دخل سكرتير رئيس شعبة  
الاستخبارات وسلمه ورقة . ألقى زعيرا نظرة عليها بتسرع ثم خرج من الخرفة  
وعاد ليأخذ حقيبته وقبعته . وقال للصحفيين المندوبين " سنكون على ما يرام " .  
وسأل احدهم فيما اذا كان قد حدث شيء خاص . واستطرد زعيرا قائلا  
" لا شيء " . كان قد كتب في الورقة التي تسلمها الان : " المصريون والسوريون فتحوا النار " .

وفي طابق آخر من المبنى كان رئيس الاركان العامة يستعد لاجراء مباحثات  
مع قائد المنطقة الشمالية " اسحاق حوفي " . استدعي حوفي الى تل أبيب

من اجل طرح خطته الدفاعية في حالة اقدام السوريين على فتح النار . ووصل الى الاجتماع نائب رئيس الاركان الحميد يسرائيل طل هو القائد السابق للسلاح الجوي اثناء حرب الستة ايام الحميد مردخاي هود . واتفق هود هذا الصباح مع قائد السلاح الجوي " بني بيليد " على التوجه الى المنطقة الشمالية ليحصل مستشارا لحوفي لشئون الطيران . كان الرجال يجلسون من حول الطاولة عند ما دق الهاتف معلنا : سيدى القائد لقد فتحوا النار . السوريون وكذلك في منطقة القناة ! . وفي قاعة اجتماعات الحكومة كان وزير المالية بنحاس سابير لا يزال يتحدث وسأل احد الوزراء ماذا ينبغي على اسرائيل ان تفعل اذا فتحت مصر النار بفرد ها ؟ وهل يتعين على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يهاجم السوريين ايضا ؟ ومارض سابير بحماس الحرب ضد السوريين اذا هاجم المصريون وحدهم فقط . وفي هذه اللحظة دخل السكرتير العسكري لجولدا مئير . وصمت الجميع . انحنى وهمس في اذن جولدا . رفعت عيناها وقالت : " لقد بدأت ! ان المصريين والسوريين فتحوا النار ! " .

وبعد ذلك بساعة دق الهاتف في غرفة الحميد ثاني اسحاق بن دوف ضابط صنف الهندسة الرئيسي في جيش الدفاع الاسرائيلي اذ كان موجودا في ريو دى جنيرو في الفندق . كان بن دوف موجودا في البرازيل لحضور مؤتمر لقادة الهندسة من عدة اقطار . لم يكن يعلم شيئا من التوتر على حدود اسرائيل وقد اكثر من الحديث في المؤتمر مع رفاقه حول وسائل العبور . وكان المتكلم في الهاتف احد زعماء الطائفة اليهودية . وفي نهاية المكالمة قال : بالمناسبة اذاع الراديو ان حربا نشبت بين اسرائيل والعرب . ودهش بن دوف . وخرج متجها الى المطار .

٦ تشرين اول ١٩٧٣ يوم الخفران - الحرب

قبل خمس واربعين دقيقة من سماع البرت ومرافقيه دوى طائرات الميج المصرية فوق ربيديم ، دعي الرئيس الطيار شريف مصطفى - وهو طيار سوخوى من مواليد الاسكندرية الى غرفة توجيه العمليات التابعة لسره . وفي مطار عسكري اخر قام طيار هو الرئيس الطيار خليل حليم خليل ،

واعتقدنا ان هذه طائرة ميغ ٢٥ قادمة بهدف التجسس وتوجهت اليها . وفي هذه المرحلة لاحظت شكل طائرة ونقطة نار من الخلف . وعندما طرت فوقها تبين لي ان هذه هي طائرة بلا طيار . وفهمت القصد واقتربت واصبتهما بنيران مدفعي الرشاش ، فطارت قطع من جناحها الايمن في كل صوب . وبدأ الصاروخ في التقلب وارتطم في البحر محدثا انفجارا قويا جدا . وكان ذلك الصاروخ من نوع قلط ويطلق عادة من مسافة ١٢٠ كيلومترا من الطائرة القاذفة تو ١٦ ويحمل قنبلة وزنها حوالي طن . وكان وقع المفاجأة على سلاح الجو طفيفا ، فأمر الاستعداد لتوجيه ضربة وقائية مسبقة ، قد جعل اسراب الطائرات في حالة تأهب قبل صدور مثل هذا الامر الى الوحدات الاخرى في الجيش الاسرائيلي ، وعندما ورد نبأ قيام المصريين والسوريين بفتح النار كانت معظم الطائرات جاهزة ومستعدة للاقلاع وكانت هناك فقط حاجة الى استبدال الذخيرة في بعض الطائرات .

\* \* \*

قام المصريون في الغارة الاولى باستخدام حوالي ١٥٠ طائرة ووصل الى شرم الشيخ ١٢ طائرة مصرية اسقط منها سبع طائرات . فالطائرات المصرية عندما تعتمد عن بطاريات صواريخها تسهل اصابتها والصيد السهل هو طائرات المليوكبتر المصرية . ويوجد في الجيش المصري عشرون كتيبة كوماندو . وقد حاول رجال الكوماندو والمصريون الدخول للاشتراك في عمليات خلف الخطوط الاسرائيلية ، وقامت عشرات طائرات المليوكبتر المصرية المحملة بالجنود بحبوس القناة وخليج السويس قادمة من جهة البحر المتوسط وكان هدفها هو الاستيلاء على مفارق الطرق وعلى الممرات ، ومهاجمة الاسرائيليين المتدفقين الى الجبهة . وسقط الكثير من هذه الطائرات في البحر المتوسط . وقامت طائراتنا فانثوم باسقاط ثمان طائرات منها . وكانت عملية الكوماندو المصرية جريئة ولكن ثمنها كان باهضا . وكانت هذه اكثر عملية مصرية كلفت المصريين ثمنها باهضا في نطاق هجومهم . وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر اصدر اللواء بيني بيليد قائدا

السلح الجوى الاسرائيلى امرا بسأستنفار العديد من الطائرات لمهاجمة المصريين الذين كانوا يحاربون قرب القناة ، وكان مع الطيارين مهلة ساعتين فقط حتى حلول الظلام .. ففي الظلام ستكون عملياتهم محدودة وكان الامر هو ضرب كل هدف يتراءى لهم انه مناسب ، ليست مهمة سهلة ، لان المصريين كانوا قد بدأوا العبور واصبح بعضهم بين الاسرائيليين .. وكان من الصعب احيانا التمييز بين الطرفين . واتجهت معظم الطائرات في اتجاه القناة .. وخلال هاتين الساعتين قام الطيارون الاسرائيليون باكثر من مئتي غارة على القناة وعلى العبادية والزعفرانة في خليج السويس . أما هضبة الجولان فلم تتوجه اليها سوى عدد قليل من الطائرات ، وكان الاهتمام مركزا على محاولات عبور المصريين . كما ان الطائرات لم تكن تهتم بقصف بطاريات الصواريخ بل بقصف القوات المصرية التي كانت تعبر القناة . وفي المساء تبين أن سلاح الجو الاسرائيلى قد فقد خمس طائرات سكاى هوك وطائرة فانتم واحدة .

\* \* \* \*

بدأت الحرب ، بالنسبة للجندى الاسرائيلى عيرن زمورا وعمره ١٩ سنة يحصل في دورية استطلاع تابعة لاحد الالوية المدربة ، عندما شاهد فوق رأسه طائرتي ميغ سوريتين تحلقان على ارتفاع منخفض باتجاه الغرب . وكان هذا الجندى قد وصل مع زملائه الى هضبة الجولان في الخامسة صباحا . وبعد ساعة تقريبا وصل قائد سريره وجمع افراد السرية تحت احدى الاشجار في المعسكر ، حيث شرح القائد لهم الموقف بقوله : ان السوريين يستعدون لشن الحرب هذا المساء ، وان الجيش الاسرائيلى سيقوم بانزال ضربة بهم . وكان رجال السرية راضين بذلك ، واعرب بعضهم عن سعادته فلقد حانت الفرصة اخيرا لاثبات جدارتهم كجنود ، فهم يتدربون منذ حوالي العام ونصف العام . وفي الوقت الذى مرت فيه طائرات الميغ من فوق رؤوسهم باتجاه كريات شمونه وكفار جلعادى ، كان عيرن وزملاؤه مشغولين بدراسة خرائط الارض التي سيحاربون فوقها . وفي قيادة اللواء كان القائد يجتمع مع مساعديه في الوقت الذى كانت فيه الطائرات السورية قد بدأت بقصف المعسكر . وفي كتيبة الدبابات المجاورة التي كانت موجودة في مواقعها المخصصة ، صدر امر لافراد الكتيبة بأن يبقى في كل دبابة جندي واحد على اهبة الاستعداد في حين يبقى الآخرون قريبا من دباباتهم .

وفي جنوبي هضبة الجولان جمع الضابط ايال شحم والبالغ من العمر ٢٣ سنة رجال سرية الدبابات التي يرأسها ، وكان الكثير منهم من اعضاء الكيوتسات . وقال ايال لرجال سرية : انني اقترح عليكم ان تتوقفوا عن الصيام ، فكافة الدلائل تشير الى ان الحرب ستنشب اليوم ، ولا اريدكم ان تخوضوا القتال وانتم في حالة تعب وجوع وعطش ، فان الحرب تعفي من صوم يوم الغفران .

وبجانب قناة السويس لاحظ يواب كتمان ، قبل الساعة الثانية بدقائق ، ان (القرد) الموجود في الجانب الاخر من القناة ينزل بسرعة من برج المراقبة . (القرد) لقب اطلقه الاسرائيليون على كل جندي من المصريين الذين كانوا يجلسون ساعات وساعات على قمم الاشجار وفي ابراج المراقبة العالية لمشاهدة ما يجري في الجانب الاسرائيلي من القناة . ويؤب يعرف ان هذه ليست ساعة تخيير حراسة القسود . كما لاحظ بد هشة انه لم يصب الى برج المراقبة جندي ليحل مكان الجندي الذي كان قد نزل قبل قليل . وفي الحال سمع ازير الطائرات وصفير القذائف . كم كان وقع المفاجأة على اسحق شارون كبيرا . وشارون ضابط اتصال من بئر السبع ، وعمره ٤٨ عاما . ولقد كان في مركز مراقبة تابع للامم المتحدة في القطاع الجنوبي للقناة ، وكان يرتدي ملابس البحر كما كان معه اثنان من جنود الامم المتحدة احدهما فرنسي والاخر سويدي ، وكانوا يستمعون بشمس سيناء اللطيفة . وسمع شارون اصوات انفجارات القذائف الاولى ، ورأى ان المصريين يعبرون القناة بجموعهم ونزل الى الاستحمام هو والمراقبان . وفي طريقه الى اسفل تذكر شارون انه كان قد بحث بتقارير قبل عدة ايام حول قيام المصريين بازالة اللغام من شاطئ القناة . وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة وصل المصريون الى مركز المراقبة وأسروا شارون . أما المراقبان الاخران فقد نقلوا الى القاهرة حيث افرح عنهما . وفي المحقل الواقع في ابعد نقطة الى الشمال ، وعلى شاطئ البحر ، قتلت القذائف الاولى رجال طاقم مدفع هاون كانوا في ذلك الموقع ، واسرع يوناتان تشيزيك وعمره ٢٧ عاما وهو جندي احتياط من مدينة هرتسليا الى جهاز الراديو الترانزستور الذي كان في المحقل ، واستمع الى صوت المذيع من راديو لندن وهو يعلن نشوب معارك على الحدود المصرية والسورية مع اسرائيل .

وفي المكان الذي كان يقضي فيه اجازته ، استمع الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون الى وزير خارجيته الدكتور هنرى كيسنجر مرة اخرى ، وقد اعلمه كيسنجر هاتفا ان الحرب قد نشبت ولم يكن وقع المفاجأة على الامريكيين اقل منه على الاسرائيليين .

وبعد نصف ساعة تقريبا من بدء عطيات اطلاق النار اعلن كل من راديو دمشق والقاهرة في نفس الوقت تقريبا ان اسرائيل قد بدأت الحرب . وقال السورىون ان الاسرائيليين قد هاجموا مواقعهم وان الجيش السورى يرد على النار بالمثل .

اما المصريون فكانت لهم رواية اخرى . فلقد اعلن راديو القاهرة ان العدو قد قام في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بمهاجمة قواتنا في خليج السويس ، بالزحف والسخنة وان قواتنا ترد على هذا الهجوم ، وفي اليوم التالي تمسك حسن الزيات وزير الخارجية المصرية بهذه الرواية مع تفسير بسيط .

وفي مقابلة مع التلفزيون الامريكى قال الزيات ان اسرائيل كانت ستقوم بهجوم في خليج السويس ، ولذلك أخذت مصر زمام المبادرة .

وكان بيان الناطق باسم جيش الدفاع الاسرائيلي مقتضيا وجاء فيه انه اعتبارا من الساعة الثانية بعد الظهر تقوم القوات المصرية والسورية بالمحجوم في سيناء وفي هضبة الجولان ، في الجو والبحر ، وانه بعد سلسلة من الهجمات الجوية على مواقعنا وعلى معسكراتنا ، بدأت قوات المشاة بالمحجوم البسرى ، وقامت القوات المصرية بحبوز القناة في عدة مواقع . وقامت القوات السورية بالمحجوم مستخدمة المدرعات والمشاة على طول خطوط هضبة الجولان . وتقوم قوات جيش الدفاع الاسرائيلي بالحمل ضد المهاجمين ، وتدور معسارك جوية وبرية على الجبهتين .

ورد الكيرون من الاسرائيليين بلا مبالاة على البيان الذي جاء بعد ذلك والذي طالب بالتمتيم الكامل في البلاد ، فالجميع كانوا يتوقعون انتصارا سهلا .

وفس الساعة الرابعة من بعد الظهر التقى وزير الدفاع الاسرائيلي مع الصحفيين . وقال دايان : ان الحرب الفعلية ستبدأ في مساء الغد ، وذلك عندما يصل الاحتياطي الى خط الجبهة . . . واطاف اننا سنحول الارض الى مقبرة كبيرة للحرب .

وفي وقت لاحق ، وفي مؤتمر صحفي كبير عقد في دار الصحافة بتل أبيب ، وفي نفس القاعة التي التقى فيها دايان بالصحفيين عشية حرب الايام الستة ، أعلن دايان ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيضرب المصريين في سيناء ضربة قاسية وان المعركة سوف تنتهي بانتصار اسرائيل في ايام قليلة ، ولأمر ما لم يذكر وزير الدفاع هضبة الجولان في بيانه .

وعلى ما يبدو ، فان وزير الدفاع ايضا لم يكن يدرك اهمية الهجوم العربي والخطر الذي يهدد اسرائيل من جراءها وحوالي الساعة الثالثة ، حاولت طائرة هليكوبتر تابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي الهبوط في مطار محنايم . وكان في الطائرة كل من قائد الجبهة الشمالية اسحق حوني واللواء الاحتياط مردخاي هود القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي فقد انصبت النيران على المطار والمنطقة المحيطة به ، وكان السوريون - على ما يبدو - يطلقون صواريخ ارض - ارض من نوع ( فروغ ) باتجاه المطار . وعند ما توقفت النيران هبطت الطائرة واتجه حوني وهود في مجنزرة الى المعسكر حيث التقيا هناك بالمعيد رفائيل ايتان . وبعد مناقشة قصيرة قرر الثلاثة التوجه جوا الى القيادة الواقعة في معسكر نافع بهضبة الجولان ، وفي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر تقريبا وصل الثلاثة الى هذا المعسكر ودخلوا مركز القيادة .

قام السوريون بقصف جوي للموقع الاسرائيلي الواقع على قمة جبل الشيخ ، وفي الوقت الذي كانت فيه المدفعية السورية تصب نيرانها على ذلك الموقع ، فدخل معظم رجاله الى الاستحكام الرئيسي . ولاحظ من بقي منهم خارج الاستحكام ثلاث طائرات هليكوبتر قادمة . وفي البداية لم يكونوا يعلمون فيما اذا كانت هذه هي طائرات اسرائيلية ام سورية . وهبطت احدى هذه الطائرات وانطلق منها بعض الجنود ، بينما هبطت الطائرتان الاخرى في مكان لا يبعد كثيرا عن الموقع وقد روى احد المزارعين الدرزي ان احدى هذه الطائرات قد اصيبت واشتملت فيها النيران . وفي ذلك الوقت انطلقت من الموقع السوري القريب قوة تقدر بكتيبة واحدة من رجال الكوماندو ، وقامت هذه القوة التي كانت قد قدمت بطائرات الهليكوبتر مع القوات المتدفقة من الموقع السوري القريب فسي

هجوم منسق . وأدت النيران الخزيرة الى انسحاب المقاتلين الاسرائيليين الى  
داخل الموقع . وخلال فترة قصيرة استولى رجال الكوماندو السوريون على الموقع  
الاسرائيلي من الخارج ونجح بعضهم في اقتحام احد مداخل الطوارئ التابعة  
للموقع وتمكنوا من الدخول اليه ، وبخطاء من الحفلات النارية والقنابل اليدوية  
تمكنوا من تحطيم اجهزة الرادار الاسرائيلية . وقد علق احد  
المعلقين السوريين في وقت لاحق على ذلك بقوله :

لقد كانت الخاية هي تحطيم الصين الاسرائيلية المعالجة على دمشق . وكان  
يقصد بذلك الرادار الموجود على قمة جبل الشيخ . وقد قام الجنود الاسرائيليون  
في هذا الموقع ، بالدفاع عن انفسهم وانسحب قسم منهم الى الدهاليز والغرف  
الاخرى التي بداخل الموقع واغلقوا الابواب الحديدية وراءهم ، فامتنع السوريون  
من الدخول واكتفوا بالقاء قنابل الدخان باتجاه كل شق وفتحة . فأدى الغماز  
الكثيف والخانق الى جعل قسم من الاسرائيليين يخرجون من مخابئهم رافعي  
الايدي مستسلمين .

بعد عشر دقائق تقريبا من بدء القصف المركز بدأت المدرعات السورية  
باختراق الخط الاسرائيلي في هضبة الجولان ، وكان هناك سيل من الدبابات  
وفي حين كانت نيران المدفعية السورية تزلزل الارض حاول الاسرائيليون الذين  
كانوا في مواقعهم اطلاق النار على صفوف المدرعات التي كانت تخترق الخطوط  
الاسرائيلية . ولكن الدبابات لم تكن متجهة نحوهم فلقد كانت الخطة التكتيكية  
تتمثل في المرور بين المواقع والنفاد الى العمق ، بدون الانشغال بالمواقع  
الاسرائيلية الموجودة على طول خط وقف النار ، فهذه سياستي وقتها في حينه .  
وكذلك تصرف السوريون ازاء المستوطنات الاسرائيلية في هضبة الجولان ، فلقد  
امتنعوا خلال عملية الاقتحام من الدخول اليها ، ما عدا مستوطنة واحدة  
هي رمات مغشيم .

وهكذا نجا سكان هضبة الجولان بأعجوبة . ففي ( يوم الخفران ) وفي  
التاسعة صباحا تلقوا امرا باخلاء النساء والاطفال ، وفي اثنتين من المستوطنات  
رفض السكان اطاعة الاوامر . فلقد خافوا ان يكون للامرغايات سياسية ، ولم



يتم اقناعهم بوجود خطر حقيقي الا بعد جهد . وتأخرت الباصات التي كان من المقرر ان تقوم بعملية الاخلاء عن الوصول ، ووصلت طلائع الباصات فسي ذروة القصف ، ولم تتم عملية اخلاء النساء والاطفال الا مع حلول الظلام ، اما الرجال فلم يتم اخلاؤهم الا مع طلوع الفجر . لم تكن مستوطنات الحدود مواقع قتالية كما كان الامر في حرب ٤٨ فليس من مهمتها ايقاف الجيش المهاجم ولو قليلا كما انه ليس فيها سلاح ضد الدبابات . وفي الواقع فان هذه المستوطنات تشكل ازعاجا لجيش الدفاع الاسرائيلي عند بداية الحرب . فعلى الجيش تخصيص وقت كبير لها وتقديم الوسائل لاختلاء سكانها . بدأ السوريون الهجوم بثلاث فرق ، وبلغ مجموع الدبابات التي اشتركت في الجولة الاولى من الهجوم حوالي ثمانمائة دبابة . وكان على الفرق الالوية اختراق الجبهة والوصول الى عمق عشرة كيلو مترات على الاقل وفتح طريق امام فرقتين مدعيتين . وقد تم اقتحام الجبهة في قطاعين : ففي الشمال قرب القنيطرة قام اكثر من مئتي دبابة بعملية الانقضاض الاولى . وفي القطاع الاوسط ، قرب رفيد ، تمت عملية الاقتحام بواسطة جناحين : الجناح الاول كان يتجه صوب معسكر نافع وجسر بنات يعقوب والجناح الاخر توجه جنوبا باتجاه رامات مخشيم والعمال ، ومن هنا الى مصب الاردن والى بحيرة طبريا وجسر اريك القائم على نهر الاردن وشمل المجهود الاوسط والجنوبي خلال الهجوم الاول ستمائة دبابة . انه طوفان من الدروع داخل منطقة صغيرة . ومع أن هضبة الجولان عززت بلواء مدرع اخر عشية الحرب ، فلم يكن لاسرائيل هناك اكثر من ١٨٠ دبابة وكان هذا جزءا من القوة التي كان عليها مواجهة الهجوم السوري ، الذي كان من السرعة لدرجة انه صعب على سلاح الجو الاسرائيلي تقديم اسناد في اليوم الاول . فالدبابات السورية كانت قريبة جدا من الدبابات الاسرائيلية وكان من الصعب على الطيارين ان يميزوا في هذه المنطقة الجبلية بين الدبابات السورية والاسرائيلية كذلك كانت بطاريات صواريخ ارض جو السورية تزيد من الصعوبة على الطيارين الاسرائيليين .

ومع حلول الظلام واصل السوريون الهجوم واستعان قادة دباباتهم بأجهزة  
للاشعة تحت الحمراء للرؤية في الليل وبمناظير خاصة لزيادة الضوء في النجوم  
انهار تشكيل الدبابات في هضبة الجولان دبابه اثر دبابه . كان عليه مواجهة  
الجهد السوري الرئيسي . ولسوء حظه فقد كان مشتتا اكثر من اللازم . وخلافا  
لتشكيل الدبابات الذي كان يقف في مواجهة مدخل القنيطرة والذي يمتد  
بتجميع اكبر كقبضة فولاذية ، فقد عمل هذا التشكيل بمجموعات اصغر ، وتمزق  
قادة تشكيل الدبابات بين ربتهم في صد موجة الدبابات السورية المقتحمة كحصم  
البراكين وبين نيتهم في الدفاع من الخلف عن المواقع الاسرائيلية في الخط الاول .  
توفلت الدبابات السورية ببطء باتجاه مركز القيادة في معسكر نافع . وبعد  
منتصف الليل كانت على بعد كيلومترات قليلة من نافع الواقعة على الطريق  
الرئيسي من جسر بنات يعقوب والقنيطرة وفي الساعة الثانية بعد منتصف  
الليل - اقترح هود على قائد المنطقة الشمالية ترك المكان . وقال هود لحوفي  
اذا اردت الاستمرار في ادارة الحرب فعليك الخروج من هنا بأسرع ما يمكن .  
ان المسألة مسألة وقت حتى تصاب منشآت الاتصال بالاضرار وتتوقف عن العمل .  
وافق " حاكي " على هذا الاقتراح . وقبل ان يتوجه في طريق القى على رفول  
المسؤولية عن هضبة الجولان . وكان يتعين على رفول أن يخوض منذ الان معركة  
الصد الى أن تصل تشكيلات الاحتياط . واتجه حاكي وهود الى موقع القيادة .  
وفي الساعة الثامنة صباحا تقريبا دخل ديان غرفة قائد السلاح الجوي فسي  
مقر القيادة . وسمع الضباط في الغرفة ديان وهو يقول لبني بيليد : " ينبغي  
ترك مصر . ان الوضع مخيف في الشمال ولا يمكن ايقافهم . حول السلاح  
الجوي الى هناك " .

استيقظ سكان " مجدال هعين " القريبة من الناصر ، في الليل على صوت  
انفجار هائل . واعتقد الجميع ان هذه عملية تخريبية . ولقد كان هذا أول  
استخدام لسلاح جديد : صاروخ ارض ارض من نوع فروج الذي يبلغ مداه حوالي  
٩٠ كم . اطلق السوريون الصواريخ اطلاقا أعنى باتجاه مستوطنات مرج ابن  
عامر . ويبدو انهم كانوا ينوون ضرب مطار رمات دافيد . واستغرق الرمي

ثلاثة ايام الى ان اعطيت للمناطق بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي الموافقة على ان يعلن للجماهير بأن السوريين يستخدمون فعلا صواريخ أرض أرض. وصل النقيب موشيك واكس مع سرية الى سفوح مرتفعات الجولان وكانت اول سرية احتياط تصل الى المعارك . من ناحية زمنية اعتبر وصول السرية انجازا كبيرا جدا . فقد مثل معظم افراد السرية قبل حوالي ١٢ ساعة من هذا الوقت . ولم يكن هناك وقت لا انتظار السرايا الاخرى التابعة للكتيبة . ان أية قوة وصلت المنطقة ، مهما كانت صغيرة ، وجهت الى المرتفعات . ولا يهم في هذه اللحظة ان تكون على شكل مجموعات .

ويحرف (موشيك فاكس) الذي كان قد خدم في لواء في مرتفعات الجولان ، المرتفعات كما يحرف كفة يده . ومنذ حرب الستة ايام وحتى حزيران ١٩٧١ ، عندما سرح من الجيش الاسرائيلي شارك تقريبا في جميع الاشتباكات مع السوريين . كانت سرية متفوقة وعلى لوحة نصبت داخل معسكر الكتيبة توجد لافتة كتب عليها ان النقيب (موشي فاكس) وافراد طاقمه في الدبابة قضاوا على اكبر عدد من الدبابات السورية في الاشتباكات .

\* \* \*

اتخذت العملية الهجومية في قناة السويس صورة اخرى . وخلافا لعقيدة القتال السوفييتيه لم يقيم المصريون بقصف مدفعي تمهيدى طويل . فالهجوم جاء سريعا بعد قصف استغرق حوالي ربع ساعة . وقد وجه المصريون على المواقع نيران مدفعية الماون الثقيلة بقطر ٢٤٠ مم . وكانت الموجات الاولى من المهاجمين ، من افراد صف المشاة . وكان يتعين على هؤلاء مسك مواقع خلف القناة والبدء باقامة رؤوس جسور . كان هذا الهجوم هجوما جماعيا . في المرحلة هاجم حوالي عشرة الاف . ولتقويض الستائر الترابية على ساحل القناة على الجانب الاسرائيلي استخدم المصريون خرطوم للمياه ذات ضغط هائل واحداث التيار المائي ثغرات داخل الستارة . اجتاز المصريون القناة بواسطة مئات القوارب من انواع مختلفة . قوارب مطاطية وخشبية وقصدير . وكان هذا الجهد قد شمل القناة بكاملها . وقد سجلت في سبعة اماكن على الاقل جهود مركزة . ويبدو ان المصريين توقعوا مقاومة ضارية ولهذا فقد اختاروا العبور

من اماكن كثيرة على امتداد انهم سينجحون من بعضها . وبعد ٢٠ دقيقة من بدء القصف شوهدت دبابات برمائية في مياه البحيرات المرة بالقرب من كبريت . وكانت هذه الدبابات الخفيفة وكذلك ناقلات الجنود المدرعة البرمائية اول مسـ عبرت الى سيناء .

كان على الموجة الاولى من المهاجمين احتلال الحاجز الترابي الذي اقامه جيش الدفاع الاسرائيلي وكان عليه ان يحتل في بادئ الامر المواقع التي يريد افراد صنف الهندسة المصرية ان يقيموا فيها الجسور . وقام جزء من المهاجمين باشغال المواقع . ولقد تسلقوا الستار الترابي بالسلام وشوهدوا كالجـراد وعند ما كانت تصل موجة ثانية كانت الموجة الاولى تنزل وتتقدم . كانت كثافة النيران تمنع افراد المواقع من الرصد عن مسافة بعيدة .

كان المصريون يتصرفون وكأنهم يقومون بمناورة حربية بعد تمرينات كثيرة ، واستعمانت الموجة الاولى برجال الضفادع . وكانت هناك شاحنات مصرية شوهدت وهي تقترب من القناة باتجاه معاكس وتلقي الى الماء بقطع من الاخشاب وقطع من الجسور ، وتم تجميع هذه القطع ، وخلال حوالي نصف ساعة اقيم جسر لسلاح المشاة على طريقة الجيش السوفياتي . . وتدفت في الجولة الثانية على هذه الجسور ثلاث فرق من سلاح المشاة . وخلال ساعات قلائل نجح المصريون في نقل اكثر من اربعين الفا من سلاح المشاة الى سيناء ، وفي نفس الوقت بدأ سلاح الهندسة باقامة جسور لعبور المدرعات اثقل ويتحمل اقامة الواحد منها حوالي اربع ساعات .

وفي الوقت الذي بدأت فيه عملية العبور اتضح ان لجيش الدفاع الاسرائيلي قدرة مدفعية ضئيلة ، ولم يكن هناك سوى بطاريات قليلة كانت تقف في مواجهة المصريين على طول خط الجبهة . فالبطاريات لم تكن فقط غير قادرة على رد النيران ، ولكنها ايضا لم تكن لتقدر على تغطية جميع اماكن العبور فاكثر من نصف بطاريات المدفعية كانت في الداخل بقلب سيناء . وكانت الاهداف اكثر بكثير من عدد المدافع . وفي قناة السويس كما في هضبة الجولان . كان للفرق في الكميات تأثير كبير في هذه المرحلة ، فقوات

الجيش الاسرائيلي الضئيلة كانت تجد صعوبة في صد هذا السيل العارم من سلاح المشاة ، وكان المهاجمون يتخذون اسلوا تكتيكا سليما ، فجزء بسيط منهم انشغل في مهاجمة المواقع الاسرائيلية ، وكانوا يتحاشون المواقع الاسرائيلية وينفذون من بينها ويتدفقون الى سيناء . فالمصريون تركوا امر هذه المواقع للمرحلة الثانية من المعركة . وكانت غاية المصريين هي الوصول الى عمق يتراوح بين عشرة الى اثني عشر كيلو مترا شرقي القناة . وكان المنظر الذي واجه رجال المواقع الاسرائيلية يشبه الدابوس ، فان كميات النار المصرية ، وعدد المهاجمين ، وكون النيران الاسرائيلية المضادة هزيلة ، كل هذه امور اذ هلت الكثيرين منهم ، وكان رجال المواقع التي لم تهاجم في الحال يقومون بتصيد العابرين المتواجدين على مرص اسلحتهم الخفيفة ومدافع الهاون ، ولكن ذلك كان قطرة في بحر . وكان هنالك في مواقع القناة جنود احتياط وكانت هذه بالنسبة لهم اول مرة يخدمون في مواقع القناة ، فلقد التحقوا بالخدمة العسكرية في ٢٣ ايلول على ان ينتهوا منها في ٢٥ تشرين اول ، كما كان هناك رجال من منظمات الناحال في المواقع الجنوبية ، وكثير منهم من الفئات المتدبنة ، وقد حرص هؤلاء على اداء الصلاة في (يوم الغفران) عندما بدأ القتال لم يكن هنالك سوى ثلاث دبابات بين المواقع على طول خط الجبهة . وخلال عشرين الى ثلاثين دقيقة قدمت حوالي عشرين دبابة كانت موجودة على بعد عشرة كيلومترات من القناة ، باتجاه التل الترابي الموجود قرب القناة ، ولكن اكثر من ثلث هذه الدبابات اصيب في الحال بفعل الصواريخ وقذائف آر. بي . جي التي اطلقها جنود مصريون كانوا على التل الترابي . وبعد حوالي نصف ساعة من بدء النيران وصلت دبابتان الى الموقع الاسرائيلي الموجود جنوب القناة . وفي الساعة الثالثة الا ربعا كانت جميع القوة المدعمة الموجودة على الخط تقا تل . ووصلت الى قيادة القوات في سيناء انباء عن عدد القتلى والجرحى . . وكانت القوة الموجودة في الجبهة الداخلية قد تحركت نحو القناة قبل حوالي نصف ساعة . وكانت الدبابات تسرع ولكن التأخير كان كبيرا . وفي هذا الوقت كانت قيادة البرت على علم بأن المصريين

يقومون بالعبور على طول القناة . وكذلك كانوا يعرفون في قيادة المنطقة الجنوبية ان الامر يتعلق بعبور شامل ، ولكن صورة المعركة لم تكن واضحة ، فلقد كانوا يعرفون ما يجري في مواجهة المعادل ، اما ما كان يجري بين هذه المعادل فلم يكونوا يعرفون الا القليل . . . وساد التفاؤل بعد الظهور في القيادة فيما يتعلق بمعركة . حتى ان الامر قد صدر لقيادة البرت بالاستعداد لعبور القناة . وحسب الامر الاول كان عايهم ان يعبروا في الليلة التي تلي يوم الاحد . . . ففي ذلك الوقت كان مقررا ان تصل قوة ضخمة من الاحتياطي ، ولكن القوة التي كانت مع البرت قد خسرت خلال ساعات قليلة جزءا كبيرا من دباباتها . . . عندما بدأ القتال اتصل جونين باللواء برن واللواء شارون قائلا : (على كسل دبابه جاهزة ان تتحرك على الطريق بدون ان تنتظر الحاملات) . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر قطع الاتصال مع المعقل الموجود جنوب راس العرش في القطاع الشمالي . وكان قد وصل من هذا المعقل حال بدء العبور تقارير بشأن جنودا مصريين يقومون بمهاجمته . وكانت اصوات المعركة تسمع في جهاز اللاسلكي ، وقد سمع صوت المسؤول عن هذا الجهاز عدة مرات ، وحوالي الساعة الرابعة بعد الظهر انقطع الاتصال . . . ولا يعرف ماذا حصل هناك . وكان هذا هو المعقل الاول الذي سقط بيد المصريين . . . وكذلك وصلت انباء مقلقة من المعقل الشمالي ، فلقد نجح المصريون باقتحامه ، وكانت جميع المعاقيل الاخرى ما تزال تقوم بالاتصال .

ولم تصل من رجال المدفعات انباء تسربال ، فالاصابات في الدبابات كانت تتزايد ساعة بعد ساعة ، وكان قادة القوة العاملة بجانب القناة يرسلون تقارير عن انخفاض متزايد في عدد دباباتهم ، وكانت هنالك مفاجأة مذهلة اخرى . فالمعروف ان الجنود المصريين الذين عبروا القناة هم مشاة في الاساس . وفي البداية اعتقد القادة الاسرائيليون ان دبابات الجيش الاسرائيلي ستقوم بمسح المشاة المصريين بسهولة ، فالكل كان مقتنعا بأن رهبة الدبابات الاسرائيلية المقترسة ستفزع الجنود المصريين . . . ولكن الانباء التي وصلت ، اشارت الى عكس ذلك ، فلقد نجح هؤلاء وصمدوا امام الدبابات الاسرائيلية .

وكانت تتكرر العبارة التالية في أجهزة اللاسلكي : الصواريخ وقذائف

البازوكا ) . ( ان المصريين يطلقون علينا .

كذلك فوجيء قادة الدبابات الاسرائيلية عندما هجموا على المشاة المصريين بكل اطمئنان ، فوجئوا بان الصواريخ التي كان يطلقها عليهم المشاة من كل صوب ، كانت تعطل مزيدا من دباباتهم . وكان المشاة المصريون يطلقون قذائف البازوكا من نوع ار . بي . جي . صوب الدبابات الاسرائيلية من مسافات قصيرة . . كما كانوا يطلقون عليهم صواريخ ساغر من مسافات ابعد قليلا وكانت قذائف البازوكا تنفذ الى داخل الدبابات . وكان لكل ستة جنود مصريين بازوكا واحدة . وعندما كانت تدور المعركة عن بعد كان المصريون يظهرون صلابة وقوة .

وبعد الظهور اصدار اللواء جونين امرا للدبابات بعدم الاقتراب كثيرا من المشاة المصريين ، وان يكتفوا باطلاق النار عليهم من مسافة عدة كيلو مترات . ومع حلول الظلام تحسن الوضع قليلا . فالحمية تقدم غطاء للمشاة المصريين ، كما انها تحمي الدبابات الاسرائيلية من صواريخ ساغر ، وفي اماكن عديدة وصلت الدبابات الى المواقع . وكان بالامكان مساء ( يوم الخفران ) اخلاء وانقاذ معظم المواقع ، ولكن احدا من القادة الكبار في الجبهة لم يفكر بذلك . . فمثل هذا الاقتراح يعتبر في نظرهم بمثابة الانسحاب ، وكان الشعور وقتئذ بأن جميع المعائل تستطيع ان تصمد في القتال . فكل واحد منها مزود بذخيرة ضخمة ، وبالطعام والماء لمدة اسبوع . ولم يكن هناك بين القادة من اعتقد بان الجيش الاسرائيلي لن يصد المصريين قبل نفاذ الذخيرة والطعام . وفي المعائل الكبيرة يوجد ايضا اطباء المعالجة من يصاب قسرب القنساء .

ووصل رئيس الاركان الجنرال دافيد الحازار الى قيادة الجبهة وقام اللواء جونين بتقديم تقرير عن الوضع . وكان قد وصل للتو تقرير أخير يشير الى ان جزءا بارزا من الدبابات التي عملت في الجبهة قد اصبح غير صالح سواء بفصل اصابتها بصواريخ او بقذائف البازوكا او بسبب

أعطال فنية على كل حال فان الحالة كانت سيئة .  
كذلك فوجي المصريين في هذه المرحلة من القتال ، بسهولة عبور القنطرة .  
فحتى المتفائلين من قادتهم كانوا قد توقعوا صعوبات أكبر وخسارة الاف الجنود ،  
في حين لم يقتل في الهجوم الاول اكثر من مئة وتسعين جنديا مصرية .  
وفي المساء بحث وزير الحربية المصرية الى الرئيس السادات بتقرير  
من نجاح المرحلة الاولى من العملية .. مرحلة العبور ، واجاب السادات  
بسرور : ( لقد عبرت الامة العربية حاجز الخوف ) .

ان البشري السارة الوحيدة التي تلتها اسرائيل في هذا اليوم جاءت  
من الجبهة البحرية . ففي الساعة الرابعة بعد الظهر ، اى بعد نشوب الحرب  
بساعتين ، ابحرت خمسة زوارق باتجاه اللاذقية ، وفي الساعة الحادية عشرة  
مساء بدأت معركة زوارق الصواريخ الاولى في العالم ، فلقد كانت هذه هي  
المرحلة الاولى التي تتواجه فيها اساطيل يكون سلاحها الرئيسي هو الصواريخ  
وقد اطلق السوريون صواريخ ستايسكي من انتاج سوفياتي ، في حين اطلقت  
الزوارق الاسرائيلية صواريخ جبرئيل من انتاج اسرائيلي ، وللصواريخ الروسية  
مدى ابعده بحوالي خمسة عشر كيلومترا . واطلقت الزوارق السورية ، في هذه  
المعركة ، عشرات الصواريخ ولكن احدا منها لم يصب هدفه . كما اسقط  
عدد من هذه الصواريخ بفعل نيران المدافع . ولكن السبب الرئيسي في فشل  
السوريين ، - حسب راي الخبراء - يرجع لوجود معدات الكترونية فعالة  
في الزوارق الاسرائيلية مهمتها عرقلة انطلاق الصواريخ ، في حين  
تفتقر الزوارق السورية لمثل هذه المعدات . ومدى صواريخ جبرئيل  
أقصر ولكنها تنطلق على ارتفاع منخفض بحيث يصعب اكتشافها وهي تقترب  
من هدفها . وقد خسر السوريون في هذه المعركة ثلاثة زوارق صواريخ  
وزورق طوربيد ، وكاسحة عليها ثمانون رجلا .

مع نشوب الحرب اخذت الانباء المصرية توجه نداءات تشجيعية للجنود  
في الجبهة ، وكانت هذه الانباء تكرر نداء مفاده ( ان كرامة ابائنا ، وكرامة



ابنائنا ، وكرامة الامة العربية جميعا بايد يكرم ، لذا اثبتوا واصمدوا ) . وكان هذا ايضا هو الشعار الذي ورد في الاوامر التنفيذية التي صدرت لطوابير الجنود المصريين قبل توجههم الى الجبهة .

لقد كانت حرب ( يوم الخفران ) بالنسبة للعرب حربا من اجل الكرامة العربية اكثر منها حربا لاجل الارض . فلقد اراد المصريون والسوريون ان يثبتوا ان بإمكانهم القتال ، وتوقفوا امامة موضوع النزاع العربي - الاسرائيلي الى طاولة المحادثات على اثر حالة الحرب ، ولكن فوق ذلك كله كانوا يتطلعون الى ان يعيدوا لانفسهم الكرامة . كرامتهم الوطنية وكرامتهم العسكرية والشخصية . الكرامة التي ضاعت في غمرة الهزائم المتلاحقة .

وفي اوج القتال ، وقبل عبور القوات الاسرائيلية لقناة السويس في وقت لاحق من القتال ، اصدر سعد الدين الشاذلي رئيس الركان المصري امرا يوميا لجنوده قال فيه : ( لقد انقذت الحرب الكرامة العربية ، فحتى لو هزمنا الان ، فلن نستطيع احد بعد ذلك ان يقول بان الجندى المصرى ليس مقاتلا ممتازا ) . كما ان احمد اسماعيل علي ، وزير الحربية المصرية الذي زار الجبهة في نفس ذلك اليوم قال لضباطه وجنوده : ( ان مصر قد اعادت لانفسها عزتها الوطنية وكرامتها ، كما ان القوات المسلحة قد اعادت الى مصر كرامتها ) . وتكرر الحديث عن موضوع الكرامة العربية في كل مناسبة . ففي الجبهة الداخلية تحدثوا عن الكرامة التي استعيدت . وقد قال ضابط مصري كبير كان قد وقع في الاسر لحاييم بارليف ( قد لا نكون حققنا اهدافنا العسكرية ولكننا استعدنا كرامتنا وهذا كسب كبير بحد ذاته ) .

لقد اثارت مسألة الكرامة العربية جميع العرب من الخليج الى المحيط ، وخاصة بعد نكسة حرب الايام الستة . وفي اسرائيل لم يقدروا هذه المسألة بالشكل الصحيح ، ولم يقدروا تأثير اليأس والمرارة في حشال العرب على القتال . وكان التقدير الرسمي في اسرائيل انه كلما زاد شعور اليأس العربي زاد استعداد العرب لتقديم التنازلات . صحيح ان الهزيمة في حرب الايام الستة قد اقنعت الكثير من العرب بانهم لمن يستطيعوا تسوية النزاع مع اسرائيل بوسائل

عسكرية ، ولكن هذه الهزيمة قد دفعتهم الى اعادة كرامتهم باى ثمن . وقد كتب هيكلم في مقال له خلال حرب الاستنزاف يقول : (يكفينا ان نقوم بتدمير فرقتين أو حتى فرقة واحدة من جيش الدفاع الاسرائيلي) .

لم يجرؤ العرب على المحاولة فبالخوف من فشل جديد ، ومن هزيمة اكبر قد جمد الزعماء العرب وعطل جيوشهم . وكان هذا هو حاجز الخوف عند العرب . وفي عام ١٩٦٩ عندما بدأ عبد الناصر حرب الاستنزاف ، قام بجهد واه لاقتحام هذا الحاجز ، وعندما ظهرت دلائل فشل هذه الحرب اسرع عبد الناصر الى طلب المساعدة من الكرملين ، وكان مستعدا لقبول المخاطرة وجلب الاف الجنود الروس الى مصر من اجل تجنب الوقوع في هزيمة جديدة .

وكان اليأس كبيرا لدرجة انه قامت اصوات في العالم العربي تقول بانه يجب على الامم احيانا ان تخاطر بعملية انتحارية من اجل انقاذ كرامتها . وتحدث السادات عن استعداده لتقديم مليون مصري على مذبح الحرب مع اسرائيل .

•• ان (حاجز الخوف) العربي لم يكن نتيجة للنكسات المتكررة وخوف من فشل جديد فحسب ، فقد ساعدت اسرائيل متمحمة في خلق هذا الحاجز ، وذلك منذ مطلع الخمسينات ، وفي فترة عمليات الانتقام . فلقد كان وراء هذه العمليات فرضيتان : الاولى ان العرب يفهمون ويقدررون لحة القوة فقط ، أما السكوت وضبط النفس فانما يفسران لدى العرب بالخوف ، ويؤدىان الى عمليات عنيفة جديدة . والفرضية الثانية انه اذا كان العرب يوقعون باسرائيل ضربات عنيفة فلا يكفي الرد عليهم بل يجب تكبيدهم ثمنا مضاعفا بل واكثر من ذلك ، مقابل كل اصابة ، وبهذا فقط يمكن جعل العرب يفكرون قبل ان يقدموا على محاولة ايقاع اصابة جديدة باسرائيل وبمواطنيها . وكان موشه دايان رئيس الاركان في تلك الحقبة - هو احد اصحاب هذه الفلسفة ، وقد أيد دافيد بن غوريون ، وزير الدفاع الاسرائيلي في ذلك الوقت هذه النظرية . وكان المنفذ الرئيسي لعمليات الانتقام هذه ضابطا صغيرا اسمه ارييل (اريك) شارون .

ربما كان اسلوب الانتقام سببا في ايجاد فرص السلام ولكنه اوجد نوعا جديدا من العلاقات بين اسرائيل والسدول العربية ، واستنزف

ثمنا باهظا مقابل كل عملية عربية عنيفة ضد اسرائيل .

وفي الفترة التي بدأت في أواخر عام ١٩٥٣ ( مع عملية قبية ) وانتهت في أواخر عام ١٩٥٦ ( مع حرب سيناء ) بدأ جيش الدفاع الاسرائيلي في تغذية حاجز الخوف العربي . وقد وصل هذا الخوف ذروته في حرب الايام الستة . كما زاد حاجز الخوف ارتفاعا عندما قام سلاح الجو الاسرائيلي في عام ١٩٧٠ وفي اثناء حرب الاستنزاف بقصف العمق المصري ، ومنذ ما قتل في قاسب بيروت بعض كبار قادة المنظمات المسلحة الفلسطينية . لقد خشي العرب القيام بأعمال عنصرية ضد اسرائيل ، وليس فقط تحسبا من نكسة جديدة ، ولكن لخوفهم من الانتقام الاسرائيلي الشديد ، وكلما زاد خوفهم زادوا من تهديداتهم . لاحظت اسرائيل كيف يعمل حاجز الخوف العربي ، وكلما طال امد هذا الحاجز قوى اعتقاد السياسيين والعسكريين في اسرائيل بان الحرب لن يجرأوا على شن الحرب . ورغم ان قادة جيش الدفاع الاسرائيلي كانوا على علم بتعزيز القدرة العربية ، منذ حرب الايام الستة ، الا انهم لم يصدقوا وبسهولة أن العرب سيجرأون على استخدام قوتهم العسكرية . ومن خلال هذا الافتراض كان جيش الدفاع الاسرائيلي مستعدا للمخاطرة بابقاء قوات قليلة على خطوطه الامامية . وكانت الصحف الاسرائيلية تذكر من حين لآخر باعداد الطائرات والدبابات التي كان العرب يتلقونها ، وكذلك الفرق التي اقاموها ، ولكن الجمهور الاسرائيلي كان ينظر الى هذه الارقام نظرتة الى اسعار الاسهم في سوق البورصة . وكان قادة الجيش المصري - وعلى رأسهم الرئيس المصري انور السادات - قد قالوا بالهبط ماذا سيفعلون وكيف ، ولكن قلائل في اسرائيل هم الذين اقاموا وزنا لذلك . فلقد كان الشعور السائد ان العرب لن يجرأوا على شن الحرب .

وفي السادس من تشرين اول عام ١٩٧٣ تجرأ العرب وفوجئوا عندما تبين لهم سهولة عبور حاجز الخوف . وقد اتضح من اوامر العملية التي قاموا بها انهم قد توقعوا صعوبات كثيرة واعدادا كبيرة من الضحايا .

ليست هذه هي المرة الاولى التي تخطف فيها اجهزة الاستخبارات  
الاسرائيلية في تقدير نوايا الصرب ومعرفه تحركات جيوشهم .  
ففي عام ١٩٤٨ وهشية الحرب ، كان هنالك من رجال الاستخبارات  
المجنهه بعض الكبار الذين قالوا حتى اللحظة الاخيرة بأن  
الملك عبد الله لن يسمح لجيشه بأن يشترك في الحرب .  
وفي اوائل عام ١٩٦٠ ، وعلى اثر اشتباكات الحدود مع سوريا ، وحطية  
الانتقام الاسرائيلية ضد قرية التوافيق ارسلت مصر جيشا الى سيناء ، وفوجئت  
اسرائيل . وقد اتضح ان هناك خلافا في جهاز الانذار الاسرائيلي .  
وقبل اسابيع قليلة من حوب الايام الستة كانت تقديرات الاستخبارات  
الاسرائيلية تقول بانها لا تتوقع حربا في ذلك العام . وكان المصريون مشغولين  
في ذلك الوقت بحرب اليمن . وعندما اغلق عبد الناصر مضائق تيران وبدأ بحشد  
قواته في سيناء ، فوجئت القيادة الاسرائيلية ، فلقد اعتقدوا في الاستخبارات  
ذلك الحين ان مصر عبد الناصر لن تكون مستعدة للحرب قبل عام ١٩٧٠ .  
وفي عام ١٩٧٣ كان جهاز الانذار بحالة جيدة ، ولكن من جلس بجانبه  
لم يكن يقرأ جيدا المعلومات والارقام التي كانت على لوحة الجهاز . فالخطأ  
في التقدير لم يكن فقط في المرحلة الاخيرة والحصية ، ذلك انه حسب  
تقديرات سابقة لم تكن مصر السادات مستعدة لحرب شاملة في عام ١٩٧٣ ، وهذه  
هي نفس الخطة التي وقعنا فيها في عام ١٩٦٧ ، فمصر كانت في أوج مرحلة  
الاعداد للحرب . لقد اعتبرت سنة ١٩٧٥ هي السنة الحاسمة ، كما اعتبرت  
سنة ١٩٧٠ السنة الخطيرة قبل حرب الايام الستة . فوفقا لمعدل سوءة  
تعزيز قدرة الجيوش العربية ، كانت التقديرات تشير الى انه قد يكون من  
الصعب على اسرائيل صد هجوم عربي وبمبادرة عربية في عام ١٩٧٥ .  
كانت اسرائيل متأهبة لامكانية قيام هجوم مفاجئ عليها ، لذلك  
فان فشل الاستخبارات كان مضاعفا ، والاقوال التي سمعتها من رئيس  
الاركان الاسرائيلي قبل الحرب هي دليل على هذا التأهب .

في ١٤ حزيران عام ١٩٧٣ ، وبعد فترة توتر على الحدود تحدث مع رئيس  
الاركان الذي قال لي : ( ليس جنونا من جانب المصريين شن الحرب ، فلديهم  
مبررات استراتيجية وعملية لذلك ، والدافع قديم .. وقد دخل العرب في جمود  
سياسي ، ووضع مصر في العالم العربي ليس سميلا ، والحرب الشاملة هي اخطر  
امكانية يمكن ان تقدم عليها مصر ، بالتعاون مع سوريا ، وباستخدام الدعم  
من الدول العربية الاخرى ، وبالذات في مجال الطائرات . وهذه الامكانية  
خطرة بسبب جسامتها واحتمال ان تكون قصيرة . والمصريون قد يقدر ان  
تكون لهم مكاسب اولية حتى ولو كانت محدودة ، وباستطاعتهم ان يحسبوا انهم  
سيكبدون اسرائيل خسائر فادحة في ضربتهم المفاجئة ثم بعد ذلك يعقّب  
جمود في المنطقة ) .

وردا على سؤالي فيما اذا كان باستطاعة العرب مفاجأة اسرائيل بهذا  
الاجراء قال رئيس الاركان : ( من المستحيل البدء بهجوم شامل في وضع  
هادئ تماما ، بدون ان نشعر مسبقا بالامر ، والاحتمال المحقول هو ان  
ينتقلوا الى مرحلة الاستعداد بصورة علنية تقريبا ، ثم يقوموا بالهجوم بالمرحلة  
الثانية . وفي حالة استعداد عربي كهذا قبل الهجوم ، سيكون من الصعب  
توقع ذلك مسبقا ، ومع ذلك فاني اعتقد ان ضربتهم الاولى لن تكون حاسمة . وفي  
وضعنا اليوم فان الضربة الوقائية ليست ضرورية ) .

قبل اربعة اشهر من نشوب الحرب توقع رئيس الاركان ما حصل في الواقع  
ورسم مخططا كاملا للحملة العربية .. اذن كيف تطور هذا الخطأ في التقدير؟  
للقوف على جذور الفشل يجب العودة الى عام ١٩٦٧ ، حيث يمكن القول  
بان حرب الايام الستة كانت بمثابة مفترق طرق في التقديرات الاسرائيلية فسي  
ما يتعلق بتوازن القوى بين اسرائيل والعرب . فحتى حرب الايام الستة كان  
الاتجاه الاسرائيلي هو تقدير القوة العربية باكثر مما تستحق . صحيح انه  
كان هناك اتجاه للاستمراء بالجندى العربي ، ولكن وفي نفس الوقت ثمة قلق  
بسبب القدرة العربية من حيث الكم . وعندما كنا نذهب لشراء الاسلحة من  
العرب ، لم يكن معظم الخبراء الغربيين ليقبلوا تقديرات اسرائيل في ما يتعلق  
بتوازن القوى بيننا وبين العرب .

فواشنطن كانت ترى انه لا داعي لقلق اسرائيل من نسبة واحد الى ثلاثة  
واكثر في كميات الاسلحة . ونظرة اسرائيل هذه لم تتغير حتى بعد انتصار  
عام ١٩٥٦ . وفي مصر حدثت تغييرات اجتماعية ، وانشئت جامعات وزاد عدد  
الطلبة في الجامعات المصرية بمئات الالاف ، وتوسعت الصناعة ، وابتاع الجيش  
المصري اسلحة كثيرة واقتار لنفسه منجبا عسكريا جديدا . وفي المقابل بدأت  
الاستخبارات المصرية في التقليل من شأن اسرائيل .

.. ان حرب الايام الستة قضت على المفاهيم السابقة ، وكان الانتصار  
الاسرائيلي سهلا ، وبعد الحرب كان الشعور بان اسرائيل قد بالغت في  
قوة العرب . وان الفارق النوي لن يختفي خلال عشرات السنين . وبعد  
الحرب كان هناك في جيش الدفاع الاسرائيلي ضباط كبار تحدوا عن تقليص  
الجيش الى الحد الادنى بحجة انه ليس هناك حرب منتظرة . وبدأوا في  
اسرائيل يتحدون عن الفارق النوي ، ولم تعد الارقام في الجانب العربي  
تترك انطبعا لديهم ، سواء في عدد الرجال او الفرق او الدبابات او المظلات  
واصبحت التقديرات تشير الى ان الحرب لن تكون بين ثلاثة ملايين اسرائيلي  
وبين ثلاثة وثلاثين مليون مصري ، ولكن بين ثلاثة ملايين اسرائيلي وخمسة  
ملايين على الاكثر من المصريين الواعين الذين يمكنهم تقديم جنود ممتازين منهم .

وفي اسرائيل استخفوا بالحرب ، وهكذا رفضت فكرة امكانية قيام العرب  
باخذ زمام المبادرة والبدء بالحرب ، حتى ان جنرالات متقاعدون في الجيش  
من اشتركوا في حرب الايام الستة ، ادعوا بشدة انه لم يكن في عام ١٩٦٧ أي  
خطر على كيان اسرائيل . وادعى هؤلاء الضباط ان العرب لم يكونوا فقط غير  
مؤهلين للقضاء على اسرائيل ولكنهم لم يكونوا يريدون ذلك ايضا . وحتى  
أولئك الذين كانوا يعرفون تفاصيل تعاضم القوة العسكرية العربية ، مالوا  
الى الاعتقاد بان خشية العرب من رد اسرائيلي شديد تمنعهم من أخذ  
زمام المبادرة في الحرب .

وفي آذار عام ١٩٧١ قال موشه دايان وزير الدفاع ، المعروف بصفة عامة  
بندارته التشاؤمية ، في خطاب ألقاه بمعهد وايزمان : ( ان وضعنا لم يكن

أُسبدا جيدا كمثل هذه الايام ، وانا اعتقد ان موقفنا جيد من الناحية العسكرية والسياسية . واذ استؤنفت الحرب فستجد ونا اقوى من أى وقت مضى ) . ومعظم القادة في جيش الدفاع الاسرائيلي لمسوا ما يجرى ، ولكنهم أقاموا حولهم (سورا نفسانيا) . ولقد حدث للاستخبارات الاسرائيلية نفس ما حدث لاجهزة استخبارات قوية في العالم . فبدلا من ان تؤثر في غيرها بدأت تتأثر من غيرها . وقد تأثرت الاستخبارات من الطمانينة التي سادت الجيش والشعب الاسرائيلي باكملة . والتقدير القائل بان مصر لن تجرأ على شن الحرب تتقدم كلما زاد السادات من وعده بانه سيحارب ، ثم لم يكن ينفذ تلك الوعود .

وكانت ثمة تقديرات اخرى من مادة ولكنها رفضت ، فلقد كرر رئيس الاستخبارات السابق يهوذا فاطم هراكابي أقواله بأن العرب يعطون وزنا للمصراع بأكثر مما يستحق ، وانهم يعدون انفسهم للحرب في حين تنشغل اسرائيل في العمل من اجل السلام . كما ان رئيس شعبة التخطيط في رئاسة الاركان اللواء ابراهام طمير قال في نيسان من عام ١٩٧٣ انه لعدم وجود أمل في التوفيق بين مطالب الاطراف الاقليمية فإنه يتوقع حربا في نهاية عام ١٩٧٣ . كما أن اللواء اسرائيل طال نائب رئيس الاركان قد خالف عشية الحرب تقديرات الاستخبارات واعرب لرجال الاستخبارات عن رأيه . ولكن هذا لم يكن سوى حديث عارض . وكان طال قد أدلى برأيه في جلسة رئاسة الاركان التي بحثت الوضع في هضبة الجولان . وكانت هذه الاصوات قليلة . في حين كانت الاصوات الاخرى وعلى رأسها صوت وزير الدفاع هي الاقوى . وقالت الاصوات الاخرى ان حالة اللاسلم واللاحرب يمكن ان تستمر فترة طويلة ، وكان لهذا الرأي تأثيره على تقديرات الاستخبارات .

في عام ١٩٧٣ كان وزير الدفاع متشائما في ما يتعلق بفرص نجاح الحرب ولم يقبل دايان ، كما لم يقبل رئيس اركانها دافيد العازار تقديرات الاستخبارات القائلة بأن احتمالات الحرب الشاملة فير قوية . وفي احدى جلسات رئاسة الاركان التي بحثت فيها التخيرات التسي

طرات على الاستعدادات في الجبهة المصرية قال دايان ان على الجيش الاستعداد  
لاحتمال نشوب حرب في هذا العام . ولكن لم تمض سوى بضعة اشهر حتى غير  
دايان رأيه . ففي مقابلة مع مجلة تايم قال دايان ان حدود الدولة ستبقى كما  
هي خلال العشر سنوات القادمة وانه لا يتوقع حربا جدية في هذه السنوات  
وقام حاييم يافين مراسل التلفزيون الاسرائيلي في الولايات المتحدة بنقل هذا  
الخبر الى الانذاعة الاسرائيلية ، وفي اليوم التالي نشرته الصحف الاسرائيلية .  
حسب تركيبة الحكم الاسرائيلي ، ولم تكن هنالك تقريبا امانية لنظمو  
رأى معاكس وقللاستخبارات العسكرية امتياز مطلق في عدة مجالات ، وتجري  
الابحاث الاستخبارية الشاملة في الاستخبارات العسكرية بدون اشراك هيئات  
اخرى ، وتقديرات الوضع التومية يقوم بها رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية .  
ولقد وصلت مجموعة الاستخبارات العسكرية الى هذا الوضع ، ليس فقط بسبب  
رغبتها في التوسع ولكن ايضا بسبب ضعف الاخرين ، كما كانت دائرة الابحاث  
في وزارة الخارجية تتقلص من عام لاخر . وقد طلب من الاستخبارات العسكرية  
الاعتناء والاهتمام بالمواضيع الشاملة المتعلقة بالنزاع الاسرائيلي بصورة غير مباشرة  
فقط ، وقامت بذلك فعلا . ولم تكن هنالك اية هيئة تستطيع منافسة الاستخبارات  
في تقديراتها . وتركز عمل المؤسسة المركزية للاستخبارات في جمع المعلومات ،  
وكان كلما زاد نشاط المسلحين الفلسطينيين خارج حدود الشرق الاوسط ، يزيد  
العبء على المؤسسة .

ليس هنالك في الحكم الاسرائيلي فئة مؤهلة لفحص تقديرات الاستخبارات  
العسكرية ورغم وضع اسرائيل الامني فليس لها مجلس للامن الوطني او لجنة  
استشارية لشؤون الاستخبارات كما هو الحال في الولايات المتحدة ، لجنة ليس  
لها تدخل شخصي في شؤون الاستخبارات ، واماؤها يشتغلون فقط في فحص  
التقديرات النهائية لجماعة الاستخبارات . كذلك فان اللجنة الوزارية لشؤون  
الامن في اسرائيل ليست مؤهلة لفحص التقديرات التي تقدم اليها ، فهي  
تسمع صوتا واحدا فقط ، وليها ان تعتمد على المعطيات التي تقدمها لها  
الاستخبارات العسكرية فقط .



لم يتم احد بالاعتراض على هذا التركيب الميزيل لجماعة الاستخبارات بل انه بعد عملية ميونيخ هوفي اوج مقاومة المسلحين الفلسطينيين قدم اقتراح بنقل قوات استخبارات جديدة الى جهاز الامن . ان اسرائيل تشكل من نقص في معاهد الابحاث الاستراتيجية المؤهلة للاعراب من راي معاكس فعندما كان الباحثون يعربون عن اراء مضادة ، كانوا يتعرضون لانتقادات مرة ولانتمية وكانوا ينصحون بان يلتفتوا فقط الى المواضيع الاكاديمية .

لم تكن هذه هي المرة الاولى - بعد حرب الاستنزاف - التي كان فيها على الاستخبارات العسكرية تقدير نوايا الحرب على اثار عمليات حشد جيوشهم على الحدود مع اسرائيل . ففي كانون اول عام ١٩٧٢ اشعرت اسرائيل بعملية استعداد للحرب وراء الحدود . وندما اضطر رئيس الاركان الى تأجيل تنفيذ الموعد الذي قدمه بتقصير الخدمة العسكرية ، وقد نقلت في ذلك الحين قوات مدروعة الى هضبة الجولان ، ولكن امرا لم يحدث .

وحصل حادث آخر في شهر ايار وحزيران عام ١٩٧٣ وكان ذلك بمثابة تمرين نهائي لما حدث قبل يوم النخفران . فقد بدأ المصريون بتركيز قواتهم ونقلت الصواريخ من ضواحي القاهرة ، وجمعت معدات العبور وكانت الاستخبارات تعرف الكثير ولكن تقديراتها كانت تقول ان احتمالات الحرب ضئيلة جدا ، وقال الخبراء في حزيران عام ١٩٧٣ ان المصريين يدركون انه ليس باستطاعتهم شن حرب جديدة لان اسرائيل ستعمل على توسيعها حالا ، وحيث ان العسرب ليسوا مستعدين حتى ذلك الحين لحرب شاملة فلن تكون حرب في القريب . ولكن رئيس الاركان لم يقبل هذا التقرير . وفي القيادة الجنوبية التي كان يرأسها في ذلك الوقت اللواء اريك شارون جرت استعدادات واعدت مخططات لعمليات هجوم وقائية وازيل الخبر عن ملفات عمليات سابقة وقد كلفت عمليات الامداد هذه اموالا طائلة . وتقرر التعجيل في اقامة وحدات جديدة ، كما نقلت مخازن الطوارئ الى اماكن قرب الخطوط الامامية ولكن شيئا لم يحدث . وكان ذلك بمثابة فشل للاستخبارات .

ومع اقتراب شهر تشرين اول كانت القيادة في اسرائيل جاهزة للوقوع في الفخ .

فلقد كانت الاستخبارات تعرف كل شيء تقريباً ، ولكن تقديراتها كانت كما هي عليه في شهر حزيران ، أي ان احتمالات الحرب ضعيفة جداً . ولقد علق على ذلك الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية بعد نشوب الحرب بقوله : ان الاستخبارات الاسرائيلية كانت تعرف الوقائع ولكنها انشغلت في التصورات . فلقد كان لدى الاستخبارات معلومات ضخمة كما كانت تعلم عن تحركات كل وحدة تقريباً ، ولكنها اخطأت خطأ جسيماً في التقديرات النهائية . ولم يقر رؤساء الاستخبارات وزناً للمعلومات البسيطة كالتقارير التي كانت ترد من الخطوط الامامية وتقارير المراقبة حول معدات العبور التي نقلها المصريون قرب الجبسة ، وحول مجموعات القادة المصريين التي كانت تكثرت من زيارتها للقناة وبدلاً من ذلك فقد اعتمدوا على المعلومات التي كانت ترد لهم من مصادر اخرى . فلقد رأيت الاستخبارات الاشجار ولكنها لم تراها كما يقول المثل اليهودي . وقبل بداية الحرب بدقائق معدودة كان كبار رجال الاستخبارات لا يزالون متمسكين بتقديراتهم القائلة ان احتمالات الحرب ضئيلة . ومن خلال قناعتهم هذه اقتنعوا ايضاً بالاستخبارات الأمريكية بأنه ليس ثمة خطر من نشوب حرب ، وقد اصاب هذا الفشل في الصميم سمعة الاستخبارات العسكرية .

في تشرين اول من عام ١٩٧٣ كانت الجهات التي تعطلوا الاستخبارات رتبة شريكة لها في تقديراتها . فلقد نقل رئيس الاركان ووزير الدفاع تقديرات الاستخبارات الى رئيسة الحكومة بدون الاعتراض على هذه التقديرات وبذلك جعلنا من نفسهما شريكين في هذه التقديرات . فالاستخبارات هي بمثابة قاض يحكم على نوايا العدو ولكن على القائد والوزير ان يقدر ايضاً قدرة هذا العدو وامكاناته . ومن هنا فان مسؤوليتهم في التقدير النهائي تفوق مسؤولية الاستخبارات . وفي يوم الجمعة زادت شكوك رئيس الاركان ولكنه لم يرفض تقديرات الاستخبارات بصورة كلية الا في فجر (يوم الغفران) . وهكذا لم تخطر على بال القادة الاسرائيليين امكانية حصول خطأ فادح كهذا في التقدير وامكانية بقاء هذا الخطأ الى اليوم الاخير ، فاسرائيل لم تعد نفسها بالحرب متولدة من خطأ كهذا . بل ان شيء كان مبنياً على اساس ان يكون امام جيش

الدفاع الاسرائيلي فترة اذار مدتها ٤٨ ساعة على الاقل ، ولم يكن هناك مثل هذا الانذار . وقد انخفضت مدة هذا الانذار الى عشر ساعات فقط ، وحدث التأخير في الجدول الزمني حتى قبل فتح النار .

لقد حدث لاسرائيل ما حدث للمصريين في عام ١٩٦٧ وليس هنالك حاجة للاستعانة بأمثلة بحيدة وغير مطابقة تماما كعملية باربروسا التي قام بها الالمان والمجموع المفاجيء على بيرل هاربر . فليس في اسرائيل دكتاتور مثل ستالين الذي رفض ساخرا التحذيرات حول وقوع حرب وشيكة .. وعندما لم تنشب فجأة حرب مع دولة كانت تقيم معنا علاقات دبلوماسية ، فالمفاجأة والاطياء التي وقعت فيها اسرائيل عام ١٩٧٣ تشبه في تفاصيل كثيرة الاخطاء والمفاجأة التي وقعت فيها مصر عام ١٩٦٧ ، فوجه الشبه ليس فقط في نفس الجيوش ونفس الساحة ، ولكن ايضا في الخلفية النفسية التي كانت متشابهة في كلا الحالين . فسواء في عام ١٩٦٧ أو في عام ١٩٧٣ ضللت الاستخبارات قياداتها . فعندما كان واضحا ان الطرف الاخر يقوم بسحشد جيوشه ادمت الاستخبارات المصرية في عام ١٩٦٧ ، والاستخبارات الاسرائيلية في عام ١٩٧٣ ان احتمالات الحرب ضئيلة . وكانت تقديرات المصريين تقول ان حكومة ليفي اشكول لن تجرؤ على الهجوم ، في حين اعتقدت الاستخبارات الاسرائيلية ان السادات لن يجرؤ على شن الحرب . وفي كلتا الحالتين لم يكن السبب هو الخطأ في المرحلة الاخيرة ، بل الخطأ ناتج عن تطور مستمر .. فكلتا الطرفين اشتغلا قبل الحرب في موضوع امني ذي اولوية ضئيلة ، بحيث حول انتباههم عن الموضوع الرئيسي . لقد بذل المصريون جهودا ضخمة خلال سنوات في حرب بحميدة باليمن ، في حين اضطر جيش الدفاع الاسرائيلي وجهاز استخباراته لتخصيص جهود كبيرة في محاربة رجال المنظمات الفلسطينية .

وعلاوة على ذلك ، فانه لا القيادة المصرية ، ولا القيادة الاسرائيلية كانتا راضيتين من خططهما الدفاعية في سيناء .. فقد جرى نقاش في القيادة الاسرائيلية حول خطأ بارليف في حين جرى نقاش اخر في القيادة المصرية حول تطبيق خطة الدفاع التي اطلق عليها (القاهرة) . ورغم ان كلا من

الطرفين كان يرى عدوه وهو يقوم بحشد قواته ، الا ان ذلك لم يدفعه الى  
أن يحرك ساكنا .

في عام ١٩٦٢ لم يبعد المصريون طائراتهم عن المدرجات وكان الكثير من  
قادة الجيش المصري في الجوع عندما قام سلاح الجو الاسرائيلي بالهجوم ولقد  
كتب الكثير من الاستعداد غير الكامل في جيش الدفاع الاسرائيلي ، على الخطوط  
عندما نشبت حرب ( يوم الخفران ) ، فعندما نشبت الحرب كان للساعات الاولى  
من القتال اثر كبير في مصير الحرب .

وفي عام ١٩٦٢ كانت الساعات الاولى من الحرب هي الساعات التي  
قضى فيها سلاح الجو الاسرائيلي على الاسلحة الجوية العربية ، بينما  
في عام ١٩٧٣ كانت الساعات الاولى هي التي تقرر فيها نجاح عملية  
العبور المصرية ومصير المعركة التي جرت على القناة .

لقد اظهر زعماء كلا الجانبين ثقة مفرطة في البداية فجمال عبد الناصر  
دعا رابين للبدء بالقتال قائلا : ( اهلا وسهلا ) ، في حين وعد دايان واليهازر  
بضرب المصريين ضربة قاضية وتحطيمهم . كذلك كان رد الشعب  
مماثلا ، فكل من الجمهوريين العربي والمصري بشكل خاص توقع في عام ١٩٦٢  
انتصارا سهلا ، في حين آمن الجمهور الاسرائيلي ان حرب يوم الخفران ستكون  
استمرارا لحرب الايام الستة . وفي كلا الحالتين مرت ايام طويلة قبل قيام  
زعماء البلدين بالكشف عن الحقيقة الكاملة لما حصل في ساحة القتال .  
لقد انتزعت المفاجأة حالة ( الثقة بالنفس ) من الزعامة السياسية والعسكرية  
في اسرائيل . . . وقليلون فقط نجحوا في التخلص من ذلك في زمن الحرب . وحتى  
هؤلاء كانت خطواتهم بعد ذلك مترددة ، لذلك تميز معظم القرارات تقريبا  
بالحذر الذي لم يتميز بالفكر الاستراتيجي الاسرائيلي ، فلقد كشفت الصدمة  
حالا نقاط ضعف قديمة ، واغلبها معروفة .

وفي اثناء الترقب والاستعداد للحرب في ( يوم الخفران ) تكشف ضعف  
الفئة المقررة وهي أعلى فئة في اسرائيل . فلقد كان معلوما منذ مدة ان اجراءات  
اتخاذ القرارات في الحكومة الاسرائيلية محيية من اساسها . فالحكومة - كهيئة -

لم تسمح من التوتر على الحدود ، ولا من حشودات القوات العربية ، أو حالة  
التأهب في جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولا حتى امكانية نشوب حرب اقليمي  
المنظمات الاخيرة .

وحتى قبل الاعلان عن حالة التأهب في الجيش الاسرائيلي كانت قد تجمعت  
معلومات ذات اهمية ، وكان من الواجب طرحها امام الحكومة لتطلع على ما  
يجري بعد ان تقرر الاعلان عن حالة التأهب من درجة ( ج ) في جيش الدفاع  
الاسرائيلي وهو امر ليس مديا ابدا . والمتضمن في هذا الموضوع هم  
رئيسة الحكومة ووزير دفاعها الذي كان عليه أن ينبهها الى ذلك .  
الحقيقة الهامة هي انه ليس للحكومة الاسرائيلية - حتى هذا اليوم قيادة  
جماعية فعلية - فهي تعمل في ( مطابخ ) . وما حصل في الاسبوع الذي سبق  
الحرب أثبت مرة اخرى ان حكومة اسرائيل تتخذ قراراتها في المواضيع المصيرية  
ارتجالا . ولم تأت حكومة فولدا مثير بشيء جديد في هذا الشأن . كذلك  
فعلت الحكومات السابقة بصورة تتفق أكثر وحمل المنظمات السرية ، وكذولة مبتدئة  
ليس لها جيش متقدم ، وقد حافظت فولدا مثير وموشه دايان على هذا التقليد  
فالقرارات الهامة كانت ( تطبخ ) وتقرر قبل مناقشتها امام الحكومة ، وهذا ما  
حدث - مثلا - عندما اعترضت الطائرات الاسرائيلية الطائرة اللبنانية واجبرتها  
على الهبوط في اسرائيل ، فلقد تقرر ذلك ، باتصال هاتفني عاجل مع عدة وزراء .  
وقد اثبتت حرب ( يوم الخفران ) مرة اخرى انه ليس ما يتم تقريره هو فقط  
المهم ، ولكن ايضا ( كيف ) يتم تقريره . فلاسرائيل تقليد طويل في اتخاذ  
القرارات في المواضيع الحيوية بدون ان تكون الحكومة شريكة بذلك . ففي عام  
١٩٥٦ اتخذ دافيد بن غوريون قراره بالقيام بعملية سيناء ثم بعد ذلك  
فقط عرض قراره هذا لتصديق الحكومة . واستمعت الحكومة الى خطة الخروج  
للحرب عندما كانت آلة الحرب في اوج عملها . . كذلك تصرف بن غوريون بالنسبة  
لانتاج الاسلحة المتقدمة ، وفي مواضيع علمية وامنية ذات اهمية عليا ، وحتى في  
اتصالاته وعلاقاته مع الدول في شؤون شراء الاسلحة . . وكذلك ايضا عندما  
تقرر خطف ادولف ايخمان من الارجننتين . وعندما كان بن غوريون لا يريد أن

يحسم امرا ما كان يعرضه على مجلس الوزراء . وفي اواخر فترة رئاسته فقط .  
زاد انتقضااد الاحزاب لاسلوبه هذا .

ولقد تأثر بن فوربون عندما قررت اللجنة الوزارية للشؤون الامنية - رغم  
معارضته - بحث مسألة العلماء الالمان في مصر . وكذلك دعوة المسؤول عن  
جهاز الامن في اسرائيل ايسار هرثيل للمثول امامها . ولكن ضغط الاحزاب قد  
نتج عن اسباب شخصية اكثر منها رغبة في اصلاح اسلوب اتخاذ القرارات من  
تسيبمسبل الحكومة .

كما ان استعداد ليفي اشكول الذي حل محل بن فوربون ، في اشراك  
عدد أكبر من الوزراء في ما يجرى في المجال الامني قد نبع ايضا من اسباب  
شخصية ، وهي ضعف اشكول ورغبته في توزيع المسؤولية المطلقة على مائه كرئيس  
للوزراء ووزير للدفاع . وسارت فولدا مثير في هذا الموضوع على خطى سلفها .  
فهي لا تقرر الوقائع في المواضيع الحيوية . وقد اشركت عددا أكبر من الوزراء في  
اتخاذ هذه القرارات . ولكنها لم تقم لا هي ولا شركاؤها في هذه القرارات  
بتحسين عمل الوزارة الجماعي وتحسين اسلوب اتخاذ القرارات . وفي غياب  
الروتين ونظام عمل معين ، فلا عجب اذا كان معظم الوزراء قد سمعوا من  
احتمال نشوب الحرب قبل ساعتين من قيامها . وحتى ساعة قيام الحرب لم تكن  
الوزارة تعمل كمجموعة من الادمغة ، ولكنها عملت بأسلوب اقطاعي ، وبعد  
ذلك سست رئيسة الحكومة التي توزيع المسؤولية .

ان اولئك الذين كان من واجبهم اتخاذ القرارات لم يشعروا بما يجرى ،  
ليس فقط من ناحية نوايا العدو ولكن ايضا في ما يتعلق بقدرته وامكانياته . وليس  
هنالك من برهان افضل على ذلك من النقاش الذي جرى في حين كان واضحا  
فيه ان العرب سيقومون بالهجوم ، وذلك حول مسألة عدد الاحتياطي الذي  
يجب تعبئته . فلقد كان وزير الدفاع يرى انه تكفي قوة بسيطة للتلويح للعدو  
بالهجوم ، وقد اتسم هذا النقاش بالحدة والحنف وزاد في تأخير اسرائيل  
عن العمل . وبعد ذلك نشرت شائعة (كلنا متهمون) وعندما زادت الضائقة  
رفع الجميع اعينهم الى السطال . نحو هضبة الجولان . ولم يدرك احد ان

الامر يتعلق بحرب شاملة فتي كلا الجبهتين فنقلت قوة مدفعية من سيناء الى هضبة الجولان .

وكان ما يقلق دايان بصورة رئيسية هو مستوطنات هضبة الجولان ، وكان الشعور هو ان الامر يتعلق بيوم قتال في هضبة الجولان او بحملة محلية في قناة السويس .. وهذا ما يفسر عدم ذكر موضوع الحرب في اوامر التأهب التي صدرت للمواقع في اللحظة الاخيرة ، ولم يذكر فيها سوى الاستعداد للمقصف . والامر المذهل هو ان كل شيء قد استند الى افتراض انه من غير الممكن مفاجأة جيش الدفاع الاسرائيلي ثم تخطيط كل شيء من خلال افتراض يقبول بأنه في اسوأ الظروف ستكون هنالك مهلة انذار مدتها ٤٨ ساعة مسبقا . ولم تكن الخطط فقط هي التي بنيت على هذا الافتراض ، ولكن الفكر ايضا .. وهكذا كان هناك من البداية حاجز نفسي في القيادة . ومن الجائز ان تكون الاراضي التي اضيفت الى اسرائيل في حرب الايام الستة هي التي اضيفت على اسرائيل هذا الامان الزائد ، فوجود مناطق واسعة لمد الحرب روي انه من الممكن المخاطرة والتوفير في تعبئة الاحتياطي ، في حالة التوتر . وبدا ، مع مرور الوقت ، ان هذه الاعتقادات قد طغت على المصطلحات الاساسية الحقيقية في الواقع الجغرافي الجديد لاسرائيل . صحيح ان المناطق الجديدة قد اعطت اسرائيل زيادة في العمق الدفاعي ، ولكن هذا الواقع الجغرافي قد قصر قليلا من فترة الانذار الاستخباري . فحتي حرب الايام الستة كان الوضع معكوسا ، انه عندما بدأ المصريون بالتحرك الى داخل سيناء ، بدأ الانذار الاستخباري فورا ، اما بعد حرب الايام الستة فقد اصبحت القوات المصرية مركزة على طول القناة ، والانتقال للمجوم لم يستلزمها تحركات كبيرة . وفي وضع كهذا فانه من الصعب جدا الشعور بما يجري ولذلك كان يجب الخروج بافتراض ان فرصة المجوم المفاجيء قد اصبحت اقوى . وملاوة على ذلك ، فانه بسبب الاراضي الجديدة اصبحت خطوط الحركة بالنسبة لجيش الدفاع الاسرائيلي اطول ، واستلزمته عملية تحرك وحشدات الاحتياطي وقتا اكبر . وكان شعور الامة الذي ولدته المناطق الجديدة

هو بالتأكيد احد الاسباب الرئيسية لرفض اقتراح رئيس الركان بانزال ضربة وقائية مسبقة ظهر (يوم الخفران) \*

ومع ان الخوف مما كان سيقوله العالم لو قامت اسرائيل بذلك — ورد ،  
الفعل الامريكى ايضا بقى اديا برئيسة الحكومة ووزير الدفاع الى رفض اقتراح  
رئيس الركان ، فانه من المشكوك فيه كثيرا ان يكون هذا الاقتراح قد رفض لو  
لم تكن المناطق التي تسيطر عليها اسرائيل موجودة \* فالمناطق الجديدة هي  
التي خلقت الانطباع بان قابلية التحمل في جيش الدفاع الاسرائيلى اكبر ، ولذا  
فمن الافضل المخاطرة وعدم البدء في ضربة وقائية \*

ومن المؤكد ان المؤرخين سيتجادلون كثيرا حول هذا القرار ، ولكن من  
الواضح ان الضربة الوقائية لم تكن لتمنع الحرب الحروب ومن اوامر العمليات  
المصرية يمكن الاستنتاج بان المصريين قد اخذوا بالحسبان الضربة الوقائية \*

ومع ان هذه الضربة كانت ستوقع بالعرب خسائر فادحة الا انه من المشكوك فيه  
ان يكون بإمكانها ايقاف هجومهم \* فلكون عيون رئاسة الركان الاسرائيلية  
كانت متجهة شمالا ، لذا كانت الضربة الوقائية لسلاح الجو موجهة ضد سوريا  
ومن المشكوك فيه ما اذا كان سلاح الجو سيوجه طائراته في هذه الضربة  
الوقائية الى مصر ، ومن هنا فان عبور القناة كان امرا لا يمكن منعه \* وكانت  
الضربة الوقائية ستؤدي فقط الى قيام المصريين في جبهة القناة ، بتحريك  
دباباتهم الى مواقعها قبل الهجوم واصدار الامر للمهازل المصرية بالتأهب الى  
الدرجة القصوى \*

ويشير الاقتراح بانزال ضربة وقائية مسالة اخرى \* فقد بدأت الاستعدادات  
في سلاح الجو لمثل هذه الضربة يوم الجمعة ، عندما اعلن عن حالة تأهب  
(ج) في الجيش النظامى الاسرائيلى \* وبمعنى اخر ، فان رئيس الركان قد  
استعد للحرب حتى قبل وصول النبا الأخير (في يوم الخفران) في الساعة  
الرابعة صباحا \* وقد قام بخطوة منطلقية عندما اصدر امره لسلاح الجو  
بالاستعداد للهجوم ويمكن القول بانه كان سيصطدم بمعارضة اشد من  
تلك التي جوبه بها في صباح (يوم الخفران) عندما اقترح تعبئة كامل



الاحتياطي . ولكنه مع ذلك ربما كان قد نجح في تحريك الامور . ولكن الامور لم تتم بهذا الشكل ، فلقد أقيمت سلطة ببدء الحرب للصرب . ولزيادة المصيبة فلقد كانت الاستعدادات في الخطوط الامامية هزيلة ايضا ، او ليست كاملة . فمع ان كافة المحافل قد تبذرت اوامر بالتأهب الا انها لم ترفي هذه الاوامر اذارا بالحرب او استعدادا لمواجهة عبور الاف المصريين للقناة . وهناك من يعتقد بأن اخطر خطأ ارتكب كان الانذار الذي وجه قبل الظهر للسواء مند لربعدم تحريك الدبابات الا قبل موعد الهجوم المرتقب بساعتين . وقد استند الامر الى افتراضاته ليس هناك شك في ان الهجوم سيبدأ في الساعة المذكورة في نيا الاستخبارات بالضبط . والسبب ما لم يفترض اي شخص ان يكون هذا النبا غير صحيح او مضللا او ربما قصد به الافشال . فلقد استندت خطة الدفاع على هذا المود فقط واتضح الان ان الجميع كانوا على خطأ بتسككهم بالساعة السادسة مساء . ويتضاعف الاستغراب عندما تعرف انهم - في جيش الدفاع الاسرائيلي - كانوا يعتقدون امكانية قيام المصريين بالمجوم وانزال ضربتهم بعد الظهر . وفي عام ١٩٦٩ قدر اللواء عيزروايزمن خلال مناورة عسكرية ضخمة ان افضل وقت بالنسبة للمصريين لبدء هجوم العبور هو ما بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر فهذه افضل ساعة لانها تترك للمصريين عدة ساعات من الضياء ولا تكشفهم فترة طويلة لسلاح الجو الاسرائيلي .

#### ٧ تشرين اول ١٩٧٣

في اليوم الثاني للحرب كان الخبر الحام هو ذلك الخبر الذي وصل من جنوب البحر الاحمر . فمن على جسر ناقلة نפט كاملة الحمولة ، كانت تشق طريقها الى ميناء ايلات ، لاحظ الضابط الاول ذيل قديفة طوربيد تنطلق نحو سفينته ، ولكن الطوربيد <sup>أخطأ</sup> هدفه ومر بجانب مؤخرة السفينة ، وفي الحال شاهد الضابط طوربيدا آخر يقترب نحو السفينة . ومن ان فرصر المناورة بالنسبة للناقلة الضخمة أمام الطوربيد كانت ضعيفة ، الا انه ولحسن حظ طاقم السفينة ، كان المستوى الفني لمطلق الطوربيد ضعيفا ، وكذلك مر الطوربيد الثاني بجانب مؤخرة السفينة وكان اقرب لطاقم السفينة من الاول ، ولا شك ان مصدر الطوربيدات كان غواصة مصرية .

وكانت الناقله تحمل ملما اجنبيا ، ولكن من المحتمل ان يكون اسم هذه  
الناقله موجودا في القائمه المصريه للسفن العاطمة في نقل المحروقات لاسرائيل .  
وكان معنى هذا الهجوم حصارا بحريا على اسرائيل ، اى ان الطريق  
البحري الجنوبي اصبح مغلقا أمام الحركه .  
ولقد كان اغلاق مضائق شرم الشيخ في عام ١٩٦٧ سببا جعل اسرائيل  
تشن الحرب . . . فعندما اعلن عبد الناصر في ذلك الوقت من تعطيل الملاحة  
الاسرائيلية كان واضحا انه لا مفر من الحرب ، والان يقوم المصريون بفرض  
الحصار في الشطر الجنوبي للبحر الاحمر ، بالقرب من مضيق باب المندب .  
وبعد حرب الايام الستة بقيت في موانئ البحر الاحمر ثلاث مدمرات وفواصتان  
مصريتان ، وكانت منقطعة عن موانئها الرئيسية في البحر الابيض المتوسط . ولاجل  
التصليحات والتحسينات الاساسية كانت هذه السفن البحرية تبحر الى الهند .  
وفي حرب الاستنزاف افرقت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي احدى هذه المدمرات .  
كانت هذه السفن المصرية قديمة ، ولكنها تكفي لمنع مرور السفن التجارية ،  
خاصة وان الاسطول الحربي الاسرائيلي في البحر الاحمر صغير جدا ، وفي  
هذه الساحة ليس لاسرائيل الان زوارق صواريخ حديثة . وفي البحر الاحمر  
يعتمد سلاح البحرية الاسرائيلي على مراكب صغيرة وسريعة ولكن مداها قصير .  
افلق طريق النفط المؤدى الى ايلات ، وليس من المناسب الان ايضا  
المخاطرة في نقل المحروقات الى ايلات من آبار ابورديس في سيناء ، وليس  
اسرائيل ان تعتمد على خزانات الطوارئ التابعة لها ، وان تأمر في اثناء ذلك  
الناقلات القادمة من الشرق بالدوران حول راس الرجاء الصالح متجهة  
الى جبل طارق ومن هناك الى البحر المتوسط .  
لقد اصدر وزير الدفاع امرا بعدم السماح بنشر انباء الحصار في باب  
المندب ، وليس هذا اول نبيأ يمنع نشره . كما لم يسمح ايضا بنشر نبيأ  
الصاروخ الذى اطلق باتجاه تل اببيب . كما اصدر اللواء اهارون ياريف -  
الذى اسندت اليه في الايام الاولى مهمة الاعلام - امرا بعدم نشر اى نبيأ عن  
سقوط موقع جبل الشيخ . وقد كان لاختفاء هذه الانبياء اثره في زيادة الصدمة  
عندما تبين في مرحلة لاحقة جسامه الخسائر في المعركة .

ومع الفجر طلب رئيس الاركان التحدث مع اللواء جونين هاتفيا ليجري له مشاكلة  
في الشمال . و اضاف رئيس الاركان قوله : ان السوريين قد وصلوا في عدة اماكن  
الى سفوح الجولان ... وطلب من جونين رأيه حول نقل معنم الطائرات الى  
الشمال . واجاب جونين بانه سينسولي الامر .. و اضاف انه واضح لديه أنه  
اذا اقتحم السوريون الجبهة الشمالية فسيصلون الى المستعمرات  
الاسرائيلية ، أما المصريون فسيقتولون في الصحراء .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي منتشر على طول الطريق التي شقها سلاح  
الهندسة الاسرائيلي على طول القناة وعلى بعد تسعة كيلومترات من القناة ، و  
لاستعمال بطاريات مدفعية الجيش الاسرائيلي في حرب الاستنزاف . وهناك  
البعض من تركوا هذه الطريق ويتواجدون الان شرقها ، وهذا يعني أن معظم  
المواقع مطوقة ، ومن هذه اللحظة كان عليهم ان يقفوا لوحدهم . وصح ان  
بامكانهم تلقي مساعدة من المدفعية او من الطائرات الا ان هذه المساعدة  
كانت ضعيفة جدا هذا الصباح .. وكانت هذه المواقع تشكل في هذه المرحلة  
نقاط استكشاف ، وكانت هدمي المصدر الوحيد للتقارير الفورية المباشرة عما  
يجري في القناة . ولكن لم تكن هذه التقارير لتعطي صورة كاملة عما يجري  
في سيناء ، ومن مدى تفوق المصريين ومدد القوات التي ادخلوها الى سيناء  
وصورة المعركة في القيادات لم تكن واضحة . ان .

وفي الساعة السادسة صباحا وصل اللواء ارييل ( اريك ) شارون الى ريديم  
وكان يستقل سيارة مدنية تم تعبئتها في عسقلان . وكانت وحدة الدورية  
التابعة لقواته قد سبقت الى الوصول . وكان اسحق اجام وزملاؤه قد اقتربوا  
من طريق البطاريات في الرابعة صباحا . وفي ريديم التقى شارون باللواء مندلر .  
وكان مندلر تحت قيادة شارون قبل سنتين ، وشارون يعرفني مندلر  
القائد الحريص الذي يميل لاتخاذ وسائل الاستعداد . وسأل شارون مندلر  
باستخراب : ( لماذا لم توزع الدبابات قبل الهجوم ؟ ) ، واجاب مندلر بصوت  
مخفف : ( لقد تلقيت أمرا بعدم توزيع القوات ) .

وفي الليل اقام المصريون جسورا جديدة ، وقام رجال سلاح الهندسة

المصريون بحملهم هذا بصورة جيدة خاصة وان النيران الاسرائيلية لم تكن شديدة . وقد استعملوا معدات سوفياتية متطورة وكانت جسور سلاح المشاة من انتاج محلي ، وكذلك ادخلوا في العملية عوامات من صنع انجليزى ، وجسورا مائة من صنع ألماني ، واقاموا احد عشر جسرا معاصمها في القطاعين الاوسط والجنوبي من القناة .

على هذه الجسور تم حتى الصباح نقل خمس فرق من سلاح المشاة المصرى ثم بدأوا بعد ذلك في نقل مركبات ودبابات تعتبر جزءا من هذه الفرق . وبينما كان سلاح المشاة المصرى يتقدم الى الامام كانت المركبات والدبابات تمر دون اذى وحوالى الظهر جرى في مركز القيادة العليا نقاش خاطف حول ما يجسر على الجبهة المصرية ، وكان واضحا للجميع ان وضع جيش الدفاع الاسرائيلي على طول القناة صعب للغاية . ولم ان المصريين قد نجحوا في اقامة جسور عديدة في اثناء الليل .

وبدا الحديث عن تقوية خط الدفاع الجديد ، ولم يذكر اى شخص كلمة (الانسحاب) ، بل كان كل الحديث يدور حول اعادة التنظيم . وقد ورد ذكر طريق العرض والتي تبعد حوالى ثلاثين كيلومترا شرقي القناة . وقال بينسي بيلد قائد السلاح الجوى : ( اننا سنهدم الجسور وكان شيئا لم يكن ) ، وهذا يعني ان على سلاح الجو تسخير جهوده من الشمال الى الجبهة الجنوبية . وفعلا صدر في الساعة الثانية بعد الظهر الامر بتحويل قسم كبير من الطائرات الى الجنوب ، لضرب الجسور المصرية التي اقيمت على قناة السويس . ان هذه الاهداف لم يكن من السهل اصابتها . فلقد كانت ستائر الدخان التي اطلقها المصريون قرب الجسور تجعل من الصعب على الطيارين رؤيتها . كذلك اقام المصريون بعض الجسور الوهمية . وعمل رجال الهندسة المصريون في الفترات التي كانت بين الفترات . وكانوا ينزلون في الماء عائمات خشبية جديدة ، ويقومون بتبديل القطع التي اصبحت . وعندما كانت الجسور تتعرض لاصابات كبيرة كان المصريون يلجأون الى حيل اخرى . فبعد عبور قسم من القوات وقبل عبور قسم اخر كان المصريون يقومون بفك طرف الجسر ويسحبونه

حتى يلتصق بالحافة الشرقية من القناة ، بحيث تصعب رؤيته من الجو ، وبذلك كان يصعب على الطيارين الاسرائيليين اكتشاف الجسور واصابتها \* وكان على الطائرات - لكي تضرب الجسر المصق بالمانع الترابي الشرقي - ان تخير من الضرب ، من الجانب المصري الملي ، بالصواريخ والمدافع المضادة للطائرات .  
ومند ما كانت الطائرات الاسرائيلية تبتمد ، كان المصريون يقومون بتعميم الجسور مرة اخرى ويوصلونها من جديد بالطرف الاخر من القناة .

ومع كل ذلك كان الطيارون يوقعون اصابات في هذه الجسور . وقد سجلت اصابات ظاهرة في تسعة جسور . ومند ما بدأ سلاح الجو الاسرائيلي عمله في القناة تأخر تدفق الطوابير المصرية الى سيناء ، فاذا استطاعت تشكيلات الاحتياطي القيام بهجوم مضاد في الغد فسيكون لنشاط سلاح الجو اثره .  
اما اذا لم تستطع ذلك ، فمن المشكوك فيه الاستمرار كثيرا في هذه التفارات . ان هذا النشاط من سلاح الجو كان ذا قيمة كبرى ، وقد كان يهاجم الجسور بدون الالتفات اولا الى بطاريات الصواريخ الخربية من القناة . كذلك كانت تطلق من شرقي القناة باتجاه الطائرات عشرات من صواريخ الكتف من نوع سترا وكانت هذه الصواريخ تنطلق كسجائر مشتعلة باتجاه الانابيب القاذفة في الطائرات وشاهد جنود جيش الدفاع الاسرائيلي من مواقعهم اصابة طائرتي سكاى هوك وقد انفجرت احدي الطائرات على ارتفاع عال ، وانطلق من الطائرة الاخرى الطيار بمظلته وهبط في غربي القناة . والى الشمال قليلا ، وبجانب بور سعيد اصيبت طائرة فانقوم وهبط احد الطيارين قرب قرية مصرية .

\* \* \*

اصبحت الجهود المصرية الرئيسية واضحة للاسرائيليين وقد تركز الجهد الكبير جنوبي البحيرة المرة الكبرى ، حيث يعمل الجيش الثالث بقيادة الجنرال مبد المنعم واصل ، الذي كانت قواته تتسلل الى الطرق المؤدية الى محاور المتلة والجدى . كما كان هنالك جهد كبير في القطاع الاوسط بين الاسماعيلية والطرق المؤدية الى ريديم . وفي رأس الجسر هذا يعمل الجيش المصري الثاني بقيادة الجنرال سعد مأمون كما توغلت قوات باعداد اقل قرب القنطرة .

واحرز المصريون هنا مكاسب فورية . فقد اغلقت قواتهم الطريق على طول القناة واستولت على القطاع الشمالي من القنطرة وحتى بورسعيد .  
لقد كانت المدرعات الاسرائيلية بقيادة ألبرت آخذة في الانسحاق ، وكان معظم الخسائر بفعل سلاح المشاة المصري . كما اصبحت في الحال بعض الدبابات المصرية التي حاولت التقدم . وكانت هنالك وحدات مصرية تتقدم ببطء وتستولي على الاراضي التي أمامها . وكانت هذه الوحدات محمية من الامام بالاف الصواريخ المضادة للدبابات من نوع ساغر . وكان جزء من هذه الصواريخ محمولا على ناقلات جنود ، ولكن معظمها كان محمولا من قبل الجنود في حقائق صغيرة . وكان كل جندي بين يشكّلان وحدة صواريخ ، احدهما ينصب الصاروخ ويشد الاسلاك ويوصل المآخذ ، والاخر بعيد عشرات الامتار كان يقوم بتوجيه الصاروخ الى هدفه بالاستعانة بجهاز خاص . وكان سلاح المشاة المصري يتقدم ببطء ، في حين كان سلاح المدرعات الاسرائيلي يتراجع الى الوراء ، فلم تكن هنالك مدفعية كافية لحماية المدرعات الاسرائيلية من الخلف . وكانت الخسائر في الدبابات جسيمة جدا ، الى درجة انه اتضح بعد الظاهر انه لم يبق سوى اقل من نصف الدبابات التي كانت في سيناء عند نشوب المعارك . في الواقع فقد استولى المصريون على القناة . ومع ان معظم المواقع كانت صامدة ، ولكن من ناحية عسكرية ، فقد نجحت عملية العبور المصرية . وتعرضت القوات الرئيسية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي في قناة السويس لضربات فادحة . ولم تكن الجبهة الداخلية تعلم بذلك . كذلك لم تكن الحكومة متنبهة الى المدلول العسكري للتوفيل المصري ولخسائر المدرعات . فلقد كان هناك وزراء على قناعة بأنه خلال زمن قصير سيتم طرد القوات المصرية الى ما خلف القناة . وتحدث بلاغ الناطق باسم جيش الدفاع الاسرائيلي عن خسائر القوات الاسرائيلية في قناة السويس بتعبيرات عامة وبصورة غامضة . وقد جاء في البيان الرسمي ( ان قواتنا المدافعة قامت بتعزيز خطوط دفاع جديدة مقابل رؤوس الجسور المصرية ) .  
وكانت التقارير الصحفية لمراسلي المتحدث الرسمي باسم جيش الدفاع

الاسرائيلي الذين تواجدوا مع الوحدات العسكرية والذين بلغ عددهم واحداً  
واربعين مراسلاً صحفياً تتحدث فقط عن انتصارات • وكانت الرقابة تشطب  
كل اشارة او تلميح الى انسحاب القوات الاسرائيلية والعقبات التي تعترضها •  
كذلك لم يكن الامر اليومي الذي اصدره اللواء مند لريتحدث الا عن الانجازات  
فقد جاء فيه : ( ايها الجنود ، لقد وقفتم في وجه محاولات الاقتحام الرئيسية  
(للعدو والمصري) •• ولقد حققنا مهمتنا الاولى ، وتم صد العدو • ولقد  
تلقي خط الحصون الضربة الاولى ووقف صامداً ، وقبل ان يمسر اليوم  
ستظهر قوة جيش الدفاع الاسرائيلي ) •

وكان رجال الاحتياطي ينقلون الى سيناء على عجل ، كما كانت هناك سرايا  
ودبابات متفرقة تسرع بصورة مضطربة ، ولم تكن هذه تحركات قوة مركزة بحيث  
يمكنها الاشتراك حالاً في الهجوم • وحاول المصريون مرقلة تحرك الاحتياط •  
وفي المحور الشمالي اصطدمت قوات نتكة الواقعة تحت امرة ادن ببرجال  
الكوماندو والمصريين • وكانت دبابات نتكة قد وصلت في الليل الى مشارف روماني  
التي تبعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من القنطرة • وقام الجنود بانزال المدومات  
عن حاملاتها ، وفجأة فتحت عليهم نيران كثيفة من قذائف البازوكا والصواريخ  
ومدافع المورتر •

وكانت النيران تأتي من الشجيرات التي كانت على جانبي الطريق ، واصيبت  
بعض الدبابات ، وبدأت معركة طويلة لرجال الكوماندو والمصريين •  
وحوالي الساعة السادسة والنصف صباحاً تلقى رفائيل ايتان الذي كان  
موجوداً في موقع القيادة في معسكر نافع تقريراً بأن الدبابات السورية تحاصر  
المكان ، فاحتار بعض الوقت ثم اصدر أمراً لرجاله باخلاء نافع والتوجه نحو  
جسر بنات يعقوب الموجود في منحدر الطريق على بعد عدة كيلومترات من نافع •  
وانتظر رفائيل وقيادته في مكان قريب من الجسر ، وعندما مرت ساعة ولم  
تصل من معسكر نافع اية اخبار عن اقتحام السوريين له ، اصدر أمره بالعودة  
الى المعسكر ، فاجهزة الاتصال الموجودة في الموقع افضل بكثير ، ومن هناك  
يمكن الاتصال بسهولة • وبقي في المعسكر جنود قلائل ، ولم يكن رفائيل يعلم

انه لن تمر ساعة حتى يكون عليه أن يفر من المكان مرة اخرى ، وفي هذه  
المرّة كانت قذائف الدبابات السورية تطارده .  
كان الاستحكام مكتنفا وخائفا ، وعلى ما يبدو فقد اصابت قذيفة اجهزة  
التمويه ، وخرج داني - وهو ضابط اركان - لاستنشاق الهواء الطلق ،  
فاصابته الدهشة عند منسفا اكتشف على بعد عشرات الامتار بالقرب من  
جدار المحسكرد بابتين سوريتين ، ومن خلفهما دبابتان اخريان تقترسان .  
وتجمد لحظة لمراى الدبابات السورية فهو لم يمر بمثل هذا الوضع طيلة  
المعارك التي خاضها منذ كان في البالماخ . وباد الى الاستحكام وبصوت  
خافت جدا توجه الى رفائيل ايتان بقوله : ( ان الساعة هي الثانية عشرة  
الادقيقة ، ويجب علينا الخروج ، كما ان الدبابات السورية على حدود المحسكرد ) .  
واجابه رفائيل بدون ان يلتفت اليه ( حسب ما تقول فان الساعة هي الثانية  
عشرة ودقيقة ) . وفي هذه اللحظة ادخل الى الاستحكام جندي مدريات كان  
قد اصيب في بطنه اصابة خطيرة ، وكان هذا الجندي بداخل دبابته التي  
كان عليها شبكة التمويه ، وفجأة اكتشف هو ورفاقه وجود الدبابات السورية .  
وفي القذيفة الاولى اصابوا احدى الدبابات السورية ، ولكن بسبب عدم  
استطاعتها المناورة بالدبابة ، فقد كانوا يشكلون هدفا ثابتا ، فتمكنت  
احدى الدبابات السورية من اصابتها .  
اصدر رفائيل أمره لرجال قيادته بالخروج ، وهربوا الى مركباتهم  
وكان معظمها مصفحات اكثر حماية من غيرها ، وتوجه رفائيل وداني الى  
الى سيارة الجيب ، وفي اثناء الخروج اصيبت احدى العربات نصف  
المجنزة اصابة مباشرة ، وقرر فجأة احد الضباط ، وهو رجل احتياط الحودة  
الى الاستحكام ، وقال لرفائيل انه سيطلب من سلاح الجو الافارة على  
السوريين الذين كانوا على وشك الدخول الى المحسكرد . واثناء دخوله الى  
الاستحكام تبين للضابط انه في وضع لا يحسد عليه ، فهو - وان كان  
يستطيع استدعاء سلاح الجو - ولكن من المشكوك فيه ان يكون بإمكانه  
الخروج من المكان . . واقتربت دبابة سورية اخرى من الجدار ومن ورائها  
شوهدت مصفحة سورية مليئة بالجنود السوريين .



وبقي في داخل المعسكر احد عشر جنديا من ضمنهم الجندي المصاب بجراح خطيرة . وكان السوريون يسيطرون بنيرانهم على منطقة المعسكر جميعها .  
وبقي الضابط والجنود في الاستحكام حوالي نصف ساعة تقريبا وهم لا يستطيعون الحراك ، الى ان وصلت دبابة اسرائيلية وحيدة ، ووقفت قرب الاستحكام وقامت بفتح نيرانها تجاه المدربات السورية كما وصلت من الشمال ثلاث دبابات اخرى لتقديم المساعدة وقد اصيبت بحمض الدبابات السورية التي كانت قرب جدار معسكر نافع وانسحبت الدبابات الاخرى .

كان مردخاي هود موجودا في قيادة المنطقة الشمالية الى جانب اللواء اسحق حوفي . وفي الجبهة الشمالية كانت المدربات السورية قد توفلت فسي القطاع الاوسط وجنوب هضبة الجولان . في اثناء الليل تم سحق معظم القوة الاسرائيلية في هضبة الجولان ، وفي الشمال ، قرب القنيطرة ، بقي لواء واحد صامدا . لقد كان الاهتمام منصبا على صد السوريين في جنوب الهضبة ، حتى تصل وحدات الاحتياطي بعد ثماني أو عشر ساعات ، ولم يكن هناك سوى سلاح الجو ليقوم بعملية التصدي .

وصل موشه دايان مع الفجر الى قيادة المنطقة الشمالية وتشاور هناك مع اسحق حوفي ومردخاي هود . وكان الثلاثة يعلمون انه ليس هناك في الواقع بجنوب الهضبة دبابات اسرائيلية كافية لايقاف تقدم المدربات السورية . فمن هناك سينزل السوريون الى غورغينو سار الهادي ، وفيير المستعد للحرب ، ثم الى كيبوتس دجانيا . وقال مردخاي هود في هدوء : ( باستطاعتي ان اسيطر على الجنوب اذا توفرت لي الطائرات اللازمة ) . فحتى ذلك الوقت كانت تحت امرته لهذه الغاية اعداد غير كافية من الطائرات استمع دايان الى اقوال هود ووجهه بان يبذل جهده لدى رئيس الاركان وقائد السلاح الجوي . وبعد ساعة من مغادرة دايان المكان تلقى حوفي وهود نبأ بان طائرات اضافية قد امرت بالتوجه لصد السوريين في جنوب الهضبة . وتطلع حوفي الى هود وقال : ( لقد ولدت في دجانيا ، ولن ادم السوريين يصلون الى هناك ، وسأتولى الامر بنفسني ) .

ووفى هود بوعده ، فحتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وقبل وصول قوات كبيرة من الاحتياطي الى جنوب الهضبة ، كانت الطائرات فقط هي التي تقوم بعملية صد الدبابات السورية . وعند وصول الاحتياط كانت طلائع القوة السورية تبعد عدة كيلومترات من مصب نهر الاردن في بحيرة طبريا .

وعلى مدخل القنيطرة في القطاع الشمالي من هضبة الجولان كان الوضع افضل ، فزعم ان لواء المدرعات الذي كان يقوم بعملية الصد قد تلقى بعض الضربات ، الا انه لم ينسحب . وكان يكيل الصاع صلمين عن كل اصابة يوقعهما السوريون المهاجمون . وعند الظهر قتل في مركز الهضبة قرب معسكر نافع قائد لواء في هضبة الجولان ، يدعى : اسحق بن شوهم ومساعداه دافيد يسرائيلي . وفي البداية اصيبت دبابة السنثوريمون التي كان فيها مساعد قائد اللواء ، وبعد ذلك اصيبت دبابة قائد اللواء ، وقتل معه ايضا ، ضابط عمليات اللواء ويدعى بيني كيشين .

منذ الليل وكتيبتان من اللواء تقهقران ببطء . وكانت قوة هذا اللواء تتحطم ساعة اثر ساعة ، فقد سيطر السوريون على المنطقة المحيطة بناح . وكانت دبابات تي ٥٥ تمر في الطريق الرئيسي بين جسر بنات يعقوب والقنيطرة ، حتى اقتربت من الجسر الصغير الواقع على نهر الاردن بحوالي عشرة كيلومترات وكان على قائد اللواء بن شوهم ان يحدد مسبقا وجهة هجوم السوريين ، حتى يسرع بتجميع الدبابات القليلة التي بقيت لديه وارسالها على جناح السرعة لصد القوات السورية المقتحمة . وكان من الصعب تحديد مكان توغل السوريين في الليل ، ولكن مع طلوع النمار اختار بن شوهم مكانا مرتفعا للاستطلاع ، وخرج من دبابته ووقف على برجها لاستطلاع المنطقة . وعندما شاهد دبابات سورية اشار لقواته الى الاتجاه الذي تتقدم فيه هذه الدبابات ، ولكن بن شوهم قتل عندما اصابت قذيفة دبابته التي كانت في هذا المكان المكشوف .

كذلك تلقت القوة الاحتياطية الاولى التي وصلت الى هضبة الجولان بعض الضربات ، وقد حاربت بالقرب من كيبوتس مين زيفون ، كذلك حاربت سرية موشيك فاكس بشراسة بالقرب من طريق النفط . وكان معظم رجاله

من حيفا ومن الشمال ، وكان يشجع رجاله بالنداءات ، وبين الفينة والاخرى وخلال النيران المنطلقة كان يقوم بالانشاد بواسطة الميكرفون . واشتعلت احدى دبابات السرية وطار برجها بانفجار هائل . وكان موشيك ينشد وهو يعرف خطورة الموقف . وقبل مقتله بدقائق معدودة نادى على جماعته بالميكرفون قائلاً :

( ايها الاصدقاء : اذكروا اننا نحارب هنا من اجل بيتنا ، واذنا تراجعنا

فان السوريين سيصلون الى حيفا ) .

وكانت سرية ايال شاحم تقاتل الى الجنوب ورغم ان الدبابات التابعة لها كانت موزعة خلف المواقع ، الا انها كانت توقع الاصابات من الخلف بالمركبات السورية التي تحاول الاقتراب للموقع . وكان ايال يحافظ على اتصال مستمر مع قائد الموقع الذي اقامه من لواء جواني ، اذ كان يشاهد من فوق احدى التلال كسل حركة في المنطقة .

كان السوريون قبل ساعتين قد اكتشفوا القوة التابعة له وقاموا بصب نيران مدفصيتهم على التلة . وقد اصيبت دبابة ايال فانتقل الى برج دبابة اخرى الى ان تم اصلاح دبابته . وكان سائق دبابته هو موشيه نيلي والى جانبه في البرج عمراى ترجمان ودافيد جولان . وفجأة سقطت على برج الدبابة قذيفة مدفع مورتر وقتل ايال وعمراى ، ولم يبق على قيد الحياة سوى السائق موشيه نيلي الذى اصيب بصدمة .

وقال قائد الموقع : ( لقد كان ذلك في الساعة الواحدة وعشر دقائق

بالضبط من يوم الاحد . وكنت اتحدث مع ايال ، وفي هذه اللحظة تماماً انقطع صوته . ولقد كانت هذه لحظة بالنسبة لنا . فلقد كان ايال يحمينا من الخلف في اصعب ساعات الحرب ) . . . ولم يبق في نهاية الحرب سوى ثمانية رجال من سرية ايال شاحم التي كان عدد افرادها ٤٨ رجلاً . وكانت هنالك قوات احتياطية اخرى تصعد الى هضبة الجولان في المحور الجنوبي الذى يؤدى الى يهودية ، وكان عليهما الاسراع في الوصول الى الجبهة ، فكل لحظة هامة ومصيرية . . . وكان جزء كبير من الدبابات يخرج من

ميناء حيفا ، وكانت الدبابات تسير على مجنزراتها راسا ، ولم يكن بالامكان الانتظار حتى تصل جميع القوة . وكانت الوحدات تدخل الى المنطقة فسي مجموعات ، على ان يتم توزيعها الى اطقم في الجبهة ، وتوجهت سريتا دبابات بصورة مركزة الى مصب نهر الاردن في بحيرة طبرية ، ومن هناك الى مزرعة كاتشه التي وصلت اليها طلائع الدبابات السورية والى الشرق قليلا جرت معركة بين رتل من الدبابات السورية وكتيبة مدعات تابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي . وكانت نتائج هذه المعركة ستقرر مصير جنوبي هضبة الجولان ، وكان كل من الطرفين يسعى للسيطرة على مرتفع جملا الذي يشرف على بحيرة طبرية وفور غينوسا ، وسيطر على منطقة كبيرة . ومن يسيطر على هذا المرتفع فانه يقرر سير المعركة هنا . ومن الشرق كانت الدبابات السورية تهيء تصعد بأقصى جهد من محركاتها . ومن التلال القريبة كان جنود جيش الدفاع الاسرائيلي يراقبون السباق ، وكان من بينهم رجال احتياط وصلوا لتوهم . وكان اول من تسلق المرتفع ثلاث دبابات سنتوريون وقامت بتوجيه مدافعها الى المنحدر المقابل واصابت من على بعد عدة امتار الدبابات السورية الاولى ، فتراجعت المدعات السورية من جملا ولكنها لم تدمن . . . وقامت دبابات اخرى بمحاولة للتطويق والوصول الى جسر اريك على نهر الاردن .

وفي جبل الشيخ احرز السوريون نجاحا بارزا . فقد استولى رجال الكوماندو السوريون على موقع جبل الشيخ من الخارج ، فاضطر عدد من جنود جيش الدفاع الاسرائيلي للخروج من استحكاماتهم بسبب الدخان الكثيف ، وقاموا بتسليم انفسهم للسوريين ، بينما استمر الآخرون في القتال بداخل الاستحكامات وهم يختبئون في الخرف الداخلية ، وقد امتنع السوريون عن اللحاق بهم .

وفي الليلة الاولى حاولت مجموعة مكونة من خمسة مقاتلين ان تشق طريقها الى الخارج ، ولكنها وقعت بأيدى السوريين قرب الموقع ، وخرجت خلفها مجموعة ثانية مكونة من عشرين شخصا من رجال الموقع وشقت طريقها بوابل من النيران والرصاص ونجح معظم رجالها في الابتعاد عن الموقع ، وكان على رأسهم قائد الموقع وهو ضابط برتبة ملازم . ولكن ما ان ابتعدوا قليلا حتى وقعوا

في أول كمين سورى ثم تلاه بعد ذلك كمان سوربة اخرى ، فقتل معظمهم ، ولم ينج منهم سوى اربعة اشخاص تمكنوا من الوصول الى قوات جيش الدفاع الاسرائيلي . وكان بين الناجين قائد الموقع ، وعند وصولهم الى القوات الاسرائيلية رووا لقائد لواء جولاني انه قد بقي هناك في استحكام موقع جبل الشيخ مقاتلون رفضوا الاستسلام وانهم واثقون بان القوات الاسرائيلية ستعمل على انقاذهم فصحق قائد جولاني لذلك واتصل بقائد الجبهة الشمالية وطلب منه ان يسمح له بمهاجمة الموقع واستعادته ولكن قائد الجبهة تردد ، لان المنطق العسكري يقول لا ؟ . فبعد وقت قصير سيقوم الجيش الاسرائيلي بحملة شاملة ، ومن المحتمل جدا ان تتم السيطرة على جبل الشيخ من الخلف ، مع اجزاء منه واقعة تحت السيطرة السورية ولكن ، من جهة اخرى ، فان الواجب الادبي ازاء المقاتلين الذين بقوا في الاستحکامات يطلي عليه الاستجابة لطلب قائد جولاني ، ووافق قائد الجبهة على الهجوم ، وفعلا في صباح اليوم التالي بدأ لواء جولاني في الهجوم .

\* \* \*

ولقد استفاد الروس من نجاح السوريين في جبل الشيخ ، فبعد ساعات قلائل من سقوط كامل الموقع بيد رجال الكوماندو السوريين وصل الى المكان مستشارون سوفيات ومن ضمنهم فنيون والكسترونيون ، وكانت ميونهم تتطلع الى شيء واحد فقط ، الا وهو المعدات الالكترونية الكثيرة التي كانت في الموقع . وقام الروس بوضع علامات على الاجهزة المهمة التي يريدون اخلاءها من المكان . وفي نفس ذلك اليوم وصلت طائرة عمودية وحملت المعدات التي طلب الروس اخلاءها فورا . كما ان اجزاء اخرى من هذه المعدات التي كان من المقرر اخلاءها على ظهور البغال ، وجدت مربوطة ومحزمة ومعدة للارسال ، وعند ما استولى جيش الدفاع الاسرائيلي على هذا الموقع من جديد .

توجه دايان من الجبهة الشمالية الى سيناء وبرفقته اللواء رحبعام زئيفي . وفي طائرة المليكوتبر جرت محاولة لاقتناع دايان بان لا يحيط بالقرب من قيادة الجبهة ، فقد وصلت انباء عن وجود رجال كوماندو مصريين في المنطقة . ولكن

دايان لم يستجب لذلك . وكان وزير الدفاع قد انتابته أزمة تشاؤم بعد الذي  
رآه في هضبة الجولان ، وكانت هذه ساعات قاسية ، وفي غرفة العمليات الحربية  
بالقيادة الجنوبية قال دايان للواء جونين : ( ان هذه لمرحلة قاسية ، وليست  
مجرد اشتباك عادي لذا يجب الانسحاب الى الخط الثاني . . الى الجبال . .  
من اجل التحصن هناك ) .

وقطع حديثه مع الضباط بكلمة هاتفة من دافيد العازار رئيس الاركان الذي  
سأله دايان : ( ماذا تستطيع أن تقدم الى جونين ؟ ) . وكان يعني بذلك  
المساعدة الجوية . وكان جواب العازار انه ليست هناك امكانية تقريبا لزيادة  
الدعم الجوي للجبهة الجنوبية ، فان الطائرات الان ضرورية اكثر للجبهة  
الشمالية فلقد اقتحم السوريون الخطوط هناك .

وقال دايان لجونين ومساعديه انه من الواضح ان الاولوية ستعطى للسي  
طيرية وفور الاردن وكيبوتسات دجانيا ، فان سيناء ليست على هذه الدرجة  
من الهمية ، واهميتها تقل كثيرا عن الشمال ، ولن تؤثر مسألة عشرين كيلومترا  
زيادة او اربعين اقل . . على كل فانكم ستلقون دعما جويا اكثر من اليوم ولكن  
اعتبارا من صباح الغد فقط .

وكرر دايان حديثه عن ضرورة الانسحاب والتمركز في خطوط اخرى وقال :  
( يجب ترك خط الماء والانتقال الى خط العرض . ويجب ضرب ( العدو )  
باستخدام المدرعات الموجودة والمدرعات التي سوف تصل . . وبالنسبة  
للمعاقل فانها لن تفيد الان ، ولن نستفيد من شق الطريق  
اليها ، فهذا ليس منطقيا ، كما ان هذا لن يغير من الامر شيئا ) .  
وسأل احد الضباط دايان : ( وماذا عن الجرحى في هذه المعاقل ؟ ) .  
واجاب دايان : ( بالنسبة للاصحاء فان عليهم ان يحاولوا اجتياز الخطوط  
أما الجرحى فليس لنا خيار في وقوعهم بالاسر ) . وخيم على الحفرة صمت  
ثقيل الوطأة ، ثم اضاف وزير الدفاع : ( ان ما ذكرته هو نصيحة على المستوى  
الوزاري . ومن الواضح أنه يجب تنسيق الامور مع دافيد العازار ) .

وبعد ان غادر دايان ومرافقوه المكان ، طلب جونين الاتصال مع قيادة الفرق لاصدار الاوامر لهم . ولم يتحدث جونين عن الانسحاب الى خط جديد . وعلى الرغم من انه كان بوسعهم ان يفسر اقتراح وزير الدفاع على انه اقرار بالانسحاب فانه لم يتطرق الى ذلك . وفي رأيه انه لا ينبغي القيام بمزيد من الانسحاب . لقد اصبحت الواجب الان التمسك بالطريق الرئيسي . تسلم جونين في بادئ الامر مخاطبة من (ادان) . جونين : " هل تسمعني؟ سنبقي الجرحى في المواقع ونحاول الاقتحام الى الخارج . برن ! برن ! هل تسمعني؟ " . ان ( بعد صمت قصير وبتوضيح كلمات غير واضحة سمع صوته بعد ذلك ) . " هذه خطوة مؤلمة جدا ! " . وقال جونين لشارون : " ليس هناك امل بالحصول على اسناد جوي . ان الوضع في القطاع صعب جدا . هل تسأل عن الهجوم المضاد ؟ اعتقد انه في الجنوب والشمال والغرب . لن نحصل على اسناد جوي لوقت طويل ومن المؤكد ليس بالحجم الكبير . اريك ان المسألة ليست مسألة عدم المنطق وانما المسألة مسألة عدم الامكانية . قلت لرئيس الاركان بأنني سأصمد حتى بدون قوة جوية . "

عاد وزير الدفاع من سيناء الى الاركان العامة الى موقع القيادة الحليسا . وفي تل أبيب ادلى ديان باقوال متجذمة ومشائمة جدا . قال : " ان هذه الحرب تدور على الهيكل الثالث وليس على سيناء . ينبغي ان ترتد الى منطقة شرم الشيخ . ان المهم هو شرم الشيخ . ولينا ان نتأهب في الخط الثاني عند الممرات " .

وسأل رئيس الاركان : اذا كان يستوجب علينا ان نستعد في الخط الثاني فلماذا ينبغي اخلاء الخليج ؟ !

اجاب ديان : ربما ليس انسحاب . لكن ينبغي ان نخوض معركة اعاقسة . كان تشاؤم ديان بمثابة مرض معدى . ومن حسن الطالع لم يكن ديان هو القائد . لقد اكتفى بالاقوال والاقتراحات . وكانت اصحاب رئيس الاركان اكثر قوة . وبسببه لم يبدأ جيش الدفاع الاسرائيلي الانسحاب . خرج ديان من هذا الاجتماع الى رئاسة الوزراء . وقال لجولدا مثير

ويخالف النون ويسرائيل جاليلي بأن الوضع على الجبهات متدهور وخطير . وفي  
الجبهة السورية لا مفر من الانسحاب الى سفوح مرتفعات الجولان . واصيبت  
رئيسة الوزراء ومستشاريها بالدهشة . واضطر يسرائيل ليثور السكرتير العسكري  
لرئيسة الوزراء للخروج من الخرفة . وبعد دقائق قليلة من خروج وزير الدفاع  
دخل دافيد العازار الى غرفة رئيسة الوزراء ، وحرف بما قاله ديان لرئيسة  
الوزراء ومستشاريها . وحاول دافيد العازار ان يخفف من الوضع . فهو لم يكن  
متشائما . ووضح دافيد العازار قائلا : " ان الوضع سيء ولكنه لا يستدعي  
الانسحاب " . واقترح ان يتوجه حاييم بارليف الى الجبهة الشمالية لدراسة  
الوضع وان يتوجه هو نفسه ( اي العازار ) الى الجنوب من دراسة التأكيد  
من قرب ما اذا كان الوضع خطيرا حقا . وافق ديان على سفر بارليف الى  
الجبهة الشمالية . ولم يعتبر ذلك على انه تجاوز لصلاحياته ، ويبدو أنه سر  
لتوزيع اعباء الانباء غير السارة . بعد ذلك ظهر وزير التجارة والصناعة في  
" الحاضرة " . وكان يرتدي الزي العسكري ويحمل على كتفيه رتبة جنرال . وأبلغ  
حوفي بان بارليف على وشك المجيء اليه في زيارة . وانه لن يأتي بصفة قائد  
وانما بجولة لدراسة الوضع . وفي المساء اتصل بارليف بجولدا مثير وقام  
بصوته الهادي والرتيب الوضع صعب . وربما صعب جدا ولكنه لا يبعث على  
اليأس . وهكذا حيل دون الانسحاب الى سفوح الجولان .

وتوجه العازار في طائرة عمودية الى الجنوب ، برفقة رئيس اركان سابق  
هو اسحق رابين ، ولم يكن رابين قد جند ، وقد توجه بالملابس المدنية . وفي  
الوقت الذي كان فيه العازار ورابين متوجهين الى الجنوب بالطائرة العمودية  
تحدث دايان مع فولدا . . وقال دايان بصوته الهادي مخاطبا فولدا : ( أقول  
بصراحة ، اذا كنت تعتقد ان هنالك شخرا افضل مني باستطلاعته القيام  
بوظيفة وزير الدفاع فكلنيه بالمهمة ) . . وبعد توقف قصير اضاف : ( لو كنت أنا  
رئيس الحكومة ، واعتقدت انه يجب تخيير وزير الدفاع ، لما ترددت لحظة  
وستكون غلطة من جانبك اذا لم تفعل بما تعتقد ان صواب ) . واجابت  
فولدا بكلمتين : ( معاذ الله ) .



عند وصول رئيس الأركان لقيادة الجبهة تبين له ان هنالك فرقا كبيرا بين ما يشعر به المقاتلون في الجبهة وبين الشعور في الداخل ، وحتى في مركز القيادة العليا . . فان قادة القوات المتواجدة على الجبهة لا يتحدثون اطلاقا عن الانسحاب ، ولم يتمكن اللواء شارون من الوصول في بداية الجلسة . وكان ورجاله قد انتهبوا قبل ساعتين تقريبا من خطة لتخليص رجال المواقع الثلاثة الواقعة في قطاعه وتحدث مع اثنين من قادة هذه المواقع ، وفي الموقع الثالث قتل الضابط ، فتحدث مع المسؤول عن جهاز الاتصال ، وهو رجل احتياط يحمل في الحياة المدنية كادال في احد المطاعم القدس واسمه ممان . وعند الانتهاء من وضع الخطة اتصل شارون بخربة العمليات وطلب من جونين موافقته على عملية التخليص في تلك الليلة .

.. واجاب جونين : ( ان هذا الامر لا يمكن البت فيه على الهاتف ، وانما اقترح ان تأتي الى هنا لفحص الخطة في اجتماع مشترك مع جميع قادة القوات . وسنرسل لك طائرة هليكوبتر لاحضارك ) . وقال شارون بانفعال ( ولكننا بذلك سنضيع الليلة بأكملها ) . . . فعلا تأخر وصول طائرة الهليكوبتر مدة ساعتين ، وفي هذه الاثناء بدأت المناقشة بدون شارون ، وقدم ادن توصية بالعمل بحذر الى ان يتم تركيز مدفعية كافية . وكان جونين اكثر جرأة ، فتحدث عن الحاجة لعبور القناة في الخد وحاول رئيس الأركان كبح جماحه ، فالمازار لم يكن يريد القاء جميع القوة مرة واحدة في الهجوم المضاد ، الذي من المقرر ان يبدأ في صباح الخد ، واصر على ان يكون الهجوم تدريجيا ، على ان تقوم أولا القوة التابعة لادن بالمجوم من الشمال الى الجنوب في منطقة الجيش المصري الثاني ، وينتار اريك شارون الى الجنوب كقوة احتياطية . . فاذا لم ينجح هجوم ادن يقوم شارون بمساعدته . اما اذا نجح فسيتم ايضا تشغيل قوة شارون الاحتياطية حيث تتوجه الى الجنوب ، وتبدأ الهجوم في منطقة الجيش الثالث ، مع توجيه جهودها باتجاه منطقة مدينة السويس ، وعند ذلك تستخدم القوة التابعة لألبرت كقوة احتياطية لشارون .

ولم يوافق رئيس الأركان على فكرة عبور القناة ، ولكنه ايضا لم يرفضها ،

فمعدات العبور غير جاهزة على اية حال ، وعبور القناة يمكن ان يتم فقط باستخدام الجسور التي اقامها المصريون . قال رئيس الاركان (علينا أولا أن نصل الى الجسور ثم نقرر بعد ذلك الخطوة التالية ) . فلم يكن الحازار يريد أن يعبر جيشه بأكمله على جسر واحد . و اضاف الحازار قائلا : ( أما اذا سيطرنا على عدة جسور ، فيمكننا نقل عدة مجموعات من الدبابات ) ، وخلص الى القول : ( ولى كل حال فان عبور القناة يجب أن لا يتم الا بأمر مني . ) . وفي طريقه الى طائرة الهليكوبتر التقى رئيس الاركان بشارون الذي كان قد وصل لتوه ، وشرح الحازار لشارون البنود الرئيسية في خطة الغد وقال شارون ان بإمكانه عبور القناة غدا صباحا . ولكن رئيس الاركان اجابته بأنه يجب اولاً ضرب رؤوس الجسور واهادة تنظيم القنوتات .

كان اكثر ما يقلق شارون أمر اخر هو تخليص الرجال الذين حشروا في المعازل ، فهو يرى في ذلك التزاما ادبيا ، و ماد واثار امام رئيس الاركان خطته ، فأجاب رئيس الاركان بان ذلك قد يكلف جيش الدفاع الاسرائيلي حوالي خمسين دبابة ، واقترح على شارون تسوية الامر بالاتفاق مع جونيون ولكن لم يسفر الحديث مع جونيون عن اي تغيير في الخطة التي تم الاتفاق عليها مسبقا مسبغ رئيس الاركان . كذلك تحدث جونيون من الخطر الذي يكمن وراء عملية التخليص المقترحة ، وانها يمكن ان تكلف الجيش الاسرائيلي حوالي خمسين دبابة . فهذا هو رأي جونيون وقد قام بنقله الى رئيس الاركان . لذا فان خطة شارون بالقيام تلك الليلة بتخليص المعازل الثلاثة في القطاع قد رفضت ، وكانوا يأملون في الوصول الى بعض المواقع في الهجوم المضاد . وفي ساعة متأخرة من الليل اتصل دايان بخرفة العمليات في قيادة الجبهة ، وطلب التحدث مع جونيون . وسأل دايان جونيون عن الوضع فأجاب جونيون : ( انني اخطط لعملية هجوم مضاد في الغد وأريد ان اتمركز في الجانب الاخر ) .

واكتفى دايان برد قصير وقال : ( حال ) ، ولم يدخل دايان في تفاصيل الخطة العملية . وقد ترك ذلك لرئيس الاركان ولمساعده ، و امتنع عن اصدار اوامره ، واكتفى فقط بتقديم ارشادات عامة .

طلبت اسرائيل في هذا اليوم من الولايات المتحدة تزويدها بالاسلحة  
وسرعة ، فجيش الدفاع الاسرائيلي يقف في موقف لا يحسد عليه . حيث تدمير  
المعدات كبير جدا وسريع ، بحيث اصبح واضحا أنه اذا استمرت الحرب على  
هذا المعدل فسوف تفرغ المخازن ، وستدمر معظم المعدات ، وخلال يومين  
اصبح حوالي المائتين وخمسين دبابه في الجبهتين غير صالحه ، كما فقدت  
عشرات الطائرات .

كذلك سحقته قوة الجنازب الاخره ، ولكن الكميات التي بحوزته اكبر ، ومن  
المتوقع ان يقوم الاتحاد السوفياتي بدعمه وتزويده بالمعدات . . . وتم نقل  
الطلب الاسرائيلي الى الامريكيين ، ولكن واشنطن لم ترد عليه .  
كان في مدرسة القيادة والاركان التابعة للاسطول الامريكي ضابطان  
كبيران من الشرق الاوسط . هما شفتاي وهو احد قادة مجموعة زوارق الصواريخ  
وقائد الاسطول اللبناني الصغير . وقد دنا هذا الاخير من الضابط الاسرائيلي  
وطلب منه تفاصيل من الاحداث في الجبهات . وروى شفتاي للضابط اللبناني  
عن سير المعارك ومن اول معركة بحرية تخوضها زوارق الصواريخ الاسرائيلية  
بالقرب من الساحل السوري ، وكان شهود على هذه المحادثة وهم ضباط  
امريكيين ، وفي اليوم التالي جاء ضابطان امريكيان الى شفتاي في مهمة من  
قبل الضابط اللبناني . فقد طلب منهم هذا الاخير ان يبلغا شفتاي بأنه  
لا يضمرا له العداء الشخصي بسبب الهجوم المصري على اسرائيل .

\* \* \*

عندما اطلقت الطلقة الاولى في الجبهة المصرية ، كان قد اصبح واضحا  
ان اسرائيل متأخرة . وقد اسرعت القوات الامامية الى المانع الترابي  
الموجود على الضفة القناة ، واصيبت معظم الدبابات وهي في طريقها الى  
المواقع وليس في هذه المواقع القائمة على المانع الترابي . وقد تلتقت قسوة  
المدرعات التي كانت متواجدة وسط سيناء امرا بالتحرك في الساعة الثانية  
والرستع بعد الظهر ، وكان في ذلك تأخير كبير . . .

لم تشترك طلائع هذه القوات في المعركة الا بعد مرور ساعتين ، وكان  
الاصطدام الاول مع هذه القوة قد وقع بعيدا عن القناة مع مصفحات مصرية  
كانت قد توفلت في سيناء حوالي عشرين كيلومترا .

لقد ادى التأخر الى مشكلة اخرى ، فبدلا من الدخول في المعركة بصورة مركزة وبقبضة واحدة ، تفرقت القوة وملت بمجموعات ذات قوة اصغر و دخلت الدبابات في المعركة على شكل سرايا ، وكان معظم المدرعات في سيناء قد تم تشغيلها في بداية المرحلة الاولى من المعارك بصورة مشتتة وكانت ضرباتها المضاد كأضعف . وكانت هنالك مشكلة خطيرة اخرى وهي قلة كثافة النيران الاسرائيلية ، فقد غطت المواقع بالنيران ولكن غير كثيفة - قطاعات وفيرة من القناة ، واضطرت الدبابات ان تتنازل وتصارع من اجل حياتها على بعد عدة كيلومترات من القناة . وقد برز حال بداية عملية العبور النقص في المدفعية الاسرائيلية الكثيفة . كان هناك جزء من بطاريات المدفعية موجودا في الخلف مع الدبابات في وسط سيناء ولم يسمح لها كذلك بالتحرك الى الامام . وفي مساء يوم السبت فقد شاركت جميع بطاريات سيناء في المعركة وفي مواجهة بضع عشرات من سبطانات مدافع جيش الدفاع الاسرائيلي وقفت اكثر من الفسبطانة مدفع للمصريين ، وهذا فارق رهيب . كانت مدفعية جيش الدفاع الاسرائيلي مبعثرة على خط الجبهة الطويل الى حد أنه كان من المتعذر ( من الناحية التقنية المحصنة ) حشد نيران اكثر من بطارية مدفعية واحدة عند كل نقطة عبور للمصريين ، وكانت نيران جيش الدفاع الاسرائيلي في المرحلة الاولى لا تكاد تذكر . وبيسد وأن المصريين فوجئوا بذلك ، ان كميات وتحشدات الاسلحة تخلق نومية بذاتها ، انها نومية متراكمة لكمية الاسلحة . ولم يكن هناك فرق بالنسبة للذين واجهوا كثافة النيران فيما اذا كانت هذه النيران يطلقها جنود بارمين او جنود في مستوى واطى .

كانت مصدر النيران المضادة والحقيقية خلال المرحلة الاولى في منطقة القناة هو السلاح الجوي . وهنا كان جيش الدفاع الاسرائيلي محدودا جدا . فقد كان يتعين على السلاح الجوي الاضطلاع بمهام الامتراض . وبعد ذلك اضطرت طائرات كثيرة ان تلقي بعتادها في البحر والذي كان مخصصا لاهداف اخرى في اطار خطة الضربة الوقائية المسبقة . وعند اجتياز المصريين القناة شن السلاح الجوي عدة مئات من الضربات

ولكن لم يسبق امامه سوى ساعتين للعمليات قبل هبوط الظلام ، وكان ذلك في  
الرابعة والنصف تقريبا . ومع هبوط الظلام ارتفع القمر الصافي ، بيد أن  
الغارات اثناء الليل كانت محدودة وخطيرة . ويبدو أن الخطأ البارز في ادارة  
الحرب اقترب في مساء يوم الخفران ، وكان هذا الخطأ يتعلق بموضوع المواقع  
ولم يسقط حتى هبوط الظلام اكثر من موقعين .

وفيما عدا جزء من المواقع في القطاع الشمالي فقد كان بالامكان الوصول  
الى معظمها ، وفعلا فقد دخلت الى بعض هذه المواقع الدبابات وقامت  
باخلاء الجرحى .

وكان بالامكان اخلاء هذه المواقع ومواقع اخرى ايضا ، ومع هبوط الظلام  
انمت المواقع بالفعل مهماتها : توفير المأوى للافراد اثناء القصف الكثيف  
والقيام بعمليات رصد لقطعات العدو والمتدفقة على سيناء ، ولم يصدر الامر  
بالانسحاب من المواقع . لقد صدر فقط في مرحلة متأخرة عندما كانت المواقع  
قد طوقت تطويقا شبه كامل ومع وضوح النهار بان الخطأ . وكان يتعين منذ  
هذه اللحظة خوض قتال ضار من اجل انقاذ الافراد في المواقع . ويبيِّن  
تحليل المعارك في الجبهة المصرية ، بان معارك الانقاذ والسحب كانت من  
اكثر المعارك ضراوة . هذا ما حدث اثناء النضال من اجل انقاذ الافراد في  
المواقع ، وكذلك عندما وقع المظليون في كمائن بالقرب من الاسماعيليه ومد ينسقا لسويس .  
ولقد ظهرت منذ المرحلة الاولى للحرب مشكلة كانت تضغط على القيادة  
مرات كثيرة وهي المشكلة الاخلاقية لانقاذ الافراد الذين وقعوا خلف خطوط  
العدو . ولم تكن هذه المشكلة في جميع الحروب التي خاضتها اسرائيل مشار  
ازواج للقيادة كما كانت في حربيوم الخفران . ففي حرب الاستقلال واجبه  
جيش الدفاع الاسرائيلي مثل هذا الوضع لكنه كان في ذلك الوقت في بدايه  
نشأته . وقد تكون بمرور السنين تقليد يقوم على اساس عدم ترك الجرحى  
والقتلى في ساحة المعركة . وقد دفع جيش الدفاع الاسرائيلي نتيجة  
لمحافظته على هذا المبدأ دماء كثيرة . والان كان يتحتم على القيادة أن

يقرروا مدى التضحية التي ستقدم من اجل انتقاذ افراد في موقع او من داخل  
الدبابات المصابة . وكان هنالك قادة لم يكثرثوا تقريبا بالخسائر ودفعوا ثمننا  
باهظا مقابل انتقاذ افراد قلائل ، اما الاخرين فقد كانوا اكثر حذرا في معالجة  
الامر . ولقد كانت هذه المرة الاولى منذ عام ١٩٤٨ التي يضطر فيها جيش  
الدفاع الاسرائيلي الى الانسحاب من قطاعات في الجبهة وان يترك جزءا من  
ساحة المعركة في يد العدو ، وكان هذا هو احد الاسباب وراء كثرة  
المفقودين في هذه الحرب .

منذ بداية الحرب .. في صباح يوم ( الغفران ) بالذات وضع اسلوب تعبئة  
الاحتياطي في جيش الدفاع الاسرائيلي امام الاختبار . وقد تمت تجربة هذا  
الاسلوب ، وادخلت عليه تعديلات وتحسينات منذ ان بدى بتشغيله في اوائل  
الخمسينات ، عندما كان يجائيل يد ين رئيسا للاركان .

وفي حرب (يوم الغفران) واجه هذا الاسلوب اصعب امتحان . ففي عملية  
سيناء مثلا عام ١٩٥٦ كانت هنالك تعبئة سريعة ، ولكن بدون ضغط من (العدو) ..  
كانت المشكلة في ذلك الوقت هي اخفاء التعبئة عن اعين (العدو) ، وايجاد  
شبكة تموينه .. وفي (حرب الايام الستة) جرت تعبئة الاحتياطي بصورة تدريجية ..  
مرحلة بعد مرحلة . ولكن في عام ١٩٧٣ وللمرة الاولى تمت تعبئة الاحتياطي  
خلال حرب فوجئت بها اسرائيل .. فالحمق الاستراتيجي وسلاح الجو مكملا  
من تعبئة الاحتياطي بدون ازواج لاسرائيل بخارات جوية .. فلقد كانت المشاكل  
من نوع آخر تماما . وسوف تراه في عدد من اشهر عديدة حتى يكون بالامكان دراسة كسل  
عقبة ، واستخلاص العبر النماية .. وبصورة عامة يمكن القول انه بالنسبة  
لتعبئة الاحتياطي ، فقد وجد ان الاسلوب الذي اتبع كان ناجحا .  
ومع انه كانت هنالك عقبات في نقل الاحتياطي فلقد نجح هذا الاسلوب  
امام الامتحان رغم تراجع عقبات كثيرة في التموين . وبعد تحسينات في اسلوب  
التعبئة تم التوصل الى انه من اجل اعداد وحدة احتياطي للمعركة فان هناك  
حاجة الى أربع وعشرين ساعة ( وقبل خمس عشرة سنة كان هنالك حاجة الى  
اثنتين وسبعين ساعة ) في عدد الحضور والتسجيل يستلم الجندي سلاحه

ومعداته الشخصية ، ثم يؤمر بالالتحاق بدبابه او مجنزرة . اما الذخيرة فانه يستلمها من مكان آخر . وهو يقوم بفحص جهاز التسديد في بندقيته ، وفحص اجهزة اللاسلكي وهكذا . .

في فترة الانتظار عام ١٩٦٧ مرت ايام حتى تم تجهيز جميع وحدات الاحتياطي كما ينبغي ، واستمرت فترة الانتظار حوالي ثلاثة اسابيع . وفي هذه المرة انتظمت وحدات الاحتياطي واصبحت جاهزة للمعركة . وفي حرب (يوم الخفران) حدث تقريبا نفس الشيء ، فقد مر حوالي اسبوع حتى تم تزويد وحدات الاحتياطي بصورة مرضية تقريبا .

وقد روى اللواء اريك شارون انه اتصل - بمبادرته الشخصية - بصديق له - وهو يهودي ثري يعيش في نيويورك - وطلب منه شراء عدة مئات من النواظير لحسابه . وقد وصلت هذه النواظير بمساعدة مضيضة تعمل في شركة ال عال ، وتم تسليمها للجنود بعد ان وضعت عليها اشارة جيش الدفاع الاسرائيلي .

وقد وصلت شكاوي عديدة من وحدات احتياطية كثيرة حول خروجها للحرب بمعدات ناقصة وباسلحة غير كاملة ، والى جانب الفوضى الفريية والنقص في الاسلحة الشخصية والذخيرة ايضا عند جنود الخط الاول ، كانت هناك وحدات من الاحتياطي ما تزال في دور التنظيم ، ولم تكن كافة المعدات التابعة لهذه الوحدات جاهزة ، بينما كانت مخازن وحدات اخرى في مرحلة الانتقال الى مناطق امامية . وقد وجد هؤلاء المعدات غير منظمة وموجودة على الارض . كما تلقت وحدات معينة من المدرعات دبابات بلا مدافع ، لانه كان قد تقرر قبلا تخيير مدافع الدبابات ، وفاجأتهم الحرب قبل اتمام تركيب المدافع الجديدة وارسلت دبابات كثيرة الى الجبهة وهي غير جاهزة اطلاقا ، ولقد تم ارسالها على عجل وهي محملة الى نصفها بالذخيرة فأر كانت اجهزة تسديد ها غير مضبوطة! وكان واضحا انها لم تكن معدة للحرب كما ينبغي . وهناك قادة يفترضون ان هذا كان قرارا سليما ، فلقد كان المهم هو وصول الدبابات الي الجبهة حتى ولو لم تكن معدة كما يجب . انه من السهل قبول مثل هذا القول اذا كان الحديث متعلقا بالجبهة السورية . فلقد مسحت الدبابات السورية منطقة

هضبة الجولان الصغيرة تقريبا . ووصلت قوات الاحتياطي الاول الى هضبة الجولان بسرعة ، ودخلت في المعركة قبل مرور اربعين وعشرين ساعة على استدعائها ، وكان هذا كسبا مهما ، اذ ان قوات الاحتياطي هي التي صدت السوريين في جنوب هضبة الجولان ، التي كان من السهل الوصول اليها ، لقربها من المراكز السكانية في اسرائيل ، وطبعاً لم يكن الامر كذلك في سيناء ، فالمحاور الموصلة الى الجبهة طويلة ، بل لقد مرت ساعات طوال حتى وصلت وحدات الاحتياطي الى الجبهة .

وخلال سنوات ما بعد حرب عام ١٩٦٧ تم تقديم جزء من مخازن الطوارئ الى الامام ، ولكن على كل حال كان على الدبابات ان تقطع مئات الكيلومترات . ولم تكن هناك حاملات لكل الدبابات لذلك ارسل قسم كبير منها الى الجبهة على مجنزراتها . وكانت هنالك حاجة لتحديد الدبابات التي لها حق الاولوية في النقل على الحاملات . ولقد حدد جدول لهذا الشأن بعد الفجر في رئاسة الاركان ، كما تقرر ايضاً اعطاء بطاريات المدافع اولوية تختلف عن الاولوية المعطاة للدبابات في نقلها على الحاملات ، وهكذا فقد نقلت بطاريات المدافع الى الجبهة بصورة مماثلة الى الدبابات التي توجهت على مجنزراتها في اليوم الثالث فقط . وصلت باقي وحدات المدفعية الى سيناء ولقد اثرت هذه الحقيقة على قدرة الوحدات المتواجدة في سيناء خلال الايام الثلاثة الحربية الاولى من الحرب فكان لذلك تأثير كبير على تطور المعركة في بدايتها . وبالعكس حرب الايام الستة فلم تكن هذه حرب حركة في بدايتها . ولكننا كانت اقرب الى معركة نيران . واكثر من ذلك لم يكن ثمة قتال بين دبابات ودبابات ولكن بين المدرعات الاسرائيلية وسلاح المشاة المصري . ومع انه كان ينقص في المرحلة الاولى مدفعية تساعد الدبابات فقد اعطت سلاح المشاة المصري افضلية غير متوقعة ، فبمساعدة الصواريخ المضادة للدبابات كان لسلاح المشاة المصري ذراع اطول من مدافع الدبابات . . . حيث كان باستطاعة المصريين الايقاع بالدبابات من مسافة بعيدة وبدون ان يخاطروا اكثر مما ينبغي . . . لم توجههم مدافع الدبابات عندما كانت الدبابات



مجهزة بمدافع وكان بإمكان المدفعية لو كانت أكثر ان توقع خسائر كثيرة بسلاح المشاة المصري الذي يحمل الصواريخ ومدافع البازوكا . وكذلك كان بإمكانها أيضا من طريق قذائف الدخان تغطية مواقع الانقضاء بالخان وجعل الامر اصعب بالنسبة لموجهي الصواريخ المضادة للدبابات من المصريين .

ولقد زاد هذا خطورة بسبب النقص في مدافع الدخان من ميار ١٢٠ ميلم وفي الاصطدامات بين المدرعات الاسرائيلية من جهة وبين سلاح المشاة المصري من جهة أخرى ، تبين في الحال ان هذه المدافع كان بإمكانها ان توقع بسلاح المشاة المصري خسائر فادحة من مدى بعيد ولكن لم تكن مدافع ال ١٢٠ ميليمترا هي الناقصة فحسب ، فقد اتضح ان ثمة نقصا في مدافع الدخان الخفيفة ، حيث كان تحت تصرف رجال المدرعات فولاذ ولكن كان من المتعذر القتال ضد حاملي الصواريخ بمدافع الدبابات فقط .

استمرت وفق تشكيلات الاحتياطي الى الجبهة المصرية عدة ايام ، وامتلات الطرق بالاف الاليات على اختلاف انواعها ، والدبابات وحاملات الجنود ووصل الجميع الى الجبهة لكن الدخول كان تدريجيا على مراحل ، وقد احدث ذلك ثغرة في سير اكثر مراحل المعركة صعوبة . وكان الراى السائد في جيش الدفاع الاسرائيلي ان الجيش النظامي يتصدى ( العدو ) حتى تأتي تشكيلات الاحتياطي ومع وصولها دخلت حالا في هجوم مضاد او انها بدأت بالهجوم مباشرة ، كانت خطوطه وتفصيله محددة في ملفات التخطيط القديمة . وفي ( حرب يوم الغفران ) كان مستحيلة القيام بشيء فقد فوجيء الجيش النظامي كما دمر العديد من وحداته وبذلك لم يكن بإمكان وحدات الاحتياطي الدخول بعد مجيئها فورا في الهجوم المضاد . وكان عليها الانضمام الى معركة الصد والاستمرار في نفس المكان الذي كان الجيش النظامي فيه . وقد وصف هذا قائد السلاح الجوي اللواء بيني بيلد بأنه شجار كبير في الشارع بحيث ينضم اليه بين الحسين والاخر شخص جديس .

وكما ساعد انضمام تشكيلات الاحتياطي ، الى معركة الصد ساعدت على تأخير في الجدول الزمني فقد كان الضغط كبيرا الى درجة اضطرت رئاسة

الاركان الى القاء قوات الاحتياطي لصد السوريين في مرتفعات الجولان .  
وقد ادى هذا القرار الى انقاذ مرتفعات الجولان ولكن الاركان العامة لم يكن  
بوسعها ان تخلق على الفور مركز ثقل في احدى الجبهات . وبسبب البعد بين  
الجبهات لم يكن من الممكن خلق مركز ثقل على الفور في احدى الجبهات الا  
بواسطة السلاح الجوى . ومن الواضح لا يمكن بواسطة الذراع الجوى فقط شن  
هجوم شامل . ولقد كان هذا بمثابة مركز ثقل نارى ولكن ليس اكثر من هذا . ان  
هذا التطور والشكل الذى دخلت فيه قوات الاحتياط المحركة ادى الى ان  
رئاسة الاركان واجهت منذ المرحلة الاولى للحرب صعوبة في ادارة الحرب كما  
فكرت وخطت . لهذا فقد كانت العملية بمثابة اطفاء لحريق استراتيجى اكثر من  
ادارة استراتيجية للحرب .

٨ تشرين الاول ١٩٧٣

اجتمع هذا الصباح سفير الاتحاد السوفياتى فلاد يمينو جرادوف مع  
السادات . وكان موضوع الحديث : امدادات من المعدات العسكرية الى مصر  
وسوريا . فهذه اللحظة هي التي يستطيع الاتحاد السوفياتى ان يظهر فيها  
تأييده الكامل للحرب بدون المجازفة اكثر مما ينبغى . انقضت المرحلة الاولى  
من الحرب بنجاح لا بأس به . ويجب الان تمكين العرب من الصمود والمحافظة  
على انجازهم . وابلان حرب ١٩٦٧ رد الكرملين ببطء بشأن امدادات الاسلحة  
لكن الرد السوفياتى هذه المرة كان اكثر سرورة .  
وقال السادات للسفير السوفياتى عندما افتسقا : " ان سلاحكم هو الذى  
كان في ايدينا اثناء العبور " . اجاب فينوجرادوف : " اني اعلم منذ ثلاثة  
أعوام سفيرا عندكم . لقد عشت معكم اياما جميلة ومرة لكن هذه هي ذروة عملي  
في القاهرة .

وفي سلطات الظهيرة تواردت الانباء الاولى عن الجسر الجوى الروسى .  
كانت طائرات النقل الروسية الاولى تتجه الى سوريا . وكانت سوريا تحتاج الى  
مساعدات فورية . فالجيش السورى سحق بصورة اكبر وتلقى ضربات قوية .  
ومن واشنطن لم يرد حتى الان رد نهائى على طلب اسرائيل للسلاح . وكان

القلق كبيرا . واجرت تل ابيب اتصلا دائما مع السفير رينتس والملحق العسكري الحميد جور . وحسب قولهم ما زالت المناقشات مستمرة عند الامريكيين . وارسل رئيس بعثة وزارة الدفاع بوندي د رور الذي انتقل من نيويورك الى واشنطن تقريرا اشار فيه الى انه تم تخصيص معدات عسكرية كثيرة . وكانت الصعوبة الاساسية تتمثل في نقل الاسلحة التي تم الحصول عليها الى اسرائيل . يوجد نقص في وسائل النقل . فالطائرات المدنية لا تكفي لمثل هذه العملية كما ان الطائرات الموجهة لن تسد النقص .

وكانت هذه المشكلة احدى المشاكل التي ازعجت مستشاري الرئيس الامريكي . وكان هؤلاء قد قالوا للمندوبين الاسرائيليين حتى قبل وصول طلب اسرائيل بتزويدها باسلحة بكميات كبيرة بان الحكومة الامريكية ستوافق على امداد جيش الدفاع الاسرائيلي باسلحة بدل الاسلحة التي سيفقدها في الحرب . وندما وصل طلب اسرائيل د هس هؤلاء في بداية الامر من الكميات المطلوبة ومن عدد الاسلحة التي فقدت خلال اليومين الاولين من الحرب . واتضح لمستشاري الرئيس الامريكي على الفور بان نصيحتهم في ان تقوم اسرائيل بنقل الاسلحة التي طلبتها بنفسها غير عملية . واذا كانت الحكومة الامريكية تريد ان تصل هذه الاسلحة الى اسرائيل بسرعة فان على الولايات المتحدة ان تقوم بنقل الاسلحة والمعدات بنفسها وبواسطة جسر جوي . اعتمد كل اكثر عمقا في الحرب الامر الذي لم يكن الامريكان يرغبون فيه في بداية الامر .

بدأت تندفق على اسرائيل موجة كبيرة من المتطوعين والمهاجرين ، وفي حين كان الجسر الجوي الروسي مستمرا ، كان يجري في واشنطن بحث حول هذا الموضوع ، حيث ان القرار النهائي سيتخذ في مكتب رئيس الولايات المتحدة . ولم تستلم اسرائيل بعد الاسلحة التي طلبتها ، في حين وصلت الاسلحة الروسية الى سوريا ومصر .

ووصل الى اسرائيل اعداد كبيرة من المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفياتي ، ولم ينقطع تيار المهاجرين طيلة فترة الحرب . وفي مفاوضات اسرائيل ، في ارجاء العالم ، تطوع ضباط جيش متقاعدون للخدمة في جيش

الدفاع الاسرائيلي . وفي سفارة اسرائيل بلندن مثلت شابة جميلة غير يهودية  
وطلبت تكليفها بمهمة جاسوسية في اى مكان في العالم المصري . وكانت غالبية  
المتطوعين من اليهود . وفي فلوريدا تبرع مثير لسكي بمبلغ مليون دولار لصالح  
اسرائيل التي كانت قد طردته من اراضيها لانه اتهم باعتباره احد رجال عالم  
الاجرام في الولايات المتحدة واحد زعماء عصابة المافيا . وتدفع على مكاتب  
شركة (العمال) في اوربا والولايات المتحدة الاف الاسرائيليين ، من  
طلاب ، وغيرهم من الذين يعيشون خارج اسرائيل منذ زمن طويل . وكانوا  
جميعا يطلبون الاشتراك في الحرب . ولكن الاولوية في القبول كانت تعطى  
للطيارين والاطباء ورجال المدرعات .

ومع وصول الطائرات التي تحمل المتطوعين الى مطار اللد ، كان قسم من  
المتطوعين كرجال المدرعات ، يرسلون فورا الى ساحة القتال ، وقد سقط قسم  
منهم في المعارك بدون ان تعرف عائلاتهم عن وصولهم الى اسرائيل .

\* \* \*

لم تصل من الجبهة السورية اخبار سارة . ومع انه تم صد المدرعات السورية  
ولم تتمكن طوابير مدعاتهم ايضا من الوصول الى نهر الاردن ، فان المحركة  
لم تكن قد حسمت بعد . فمذ بداية المعركة ضرب السوريون المواقع الاسرائيلية  
بالاف القذائف والمتفجرات ، وبعد ذلك اقتربت دباباتهم منها وحاولت  
تحطيمها بمدافعها . وقد سقط عدد قليل فقط من رجال المواقع بسبب  
النيران الكثيفة ، كما مسحت موجات المدرعات السورية خط المواقع الاسرائيلية  
وبقيت هذه المواقع مطوقة من الخلف ومقطوعة .

ويوجد على طول خط وقف النار مع سوريا احد عشر مركزا اسرائيليا علاوة  
على موقع جبل الشيخ ، وكانت المسافات بين هذه المراكز بعيدة ، ولم  
تكن هذه المراكز لتشكل خط دفاع لايقف الهجوم الشامل قبل لم يعط  
هذا الخط مثل هذا المدلول ابدا . ولم تكن هذه سوى مراكز مراقبة امامية  
قصد بها السيطرة على ما حولها والدفاع عن نفسها . وقد صرف عمل بناء  
هذه المراكز عشرات الملايين من الليرات الاسرائيلية ، ويوجد فيها استحكامات  
عميقة وشبكة جدران ، وطرق اتصال محبذة . وخلافا لما عليه الحال في سيناء ،

لم يكن هناك نقاش حول الحاجة لاقامة هذه المراكز ، لذلك لم يطلق عليها اسم شغور معين كما اطلق اسم بارليف على الخط الدفاعي في سيناء .  
لم يزعج السوريون انفسهم كثيرا بالمراكز الاسرائيلية . ففي حين كانت المدفعية السورية تقوم بصب نيرانها عليها ، كانت طوابير الدبابات السورية تمر من بينها . وفي الموجة الثانية فقط من الهجوم حاول السوريون الانقضاض على بعض هذه المراكز التي كان يوجد في كل واحد منها ما بين ١٢ الى ٢٥ مقاتلا .  
وفي احد مواقع الاستكشاف سيطر السوريون على الاستحكام من الخارج وكان في الداخل عدد من المقاتلين التابعين للواء جولاني ، وكان بينهم بعض الجرحى وقتيلان . وخشي السوريون من اجتياحه واكتفوا بالقاء قنابل الدخان ، فطلب قائد موقع الاستكشاف لاسلكيا من قيادته اصدار الاوامر للمدفعية بقصف موقعه لصد السوريين المهاجمين . هذا ولم يسقط أي مركز من المراكز الاحد عشر . وكان موقع جبل الشيخ شاذا في الجبهة السورية . أما محاولة لواء جولاني في امادة احتلال موقع جبل الشيخ فقد فشلت ... فنذ يومين وقائد اللواء يضط على قائد الجبهة ولى مساعديه للسماح له بمهاجمة الموقع الذي احتله السوريون .. ولكن اسحق حوفي قائد الجبهة الشمالية اعترض على ذلك ، فقد كان يخشى من وقوع خسائر كبيرة في الهجوم على هذا الموقع المرتفع . وفي الليل وصل المقاتلون الاربعة الذين تمكنوا من الهرب من هذا الموقع ومن ضمنهم قائد الموقع . وتوجه قائد اللواء مرة اخرى الى اسحق حوفي و اضاف هذه المرة هناك التزاما أدبيا لانقاذ المقاتلين الذين بقوا في الموقع . وأيده احد مساعدي حوفي الى ان وافق قائد الجبهة على هذا الهجوم .

\* \* \*

توجه جنود لواء جولاني الى الموقع مستخدمين طريقين : طريقا رئيسيا للدبابات والعربات نصف المجنزرة وطريقا جبليا . اما وحدة المظليين التي كانت قد وصلت الى المضيق فقد انتظرت على التل قرب مسعدة لتقدم المساعدة عند الحاجة .

خرج رجال الكوماندو السوريون لملاقاة جنود جولاني ولم ينتظروا في

موقع جبل الشيخ بل جلسوا على التلال المؤدية الى الموقع وكان هذا اجراء  
تكتيكا سليما من ناحيتهم يدل على معرفة جيدة بالارض وهى تحليل سليم  
لامكانات الهجوم . وقد حرقل الهجوم ايضا بسبب السحب الكثيفة على الجبل  
التي كانت تزيد من صعوبة الدعم المدفعي والطائرات ولم ينجح رجال جولاني  
في الوصول الى الموقع وسط ثلاثون منهم وبقي ثمانية على ارض المعركة .  
لم يفقد الهجوم السوري شيئا من نشاطه وفي حين كانت هناك قوات  
احتياطية جديدة من الجيش الاسرائيلي تتدفق على الجبهة ، كانت الوحدة  
التابعة لران ما تزال تسير على محور يهودية حيث اصيب ران بجراح خفيفة  
وتم اخلاؤه ثم تسلم القيادة ، مساعده . وبعد يومين من ذلك سقط يوسف  
الاخ الاصغر لران في الرضبة ، ونحو الظهر وصف الوضع في محور يهودية بأنه  
خطير ، واقترح قائد القوة دان لانر على مساعده النزول الى موقع المعركة .  
كانت الطريق مزروعة بالدبابات السورية . وفي احد المقاطع لوحظت حوالي  
اربع عشرة دبابة تقف امامه ، موجهة نيرانها على العربى نصف المجنزرة كما لو  
كانت هدفا في سيرك . وفي مكان المعركة وجدت حوالي عشرون دبابة تابعة  
للواء وقد اصبحت غير صالحة للاستعمال . وكانت دبابة اخرى مقلوبة على  
جانبيها وكان هناك جرحى مبشرون في عدة اماكن .  
تم استدعاء مساعده قائد اللواء حيث جرى حديث في اللاسلكي . وفي اثناء  
التمحاضة اختفى صوت قائد اللواء وساد الصمت جهاز اللاسلكي ، وبعد  
ذلك سمع صوت شخص آخر يعلن عن مقتل قائد اللواء ، واستلم القيادة الان  
ضابط العمليات جيورا .  
كانت الذخيرة في الدبابات اخذة في النفاذ ، وبقيت هناك امكانية نقل  
الذخيرة من الدبابات المصابة الى المستمرين في القتال وتم ذلك تحت القصف  
المركز . وبعد الظهر انقض جيورا مستعينا بالطائرات والمدفعية ودمر سبع  
دبابات سورية . واستمرت المعركة يوما كاملا ، ولم يحرز اللواء اى تقدم ،  
وكان يوما صعبا بالنسبة للطائرات التي كانت تساند الدبابات في عملية صد  
هجوم السوريين . وامس انقضت الطائرات على شبكة الصواريخ في الجبهة ،

ولكن السوريين احضروا في الليل بطاريات جديدة من بينها بطاريات سام ٦ وعلى عكس سام ٢ وسام ٣ فأن بطاريات سام ٦ ليس لها مواقع ثابتة ومن الصعب وضع خطة لمهاجمتها . وكانت الصواريخ الاخرى تترك خلفها ذنبا ابيض من الدخان الذي يستعمل كدليل تحذير ، اما صواريخ سام ٦ فانها تنفجر بدون ان تترك اثارا بارزة في السماء . وهذا النوع من الصواريخ سريع وذو قدرة اكبر للمناورة . كما ان تقنية جهازه الالكتروني ليس معروفة عند الغرب ، الامر الذي زاد من صعوبة عرقلة انطلاقه .

وكانت طائرات السكاي هوك تقوم بلحبة القط والفار مع بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات وكان يدير المعركة مدغاي هود . . كانت هذه لحبة خطيرة كلفت اسرائيل هذا اليوم عددا كبيرا من الطائرات . وبعد الظهر تضاعفت سرعة اطلاق الصواريخ السورية ، ويبدو انه قد حدث نقص في هذه الصواريخ السورية . في هذه الساعة بدأ هجوم سوري ضخم قرب القنيطرة وكان بمثابة موجة الانقضاض الثانية على هضبة الجولان . وقد القى السوريون في المعركة بفرقتهم الثالثة والتي تشكل القوة المدعمة الاحتياطية الرئيسية والاخيرة لديهم وكان يقودها شقيق الرئيس السوري حافظ الاسد .

وكان الجيش السوري قد اصبح كله تقريبا في مواجهة الجيش الاسرائيلي . بدأ الهجوم في الساعة الرابعة من بعد الظهر وكانت هناك بالاضافة الى الفرقة المدعمة ايضا عدة كتائب كوماندوز سورية . وكانت قوة الهجوم الذي تركز في قطاع ضيق كبيرة جدا . وفيما عدا الهجوم في الليلة الاولى فقد كانت هذه الساعات بمثابة سلحات عممية جدا تمر على المقاتلين في مرتفعات الجولان . كان القلق في مقر القيادة خطيرا . فبعد ان صد السوريين في القطيعين الاوسط والجنوبي فقد ألقوا الان بكامل قوتهم في القطاع الشمالي . وكان يقف في مواجهتهم لواء لم يضم لافراده جفن منذ اكثر من يومين . وعندما كان الهجوم في ذروته وصل يخنال النون الى القيادة . فقام باستمرار الخرائط والوجوه المتجهة للقادة واصفى الى النداءات في جهاز المخابرة . انتحى النون جانبا مع حوفي . سأل النون : " هل انفجرات

الكثيفة على اهداف استراتيجية في عمق سوريا ستؤدي الى التخفيف عنك في  
الجبهة؟

أجاب حوفي: "من الجائز انهما ستساعد . ومن المؤكد ان هذا سيثقل عليهم".  
اتصل النون مع مكتب رئيسة الحكومة في تل ابيب وطلب ان يتحدث مع جولدا .  
وقدم تقريرا عن الهجوم ومن حديثه مع حوفي . وقال النون "انا اوصي بعمل  
ذلك" . استمر الهجوم السوري سبع ساعات بلا انقطاع . وقد القي بالمركبة  
كتيبة تلو كتيبة حيث اخذت تبحث عن مرآت للاندفاع عبرها . كان حوفي ييسر  
هذه المرة قلقا اكثر من الليلة الماضية . اصفى الى قائد اللواء ورف بانه اذا  
كان هذا يقول بانه صعب جدا فمعنى ذلك ان الوضع خطير .

وفي حوالي الساعة العاشرة ليلا اتصل رئيس الاركان . ابتلع حوفي ريقه  
وقال بصوته المتمدج "لست واثقا من اننا سننجح في الصمود".  
كانت تقع خلف اللواء قيادة رفول المسؤول الان عن معركة الصمد . وساعدت  
طبيعة رفول الى حد كبير في الصمود . كان عنيدا كالبعغل . ودعا رفول بواسطة  
مكبر الصوت : لن نتحرك ولو متر واحد ، ولا متر واحد .  
وفي الساعة الحادية عشر سمع بواسطة جهاز المخابرة في مسرفة رفول صوت  
آمر اللواء ، و أمر لواء الصمد في الامام "قال القائد : "هذا هو أمتقد أن هذا  
هو" . لم يطلب اننا بالانسحاب ولم يسبب في التفاصيل عن قوة الهجوم .  
وادرك الجميع بأن السوريين اقتحموا اللواء وحطموا الجبهة .

قال رفول بصوت رقيق : خمس دقائق اخرى لا أكثر . اصمد خمس دقائق .  
لم يرد قائد اللواء لكنه ارسل بواسطة جهاز مخابرة اخر تقريرا الى رفول في  
الوقت نفسه قال فيه انه بلغ من احد المواقع في الخط السوري انه تشاهد حركة  
لسيارات النقل السورية باتجاه الشرق . وكانت هذه اول علامة تشير الى  
تحطم الهجوم السوري . وبعد ذلك بدأت النيران تتضاءل وبدأت المدرع  
السورية تتراجع .

كان رفول يقتر في الكلام . وقد قال لاحد الضباط صباح هذا اليوم "لقد  
كانت ليلة رهيبية . وكانت هناك لحظات تعلقنا فيما بشجرة .



قال جونين لرفاقه في حفرة الحرب " انه ليس بالجيش المصري الذي واجهناه عام ١٩٦٢ " . في حرب الستة ايام انشب لواء شموليك سيفه في اكثر الخطوط المصرية كثافة واجتازه خلال يوم واحد من القتال وكان اول لواء يصل قناة السويس . لكن هذه المرة فان الامور لا تجري بنفس السهولة .

واستلم جونين هذا الصباح الصور الجوية التي التقطت مع اول خيوط الفجره وقد لاحظ ان معظم الجسور التي دمرها سلاح الجو الاسرائيلي في غاراته بالامس ، قد اقيمت من جديد في اثناء الليل . وهكذا سيكون بإمكان المصريين الان استئناف ارسال طوابيرهم الى سيناء ، ولكن سلاح الجولن يعود هذا اليوم لقصف الجسور لان امامه مهمات جديدة ، كما ان الجيش الاسرائيلي قد يستخدم في هجومه الذي سيثنه اليوم على الجسور المصرية من اجل عبور القناة الى الجانب الغربي .

بسبب التخير الذي طرأ على الجيش المصري ، منذ ان عرفه جونين في عام ١٩٦٢ فان جونين قد اتبع تكتيكا جديدا وهو لا انسحاب ولا هجوم مضاد وكان جونين يسعى الى امرين من الصعب جدا تحقيقهما معا في ساحة المعركة . فقد كان يريد كسب الوقت ولكنه لا يريد ان يخسر الارض . لذا أصدر امرا لقواته بالعمل بالسلوب يشبه خطوات الرقص للامام والخلف . اي انسحابا بسيطا ثم هجوما والعودة الى نفس التلال التي انسحبت منها القوة قبل ذلك . وكان جونين يريد حفظ قواته الى ان تصل جميع تشكيلات الاحتياطي ولكن هذا الاسلوب المتمثل في الهجوم والانسحاب قد كلف ضحايا كثيرة وادى الى تدمير مستمر . وكان الكثيرون لا يفهمون لماذا كان عليهم ان يهاجموا من جديد للمرة الثانية والثالثة نفس التلة التي انسحبوا منها بالامس وفقا للاوامر .

كذلك اتبع المصريون اسلوب حفظ قواتهم ، ولكن في مجال واحد فقط ، هو سلاح الجو . ففي حين كان المصريون يقومون بارسال سلاح مشاتهم للمجوم عدة مرات وعلى شكل موجات ، لم يكن الامر هكذا بالنسبة للقتال الجوي . فقد كان رئيس الاركان المصري يدرك مدى التفوق الواضح لدى سلاح الجو الاسرائيلي ، ولذا قام بتوفير طياريه وطائراته للمرحلة الثانية من الحرب .

وفي اليومين الاولين من الحرب بقي قسم كبير من الطائرات المصرية في مطارات داخلية ، وبعد ذلك جرب المصريون اسلوبا جديدا في الهجوم ، وهو الهجوم الواسع من الجو . وعلى ما يبدو فانهم كانوا واثقين بأنهم بهذا الاسلوب سيخسرون عددا اقل من الطائرات في المعارك الجوية وانهم سينجحون في الوصول الى اهدافهم بعدد من طائراتهم على الاقل . ولكن هذا الاسلوب لم ينجح كما كان مخططا ففي المرة الاولى اشتركت في الهجوم على اهداف مختلفة في سيناء خمسون طائرة ميغ وسوخوي وهاد من هذه الطائرات اربع وثلاثون طائرة فقط . وفي المرة الثانية اشتركت ستون طائرة على ثلاث موجات واحدة تلو الاخرى . وسقطت ثلاث عشرة طائرة مصرية اخرى في المعركة .

\* \* \* \*

جرى اليوم هجوم اسرائيلي مضاد وواسع على الجبهة المصرية ، وكان الكثيرون مقتنعين بأن الجيش الاسرائيلي سيقوم بأول هجوم مضاد له في الجزء الشمالي من القناة وكان سلاح الجو قد قام بعد ظهر أمس بقصف مدينة بورسعيد وما حولها من الجو ، واعتبر الامر كعداد للمجوم ، ولكن الهجوم لم يكن هنا .

ومع الصباح بدأ ابراهام ادن هجوما مضادا مستخدما عدة ألوية في نفس الوقت . وكانت المرحلة الاولى من الهجوم ناجحة جدا ، ان كانت القوات تعدو الى الامام وتدمر الكثير من الدبابات المصرية وتوقع الخسائر بالمدرمات التي حاولت الخروج لملاقاتها من منطقة القنطرة . وعلى اثر هذا النجاح اصدر جونين أميرا لبراهام ادن بالسيطرة على ثلاثة جسور قرب الفردان والاستعداد لنقل وحدات من الدبابات الى غربي القناة على كل واحد من هذه الجسور الثلاثة . وقد جرت بين جونين وادن المكالمة الهاتفية التالية: جونين : اريد - قبل العبور - ابادة جميع قوات العدو التي دخلت سيناء . وانا اعني بذلك ابادة جميع قوات العدو في القطاع الممتد من القنطرة جنوبا وحتى متسمد وبعد ان تقضي على جميع هذه القوات نعبر في احد المواقع .

ادن : سيكون كل شيء على علي .

جونين : ومن المهم جدا ان تستمر الحركة الى الجنوب كالتيار بدون توقف حتى تصل الى متسعد .

ادن : سيكون كل شيء على ما يرام ، وانا أنوى الاستيلاء على المناطق الواقعة في منطقة متسعد . هل تريد متي أن اتصل مع حزيون؟ ..

جونين : موافق ، واذ كان بالامكان العبور الى حزيون فمن الافضل أن تعبر مع وحدة صغيرة لتبقى على الضفة الثانية .

وفي مصفحة القيادة كانت تعابير وجه ادن تدل على الاستخراب ، فرغم أنه قد ابلغ القيادة بنجاحه حتى الان الا انه لم يكن مسرورا بهذا الامر . ففي النقاش الذي سبق الهجوم المضاد بدون مساعدة فعالة من الطائرات والمدفعية وكان يرى ان الامر الجديد يخالف ما اتفق عليه مساء امس فهو يعرف ان امامه دبابات مصرية كثيرة . وقد قال ادن للرجال الذين كانوا في المصفحة ( ان هذا الامر يدل على تفاؤل كبير ، وعلى ما يبدو فان هناك اخبارا سارة جد يسدة لا نعرفها ) ... ولكنه لم يخالف هذا الامر .

طلبت قيادة الجبهة من رئيس الاركان الموافقة على البدء في تحريك قوات شارون في نفس الوقت ، وكان الجواب سلبيا . وبعد فترة قصيرة عاد جونين واتصل مع رئيس الاركان وطلب منه اننا بتحريك قوات شارون . وكانت قوات ادن قد بعثت بتقارير عن وصولها الى احد الجسور المصرية وانه لذلك من المؤسف انخامعة الوقت .

واستجاب رئيس الاركان هذه المرة للطلب ، ولكنه قال بعد ذلك انهما كان عليه الاستجابة ، ان كان عليه ابقاء قوة شارون كقوة احتياطية لا ان يحركها الى الجنوب . على ان يأمرها في المرحلة الثانية بالانضمام الى قوة ادن في الهجوم على الجيش الثاني وبذلك يكون بإمكان قوة مشتركة من كلتا القوتين ضرب رأس الجسر الذي اقامه هذا الجيش كما ينبغي . وقال شارون امام رجاله بان الامر الذي تلقاه في هذه المرحلة يختلف عما تم الاتفاق عليه في مساء اليوم السابق ، فالامر الجديد يوجب عليه القيام

بالمهجوم من الجهة الجنوبية الشرقية وليس من الشمال ، كما يجب عليه ضرب رأس الجسر الجنوبي والسيطرة على الجسور التي اقامها المصريون قرب مدينة السويس . ولكن هذا الامر كان ايضا ، فقد وصلت الى قيادة الجبهة انباء من تورط مدركات ادن في معركة صعبة ومن حاجته الى مساعدة فورية ولم تكن هناك وسيلة اخرى سوى استدعاء شارون مرة اخرى .

ووافق رئيس الاركاب ايضا على هذا التخيير ، وصدرا الامر الى شارون بأعادة قواته الى الشمال باتجاه الجيش المصري الثاني .

في اطار هذه التطورات حدث امر غريب ، فمنذ يومين والقيادة تنتظر بشري سارة ، كما تنتظر اي شيء يدل على ان الجيش الاسرائيلي قد بدأ في التفوق . وانتشر خبر اقتراب قوات ادن من الخط المائي ومن الجسور التي اقيمت قرب الفردان كشرارة كهربائية . ولم ينتظروا حتى يروا كيف سيتطور الهجوم وكيف ستعبر قواته من فوق الجسور . وقبل ان يصل ادن الى جسور الفردان كان الهجوم يبدو على انه نجاح بالنسبة للذين توقعوا نتائجه وكأنه قد عبر الجسور واندفع غربا باتجاه السويس . وانتشرت الاشعة مخرقة كل سياج حتى وصلت خلال ساعة من الجبهة الى تل أبيب .

وكان هذا الخطأ قد اقترفه عرف حركات مجهول . فقد انصت الى شبكة المخابرة عندما كان العميد ادن يبلغ العميد جونين : " انني سأقترب على الفور من " النبوءة " جسر الفردان واحاول اجتيازه " .

استمع عرف الحركات الى هذه المخابرة وسجل وهو في حالة انفعال في سجل يوميات الحركات : " اجتازت قوات استطلاع صغيرة من فرقة ادن القناة في منطقة " حزيون " و " بركان " . وانتشر هذا الخبر الجديد من الفاه السى ادن القيادة العليا . وقام شخصا بأبلاغه الى العميد زئيفي واتصل هذا الاخير هاتفيا برئيس الاركاب الذي كان يحضر اجتماع الحكومة . وكانت الوزارة تعتقد من ساعات الظهيرة اجتماعها اليومي في " المافيريا " في تل أبيب . وقام احد الاشخاص بارسال ورقة الى رئيس الاركاب . وتضمنت الورقة الخبر الذي ابلغ به زئيفي ومفاده ان " برين " عبر القناة وان قواته تعمل الان غربي القناة . وقام

السكرتير العسكري لجولدا مئير يسرائيل ليور بنقل خبر مماثل الى رئيسة الوزراء .  
ولحسن الطالع لم يصدر المتحدث بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي بيانا رسميا  
حول هذا الموضوع ، لكن المعلومات نقلت الى المطحقة العسكرية لجيش  
الدفاع الاسرائيلي في واشنطن . وتمكن العميد جور من ابلاغ ذلك الى عدد  
من الاشخاص . ونجح صحفي واحد فقط هو ايوكيد من صحيفة الفيجارو الفرنسية  
بطريقة ما من تسريب الخبر الى خارج البلاد . ونشر الخبر في باريس ولكن بدون  
ان يعرف كيو ان الخبر ليس الا مجرد هراء .

وندا ما خرج رئيس الاركان والوزراء من الجلسة تبين لهم انه ليس فقط ان  
ادن لم يحبر القناة ولكنه ايضا قد تلقى ضربات قاسية ، فبينما كانت طلقات  
الدبابات تقترب من القناة صرخ احد قادة الدبابات ( ان المصريين يطلقون  
عليها صواريخ ساغر ) .. وهذه صواريخ حديثة ضد الدبابات واشتعلت بفعل  
الطلقات الاولى ثماني دبابات ، وخلال بضعة دقائق اشتعلت عشر دبابات اخرى  
ود بتفويض كبيرة وكان المصريون في نفس الوقت يقومون بقصف شديد من المدافع  
وصواريخ الكاتيوشا وهكذا انسحبت باقي القوة وبقيت بعض الدبابات في ساحة  
القتال وبداخلها جرحى لا يجدون من يسميهم . وكانت الضربة شديدة ولكن  
مع ذلك فقد انتهى الامر . والان تنتظر قوات اذن المساعدة الجوية ... وقد  
وصلت تشكيلة تتألف من أربع طائرات وألقت بقذائفها بصورة خاطفة واختفت  
ووجد سلاح الجو بارسال طائرات اخرى خلال ساعة . وفي هذه الاثناء استغل  
المصريون الهدنة وقاموا بنقل مدرعات ومشاة من غرب القناة الى ارض المعركة  
مستخدمين الجسور ، وتشبثت قوات اذن ولم تكن تستغل كامل قوتها  
كقبضة واحدة بل كانت تهاجم بوحدات صغيرة .

لم تكن الاخبار تصل من ساحة المعركة بسرعة ، وكان من الصعب تكوين صورة  
عن التفجير الفجائي الذي حدث نحو الاسوأ . وسقط قرب مركز قيادة اذن في  
هذه اللحظة بالذات عدة قذائف مما اضطرته الى الهروب الى مكان اخر . كذلك  
فان قواته كانت تخالف الاوامر التي تطلب التقيد بمهاجمة المصريين من  
الشمال الى الجنوب .

بعد ان هوجمت قوات نتكه ، ولم ينج هو ايضا من مصير مماثل للذي اصاب رجال القوة الاخرى واصيبت عشر دبابات تابعة لنتكه بفعل صواريخ - ساغر- المصرية واشتعلت فيها النيران ، وكان من ضمن الدبابات المصابة دبابه احد قادة الكتائب ويدعى عساف يافورى وكان قد خرج من دبابته للمساعدة فسي تخليص رجاله ، وندما انتفض عليه عشرات الجنود المصريين من كل صوب ، ومن ضمنهم رجال وحده فلسطينية وأسروه .

استمر المصريون في ضغطهم وسقطت عدة قذائف في وسط قيادة ادن وشكلت القوات الامامية من نقص في الوقود والذخيرة ، ودبت الفوضى هنا وهناك هويقي لكل واحد من اللوائين الموجودين في الامام دبابات معدودة ، وانقضت اكثر من ألف دبابه والافمن المشاة المصريين على قوات ادن المنهكة ، وكان ذلك قبل مغيب الشمس ، وكانت اشعة الشمس الخائبة تضي ابصار رجال سد فعية الدبابات الاسرائيلية . وطلب اثنان من القادة اذنا بالانسحاب الجزئي لامادة تنظيم القوات ، وفي اثناء بحث الطلب اعلن احد هؤلاء القادة ان الدبابات المصرية تقوم بمهاجمته . واستمرت المعركة ربح ساعة ، واشتعلت النيران في حوالي خمسين دبابه مصرية وبعد ذلك جاء دور سلاح المشاة الذي اصيب منه الكثير واضاءت النيران المشتعلة بالدبابات الظلام الذي بدأ يهبط ببطء وكان الدارفان يلحقان جراحهما ، ولم يكن هذا يوما جيدا بالنسبة للجيش الاسرائيلي على الجبهة الجنوبية ورغم ان المصريين قد تكبدوا خسائر كبيرة الا ان هذا اليوم كان لصالحهم . وفي الليل اجتمع القادة في غرفة العمليات بالجبهة ولخص جونين الموقف بقوله (ماينا الانتظار الان ، ولن نعبر القناة ولن نصل للمعاقل المحاصرة ، وسنعود الى الاسلوب السابق ، كما سنتوقف على طريق البطاريات التي تبعد تسعة كيلومترات عن القننة ٠٠٠) .

في الاربع والعشرين ساعة الاخيرة تحول وضع المعادل الى الاسوأ بصورة كلية . واصبحت الجبهة مقسمة الان الى أربعة قطاعات ، وكل قائد مسؤول عن المعادل بداخل قطعه . وكان قائد القوة المتواجدة في اقصى الشمال هو كالمان ميحن . وعلى مقربة منه ، مقابل القنطرة وجسر فردان ، كان يتولى

القيادة ابراهام ادن • والى الجنوب كان اريك شارون • وكان البرت مند لريتولى قيادة القوة الموجودة في اقصى الجنوب • وفي كل واحد من هذه القطاعات - نجحوا في بعض المعامل • ولكن معامل اخرى احتلت او استسلمت • وبقي هناك معقل واحد فقط على شاطئ البحر صمد حتى النهاية • وقام رجاله بصد جميع الهجمات بما فيها هجوم عن طريق البحر من قبل الدبابات برماية • وعلى شاطئ القناة كان الوضع اكثر تعقيدا • فقد كلفت محاولات تخليص رجال المعقل العديد من الضحايا • وكان عدد القتلى يتزايد كلما زادت محاولات شق الطريق الى المعقل • فالى جانب الالتزام الادبي نحو رجال المعقل ظهرت مشكلة خطيرة اخرى وهي ان عدد القتلى في عمليات التخليص كان يتزايد بصورة كبيرة مما جعل القوات التي خصصت لمواجهة قرووس الجسور المصرية تتناقص بصورة خطيرة • وكانت الجهود المبذولة لتخليص رجال المعقل الكائن بجانب جسر الفردان نموذجاً لذلك • • • فقد اصيب قائد المعقل بجراح خطيرة وقطعت يده في المعركة • وجرح مساعده ايضا وكان الذى يدير القتال في الواقع هو رجل اللاسلكي • ولقد ارسل قائد اللواء الموجود مقابل المعقل ثلاث سرايا لتخليص الرجال • سرية اثر سرية • ولكن لم تصل اى من السرايا الثلاث الى هدفها •

واصيب في هذه المحاولة حوالي اربعين دبابة اسرائيلية • وقتل وجرح حوالي خمسين من رجالها • وفي النهاية سقط المعقل بأيدي المصريين • الى الجنوب اكثر ومقابل الاسماعيلية عقد رجال المعقل جلسة عاجلة • وكان الموضوع الذى بحثوه هو امكانية استمرارهم في القتال على امل ان تصل في النهاية قوة من جيش الدفاع الاسرائيلي وتخلصهم • او يقبلون اقتراح القيادة باخلاء الموقع والتسلل عن طريق خطوط المصريين • • • واخيرا قرروا مضادة المكان • فبعد غياب القصر خرجوا الى الطريق ومعهم دبابة واحدة • • شقوا طريقهم بين تشكيلات المصريين وخرج رتل من المدرعات الاسرائيلية لاستقبالهم • ولكنه عاد بخفي حنين • وانطلقوا ثانية ولكن في هذه المرة لم يجدوا رجال الموقع • وفي المحاولة الثالثة اطلقوا اشارة نارية خضراء •

وفي هذه المرة اصطدم الرتل الذي حاول القيام بعملية التخليص بقوات مصرية ..  
وكان عليه ان يشق لنفسه طريقا بين مئات المشاة المصريين ومشارب الدبابات  
فاصببت اربع من مصفحاته وسجل ثلاث منها كمفقودة . واخيرا تم انقاذ الدبابة  
التي كان يمتطيها جميع رجال المعقل ، ولكن السرور كان مزوجا بالحزن .  
وضغط قائد معقل القنطرة على قيادته للسماح له بالخروج الى الطريق  
مع حمل جثث رفاقهم القتلى . ولكن طلبه رفض ، فالطريق التي كانوا سيسلكونها  
طويلة وخطرة كما ان حمل جثث قتلاهم سيزيدهم صعوبة وسيزيد من الخطر .  
وخرج الى الطريق ٤٢ رجلا هم رجال المعقل . وبعض الجنود من الذين  
صادفهم على الطريق ، وكسر القائد على رأسهم . وفجأة وقعوا في كمين  
مصرى ولم تكن النيران شديدة ولكن لم ينقضوا على ازالة الكمين .. وكان همهم  
ان ينجوا من التطويق وهكذا انقسم الرتل الى مجموعتين كبيرتين ، وبقي  
بالقرب من مكان الكمين جنديان اصيبا بالنيران ولم يشعر زملاؤهم بفقدانهم .  
نجت مجموعة واحدة بعد ان شقت طريقها داخل مقايح القنطرة اما  
المجموعة الثانية وتضم سبعة عشرة مقاتلا فقد وجدت مخابأ في احد البيوت بخواحي  
القنطرة ، ومع الصباح اكتشف المصريون وجودها ، ودارت معركة قصيرة  
قرر الرجال الاستسلام بعد ان نفذت الذخيرة .  
خرجت المجموعة الاولى التي بلغ عدد افرادها ثمانية جنود الى الخارج  
رافعة ايديها . وكان من شأن هؤلاء العودة من الاسر في المستقبل اما مصير  
رفاقهم التسعة الذين بقوا داخل الخزانة فقد بقوا طي المجهول . ولم يعثر  
على اثر لهم منذ ذلك الوقت .  
وفي موقعين اخرين اثر القادة عدم الخروج بتاتا وسقط الموقعان فسي  
يد المصريين الاول الى الشمال من البحيرات المرة الكبرى حيث يقع على جناح  
الجيش المصري الثاني . واقترح الذي كان يقوم بانقاذ المواقع في هذا  
القطاع ، على قائد الموقع الخروج لمقابلة افراد الموقع المجاور والتسلل معا  
عبر الخطوط المصرية . وكان في داخل المواقع ثلاثون رجلا ومعهم مسرسة  
وناقلة جنود مدوة وسيارة بيك آب ، فكر القائد لفترة طويلة وقال في نهاية



الامر انه يفضل البقاء . وفي الموقع المجاور صعد جميع المقاتلين الى المسرسة الوحيدة المتبقية ووصلوا خلال ساعة الى خطوط جيش الدفاع الاسرائيلي . ووصلت دبابات ( د ) الى موقع آخر يقع في قطاع البرت الى حوالي ٤٠٠ متر من الموقع . تحدث ( د ) مع قائد الموقع ورض عليه ان يقتحم هو ورجاله نحو الموقع . تشاور قائد الموقع مع فراده ورفض الاقتراح .

كان الوضع يعتمد الى حد كبير على قادة المواقع . يوجد من هو على استعداد للمخاطرة حتى لا يبقى في مؤخرة المصريين . وقد تم خلاص هؤلاء في نهاية الامر وان كان ذلك قد تم من خلال معارك في الطريق وتكبيل الخسائر . ويوجد قادة يوجهون القيادة في العمل . ويوجد آخرون ينبغى تشجيعهم . وفي احد المواقع في القطاع الشمالي بقي جندي بمفرده رفض الانسحاب . وظل على اتصال لمدة ٤٨ ساعة ومندھا سكوت صوته . وفي احد المواقع القريبة من الفردان دار حديث دراماتيكي بين المخابر واريك شارون . واستمرت المخابرة على فترات متقطعة حتى بعد ظهر اليوم التالي . عرض شارون نفسه في الجفرة التابعة لقيادة المنطقة وقال : يتحدث اليك السابق \* ( القائد السابق للمنطقة الجنوبية ان من المعروف ان شارون كان قائدا لهذه المنطقة .. المترجم ) . لم يدرك المخابر في بداية الامر من الشخص الذي يتحدث اليه . وبعد ساعة استطاع ان يحل الرمز . كان صوته في لهجة يمنية واضحة وقد اتخذ هذا الصوت نغمة الحماس . وقدّم نفسه على أنه يعقوب بن ناحيم . قال المخابر انني لعرف من أنت . هذا يشجعني . واعرف انك ستأتي لانقاذنا \* .

طلب بتوجيه نيران المدفعية الى المواقع من اجل صد المصريين . لكن كل المحاولات التي بذلت لانقاذ هذا الموقع باءت بالفشل . كان يسمع طوال الوقت من جهاز اللاسلكي صوت المخابر ذو اللمجة اليمنية . وكان يتكلم بلا انقطاع . وكانت اجمزة المخابرة تضح بصوته ان لم يترك الراحة للاخرين . وفي اليوم الثاني قبل المساء فهم على ما يبدو ان معركة على الموقع اشرفت على نهايتها . وفجأة قال يعقوب بن ناحوم بواسطة جهاز المخابرة : " قولوا لأمي

انني قاتلت كبطلاً" • وبعد نصف ساعة من ذلك أبلغ ان قذائف البازوكا تنفجر  
عند مدخل الاستحكام • وكانت اصوات الانفجارات تسمع من خلال جهاز المخابرة  
وبعد ذلك ساد الصمت •

سقط من بين الستة عشر موقعا المأهولة والواقعة على طول القناة تسعة مواقع  
وكان آخر هذه المواقع موقع الرصيف الذي استسلم بعد اسبوع • وتم اخلاء  
سته مواقع وانقاذ افرادها • واما الموقع المتبقى بالقرب من الساحل فقد صمد  
حتى النهاية •

اتضح هذه الليلة ان نتائج المعركة البحرية مع السوريين لم تكن مجرد صدفة •  
ووقعت المعركة الثانية بين مدينة بور سعيد والاسكندرية • كان السلاح البحري  
المصري يقف بنفسه اكثر من السلاح البحري السوري • فبعد حرب الستة ايام  
سجل لنفسه نصرا كبيرا عندما اغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات بقصف صاروخي  
من بور سعيد • لكن الصواريخ الروسية اخطأت هذه المرة اهدافها • وبعد  
٤٥ دقيقة من المعركة اغرقت ثلاثة زوارق صواريخ مصرية من نوع اوسا • وقد  
تم انقاذ عدد من افراد احد هذه الزوارق واسرهم • وكانت هاتان المعركتان  
تكفيان لان تؤدى بالاسطول السوري والمصري الى تفضيل عدم الابتعاد عن قواعدهما •  
• لم يكن الناس داخل اسرائيل يعرفون حقيقة ما يدور على الجبهة،  
فالمواطنون العاديون لم يكونوا يعرفون ان هضبة الجولان قد سقطت تقريبا  
بأيدي السوريين • وان موقع جبل الشيخ قد سقط بهجوم رجال الكوماندو  
السوريين • وان خط بارليف لم يعد له وجود • وان هناك حصارا بحريا في  
مضيق باب المندب • وفي الحقيقة ان احدا لم يحاول او يجرؤ على نقل هذا  
الاخبار السيئة الى الجمهور بل بالعكس • فان اذاعة اسرائيل قد استمرت في  
نشر تقارير المراسلين التي تتحدث فقط عن انتصارات وهمية في الجبهة • ومع  
أن محرري الصحف والمراسلين العسكريين كانوا يتلقون ملخصات ثابتة عن الوضع  
على الجبهة • الا انه لم يكن يسمح للصحف - حسب اوامر الرقابة - بنشر  
انباء عن الهزائم في الجبهة •

وفي هذا المساء وصل رئيس الاركان لحضور مؤتمر صحفي ضخم نقل بواسطة

التلفزيون ، وهو المؤتمر الصحفي الذي سوف يبقى في الذاكرة زمنا طويلا . فقد وصل دافيد اليعازار الى المؤتمر قادمًا من جلسة الوزارة . وكان موشيه دايمان وزير الدفاع قد تحدث في اليوم السابق من على شاشة التلفزيون ومع انه قال بأن المصريين سينالون ضربة قاسية ، وانه لم يكن يريد ان يرى نفسه مصريا في نهاية المعركة ، الا ان وجه دايمان اليوم ليس كما كان في الامس . ولم يتحدث اليعازار عن الوضع المتأزم على الجبهات ولا عن الخسائر الكبيرة التي مني بها جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد صفق له الحضور عندما قال ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيستمر في ضرب ( العدو ) ويحطم عظامه . وكما قال اليعازار بعد ذلك ، فانه في ذلك الوقت لم يكن يفكر بالجمهور أو برد فعله بل بالجنود الذين كانوا يقاتلون على الجبهات والذين كانوا بحاجة الى تشجيع والى رفع روحهم المعنوية . . كذلك كان يقصد بكلامه ردع الاردن عن الدخول في الحرب . وبالنسبة للجمهور الكبير فقد تحولت عبارة ( تحطيم العظام ) الى شعار ( عدم العلم ) الذي كان واقعا فيه في احلك ايام الحرب .

#### خط بارليف

لم تكن مواضع الدفاع والتحصن من المواضيع التي تستهوي جيش الدفاع الاسرائيلي ، فمنذ بدأ هذا الجيش بتأسيس نظريته القتالية ، وجه كل اهتمامه وكل شيء تقريبا للمجوم والانقراض . اما ما كان متعلقا بالدفاع - ولو حتى بصورة غير مباشرة - فقد اعطى افضلية منخفضة ، وحتى الدفاع الجسوى المضاف ، لم يعط اهمية الا بعد حرب الايام الستة .

وبعد عد قايام من استيلاء جيش الدفاع الاسرائيلي ، في عام ١٩٦٧ ، على قناة السويس تلقى قسفا مصريا شديدا من وراء القناة . وتبين فجأة للاسرائيليين ، انهم اذا ارادوا البقاء قرب القناة ، والمحافظة على حياة رجالهم ، فانه يجب عليهم التحصن . ولم يكن لمهندسي جيش الدفاع الاسرائيلي في ذلك الوقت الا معرفة ضئيلة بالتحصن .

والدرس القاسي الثاني كان في تشرين اول ١٩٦٨ ، ففجأة بدأ المصريون بالقصف على طول جبهة القناة ، وقتل من جراء ذلك خمسة عشر جنديا

اسرائيليا ، كما جرح العشرات • ودمرت استحکامات كما لو كانت مبنية مسن ورق اللصب • وقد قال لي يشعيا هو جيش ، قائد المنطقة الجنوبية في ذلك الوقت تعليقا على ذلك : ( لقد هزنتي قوة القصف ودقته • فقد قام المصريون بتشغيل حوالي مئة وخمسين بطارية مدفعية لا •

وبعد هذا القصف وقصف ثقيل آخر ، اصبح واضحا ان هنالك حاجة الى تغيير جوهرى سواء بالنسبة للتحصن او بالنسبة لطابع الدفاع عن القناة • وبدأ نقاش عاصف لم يصل الى علم الجمهور منه الا النزر القليل • وكان موضوع النقاش هو طريقة استمرار السيطرة على القناة ، وهل نعتد بصورة اساسية على دفاع متحرك أم على حصون تقام على خط الماء ، بحيث يكون الدفاع المتحرك من ورائها • ولم ينته هذا النقاش حتى بعد ان حسم الامر رئيس الاركان في ذلك الوقت وهو حايم بارليف •• وقد زاد النقاش في حرب الاستنزاف ومع ما استخلص من هذه الحرب •

والان ، وبعد حرب يوم الغفران ، وعلى اثر سقوط خط بارليف ، ثار النقاش مرة اخرى ، ولم يكن النقاش هذه المرة نظريا فحسب •

بعد القصف الكبير في اواخر عام ١٩٦٨ مباشرة ، بدأ جيش الدفاع الاسرائيلي عملية تحصن كبيرة ، وانزل الى الخط اكثر من مئة تراكور ، واستعان متعمدون مدنيون بحوالي ألفي جندي مبتدئ • جلبوا خصيما لهذه المهمة • استخرقت العملية حوالي أربعة اشهر ، وقد امتنعت اسرائيل خلالها عن الرد بالمثل على الاستفزازات المصرية • وقد اطلق على المواقع الجديدة اسم جديد " معقل " • وقد جاء ذلك تأكيدا لتعزيز وتعميق الموقع • وقد درس المهندسون بصفة رئيسية كرايس التدريس للجيش الروسي • اقيمت الاستحکامات التي تم تغطية سقفها بطبقة من الاسمنت المسلح بقضبان سكة الحديد • ولهذا الغرض ، تم تفكيك خط سكة الحديد المصرية في سيناء • وكان الاعتقاد بأن القذيفة المفترقة ستنفجر على هذه الطبقة المعدنية فلا تخترق موجبات الانفجار الاستحکام • وتم ايضا حفر قنوات للدفاع واحيط المعقل بجميع جهاته بالاسلاك الشائكة الحادة والالغام على اختلاف انواعها والمصاييد •

وكان بإمكان عدة آليات ودبابات الدخول الى ساحة المعقل وفقا لحجم المعقل .  
كان المسؤول عن العملية في تلك المرحلة العميد ابراهيم (برن) الذي عين بعد  
ذلك قائدا لقطاعات الدروع .

وفي هذه المرحلة كان مضمو الخط ما زالوا يعتقدون او يأملون ان بإمكان  
هذه المعازل منع المصريين من عبور القناة . والدليل على ذلك انهم في كسل  
معقل امدوا فتحات لاطلاق النار باتجاه القناة . وقد اطلت من هذه الفتحات  
مدافع ثقيلة وحتى مدافع ضد الدبابات . اما معارضو هذه الطريقة - ولمسى  
رأسهم اللواء شارون ( الذي كان في تلك الفترة رئيسا لدائرة التوجيه ) فقد  
استهزأوا بطريقة فتحات الاطلاق ، وقالوا انها سوف تسد حال بدء اطلاق  
النيران وفجلا ، عندما بدأت حرب الاستنزاف اتضح ان المصريين كانوا قد  
لاحظوا وجود هذه الفتحات ، وقاموا بالتأشير عليها مسبقا بدقة ، فتعطل  
مفعولها منذ الاشتباكات الاولى . واصيب كثير من الرجال الذين كانوا يقربها  
وام يكن هناك خيار الا اغلاقها .

كان للنقاش - حول خط بارليف - وجهان ، الاول : كيف يمكن الحفاظ على  
الخط في حرب ثابتة مثل حرب الاستنزاف . والثاني : ماذا ستكون مهمة  
المعازل اذا ما حاول المصريون القيام بعبور شامل .

وحيث أن استمرار السيطرة على الخط كان متصلا بحوادث متكررة ، فقد تركز  
معظم النقاش حول المسألة الاولى ، ومع ان المسألة الثانية - فيما يتعلق  
بخطر العبور الشامل - لم تهمل .

وكان حاييم بارليف ، رئيس الاركان يمثل فكرة اقامة المعازل على خط الماء  
وكان المعارضان هما اللواء اسرائيل طال ( الذي كان في تلك الفترة يعمل  
في تطوير الاسلحة بوزارة الدفاع ) واريك شارون ( الذي برز في النقاش بسبب  
طبيعته الحاصفة ) . وقد اكثر شارون من التشاور ومبادلة الرأي حول هذا  
الموضوع مع اللواء ابراهيم تميم الذي كان يعمل رئيسا لشعبة التخطيط . وكان  
النقاش حادا جدا ، كما كان مصحوبا بتبادل الكلمات القاسية وحتى بارتق الابواب .  
ماذا كانت وجهة نظر طال وشارون ؟

لقد قال انه يجب عدم استبعاد الحصون ، فهي جيدة للحماية ولكن ليس للحرب . . فهي قد تصبح ذيو لا زائدة وخطرة . وليس للمعادل دور حقيقي فهي منح عبور القناة ، فعند العبور سوف تشل نيران المدفعية الثقيلة المنصبية حركة الاشخاص الذين يداخلها ، ولذلك يجب الاكتفاء بخط تحصينات خلفي بعيدا عن القناة . . وسشبكة من الطرق المؤدية اليها . وحسب هذا الرأي فان الدفاع عن القناة ومن سيناء ، يجب ان لا يكون على خط الماء ، كما يجب الامتناع عن اقامة شبكة ثابتة قريبة جدا الى (الحدود) . اما خط التوقف فيجب اقامته في مكان اكثر عمقا ، بين بالوظة في الشمال وطاسة في الجنوب ، كما يجب ابعاد سلاح المشاة عن خط الماء الى خط التوقف الخلفي ، وفي الامام تعمل وحدات من المدرعات . اما في المجال الواقع بين القناة وبين خط الصد من الخلف الذي سيقف عليه سلاح المشاة ، فيستوجب على سلاح المدرعات الاسرائيلي الحمل على اباداة (الحدود) .

لم يكن حاييم بارليف يفكر في مواضيع الدفاع الثابت فقط ، فلقد رأى في المعادل احد العناصر في جهاز الدفاع الشامل ، الذي يعتبر قسم منه متحركا وقسم - في الخط الامامي - ثابتا . وهو لم يفترض بان المعادل ستصد عبورا ضخما ، ولكنه رأى فيها مراكز امامية . وارض بارليف ان يجرى الدفاع في الخط الامامي بقوات متحركة فقط ، ورأى ان القوة المتحركة ستقع في كمان المصريين . . وهؤلاء سيكثرون من عبور القناة والتمركز على ضفتيها .

وبهذا سيكون على جيش الدفاع الاسرائيلي الدخول مرات عديدة في معارك كبيرة . وكان رأى بارليف هو ان يبقى سلاح المشاة متقدما الى الامام ، اما في الخلف فتكون هناك قبضات من المدرعات والمدفعية ، وهكذا تأتي المدرعات لمساعدة المعادل وتقوم بهجمات مضادة وسريعة . وكان بارليف يعلق أهمية خاصة على الوجود الثابت في الخط الامامي ، والسيطرة عن طريق القوات الثابتة . وبعد أن اصبح بارليف رئيسا للاركان حسم النقاش لصالح وجهة نظره ، اما خلفه في الوظيفة ، دافيد اليمازار ، فلم يتدخل في النقاش تقريبا ، لانه كان مشغولا في مشاكل الامن على الحدود السورية واللبنانية ، وعلى القطاع

الشمالي من الحدود الاردنية . ورغم ان كثيرا من القادة الكبار ، في جيش الدفاع الاسرائيلي ، قد أيدوا وجهة نظر بارليف ، الا ان موقفه المتصلب من النقاش المعاصر قد اكسب الموضوع صفة شخصية ، وبذلك دعي الخط بأسمه . ولقد تجدد النقاش في أوج حرب الاستنزاف ومع انتهائها ، فمع ان المعامل قد اعطت الرجال الذين بداخلها فطاء وحماية ، فقد كثر المصابون في الحرب سواء من نيران المدفعية او من الكوماندو المصريين . والاصابات التي حصلت على الخط هي التي جعلت جيش الدفاع الاسرائيلي يستعمل سلاحه الجوي من حزيران عام ١٩٦٩ ضد المصريين . وفي احدى زيارات وزير الدفاع الى القناة ، اقترح عليه قائد القطاع الشمالي - وهو مظلي قديم - الانسحاب الى الخط الثاني . وشرح القائد الامر لدايان بقوله : ( اننا قريبون من المصريين اكثر من اللازم ، وبهذا نكون قد لهددنا اهدافنا سريسة للمدفعية المصرية ) .

وفي نهاية حرب الاستنزاف اعد شارون احصائيات من اجل اثبات اقواله فبين الاول من كانون الثاني عام ١٩٧٠ (عندما استلم القيادة الجنوبية) وبين الثامن من تموز من نفس العام (عندما توقفت النيران كان هناك - حسب اقواله - ٤٨٩ قتيلًا وجريحًا في خط القناة . صحيح ان قلائل من هؤلاء أصيبوا داخل الاستحكامات ، الا ان معظمهم قد اصيب قرب المواقع ، وكان كثير منهم من رجال الخدمات الذين قدموا الى المواقع لاحضار الثلج او لاصلاح مولدات كهربائية وهكذا . . . . وكانت المعامل مركزا لحركة بشرية ضخمة ، وقد اصيب الكثير من الذين كانوا يتنقلون .

ورغم هذه الاحتجاجات ، فان بارليف لم يتخل عن موقفه . وفي عشية اعتقاله لمنصبه كرئيس للاركان وذلك في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٧١ قال لي : ( انا ارى في قرار الابقاء على خط الماء أمرا ذا أهمية حاسمة ، وقد حسمت النقاش شخصيا . . . فلولم تكن قد بقينا في اماكننا لاستولى المصريون على ما اخذ في سيناء ، ولا اضطررنا الى الاستيلاء في كل مرة على الخط من جديد . ومع انه من الصعب اثبات ذلك الا أن وجودنا في هذا المكان

دليل على ذلك ، وبالنسبة للقائلين بان حرب الاستنزاف كانت ستكلفنا اقل من ذلك ، فقد يكون ذلك صحيحا وقد لا يكون . واصبح اريك شارون ، المعارض الشديد لبارليف في مسألة المماقسل ، قائدا للجبهة الجنوبية . وبارليف هو الذي دعاه الى ملء هذا المنصب خلفا للواء جيبش . وما ان وصل شارون الى قيادة الجبهة حتى طلب تغيير اسلوب الدفاع ، الذي كان سائدا حتى فترة حرب الاستنزاف . وما د شارون وشرح رأيه بأن على جيش الدفاع الاسرائيلي التفكير ايضا في وضع لا يكون فيه لاسرائيل تفوق جوي ، فعندما نعجز عن الوقوف بسهولة في خط المواقع . ولذلك ضُغط من اجل تقليل عدد المواقع . وكان قصده ان يستعمل قسم من هذه المواقع وبالذات في قطاع واحد الذي مواقع للمرصد فقط وفي المقابل بدأ بتوسيع المواقع الخلفية وهي المواقع التي اطلق عليها اسم مواقع الخط الثاني . وكانت نيته تتجه الى اقامة مواقع اضافية على بعد حوالي ثمانية الى عشرة كيلومترات من القناة . وتشيد هذه المواقع في المنحدرات الخلفية المستترة عن مواقع الرصد المصرية . وقد اطلق على هذه المواقع اسم جديد : تحصينات . ويبدو ان بارليف بدأ يأخذ في اعتباره احتمال ان يواجه جيش الدفاع الاسرائيلي صعوبة في تحقيق التفوق الجوي في قطاع القناة . وقد عرض مثل هذا الاحتمال على وزير الدفاع موشي ديان . وأمام رئيسة الوزراء جولدا مئير . وقال اذا كنا لا نستطيع الاحتفاظ بالخط الاول فاننا سنحول القوة الى الخط الثاني . وسينقل الدرع الى الامام . كانت هذه هي الخلاصة . اقترح شارون في الاسابيع الاولى من تعيينه قائدا للمنطقة الجنوبية اخلاء ثلاثة عشر موقعا من مجموع الثلاثين موقعا في الخط الاول على القناة . أما المواقع التي ستبقى فقد اقترح ان توضع فيهما طبقة من المتفجرات بصورة رئيسية وايضا في الممرات التي تربط الاستحكامات ببعضها البعض . ورفض اقتراحه هذا في بداية الامر بيد أنه بوشر بهذا التخفيض عندما كان بارليف لا يزال رئيسا للاركان . وتم في احد القطاعات فلق موقعين من مجموع أربعة مواقع حتى في عهد بارليف . وبينما كان شارون يسعى الى تقليص الجهد الثالث لخط بارليف ، فقد لجأ من قصد الى توسيعها من ناحية ثانية . فقد



سعى الى تقليص المواقع ولكنه قام بتوسيع الطرق التي تعتبر جزءاً عضواً من  
الجهاز المتحرك . وقام بشق مئات الكيلومترات من الطرق بالقرب من القناة  
وخاصة الطرق المواجهة للقناة وليست الواقعة على امتدادها . وهكذا أراد أن  
يقلل الى ادنى حد الاجزاء التي تتحرك على طولها قوات جيش الدفاع  
الاسرائيلي تحت النيران المنطلقة من عبر القناة .

وخصصت الطرق المواجهة للقناة ايضاً من اجل التدقيق السريع للدروع الى

#### المواقع والقناة .

ولم يكف شارون بذلك ، فتمح قدومه للجبهة في الاشهر الاخيرة من حرب  
الاستنزاف ، لاحظ ان المعامل المحمية قد اوجدت في المعاملين رغبة في التوقع  
بداخلها ، ولذا اصدر اوامر صارمة بزيادة الدوريات في الليل والنهار ، بين  
المعامل وعلى مقربة منها ، وكان وقف اطلاق النار في آب ١٩٧٠ قد حدد  
له فترة شهر مع امكانية تمديده الى ثلاثة اشهر اخرى . وقد تقرر تجديد  
وتحسين المعامل بعد ان صمدت ستة عشر شهراً امام القصف الكثيف . وبدأت  
عملية بناء اعتبرت واحدة من اكبر عمليات البناء في اسرائيل .

واشرف على هذه العملية في سيناء اللواء دان لنر وساعده كالمان ميجين  
وكان الهدف هو تحويل هذه المعامل القائمة الى قلاع أقوى . وبدلاً من  
طبقة السكة الحديدية اعدت طبقة جديدة من الواح من الحجارة وضعت في  
داخل شبكات من المعدن . وقامت الاف الشاحنات بنقل مئات الاطنان من  
الحجارة الى منطقة القناة . واشترك في العمل عمال دروز من هضبة الجولان  
بالاضافة الى العمال اليهود ، واعدت جميع المعامل للمصود امام نيران  
المدفعية الثقيلة .

والغريب في الامر ان اللواء شارون قد اضطر ، في عملية البناء هذه  
الى تقوية المعامل التي كان قد طلب النواؤها في السابق . وكان هناك أمر  
واحد اجتذبه ، فقد شق بجانب القناة حوالي اربعمائة كيلومتراً من  
الطرق ، من بينها حوالي مئتين وخمسين كيلومتراً مفروشة بالاسفلت . وفي  
منطقة (المستنقعات في القطاع الشمالي شقت طريق وضع تحتها ستائر

من البلاستيك حتى لا يتسرب الماء اليها ويخطئها .  
وقد اكثر من شق طرق العرض ، واعدت في مفترقات الطرق ، طرق جانبية .  
وعلى طول القناة شقت طريق طويلة سميت ( طريق البطاريات ) وذلك كي تتحرك  
عليها بطاريات مدافع الجيش بسرعة وقد بلغت تكاليف التحصينات في الخط  
الاول فقط حوالي نصف مليار ليرة اسرائيلية فوق ذلك اقيمت نقاط محصنة ،  
كذلك بنيت في العمق مراكز اتصال وغرف عمليات ومستشفيات . وكان القصد هو  
اخفاء هذه الانشاءات تحت باطن الارض ابتداء من الانابيب ووسائل الاتصال  
وحتى القيادات . وقد تركت التقارير المنشورة انطبعا لدى الجمهور بان الامر  
يتعلق بخط وحيد على طول القناة كلها ، اي خطا شبيها بخط - ماجينو -  
او خط - مانرهييم - في فلندا . ولكن الامر ليس كذلك ، ففي الواقع اقيمت  
على طول القناة نقاط محصنة ، ويبلغ طول القناة من فتحها الشمالية الى  
فتحها الجنوبية حوالي مئة وستين كيلو مترا . واذا استثنينا البحيرات فان طول  
الخط الذي يقع تحت سيطرة جيش الدفاع الاسرائيلي قد بلغ مئة كيلو مترا . وقد  
اقيم على طول هذا الخط ، قرب الماء ، حوالي ثلاثين معقلا ، وفي عدة اماكن  
بني بعض هذه المعقل بصورة متراصة ، واقم في القنطرة اربعة معقل قريبة  
من بعضها البعض . وفي المقطع الشمالي قرب راس العرش اقيمت ثلاث معقل معا .  
كما اقيم ثلاثة معقل مقابل الاسماعيلية ، ومعقلين متقاربين شمال البحيرة  
المرية الكبرى . في الموقع الذي عبرت فيه القوات الاسرائيلية في حرب يونيو  
الخيران - . وكانت النتيجة ان وجدت على طول القناة ، اجزاء بلغ طولها  
حوالي خمسة عشر كيلو مترا ولم يكن فيها اية معقل ، بل وكان يوضع فيها  
خلال النهار نقاط رقابة متحركة . لذلك استطلع المصريون العمل في هذه  
المقاطع بدون ان تكشفهم القوات الاسرائيلية بشكل سريع وقد قال بعض القادة  
انه يمكن ان نجد انفسنا امام الوية من المشاة المصريين بحيث تتسلل في  
الليل الى شرقي القناة ولا تنكشف الا في النهار .  
وبينما كانت عملية التحصن مستمرة ، وكانت تجري في هذه المرحلة ، تحت  
مسؤولية اللواء شارون لم يكن اللواء اسرائيل طال راضيا عن عملية البناء الضخمة

هذه ، وفي ايلول في عام ١٩٧٠ اعد اللواء طال - وكان ما يزال في وظيفته -  
بوزارة الدفاع - مشروع للدفاع عن سيناء . وكان ذلك في الوقت الذي شارفت فيه  
امكانية التوصل الى اتفاق جزئي تلتزم اسرائيل بموجبه بالانسحاب من القنساء  
وتمكن المصريون من العبور . واد طال واكد معارضته للمعاقل التي يمكن ان -  
تخلق - حسب رأيه - عقبات استراتيجية امام القيادة الاسرائيلية . وقال طال أنه  
بسبب وجود المعازل ، يجب ابقاء قوات قليلة من رجال سلاح المشاة المدرع ،  
بحيث يقومون بأعمال الدورية بصورة ثابتة ، وتشكل هذه دفاعا متحركا ، بحيث  
تكون معظم القوة خارج مرمى المدفعية المصرية .

وفي كانون ثاني ١٩٧٢ خلف دافيد العازار حاييم بارليف من منصبه ويمن  
اللواء طال رئيسا لمكتب رئاسة الاركان ثم بعد ذلك ساعدا لرئيس الاركان . وفي  
الجنوب كان شارون ما يزال قائدا للجبهة الجنوبية . وبعد أن عاد طال ومعه  
طاقم جديد ، كان من الممكن توقع نجاح المعارضين الذين تسلموا الان مراكز  
رئيسية في تحقيق مخططاتهم .

وعلى ما يبدو فان الامر مع كل ذلك ، لم يكن موضع ارتياح من اللواء شارون .  
فبصورة تدريجية وبأسلوب القرض والقبض الذي يتميز به ، بدأ في اغلاق قسم من  
المعاقل ووافق رئيس الاركان دافيد العازار ، على هذا الاسلوب ، ولكنه اعترض  
على اغلاق المعازل بصورة كاملة .

وفي اوائل ١٩٧٣ وصل الامر بشارون الى أن قام باغلاق أربعة عشر معقلا  
من بين المعازل الثلاثين في الخط الاول ، كما افلق استحكامات واخرج المعدات  
منها ، واقترح ايضا اغلاق قنوات الاتصال ، وازالة الاسلاك الشائكة ، لكن اقتراحه  
رفض . وفي المعازل التي اغلقت ، بقيت في ساعات النهار مفارز للمراقبة وسعى  
شارون الى اغلاق معازل اخرى وتحويلها الى مواقع للدبابات . ولكن هذه  
الخطة لم تتحقق . وهدما ترك وظيفته في تموز ١٩٧٣ كان هناك على طول  
الخط الاول ستة عشر معقلا تضم القليل من الجنود .

وهكذا تم ايجاد حل وسط بين نظرية بارليف من جهة ونظرية طال - شارون  
من جهة اخرى . ولكن هذا الحل لم يكن ناجحا ، لانه معلق بخط الماء فقط ،

ولم تكن القيادة العليا في جيش الدفاع الاسرائيلي تؤمن بأن المصريين سينجحون في عبور القناة لجمهورهم . وجرت تعاريف كثيرة لصد قوات العدو التي تعبر القناة وتدرت على ذلك جميع الوحدات التي وصلت الى خط الماء . وكان القيادة الصغار يعرفون مواقعهم ويعرفون ما يجب عليهم عمله عند تلقي الاوامر . وفي حالة حرب شاملة كان على هذه القوات ان تقوم بعملية الصد والصدود حتى تصل القوات المدونة الاحتياطية ، وكان على هؤلاء الانتقال للهجوم وعبور القناة الى ارض العدو .

ولكن خطة الصد هذه تعطلت في حرب ( يوم الخفوان ) ولم تخرج الى حيز التنفيذ ، فحين قطعت احدى الحلقات في الخطة تعقدت جميع الحلقات الاخرى ، ولم تكن القيادة تدرى بما يجري في معظم قطاعات الجبهة وبمقدار ذلك بدأت تدرك التخبط ، ولم تكن تدرى ما يتوجب عليها عمله ازاء اولئك الذين بقوا في المعامل المحاصرة . هل تركز جهودها في طرد المصريين الذين شقوا طرقهم الى سيناء . أو توجه معظم جهودها لتخليص الرجال في المعامل التي يضيق عليها الخناق من ساعة لاخرى ، وفي نهاية الامر لم ينجحوا كما كان يجب في كلا الامرين فلقد اقام المصريون رؤوس جسور كبيرة في سيناء ، وقاموا بتطويق المعامل ايضا . وهكذا لم تتحقق في مرحلة الصد أية واحدة من نظريات جيش الدفاع الاسرائيلي التي كان يتوجب عليها بموجب خطة بارليف القيام بالصد لم تصل في موعدها وفي المرحلة الثانية اضطرت القوات الى القتال بدون خطة معينة وبدون استعداد ، وبدون ان يكون هنالك قوات مشاة من الخلف للقيام بعملية الصد . . . . وهكذا أضع جيش الدفاع الاسرائيلي قناة السويس .

٩ تشرين اول ١٩٧٣

كان هذا اليوم احد الايام الصعبة بالنسبة لموشيه دايان فهو لم يتخلص بعد من أزمته التشاؤمية ، وعلى ما يبدو فقد كان واثقا تماما من ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيدنم المصريين بسهولة . وزاد من الوطأة عليه عدم النجاح في عمليات الامس في الجبهة الجنوبية . وفي مراكز القيادة العليا قال اشياء شبيهة بتلك التي قالها في اليوم

الثاني للحرب ، حول ضرورة الانسحاب الى الخط الثاني . وها دايان واكد على الحاجة الى تعزيز الخط الثاني . وكان ينقل يده على خارطة سيناء . وفهم الكثير من رجال القيادة انه يقصد الانسحاب العميق وراء المتلة وحتى الجبال الواقعة في المثلث الشرقي لشبه جزيرة سيناء ، قرب جبل مرارة .

ولم يجز جدال مع الوزير حول الانسحاب ، كما لم تصدر الاوامر للقوات بالانسحاب . . . . . واعرب دايان عن نيته في اعلام ذلك لمحري الصحف ، الذين كان من المقرر ان يقابلهم . وطلب من قائد السلاح الجوي بيني بيلد الانضمام اليه في لقاءه مع محري الصحف . . . . . وكان وجه بيلد مكفورا ، فقبل قليل علم أن ابنه البكر - وهو طيار فانتوم - قد أسقط قرب القناة ، وقد ولد هذا الابن عندما كان بيلد في دورة للطيران عام ١٩٤٨ ، وشوهد يبطل في ارض العدو . وقال دايان للصحفيين الذين فوجئوا : ( ليس لنا الان قوة لطرد المصريين الى ما وراء القناة ، بدون ان نستنزف قواتنا بصورة كلية تقريبا ، واذنا ما فعلنا ذلك ، فسنخسر قواتنا وسنبقى في دولة اسرائيل بلا قوة . والامر الذي يجب علينا عمله هو ان ننظم قواتنا في الخطوط الخلفية وفي القسم الجنوبي من سيناء فالطريق مفتوحة هنا امام المصريين للوصول الى ابورديس . . . . . ) وانا اشك في مقدرة قواتنا على اغلاق الخط ، وعلينا ان نقوم بتعزيز خط في مكان ما بين القناة وسلسلة الجبال ، بحيث لا يستطيع العدو اختراقه ، ولن يتمكن العدو من اجتياز هذا الخط . اذا ما امددنا انفسنا بصورة جيدة ) .

واضاف دايان انه سيقوم بعلام الشعب الاسرائيلي بذلك في التاسعة مساء من طريق التلفزيون وذهل الصحفيون من حديث دايان وقال جرشوم شوكن محرر هارتس :

( اذا قلت للشعب ما قلته لنا ، فان ذلك سيعني زلزالا في وجدان الشعبين

الاسرائيلي والعربي ) .

وساد الصمت الخرفة ، ودخلت احدى السكرتيرات ومعها ورقة صغيرة سلمتها لقائد السلاح الجوي ، ونظر بيلد الى الورقة وقال : ( لقد تلقيت الان تقريرا مشيرا للاهتمام . . . ان الطيار وساعده ، اللذين هبطا اليوم في سيناء

بحالة جيدة .. وهما سالمان ومعاثان ، ويوجرى نقلهما الان الى مركز سريهما  
في الشمال ) . وقال وزير الدفاع معلقا : ( ان الطيار المعني هو ابن بيني بيلد  
قائد السلاح الجوي ) .

كان محررو الصحف متأثرين أكثر من بيلد نفسه . وقال بيلد معلقا :  
( لقد اضطرت انا ايضا أن أهبط في عام ١٩٥٦ ولكني نجوت ) .  
وبعد فترة من هذه المقابلة ، تلقت جولدا مئير تقريرا من اقوال دايان ومن  
رغبته في توجيه خطاب للشعب ، واتصل احد الصحفيين بجولدا هاتفيا  
واقترح عليها منح الخطاب . وبعد الساعة الثامنة مساء تم ابلاغ المسؤولين  
في سلطة الاذاعة عن الخفاء خطاب دايان .

وقام اهارون ياريف بتوجيه كلمة الى الشعب بدلا من دايان . وكانت كلمته  
قد اعدت بعد الظهور . وبدون ان يطيل في ذكر التفاصيل ، عرض ياريف الوضع  
على الجبهات بصورة موزونة .. وقال ان الوضع ليس سهلا وان الحرب قد تطول .  
وكانت هذه هي المرة الاولى منذ بداية الحرب التي يتلقى فيها الجمهور  
الاسرائيلي معلومات صحيحة عما يدور على الجبهات وفهم الشعب للمرة الاولى  
ان هذه الحرب ليست استمرارا لحرب الايام الستة ، كما انها ليست حربا  
خاطفة ، بل لقد شعر الشعب انه كان مخدوما عندما تذكر كل ما كان قد سمعه  
من الاذاعة في ايام الحرب الاولى . وكان لاقوال ياريف الصريحة هذه في هذه  
الامسية ما اكسبه صفة زعيم جديد .

ان دايان عام ١٩٧٣ يختلف كلية عن دايان الذي عرفوه عام ١٩٦٧ ، ففي  
اللحظات الحسيرة كان يتردد ويمتنع عن الحسم وعندما كانت ثور خلافات  
في الراي بين القادة ، لم يكن يتدخل . كما انه عندما كان ينشب خلاف في  
الراي بينه وبين احد القادة ، كان يفضل وضع الامر امام جولدا مئير كي تحسم  
فيه .. وهكذا كان حتى قبل بداية الحرب ، عندما ثارت مسألة عدد القسوات  
الاحتياطية التي يجب تعبئتها . فدايان لا يتعجل في فرض رأيه ، وهو يكفي  
بتقديم النصيحة مع التأكيد بأن هذا النصح هو على مستوى وزارى . وهذا  
ليس موشيه دايان نفسه الذي قام في صباح احد الايام قبل نهاية حرب الايام

السته باصدار امر على عاتقه وبدون استشارة رئيس الحكومة - الى دافيد المينازر  
لاقتحام هضبة الجولان . . . ولم يكن دايان يخشى الوصول الى اى مكان فسي  
الجبهة ولم يكن ليفكر بالمخاطر اما في جلسات القادة في الجبهات ، فقد كان  
يكتفي بوظيفة المستمع والمراقب بدون التدخل في النقاش . وفي اكثر من مرة كان  
على رئيس الاركان بارليف ، وقائد السلاح الجوي ، ان يعدلا من التأثير الكئيب  
الذى كان يحدثه موشيه دايان .

\* \* \* \*

لقد اصبحت جولدا مئير قائدة الحرب بدون ارادتها ، وقام الى جانبها  
مجلس وزاري حربي غير مستخب ، يتخذ القرارات فورا ويقرر ما يجب عرضه على  
مجلس الوزراء ، وهذا ليس هو ( مطبخ ) جولدا الشهير ، فلقد تفرق ( المطبخ ) مع  
نشوب الحرب . وفي ذلك الوقت كان ابا ايان في الولايات المتحدة . كما  
غادر بنحاس سابير اسرائيل من اجل جمع الاموال . وكان حاييم جباتي مريضا .  
كما لم يشترك يحقوب شمشون شابييرا ، وهو صديق ومستشار قديم لجولدا ، فسي  
اية مشاورات حربية . وسقى الى جانب جولدا كل من ايجال الون ويسرائيل  
جليلي . وكان هذا الثلاثي برئاسة جولدا هو مجلس الحرب الدائم . وكان  
موشيه دايان يتنقل بين مركز القيادة الحليا ، وبين الجبهات ، وغرفة مجلس الحرب .  
وكان يأتي لامطاء تقارير في جلسات المجلس التي كانت القرارات تتخذ فيها .  
ولكنه لم يكن يمكث طويلا مع ثلاثي المجلس . وكان من الواضح ان دايان يفضل  
التجوال في ساحة المعركة على ادارة الامور في قاعات الجلسات وفي مركز  
القيادة . ولقد فصل كذلك في عملية سيناء عام ١٩٥٦ عندما كان رئيسا للاركان .

\* \* \*

كان من بين القرارات الهامة ، في هذا اليوم ، هو القرار الذي اتخذه  
الطاقم الذي يدير الحرب ، والمتمثل في نقل مركز الثقل الى الجبهة السورية .  
ولم يكن ذلك القرار سهلا . فلقد كان جيش الدفاع الاسرائيلي ، خلال الحروب  
التي خاضها في الماضي ، ينقل بنجاح جده من جبهة الى اخرى . وكانت  
الاولوية في الماضي تعطى للجبهة المصرية ، حيث يوجد فيها اقوى الجيوش  
العربية ، وبعد ذلك كانوا يتوجهون الى الجبهات الاخرى . وفضل مشال  
على الانتقال من جبهة الى اخرى كسمان في حرب الايام الستة .

لم يكن الجميع موافقين على قرار رئيس الأركان ، ولكن بعد ان انضم دايمان الى موقفه وأيده ايجال الون بحماس ، اصبح القرار واضحا . وكان النقاش قد بدأ فعلا قبل يومين عندما ثارت مسألة الجبهة التي يجب توجيه قوة احتياطية لها . وكان رأى اللواء طلال مساعد رئيس الأركان هو المحافظة على هذه القوة تحسبا من تطور غير متوقع . وقرر الحازار رئيس الأركان ارسال هذه القوة الى الجبهة السورية ، ووصلت هذه القوة الى هضبة الجولان في اللحظات العصيبة من الانقراض السوري .

لا شك ان عدم نجاح الهجوم المضاد الذي جرى امر على الجبهة المصرية كان احد عوامل هذا القرار . وقدم اليحازار تعليقات اخرى امام جولدا مئير فهو يرى ان العرب لن يطلبوا وقف اطلاق النار قبل ان يتلقوا ضربة شديدة . وادارة المعركة بدون حسم سوف تتسبب في استمرارها ، ويمكن ان يؤدي ذلك الى سحق قوة جيش الدفاع الاسرائيلي . واسهل مكان لاجراج الجيوش المهاجمة من توازنها ، وللحصول على نقطة مضادة هو الجبهة السورية .

ولم يكن ذلك مجرد نقاش عسكري . فلقد كان النظر موجها ايضا باتجاه الاردن ، والملك حسين . وكانت الحركة تسير على جسر الاردن ، كما هي عليه في جميع ايام السنة . ولكن لم يكن هناك شك في ان الملك حسين كان واقفا في حيرة شديدة بالنسبة لمكانه في المعركة . فكونه قد دفع اقلسى ثمن في حرب الايام الستة التي انضم اليها بعد اقتنائه بأن مصر قد انزلت ضربة باسرائيل .. يشكل رادعا له الان .

وقد وصل الى عمان حال نشوب الممارك وفد من رؤساء المنظمات المسلحة الفلسطينية وقام بمقابلة رئيس الحكومة وطلب منه ان يسمح الاردن للمسلحين الفلسطينيين بالعمل من داخل اراضيه ، والدخول في مجموعات كبيرة الى غربي الاردن . وقال رئيس الحكومة الاردنية لوفد المنظمات المسلحة انه خلافا لحرب عام ١٩٦٧ ، فلن يشترك الاردن هذه المرة الا اذا تأكد له نجاح المصريين والسوريين في المرحلة الاولى ، اي بعد سيطرة السوريين على هضبة الجولان ، ووصول المصريين الى مرآت المتلة والجدى . وقال



الملك حسين لقادة جيشه : ان اسرائيل سوف تهزم مصر وسوريا بسومة ، وكان واضحاً انه يقصد بذلك تخفيف ضغط قادة جيشه عليه للدخول في المعركة . لقد كان فتح جبهة نالسة سيضع عبئاً ثقيلاً على اسرائيل . وقد وصلت للتو ابناء عن أن قوة عراقية قوامها حوالي ستة عشر ألف رجل ، ومعهم حوالي مئتي دبابة تقترب من سوريا . وكانت هذه كلها مسببات جديدة لنقل مركز الثقل الى الجبهة السورية .

فقد كان الشعور السائد هو سباق مع الزمن بالنسبة للجبهة السورية بالذات . اما بالنسبة للجبهة المصرية ، فكانت اسرائيل تتصرف وكأن لديها زمناً كافياً . وفي واشنطن قال الناطق باسم وزارة الدفاع الامريكية في لقاء توجيهي للمراسلين العسكريين - انه يبدو ان جيش الدفاع الاسرائيلي متأخر عن جدول الزمني ، وان اسرائيل قد فقدت لخاية الان اكثر من أربعين طائرة ، وهذه تشكل حوالي عشرة في المئة من قوتها الجوية .

لقد كانت خسائر اسرائيل معروفة جيداً للرئيس الامريكي نيكسون ، وكانت هنالك مجموعة عمل خاصة لمعالجة ازمة الشرق الاوسط ، تتألف من الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية وجيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكي وقادة الاسلحة المختلفة ومدبر وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية . وكانت هذه المجموعة تتلقى تقارير مستمرة حول ما يدور ، كما ان اسرائيل نفسها كانت تقوم باعطاء تقارير للامريكيين عن طريق مكتب الملحق العسكري الامريكي في تل أبيب ، ومكتب الملحق العسكري الاسرائيلي في واشنطن ، وكانت خلاصة هذه التقارير تنقل يوميا الى الرئيس نيكسون . وقد تلقى الرئيس نيكسون هذا اليوم مكالمة هاتفية من رئيسة حكومة اسرائيل ، وطلبت خلالها ان توضح لنيكسون أهمية النقل السريع للأسلحة والمعدات الى اسرائيل . وقام نيكسون بتهدئتها قائلاً ان اسرائيل ستحصل على الاسلحة اللازمة ، ولكن مسألة نقل هذه الاسلحة لم تحصل بعد .

اصبح معلوماً للرئيس الولايات المتحدة ان الاتحاد السوفياتي قد بدأ عملية ضخمة لارسال كميات هائلة من السلاح لمصر وسوريا فقامت الاستخبارات

الامريكية بنقل تقارير عن اضخم عملية نقل اسلحة تجرى منذ عشرين عاما في  
 الطريق الى موانئ البحر الاسود والى مطارات في هنغاريا ويوغسلافيا .  
 وكانت الرسائل الاولى تشمل بصورة رئيسية صواريخ ضد الطائرات ، كان  
 المصريون والسوريون يطلقون منها بالالاف ، وكذلك ذخيرة للمدفعية ، وقذائف  
 لدفاع الدبابات ، وكانت الرسائل تشمل ايضا معدات ثقيلة كالدبابات والطائرات .  
 كانت الكميات ضخمة الى درجة لزم معها اخراج معدات من مخازن  
 الوحدات النظامية في الجيش الروسي . وفي مرحلة ثانية ، طلب ايضا من بعض  
 جيوش حلف وارسو أن تنقل اسلحة ومعدات من مخازن وحداتها ، ولم يكن  
 هناك وقت لازالة علامات الوحدات السوفياتية عن المعدات ، بل كانت الدبابات  
 قبلا تنقل الى سفن الشحن وهي مصبوفة باللون الاخضر الذي يميز اسلحة  
 جيش الاتحاد السوفياتي وكانت ارقام الوحدات الروسية التي اخذ منها  
 السلاح بارزة على صناديق المعدات ، وكذلك كانت اشارة المنجل والمطرقة  
 بارزة ايضا . وفي حين كانت القطارات تقوم بنقل معدات ثقيلة الى موانئ  
 البحر الاسود ، كانت طائرات الشحن تتوجه الى مطارات في هنغاريا ويوغسلافيا .  
 وقد قام سرب من هذه الطائرات بالتوجه الى سوريا ومر في طريقه فوق تركيا  
 بلا اذن . وفي هنغاريا كان قسم من المعدات ينقل عن طريق اليابسة حتى  
 ميناء ريكا في يوغسلافيا ، حيث كان يتم تحميل المعدات على سفن شاحنة  
 تقوم بنقلها الى الاسكندرية واللاذقية .

\* \* \*

دفعت سوريا اليوم ثمنا باهظا ، فالتفسير العملي لقرار نقل مركز الثقل  
 الى الجبهة السورية يعني - اولا وقبل كل شيء - توجيه السلاح الجوي  
 ضدها ، وفي الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق تلت دمشق الضربة الاولى ....  
 وقبل ان تبدأ صفارات الانذار عطلها ، دخلت طائرات الفانتوم الاسرائيلية  
 في العملية ، واصابت القذائف وزارة الدفاع وقيادة السلاح الجوي في سوريا .  
 كما اصيب ايضا مبنى محطة الاذاعة القريبة ، وسمع صراخ المذيعة في  
 اجهزة الراديو . كما اصيب حي أبو رمانة الراقي والذي يضم سفارات كثيرة  
 بصورة شديدة . كما اصابت طائرات اخرى محطة كهرباء المدينة وخسزان

وقود كبيرا قرب مدينة حمص . كما قصفت ايضا من الجو محطة الرادار اللبنانية في الباروك وذلك في منتصف الطريق بين دمشق وبيروت ، وكانت هذه تقوم بنقل معلومات بصورة مستمرة لمساح الجو السوري . وقد اصيبت احدى طائرات الفانتوم فوق مدينة دمشق وهبط الطيار ومساعدته قرب المدينة ، كما اشتعلت النيران في ذيل طائرة اخرى ، وتكثرت من الهبوط في اقرب مطار اسرائيلي .  
لم تقم جميع الطائرات باقاء حملتها من القذائف فوق دمشق ، فقد وجهه قسم من الطائرات نشاطه ضد حشودات المدرعات السورية قرب حسينية ، والقيت عشرات الاطنان من المتفجرات على منطقة صغيرة احتشدت فيها الدبابات السورية ، وقد تزلزلت الارض من هذه الانفجارات .

وفي منطقة حسنية دارت اليوم المعركة الرئيسية في هضبة الجولان ، فهذا هو المكان الوحيد الذي بقيت فيه .. وقد نتج هذا الخطأ عن تقدير خاطيء لنسب القوات ، فهناك حاجة الان الى قوات من المدفعية للمتصدى للجيش السوري الذي تركز قرب حسينية وفي معسكر الجيش الواقع بالقرب منها . لقد حاولت ألوية المدرعات التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي - ومعظمها وحدات احتياطية - تطويق الفرقة السورية ، ولكنها لم تنجح . ورأى دان لنر ومساعدته كيف تسلس رتل سوري طويل الى الفجوة الكائنة بين ذراعي كمامة جيش الدفاع الاسرائيلي . ولم يسمح قادة الجبهة لقواتهم بالانقضاض حتى لا تصيب القوات الاسرائيلية بعضها البعض .

\* \* \* \*

في القطاع الشمالي الذي قامت فيه ، اثناء الليل ، الفرقة السورية التي كان يقودها شقيق الرئيس حافظ الاسد بمجموع مدرع واسع ، ترك السوريون وراءهم دبابات تي ٦٢ وهي احدث دبابات لدى جيوش حلف وارسو . وقد امتد جيش الدفاع الاسرائيلي في هذا القطاع هجوما لاقتحام الجبهة السورية والتفغل باتجاه دمشق .

استعدادا لهذا الهجوم كان يجب تنظيف المنطقة من الصواريخ المضادة للطائرات ، وبعد هذا فقط تستطيع الطائرات مساعدة المقتحمين . وهكذا ركر سلاح الجو جهودهم وقام بهجوم كبير ضد شبكة بطاريات الصواريخ

السورية ، واشتركت هذا اليوم عشرات الطائرات ، من مختلف الانواع ، في  
المجوم على شبكة البطاريات الكثيفة .

لم يكن الامر سهلا بالنسبة للطيارين الاسرائيليين ، فلقد جاءوا على شكل  
موجات ، فواجهت الموجات الاولى النيران بكل كثافتها . وفي نهاية النيسار  
شاهد الدخان يتصاعد من خمس عشرة بطارية صواريخ وخمس سلاح الجو  
الاسرائيلي في هذه الغارات خمس طائرات .

كانت وحدة عمرن زموه ، التي خسرت خمسة وعشرين من رجالها ، معسكرة  
قرب بقعاتا . وحتى الان لم تشارك الوحدة الاستطلاعية التابعة للواء السابع  
في معركة كبيرة . وقد اشتركت في معركة عن طريق الصدفة تقريبا ، حين اصطدم  
جنود لواء جولاني بكمين بالقرب من القرية ، كانت خسائرهم فيه كثيرة ، فطلبوا  
المساعدة عن طريق اللاسلكي ، ولذلك خرجت احدى عشرة مصفحة من الوحدة  
الاستطلاعية لمساعدتهم . وكان عشرات الجرحى على مدخل القرية ، ولم يكن  
هناك سوى طبيب واحد ، يساعد مرضى في معالجتهم ، و اشار جنود لواء  
جولاني الى المنطقة التي يختبئ فيها السوريون ، وقد اكتشف عمرن وجودهم  
حال خروج المصفحة من القرية .

وكان السوريون متقدمين في المنطقة المزروعة ، وكان الكثيرون منهم في  
خنادقهم ، فانقضت المصفحات عليهم وقتلت منهم العشرات . استمر الهجوم  
ثم بدأ السوريون في الانسحاب ، ولكن نيران المدفعية الكثيفة منعت استمرار  
الهجوم . وعادت الان الوحدة الاستطلاعية عن طريق القرية الى الطريق  
الرئيسية . وكان جرحى لواء جولاني ما يزالون في مدخل القرية ، وكان الطبيب  
يجد صعوبة في معالجة الكثيرين منهم .

لقد اطلق السوريون على المركبات المتقدمة قذيفتي آر بي جي . ولكن  
الرتل استمر في مسيرته مع الجرحى ، الا ان مصفحتين احدهما مصفحة  
قائد السرية ، خرجتا عن الطريق لتطهير المنطقة التي اطلقت منها قذائف  
البازوكا ، ولم يكن رجال هاتين المصفحتين يعرفون ما ينتظرهم من وراء كروم  
العنب . وبعد قليل سمع صوت استفائة . وفي هذه المرة كان المستخيشون

هم رجال المصفحتين اللتين نزلتا عن الطريق باتجاه مطلقي قذائف البازوكا . ثم سمع صوت احد الجنود ، في جهاز الاتصال ، وهو يعلن عن مقتل قائد السرية ، ويطلب التمجيل في تخليص باقي زملائه . وهاد رتل المصفحات ، ولم يكن الرجال يعرفون ما حصل بالضبط لقائد السرية ، وللمصفحتين اللتين كانتا معه . ولم يكد الرتل ينزل عن الطريق حتى وقع في كمين سورى .. وكان هناك عشرات من الجنود السوريين من رجال الكوماند والمتواجدين في الخنادق التي كانت على شكل حذرة حصان .

وما ان دخلوا الى المنطقة حتى اصيبت احدى المصفحات من خلفها بقذيفة بازوكا ، كما قذف احد رجال المصفحة الى خارجها ، واستمرت المعركة دقائق معدودة ، وكانت المشكلة هي كيفية التخلص من الكمين واخراج معظم الجرحى . وفي مصفحة عن زموره قتل قائد الفئة من اصابة بطلقة . وانطلق الرجال من الحربة وألقوا بقنابل الدخان واطلقوا النار باتجاه السوريين ، وحاول غيرهم تخليص الجرحى والمصابين بأنفسهم .

تم تحميل بعض الجرحى في احدى المصفحات . وانطلقت هذه وهي تعدد وبصورة عكسية والنار مشتعلة فيها ، وقفز الرجال واخرجوا الجرحى من المصفحة قبل انفجارها بثوان ، وبعد ذلك تم تخليص مصفحة اخرى من الكمين كان فيها من زملاؤه ، واما في الداخل فقد مات قائد الفئة .. وفي وقت لاحق وصلت القوات المدرعة وردت الوحدة السورية .

\* \* \*

اثير في هذا اليوم ، ولاول مرة ، اقتراح بتعيين قائد اسرئيلي جديد للجبهة المصرية ، بحيث يكون مسؤولا عن قائد الجبهة الجنوبية شموئيل جونين ، وقد عرض رئيس الاركان هذا المنصب على رئيسه السابق ، حاييم بارليف ووافق هذا بشرط ان يصادق كل من وزير الدفاع ورئيسة الحكومة على هذا التعيين . وفي هذه الاثناء توجه بارليف الى منزله للاستعداد للتوجه الى الجبهة ، ولكنه ما كاد يصل الى بيته حتى اتصل به هاتفيا وزير الدفاع .. فلقد سمع دايان لتوه عن موافقة بارليف لتولي قيادة الجبهة الجنوبية .. وسأل

وسأل دايان بارليف فيما اذا كان مستعدا فعلا للتوجه الى الجنوب لاستلام القيادة . . فأجاب بارليف بالاجاب .

وقال دايان : ( اعتقد انه ليس هناك فهم واضح لما يجري فسي الجنوب ، وليس واضحا بالنسبة لي ما يجري هناك ، ولا اعتقد ان ذلك واضحا لاي شخص ) .

وبعد ذلك بدقائق اتصلت ايضا جولدا مئير وقالت لبارليف انما تبنته على قراره ، وانها سوف تبلغ ذلك للوزارة في الجلسة الوزارية التي ستعقد هذه الليلة ، اما قائد الجبهة الجنوبية شموشيل جونين فلم يكن راضيا اطلاقا . وتقرر ان يتوجه بارليف الى الجبهة الجنوبية كمندوب عن رئيس الاركسان على ان يكون هو القائد الاعلى في الجبهة ، بحيث يستطيع ان يعترض على القرارات ، وفهم جونين انه لا يستطيع رفض هذا الاقتراح .

وفي الليل اتصل دايان مع مردخاي هود الذي كان موجودا في القيادة الشمالية . وسأل اذا كان مستعدا للتوجه الى القيادة الجنوبية ، ووافق هود . وكان دايان مقتنعا ان بارليف وهو سيد عمان مجموعة الحمل فسي القيادة الجنوبية .

وكان على الجانب الاخر من القناة نقاش شديد ايضا ، وشبهه جدا بالخلاف في الراي لدى الجانب الاسرائيلي . فلقد كان احمد اسماعيل علي وزير الحربية المصرية حذرا جدا في طريقة تفكيره . وكان راضيا بما تم تحقيقه حتى الان ( الاستيلاء على خط بارليف ) ، كما كان يفضل التمرکز والحفاظ على المكاسب .

وكان يخالفه في ذلك رئيس الاركان المصري سعد الدين الشاذلي ، الذي كان يطالب باستغلال النجاح وشق الطريق الى ممرات المتلة والجدي قبل ان يستعيد جيش الدفاع الاسرائيلي نشاطه . فمئذ مساء ( يوم الخفران ) عندما اتضح ان العبور قد تم بنجاح وبسهولة طلب الشاذلي ان تنقل حالا قوات اكثر من المدرعات ، وان تشق طريقها في ثلاثة ارتال الى سيناء والسي خليج السويس كما حدد ذلك في المرحلة الثانية من خطة ( جرانيت ٢ ) .

والشاذلي الذي يبلغ من العمر احدى وخمسين سنة ، جميل الطلعة  
ويعتبر احد خيرة الجنرالات الحربيين في الجيش المصري . وكان كامل الثقة .  
وقد بدأ يبرز ، كأريك شارون ، عندما انضم في عام ١٩٥٣ لوحدة المظليين  
المصريين ( وفي نفس ذلك العام انشأ شارون الوحدة رقم ١٠١ في جيش  
الدفاع الاسرائيلي ، وتسلم قيادة المظليين ) . وكان الشاذلي ايضا محبوبا  
جدا بين ضباط الميدان والجنود ، وقد اشتمر بعمليات الكوماندو ، كقيادته  
لقوة خاصة في حرب اليمن ، وادارة الغارات المصرية وراء القناة في حرب  
الاستنزاف . وفي حرب الايام الستة قاد قوة مدرعة خاصة قرب الكونتيلة ، ونجا  
في ذلك الوقت من التطويق من قبل قوات شارون .

ومع أن مطالبة الشاذلي بشق الطريق حالا الى مرات المتلة  
والجدي قد رفضت ، الا أنه نال تعويضا مميذا ، فلقده تلقى  
الجيش الثالث أمرا بشق طريقه جنوبا باتجاه رأس سدر على ساحل الخليج .  
وكان ذلك متأخرا جدا حسب تقدير الشاذلي ، الذي أعرب  
عن رأيه بصراحة للسادات ولرئاسة الأركان والصحفيين .

\* \* \* \* \*

على الجانب الاسرائيلي نجحت قوة بقيادة كالمان ميغن في تحسيين  
مواقعها والاقتراب من المعقل الواقع على الشاطئ ، والمحاصر من قبل رجال  
الكوماندو المصريين . وقد وقفت مقابل القوة المصرية التي كانت تحاول شق  
طريقها باتجاه رأس سدر ، وحدة من المظليين النظاميين تابعة لجيش  
الدفاع الاسرائيلي ، ومدعومة ببعض المدرعات . وقد قام بمعظم المهمة سلاح  
الجو الذي أوقع اصاباته بحوالي خمسين دبابة مصرية كانت تحاول شق  
طريقها الى الجنوب . ولم يكن لهذه الدبابات حول بعد ان ابتعدت  
عن مظلة بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات .

انسحب رتل المدرعات المصرية ، ولكن كان واضحا ان الامر لن ينتهي  
بمذه الصورة ، فوحدات الكوماندو المصرية الحاملة في منطقة رأس سدر  
والخليج ، تشير الى ان القيادة المصرية توجه انظارها لهذا القطاع .

تركز المصريون على طول القناة بسوسة . وكانوا قد نقلوا حوالي سبعمائة  
دبابة الى سيناء كما تم اصلاح الجسور التي اصبحت ، ونقلت عليها كميات كبيرة  
من المواد التموينية ابتداء من حبوب النشاط وانتهاء بالمولدات والاجهزة  
الصغيرة الخاصة بازالة الملوحة . كما تم مد خطوط المياه ، والمحروقات  
والماتف تحت سطح مياه القناة .

كذلك تمزقت شبكة تموينية في الجانب الاسرائيلي من الجبهة  
وتدفقت قوافل طويلة من الشاحنات المحملة بالمعدات الى سيناء  
لسد النقص الناتج عن التعبئة السريعة لجهاز الاحتياط .

وكانت المشكلة الرئيسية بالنسبة لجيش الدفاع الاسرائيلي هي عدد  
الدبابات الصالحة للعمل . فلقد اصبحت دبابات كثيرة غير صالحة لاسباب  
تقنية ، وليس بفعل اصابات العدو ، وقد قام طاقم فني باصلاح هذه الدبابات  
في قلب ساحة المعركة ، ونجح في ان يعيد للعمل خلال اربعة ايام حوالي  
سبعين دبابة مصابة وقد تلقى كثير من الدبابات التي اصبحت بفعل اسلحة  
العدو ، وضربات قوية استلزم تصليحها اياما عديدة .

بعد الظهور خرجت القوة الاستطلاعية التابعة لقوات شارون بعملية  
استكشافية ، وكان لها نتائج مستقبلية اثرت كثيرا في عملية عبور جيش الدفاع  
الاسرائيلي واختراقه القناة الى جانبيها الخري .

بقيت سرية رافي بارليف واسحق اجام ساعات وهي تراقب تحركات المصريين  
قرب شمال البحيرة المرة الكبرى . والى الشمال منها تخندق جنود الجيش  
المصري الثاني ، ولم تشاهد من الجنوب حركة واسعة حيث يعمل الجيش المصري  
الثالث . كان واضحا ان المنطقة المقابلة لهم هي نقطة الاتصال الكائنة بين  
الجيشين المصريين . وقد طلب يوأب بروم ، قائد الوحدة ، اننا بالاختراق  
وفحص المكان الذي وصلت اليه قوات الجيش الثاني ، ومعرفه حدوده الجنوبية .  
وكانت هذه عملية يوأب الاولى الجديدة .

لقد تحدث اسحق اجام - وهو قائد فئة في سرية رافي - قائلا : ( لقد  
اعجبنا بالطريقة التي ادار فيها يوأب العملية . ولقد تحركنا الى الداخل



باتجاه القناة ، في الوقت الذي كنا نخوض فيه معركة مع المراكز المصرية من الشمال . وهكذا نجحنا في اكتشاف مكان مواقعهم الجنوبية . وتقدمنا على الكتيبان الرملية حتى وصلنا بدون صعوبة كبيرة الى البحيرة المرة الكبرى ، وبعد ذلك بأسبوع ، نقلنا على هذه الطريق والقوات التي اقامت رأس الجسر وعبرنا الى غربي القناة ) .

\* \* \* \* \*

تحركت بعد ذلك القوة الاستطلاعية التابعة ليوآب على طول البحيرة وحتى نهايتها الشمالية تقريبا ، ومرت في طريقها قرب احد معازل الجيش الاسرائيلي الذي كان العلم الاسرائيلي ما زال يرفرف عليه ، وتقدمت دبابه حتى وصلت بوابة المعقل ، ولم يكن هناك دليل على وجود حياة فيه ، فضع يوآب رجاله من الدخول تحسبا من الانغام والمكائيم . وحل الظلام على القوة الاستطلاعية وهي بين المعقل الذي ليس فيه اثر لحياة وبين شمال البحيرة المرة الكبرى . قامت القوة بتنظيم مبيت الليلة ، وكان هذا هو المكان الوحيد في الجبهة الذي تواجدت فيه قوة من الجيش الاسرائيلي على خط الماء في اليوم الرابع من الحرب .

وقال اسحق اجام ( مع ان المصريين لم يقوموا بمهاجمتنا الا اننا قضينا ليلة رهيبه . . . فقد كنا موجودين بداخل التجمع المصري ، وبمنظار خاص كان بحوزتنا رأينا المصريين وهم يتحركون في المنطقة ) . . . وفي منتصف الليل ، وبينما كانت القوة الاستطلاعية التابعة ليوآب معسكرة على شاطئ البحيرة المرة ، انبى البرت مند لر صياغة امره اليومي الرابع . وقد صيغ الامر هذه المرة بأسلوب أكثر عاطفة . . . ولم يشعر من قرأ هذا الامر اليومي في ذلك الوقت بان البرت سيفترق عن رجاله .

لم يكن الهجوم المفاجئ ، للسوريين والمصريين هو المفاجأة الوحيدة لجيش الدفاع الاسرائيلي . . . ففي المجال التكتيكي والتقني كان للقيادات الاسرائيلية ايضا مفاجآت ، تدل على خلل خطير . ولم تظهر ، في هذه الحرب ، اسلحة كثيرة غير معروفة لدى الاستخبارات الاسرائيلية . . . ويمكن الاشارة الى نوهين من الاسلحة التي لم تكن معروفة لاسرائيل : اولهما صاروخ

قلط ، وهو صاروخ جو أرض ، ولقد اطلقه المصريون واصابوا - حسبما تقول التقارير الامريكية - شبكة رادار اسرائيلية في سينكوشانيا ما مدفع بقطر ١٨٠ ميليمترا ، وليس له منافس في مدى رمايته ، فقذائفه تصل الى حوالي اربعة واربعين كيلومترا ، في حين ان مدى المدفع الامريكي من طراز ١٧٥ هو ٣١ كيلومترا . ولقد فاجأ وجود هذا المدفع الاستخبارات الامريكية ايضا . وكانت هنالك انواع من الاسلحة الاخرى استعملت للمرة الاولى في حرب (يوم الخفران) ، ولكن جيش الدفاع الاسرائيلي كان يعرف عنها . ومن ضمنها صواريخ ارض جو طراز اس . ايه ٦٠ وصاروخ ارض ارض من طراز فروغ . وكذلك الدبابسة الروسية الحديثة تي ٦٢ التي تحمل مدفعا جديدا قطره ١١٥ مليمترا . وهكذا فان جيش الدفاع الاسرائيلي لم يفاجأ من الاسلحة التي كان يعلم عنها ، بل الاسلحة التي لم يعطها التقدير الواجب ولم يقدر تأثيرها في ساحنة المعركة ، في ظروف معينة ، ولذلك لم يستعد لها . ولم يكن هناك مبرر لمفاجئة عبور المصريين للقناة ، ولا للادوات والاساليب التي استعملوها في اثناء ذلك . فلقد كان لجيش الدفاع الاسرائيلي معلومات كافية عنها ، فقبل سنتين من ذلك باع الروس في اوربا فيلما دعائيا يظهر تمرين عبور كبير على نهر دنيبر ، وكان هذا الفيلم يظهر جميع الادوات التي استخدم المصريون مثلها في اثناء عبورهم وكيفية استخدامها . وقد اشترى جيش الدفاع الاسرائيلي هذا الفيلم وشاهده الاف الضباط .

واكثر من ذلك ، فلقد شاهد الكثير من رجال جيش الدفاع الاسرائيلي - ومن ضمنهم قادة كبار - المصريين وهم يقومون بتمرين العبور . وكان سلاح المهندسة المصري قد رأى ان افضل تمرين لعبور القناة السويس هو الذي يتم في قناة السويس نفسها . ولقد تمرن المصريون على العبور في وضح النهار بالقرب من جزيرة بلح ، في المكان الذي تنقسم فيه القناة الى شقين . وقد تم تصوير عملية التمرين هذه بكامل تفاصيلها ، وكان من الممكن دراسة المراحل الحساسة في عملية العبور هذه ، وقد عرض هذا الفيلم ايضا على رجال الجيش الاسرائيلي . كما عرف جيش الدفاع الاسرائيلي ان المصريين ينوون استخدام مدافع مساء

هائلة من اجل تفتيت المانع الترابي الذي اقيم شرقي القناة . وكان المصريون قد  
جربوا هذه التيارات المائية امام الجنود الاسرائيليين الذين كانوا في المعامل .  
ولم يستعد جيش الدفاع الاسرائيلي كما ينبغي لمنع العبور واعتمد على  
المرحلة الثانية ، وهي معارك الحركة قرب القناة التي يضرب فيها المصريون  
العابرون ضربة شديدة .

كذلك ما كان يجب على السلاح المضاد للدبابات الذي كان بيد المصريين  
والسوريين ان يفاجئ جيش الدفاع الاسرائيلي لهذه الدرجة ، فصاروخ (سافسر)  
المضاد للدبابات كان معروفا للاسرائيليين منذ فترة طويلة . وفي السابق رفض  
الروس بيع هذا الصاروخ للمصريين . وبعد ذلك باعوه بكميات كبيرة الى كـ  
الجيشين . واطلقت هذه الصواريخ من حدود سوريا ومصر على الجيش الاسرائيلي .  
وقد اعدت الاستخبارات الاسرائيلية كراسا مفصلا عن هذا الصاروخ الجديد .  
كذلك فان السلاح الاخر المضاد للدبابات - وهو بازوكا آر . بي . جي ٧ -  
ما كان يجب ان يفاجئ جيش الدفاع الاسرائيلي ابدا . وفي البداية تحدث عنه  
الجنود كصاروخ كنف جديد . وهذه البازوكا معروفة لجيش الدفاع الاسرائيلي  
منذ مدة ، وقد عرفوا انها قاتلة . كما استعملها المسلحون الفلسطينيون كثيرا  
في غور الاردن . واستولى جيش الدفاع الاسرائيلي على العديد من  
لقد كان جيش الدفاع الاسرائيلي يعرف الكثير ولكنه فوجئ ، وكانت المفاجئة  
من الكميات الكبيرة التي استخدمت وبالذات من قبل الجيش المصري . وتعتبر  
عدم معرفة كون هذا السلاح قد وزع على وحدات المشاة بكميات كبيرة جدا  
فشلا للاستخبارات . . ولكن هل كان ذلك فشلا للاستخبارات فقط؟  
ان المعرفة التقنية لجميع الاسلحة الموجودة لدى (العدو) لا تكفي . فالمهم  
اكثر هو ترجمة هذه المعلومات التقنية الى اجوبة عملية . ففي القيادات كانوا  
يعرفون كل شي عن هذه الاسلحة . ولكن هل ساعد هذا الافراد في الميدان  
على فهم الدلالات ، ولا يكفي معرفة مدى صواريخ ساجر . هل تدرب قائد  
الكتيبة وقائد السرية في الجيش النظامي والاحتياط على كيفية مواجهة هذا  
السلاح ؟ وهل تعلم امر فصيل الدبابات وتدرب على التخلص من صواريخ ساجر؟

لا . لقد عرف جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولكن لم يستعد لاسلوب قتال تستخدم فيه كميات كبيرة من الاسلحة المضادة للدروع . والتفسير الوحيد لهذا الخلل هو ان جيش الدفاع الاسرائيلي اصيب بتصلب الشرايين بعد الانتصار الكبير في حرب الستة ايام . وليست الاستخبارات هي المسؤولة عن ذلك . ان المسؤول الوحيد فقط هو المراتب العملائي (التنفيذية) في الجيش ، والمسؤولة عن عقيدة القتال وعلى بنية الوحدات وعلى السلاح المزود لوحدات جيش الدفاع الاسرائيلي .

لقد تحدثوا على مدى سنوات في جيش الدفاع الاسرائيلي عن عقيدة القتال السوفيتية التي تبنتها معظم الجيوش العربية وتعلمها . وقد درسوا أدق التفاصيل في مجال اسلوب الدفاع والمجوم في هذه العقيدة . اهتم جيش الدفاع الاسرائيلي الى درجة كبيرة بعد حرب الستة ايام بحمليات العبور واقامة رؤوس الجسور وفقا لهذا الاسلوب . لكن للمرة الثانية عرفوا التفاصيل ويبدو انهم لم يدركوا المعنى . واذا كان الحال غير ذلك فكيف تجاهلوا الاجابات العملية للطريقة التي يقام بها راس جسر وفقا للعقيدة القتالية السوفيتية؟ لقد ورد في كل كراس وكتاب تدرب عن عملية عبور عرائق مائية وفقا للحقيقة السوفيتية بان راس الجسر يتم السيطرة عليه في البداية من قبل المشاة الذين تكون مهمتهم الاساسية صد الهجمات المضادة . ومن هنا فلم يكن هناك مكان للمفاجأة عند ما نقل المصريون في بادئ الامر صنف المشاة المجهز لاغراض الدفاع عن نفسه بالاف البازوكا والصواريخ المضادة للدبابات .

لو كانت النظرية القتالية السوفياتية مفهومة كما يجب على جميع المستويات لكانوا قد توصلوا الى نتائج اخرى بالنسبة لمركز المدفعية . فالمدفعية هي السلاح الوحيد الذي كان بإمكانه الايقاع بسلاح المشاة المصري وتعطيل السلاح المضاد للدبابات الذي كان بحوزته . وفي حرب الاستنزاف تحسن مركز سلاح المدفعية . اما في حرب يوم الغفران فان نجاح مدفعية الدبابات في حربها ضد سلاح المشاة المصري كان ضعيفا . لقد لقد كان رد جيش الدفاع الاسرائيلي اثناء العبور واقامة رؤوس الجسور

وفق نظرية القتال السوفياتية كما توقعت هذه النظرية منه تماما . وكان هذا تعبيرا عن تصلب الشرايين لدى هذا الجيش . فجيش الدفاع الاسرائيلي لم يجهز نفسه باساليب فعالة لمواجهة العبور ، وانما خرج ضده بصورة جيبيوية . وقد ضرب رأسه في الحائط . وبعد ان انهار القتال على خط القناة كان ذلك كما لو كان القتال على خط الحدود قرب قلقيلية في عام ١٩٦٧ حيث يضيق عرض اسرائيل هناك الى الحد الأدنى وبدلا من ان يقوم جيش الدفاع الاسرائيلي بجر المصريين الى حرب حركة ، وهو فيها اقوى ، أملى المصريون القتال بين كتل من النيران ، وفي هذا القتال فان الجيش الاسرائيلي أضعف . واستمر هذا الوضع حوالي اسبوع . لذلك اصيب جيش الدفاع الاسرائيلي بخسائر كبيرة في المرحلة الاولى . كان كل لواء يصل الى الجبهة يعود على الاخطاء التي ارتكبتها الالوية التي سبقته . وقد فوجيء كل لواء بدوره من الصواريخ المضادة للدبابات ودفع ثمنها باهظا لهذا الدرس .

وقد امتاز رجال المدفوعات ورجال المشاة المدرع بجرأتهم وانفضت الدبابات على ن سلاح المشاة المصري حامل الصواريخ ولكنها اصبحت . فلقد اتضح فجأة ان الانقراض السهل والمدو الى الامام بكل ثمن ليس ملائما لكل وضع ، ولحسن حظ جيش الدفاع الاسرائيلي فان احدي مزاياه هي قدرة القيادة الصغار على اتخاذ القرارات السريعة . فخلال عدة ايام ، خسرت فيها جيش الدفاع الاسرائيلي الكثير من القتلى والجرحى ، كما دمرت له مئات الدبابات ، وجد القادة في ساحة المعركة اجوبة تكتيكية للاوضاع الجديدة . ولكن هذا كله كان يجب ان يتم قبل ذلك اى قبل الحرب .

ان الهجوم بكل ثمن لم يكن فقط على الجبهة المصرية . والهجوم الذي قام به لواء جولاني على جبل الشيخ في اليوم الثالث للحرب هو نموذج على ذلك . وقد كان ذلك هجوما جيبيويا . ولم تكن النجوم هي سبب فشل الهجوم ولكن السبب يعود الى ان لواء جولاني قد فعل هنا الامر الذي توقعه منسه العدو بالضبط . وقد روى اسرى سوريون اسروا في جبل الشيخ اثناء الهجوم الثاني بانهم قد رأوا الجنود الاسرائيليين يقترعون فانتظروهم على الطريق خارج الموقع الاسرائيلي الذي وقع بأيدي السوريين .

ان قرارات القيادة العليا في اليومين الثاني والثالث من الحرب الواقع  
للمسايح والثامن من تشرين اول كانت مثارا للاستفهام بشأن استخدام القوات  
الاحتياطية . فلقد تم تعبئة كافة المقاتلين . وكان السؤال هو كيفية استخدام  
القوات الاحتياطية ، في الوقت الذي كان فيه هنالك خطر من قيام الجيش  
الاردني بفتح جبهة ثالثة . وهل تستعمل هذه القوة الاحتياطية أم تبقى  
لاحتمال حدوث تطورات غير متوقعة . واذا تقرر القاءها الى المحركة فالى  
اى جبهة يجب توجيهها ؟ هل توجه الى الجبهة التي تعتبر قوة العدو فيها  
اقوى ، بحيث ان كل كسبا اقليميا مهما كان نوعه يساعد في احداث تغيير في  
الوضع السياسي القائم . او توجه الى الجبهة الاخرى القريبة من مراكز السكان  
الاسرائيلية والتي بها فرصا اقوى لضرب العدو وبسبب نسبة القوى الاولية . وقد  
حسم الامر بتوجيه القوة الاحتياطية الى الجبهة السورية .

وخلال اربعاء وشرين ساعة اتضح ان على كل جبهة الاكتفاء بالقوات  
الموجودة لديها فلقد كان من الصعب نقل قوات من جبهة الى اخرى بسرعة كما  
حدث في حروب سابقة . فبعد حرب الايام الستة صارت المحاور اطول ، واصبح  
نقل القوات من القناة الى هضبة الجولان يحتاج الى عدة ايام بسبب قوافل  
التموين التي كانت تملأ الطرق . وكان نقل قوة احتياطية للجبهة يعني بقاء  
تلك القوة في نفس الجبهة فترة طويلة .

وادي هذا الوضع الى تردد في القيادة العليا عندما كان يطلب منها  
الموافقة على عمليات جريئة في الجبهة المصرية . وكان الشعور ان هنالك خيط  
دقيق بين عدم النجاح والفشل الذريع . ورغم ان جيش الدفاع الاسرائيلي اصبح  
اقوى مما كان ويعمل بعيدا عن حدوده القديمة ، الا انه كان هنالك شعور بأنه  
يكفي فشل محلي كبير حتى يحدو المصريون بمدركاتهم الى خط حدود عام ١٩٦٧ .  
كان المنطق العسكري يبرر نظرة شارون ، الذي كان يرى انه بتركيز  
القوات في جبهة واحد ، يمكن ضرب رؤوس الجسور فورا . وكان هناك ايضا من  
قال ان هذا هو افضل وقت لعبور القناة الى غربيها ، لمنازلة فرق المدرعات  
المنفصلة الان عن فرق المشاة . وان انزال ضربة بهذه الفرق ، حسب

رأيهم من الممكن ان يزعم التجمع المصري كله ، ويحاصر فرق المشاة التي عبرت  
القناة الى سيناء . لكن كان هنالك منطلق آخر اكثر شمولا . اى ان الاقتراح جيد  
لكن قبل كل شيء لا توجد في سيناء قوة كافية لتحقيق ذلك كما ان مصدات  
التجسير لم تكن معدة وجاهزة . لم يكن من الممكن المصادقة على خطة  
ترتكز على استخدام الجسور التي اقامها المصريون . وبصرف النظر عن اى موقف  
فان الشعور السائد هو انه اذا فشلت هذه الخطة ، فان هذا الفشل لا  
يكون فشلا محليا وانما هزيمة كبرى . ولم يكن الخطر يهدد فرقة واحدة وانما  
الجبهة باكملها . وربما كان من الجائز انه في ظروف اخرى لم يكن جيش  
الدفاع الاسرائيلي ليتردد . لكن تقرر بعد المفاجأة في يوم الغفران بأن  
المهجوم في يوم الاثنين ٨ تشرين الاول ( اكتوبر ) في الجبهة المصرية  
ينبغي أن يتم بالتدرج . اى انه اذا نجحت فرقة برين فقط سيشارك شارون  
في العملية ايضا . وستكون عملية عبور القناة بموافقة خاصة ، وقوات صغيرة  
وبعد نجاح ضد رؤوس الجسر . عندما قرر رئيس الاركان ذلك كان معه في  
غرفة الحرب التابعة لقيادة المنطقة الجنوبية رئيس الاركان السابق اسحاق  
رابين . وقد سئل هذا عن رأيه في الخطة وأقر هو الاخر وجهة نظر العازار .  
كان الحميد شارون يعتقد ان هذا اليوم ، اليوم الثالث للحرب ، يوم  
الاثنين من الاسبوع هو حاسم في المرحلة التي سبقت عملية عبور القناة غربا .  
وفي تقديره ان جيش الدفاع الاسرائيلي اضاع فرص مهمة . وعلى كل حال اتضح  
في نهاية هذا اليوم بان لم تكن لدى جيش الدفاع الاسرائيلي في هذمه  
المرحلة القوة الكافية لعبور القناة واقامة رؤوس جسور في الغرب . صحيح أن  
القوات التابعة لبرين وصلت الى خط المياه ولكنها فقدت عشرات الدبابات  
واضطرت الى الانسحاب .  
وفي اليوم التالي التاسع من تشرين الاول تقرر نقل الجهد الى الجبهة  
السورية . وكان يعني ذلك من ناحية التأهب توجيه السلاح الجوى الى  
هذه الجبهة وعلى الرغم من ذلك فان القرار لم يكن سهلا . ولم يكن الخيار  
بين المهجوم في الجبهة السورية وخلف خط الهدنة وبين جهد جديد

لاجتياز القناة . ولم يتبلور لدى قيادة المنطقة الجنوبية اقتراحا جديدا لعبور  
القناة الا في اليوم الخامس ١١ تشرين اول . وليه فقد كان الخيار بين شـن  
هجوم في الجبهة السورية وبين الاكتفاء بانجاز دحر السوريين عن مرتفعات  
الجولان . ومن عارض الهجوم في الشمال لم يقترح بدلا عنه عملية عبور  
لقناة السويس على الفور .

ولم يكن بمقدور اسرائيل ان ترد في جبهة اخرى ايضا : في مضائق باب  
المنذب التي فرض المصريون فيها حصارا على خط القود الى اسرائيل . وطالما  
ان مصر خاضت حربا محدودة ضد اسرائيل . كان بالامكان منعها من غلق  
باب المنذب . بواسطة التمديد بشن حرب شاملة او بالرد في مكان آخر .  
وهكذا تصرفت اسرائيل ايضا بالنسبة لخلق الملاحة في مضائق تيران . ولكن  
عندما قررت مصر المخاطرة بحرب شاملة ، فقد كانت على استعداد للمجازفة  
ايضا بغلق المضائق لانها عرفت انه سيكون من الصعب على اسرائيل الرد  
على هذا التحدي في البحر الاحمر .

لقد كان من المستحيل بالطائرات فقط اختراق الحصار . وكانت السزوارق  
التابعة للسلاح البحري في هذه الجبهة عند نشوب الممارك هي قطع خفيفة  
مهمتها القيام باعمال الدوريات في خليج السويس وخليج ايلات . كان للمصريين  
في البحر الاحمر مدمرات وفوحدات . وكان من المشكوك فيه ان تكون السزوارق  
الاكبر حجما مبررا لتغيير مهمات السلاح البحري الى حد مرافقة القوافل . ومثل  
هذه المهمة ليست ملقاة على عاتقه في جميع خطوط البحر المتوسط . لم يجد  
شرم الشيخ بالنظر لعدم ايجاد رد فوري للحصار . ولا يمكن ان نستنتج من  
هنا بأن لا قيمة للاحتفاظ بشرم الشيخ لضمان الملاحة الاسرائيلية في البحر  
الاحمر . ومن المؤكد ان الاحتفاظ بقوة كافية في ايلات لن يضمن الملاحة  
الاسرائيلية في باب المنذب وسيكون ايضا ضمانة مشكوك فيها بالنسبة للملاحة  
في تيران . ان اهمية الارض لا تتحدد فقط بالاحتفاظ بها وانما ايضا بصورة  
استخدامها واعدادها للوقت المناسب .



## ١٠ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧٣

كأى صباح ، منذ بدأت الممارك عادت هذا الصباح ايضا الزوارق التابعة  
لسلاح البحرية الى قواعدها بعد أن قامت بعمليات ليلية . ولم تمر ليلة دون أن  
تنشط فيها وحدات سلاح البحرية ، وحتى الان احزرت نجاحا كبيرا . ولم يكن  
بهذه العمليات حسم المعركة ، ولكن هذا هو المجال الوحيد الذي تحقق فيه  
نجاح جيش الدفاع الاسرائيلي . كانت الانباء عن هذه العمليات خلال الايام  
الاولى من الحرب هي الانباء الوحيدة التي افرحت الشعب في اسرائيل . وكان  
السلاح البحرى هو المفاجأة الجيدة للحرب . ونظرا لانه لم ينجح الى حد  
كبير في حرب الستة ايام ، فقد كان هذه المرة مستعدا لحرب يوم الغفران .  
وكان العمود الفقرى لقوته القتالية يتمثل في أربعة عشر زورقا حديثا حاملا  
للمصارينخ بينما زورقان أكبر حجما بنيا في اسرائيل . وكانت جميع هذه الزوارق  
مجهزة بصواريخ تطلق من البحر الى البحر من نوع جبريايل . وكان التكتيك  
الذى استخدمه السلاح البحرى هو الخروج الى العدو ومهاجمته . كان  
السلاح البحرى المصرى يتكون من ٢٤ زورقا حاملا للمصارينخ و ١٢ غواصة وخمس  
مدمرات . ولمنعه من الاقتراب من الساحل الاسرائيلي ، فقد تم اشغاله  
بالقرب من قواعد .

عادت الزوارق هذا الصباح من مهمة اخرى في سوريا . وقد انضم السلاح  
البحرى هذه المرة الى المجهود العام من اجل ضرب الاهداف الاستراتيجية  
في سوريا . وكانت اهداف سلاح البحرية تتمثل في منشآت الوقود في موانىء  
اللاذقية وطرطوس وبانياس . اما الجيش الاسرائيلي فقد ركز هجماته ضد  
محطات توليد الطاقة الكهربائية ومنشآت الوقود . وتصلدت من منشآت الوقود  
في حمص اعمدة ضخمة من الدخان .

وكانت هناك بالاضافة الى ذلك مهمة اخرى : ضرب المطارات وهدم مدرجات  
المبوط لطائرات النقل الروسية التى تنقل العتاد والاسلحة الى سوريا . وقام  
السلاح الجوى باختبار المطارات التى يمكن أن تستوعب طائرات انتينوف الكبيرة .  
وكان بعضها بعيدا في شمال سوريا - حلب ودبيسر .

وقد اصيبت احدى الطائرات الروسية عندما كانت جائمة على المدرج . وساد بعضها من حيث اتى لعدم قدرتها على الهبوط . كان الطيارون الاسرائيليون حذرين حتى لا تضرب الطائرات الروسية وكان السوريون يسارعون الى سد الحفرات في المدرجات . وخلال عدة ساعات كانوا يملأون الحفرات ليصبح المدرج جاهزا للهبوط . وقد نقل الروس بواسطة الطائرات العملاقة من نوع انتينوف ٢٢ طائرات مقاتلة مفككة . وكان الخبراء الروس يقومون بتركيب هذه الطائرات على الفور .

وفي الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تقاتل الجيوش العربية كان عليها نسي نفس الوقت مواجهة تشكيل الامدادات الضخمة للاتحاد السوفياتي . وتبعه مستودعات الاتحاد السوفياتي على بعد ساعتين من الطيران عن سوريا . وقد حسم هذا النضال بالفصل مسبقا . فبعد الطائرات لا بد من وصول سفن الشحن ، والتي انطلقت عشرات منها من موانئ البحر الاسود . ويبدو أن السوريين شعروا انهم لا حدود للمعدات التي تحست تصرفهم .

وكان الطيارون السوريون قد لاحظوا ان مدرجات المطارات التي انطلقوا منها مكللة بالحفرات التي تركتها القنابل ولا يحاولون انقاذ طائراتهم . فقد كانوا يجوبون الاجواء حتى نفذ الوقود فهبطوا بالمظلات تاركين طائراتهم . زاد التدخّل السوفياتي في الحرب يوما بعد يوم . فبالاضافة الى ارسال السلاح والعتاد بكميات هائلة ، قام الروس بنشاط تجسسي مكثف في ساحة القتال . وتم هذا النشاط التجسسي بعدة وسائل في البحر الابيض قامت السفن الروسية بالتنصت على الشبكات الاسرائيلية . وخلال الحرب اطلق الاتحاد السوفياتي خمسة اقمار صناعية عسكرية . اما القمر الصناعي العسكري الاخر من نوع كوسموس ٦٠٣ الذي اطلق الى الفضاء قبل الحرب فقد تم حرقه عن مساره ليتمكن من المرور يوميا من فوق ساحة القتال . واعيدت الاقمار الاخرى بعد ان مكث واحد منها ستة ايام في الفضاء . ومحروف بشكل عام ان هذه الاقمار تعاد بعد ١٢ يوما . وهكذا تلقت الاستخبارات السوفياتية صورة شاملة عما يحدث في ساحات القتال . وهكذا قلص الكرملين من احتمال تضليله

كما حدث ابان حرب الستة ايام ، وعن طريق المعلومات غير الدقيقة التي تلقوها انذاك من العرب وخلال الايام الاولى من الحرب . كذلك كان وجود الولايات المتحدة ملحوظا اكثر ، وكانت اثار مساعدتها قد بدأت تظهر . وكانت قد وصلت الى اسرائيل مساء امس الطائرات الاولى التي ارسلتها الولايات المتحدة بدلا من تلك التي سقطت في المعارك وكانت هذه هي طائرات سكاي هوك التي وصلت من القواعد الامريكية في اوروبا ، واشارة السلاح الجوي الاسرائيلي مطبوعة عليها ، وكان بالامكان ادخالها للمعركة بعد هبوطها في اسرائيل بوقت قصير .

كان التدمير كبيرا ، ونهاية الحرب لم تظهر بعد . وكان السلاح الجوي قد فقد حتى هذا اليوم ستا وستين طائرة ، كما ان جزءا كبيرا من الطيارين ومساعد يهم قد قتلوا أو اعتبروا مفقودين .

لم تكن واشنطن تزفب حتى الان في ذكر تفاصيل عن المساعدة العسكرية التي تقدمها الى اسرائيل ، ولم يكن القرار المتعلق بالجسر الجوي قد صدر بعد ، ومع ذلك فقد قال موظفون امريكيون كبار لمنتدى اسرائيليين انه من المهم جدا ان تلقن اسرائيل الحرب درسا .

\* \* \*

قدم مندوبو وزارة الدفاع الاسرائيلية الى البنتاغون قائمة طويلة بانواع الاسلحة التي تطلب اسرائيل تلقيها بسرعة وكان في القائمة ايضا اسلحة جديدة لم يستعملها جيش الدفاع الاسرائيلي حتى الان . ولم تكن موافقة البنتاغون تلقائية لا في ما يتعلق باصناف الاسلحة ولا في ما يتعلق بكمياتها . كما كانت الاسلحة الجديدة التي لم تقدم حتى الان الى اسرائيل ، تتطلب تصديقا مبدئيا . واكد المتحدث باسم البنتاغون ان جيش الدفاع الاسرائيلي قد طلب تلقي السلاح الحديث المضاد للدبابات من طراز تاو بالسروية الممكنة ، وهذا السلاح كانت اسرائيل قد طلبت شراءه قبل الحرب ، ولكن واشنطن لسبب ما اجابت بالرفض ، مع انها كانت قد وافقت على بيعه لايران ودول في اوروبا . اما الان فان الامريكيين قد وافقوا على الصفقة ، ولكن

لم يكن في المخازن كميات كافية من هذا السلاح . وحتى الوحدات الأمريكية لم يكن لديها صواريخ تاو بصورة كافية ، فلقد اتضح ان الولايات المتحدة ايضا ليست مؤهلة في وقت السلم لان تلبية فورا طلبات كبيرة جدا ناشئة عن التدمير الناتج عن الحرب الحديثة . كما ان الحصول على سلاح اساسي كالبندقية الحديثة ام ١٦ لم يكن امرا سهلا . ومع أن الولايات المتحدة كانت قد وافقت قبل ذلك على بيع هذه البندقية الحديثة للاردن ، الا ان القرار فيما يتعلق باسرائيل لم يكن سهلا .

ان الشيء الذي لا ينقص جيش الدفاع الاسرائيلي هو جنرالات كبار يطلبون الانضمام الى الجهد الحربي . وهؤلاء كانوا يصلون الى مركز القيادة العليا في مجموعات تقريبا ، ومن بينهم قادة معروفون من خلال حروب سابقة ، ومشهورون بأعمالهم . ولقد كان عدد منهم يتجولون بين الصفوف بدون تقديس أية خدمة ، بل انهم كانوا يحرقون ادارة المعركة .

كانوا جميعا يطلبون تجنيدهم ، وكانوا يرسلون الى رئيس الاركان من يذكرونه بوجودهم . وقد طلب الجنرال العازار تجنيد ثلاثة منهم وهم رجبعام زئيفي وهارون ياريف ويشعيا هو جيش الذي كان قائدا للجبهة الجنوبية في حرب الايام الستة ، وقد اسندت اليه قيادة منطقة شلومو ، وهي القطاع الذي كان قد قتل في بداية المعارك عن القيادة الجنوبية المتمركزة في جبهة القناة حيث كان يسود جو من التحسب وخوف من ان يقوم الجيش المصري بمحاولة عزل منطقة شلومو .

وقادة احتياط اخرون تلقوا مهمات خاصة ، فقد ألفت هذه الحرب الصعبة عبئا ثقيلًا على كبار القادة ، حتى انه كان بينهم من لم يذوق طعم النوم الا قليلا منذ نشوب الحرب ، فكانت ثمة حاجة لان يعين لهؤلاء اكثر من نائب ومساعد في عدة مجالات .

لقد نشبت الحرب وسط تخييرات في مناصب القيادة العليا . وقد وجد في عدة وظائف عالية ضباط لم يحصلوا بعد على خبرة في وظيفتهم الجديدة . وفي الجبهة الجنوبية - وهي اكبر الجبهات من ناحية المساحة والمشاكل المعقدة -

كان قائد الجبهة ورئيس اركانها قد تقلدا منصبهما قبل اقل من ثلاثة اشهر .

\*\* \*\*

استيقظ بارليف باكرا وتوجه الى الجبهة المصرية . . وكان قد التقى قبل ذلك مع مساعد رئيس الاركان يسرائيل طال لتبادل الحديث حول وسائل اقامة الجسور لعبور القناة . ونوه طال بمكان المواقف في سيناء والموجودة فيها وسائل اقامة الجسور . وقرر امام بارليف فيلما ملونا عن تجربة عبور قام بها جيش الدفاع الاسرائيلي .

وفي غرفة العمليات الحربية التابعة للجبهة قال بارليف لجونين : ( ليس لي اية مصلحة في المساس بك ، ولا يزعجني ان يكون دافيد المازار قائدا الان وهو الذي كان تحت امرتي في السابق ، وانا آمل ان لا يزعجك كوني قائداك ) بعد ذلك قال بارليف لرجال القيادة ( اني لست قائد الجبهة ، فصلاحيات قائد الجبهة بقيت بيد جونين . . وانما انا هنا القائد الاعلى في الجبهة مع كامل الصلاحيات ) .

في الوقت الذي كان فيه بارليف متوجها بالطائرة الى الجنوب ، قدم من سيناء اللواء المتقاعد شلومو لهط ، الذي كان قائدا للقوات المدربة في سيناء في حرب الاستنزاف . وند نشوب الحرب بقي مع قوات شارون . وفي مركز القيادة العليا ، التقى لهط برئيسي اركان سابقين هما يادين ومكلف وكانا قد جاء الى مركز القيادة للوقوف على ما يجري . ولم ينتقل يادين من هذا المكان لعدة ايام وسمع من لهط ان القوات في الجنوب تتمتع بمعنويات عالية ، وان القادة هناك لا يفهمون سبب عدم اصدار امر الهجوم وعبور القناة . و اشار يادين الى انه لا يتوفر مثل هذا الشعور في مركز القيادة ، واقترح على لهط ان يروى ذلك لموشيه دايان .

وكان اللواء طال يستمع الى هذه المحادثة ، فسأل ( ماذا سيكون رد الجنود اذا ما قررنا عدم الهجوم ؟ ) واجاب لهط باسلوبه اللادع ( سيحصل تمرد لدى الجنود ) . ولم يقبل طال هذا الامر بهذه الروح وقال ( انا سعيد لانك تقول لي ذلك ) .

كانت المعركة على الجبهة الجنوبية هادئة .. فلهجمات المضادة قرب القناة  
كانت طفيفة وكانت المكاسب محلية فقط ، ولم تكن هناك معارك تقريبا في اثناء  
الليل ، فمع حلول الظلام كان كلا الطرفين يتجمعان للمبيت . وكان واضحا أن  
كلا من جيش الدفاع الاسرائيلي والجيش المصري يرغبان في لعق جراحهما  
في اثناء الليل بعد معارك النهار . ولم يكن جيش الدفاع الاسرائيلي يسلك مثل  
هذا المسلك في الماضي ، ولكن يبدو أن أمرا ما قد تغير .  
وقال جونين لبارليف انه يشعر اليوم ، ولأول مرة ، بنقطة تحول . وقد بنى  
شعوره على أن نسبة التحطم قد تحولت - حسب تقديره - لمصلحة جيش  
الدفاع الاسرائيلي ، وليس ذلك فقط لانه يملك دبابات أكثر ، بل لان دبابات  
(العدو) تتلقى الان اصابات اشد من الاصابات التي تتلقاها الدبابات الاسرائيلية .  
وفي البداية كانت نسبة الاصابات ضد مصلحة جيش الدفاع الاسرائيلي ..  
لم يكن شارون راضيا عن الوضع . كما ان المبعوث في الاصابات لم يهدئ  
من رهبه . وعندما وصل بارليف لزيارة قيادة شارون ، شرح له هذا ان الوضع  
الذي وجد يشبه حرب استنزاف . واقترح شارون مهاجمة جسر الجيش الثالث  
بدون تأخير ، على ان تقوم عدة ألوية مدربة بالمهجوم من الشمال الى الجنوب ،  
بحيث تكون البحيرة المرة على جانبها وبحث القادة اقتراح شارون في قيادة  
الجبهة بحضوره ولكن الاقتراح رفض بحجة ان هذا الهجوم قد يكلف كثيرا  
جدا وقد تكون نتائجه ضئيلة جدا ايضا .  
كان جرح الفشل الذي حدث يوم الاثنين عندما احترقت عشرات الدبابات  
خلال دقائق معدودة ، لم يندمل بعد .  
ومع ان نسبة تحطم الدبابات قد خفت ، الا ان انسحاق الرجال ما زال مستمرا ،  
كما حدث في الايام السابقة .. ولم تقلل المعارك الثابتة من عدد المصابين .  
وكان المصريون يسبقون كل هجوم مهما كان صغيرا بقصف مدفعي ثقيل .  
وكانوا يكثر من الاستعانة بضباط استكشاف أمميين ، يتسللون عبر الخطوط  
الاسرائيلية وليس من خلفها ، ويقومون من هناك بتوجيه ليران المدافع .  
وخلال ايام عرف الجنود الاسرائيليون ان القصف المدفعي المفاجئ ، يعني

ان هنالك بالقرب من المواقع الاسرائيلية مفرزة من رجال الاستكشاف المصريين .  
وخلال القصف كان الاسرائيليون يقومون بالبحث عن ضباط الاستكشاف المصريين .  
كانت اصابات رجال كأن يظهر قادة صغار يحلون في القيادة مكان القادة  
الذين قتلوا أو جرحوا . وكان هنالك رجال دبابات لم يغمض لهم جفن تقريبا  
منذ بداية الحرب ، فقد كانوا يقاتلون منذ الصباح وحتى المساء بدون أن يعرفوا  
ما يجري في القطاع المجاور . وبالتأكيد فانهم لم يكونوا يعرفون شيئا لا عن  
الحرب في هضبة الجولان ، ولا عما يدور في الجبهة الداخلية .  
ثمة ألوية كانت تقوم عند حلول الليل بنقل الانباء بواسطة اجهزة اللاسلكي ،  
فكما في الجبهة الداخلية ، كذلك هنا ، فانه سرعان ما تنتشر الاشاعات ، كالاشاعة  
التي قالنت عن قائد احد الالوية المشهورة التي تحارب في هضبة الجولان  
انه يصدق بمد رماته أبواب دمشق .

كان معدل سرعة القتال كبيرا جدا حتى انه قد تغير تركيب اطقم الكثير  
من الدبابات وكان يتم اخلاء الدبابات التي تحمل جرحى الى الخلف . وبعد  
ان يتم تخليص الجرحى ، كان احد الضباط يقوم في الحال بتركيب اطقم  
جديدة لهذه الدبابات . وهكذا وجد وضع تواجد فيه عدة رجال في كل  
دبابة بحيث لا يعرفون حتى اسماء بعضهم البعض . وفي حالات كثيرة كان  
يقتل رجال من الدبابات بدون ان يعرف زملاؤهم في الطاقم اسماءهم وهكذا  
كثرت الدبابات الذين سجلوا بعد ذلك كجهوليين أو مفقودين .

وفي فرقة ابراهام ادن فقد طاقم احدى الدبابات قائده الذي تدرب معه  
وعمل لمدة سنين . وبينما كان رجال الطاقم في طريقهم لنقل جثة قائدهم  
الى محطة التجميع ، صعد الى الدبابة قائد جديد ، رجل احتياط ، وقبل  
مرور ساعة قتل هو ايضا ، وحادوا مرة اخرى . ولم يصدق الرجال في محطة  
التجميع ما رأوه عندما شاهدوا الدبابة تعود للمرة الثالثة وهي تحمل هذه  
المرة ايضا جثة القائد . ورفض طاقم الدبابة هذه المرة العودة اليها ، فلقد  
كان الطاقم مذمولا بحيث لم يعد يستطيع ان يحارب واصدر ادن أمره لطاقم  
الدبابة بالاستراحة ، وبعد عدة ساعات قدم للمتحدث اليهم . وقد تبادلوا  
النظرات أكثر مما تبادلوا

الكلمات • وبعد ان استراح الطاقم عاد الى الدبابة وللى الحرب من جديد •  
لقد كانت هذه هي الحرب الاولى بالنسبة لجيش الدفاع الاسرائيلي التي  
يقوم فيها الاطباء بمعالجة عدد كبير جدا من الجنود الذين اصيبوا بصدمة في  
المعركة • وقد حدثت معظم الصدمات الحربية في الايام الاولى للحرب ، وبالذات  
في مرحلة الصد ، وعندما كان المقاتلون يفقدون الاتصال مع وحداتهم • كما  
كان البعض يقاتل مع اطقم لا يعرفها اطلاقا ، وكان يكفي لمعظمهم النوم  
والاستراحة يوما كاملا ، ثم العودة الى القتال • وكان بعضهم بحاجة الى علاج  
نفساني ، كما كان هنالك آخرون ممن نسيوا أسماءهم ، وكان يجب نقل  
هؤلاء الى المستشفيات ••

هنا وهناك كانت تتناقل اخبار طيبة ، اهمها الخبر الذي وصل من القطاع  
الشمالي •• فبعد خمسة ايام من الانقطاع نجحت القوة التابعة لميجن في شق  
طريقها الى المعقل المحاصر والواقع على شاطئ البحر ، والاتصال معه •  
واضطرت المدرعات هنا للاستعانة بوحدات من المظليين • وبجهد مشترك  
شقوا طريقهم الى الطريق الواقعة على شريط الشاطئ •• وكان هذا هو  
المعقل الوحيد الذي صد في القتال حتى النهاية • كما كان هنالك معقل  
آخر ما يزال صامدا في الجنوب بالقرب من بور ابراهيم ، ولكن قوات الجيش  
المصري الثالث تحاصره من كل جانب • اما المعقل الواقع على الشاطئ فقد  
قام بتطويقه مئات من رجال الكوماندو والمصريين الذين قدموا من بور فواد  
ومن البحر • ولم يكن باستطاعة المدرعات التي حاولت شق طريقها الى  
المعقل ان تتشرك كما ينبغي ، لانه كان عليهما ان تتحرك على طول شريط  
ضيق يحاذي شاطئ البحر •

لقد تبين ، مرة اخرى ، انه ليس باستطاعة المدرعات ان تحل مشكلة ، في  
كل مكان ، وفي جميع ظروف القتال ، فقد وقعت الدبابات في كمين من رجال  
الكوماندو واصيبت • كذلك انعدم وجود سلاح المشاة • ولتحطيم حصار  
الكوماندو والمصريين ، كانت هنالك حاجة للاستعانة بالمظليين ، وكان اللقاء  
مع رجال المعقل هو احدى اللحظات السعيدة والقليلة في هذه الحرب •



وكان الجنود يضمنون ويقبلون بعضهم بعضا ، وتم اخلاء الجرحى  
لم تنته الحرب بالنسبة لهذا المعقل ، فلقد استمر القصف والكمان في  
منطقة الشاطيء .

كذلك كان هذا يوما افضل بالنسبة لاسحق اجام وزملائه من الوحدة الاستطلاعية  
ففي الصباح سمح لاجام بالدخول الى المعقل الذي قضى<sup>هو</sup> وزملاؤه ليلتهم  
بالقرب منه . وكان الشرط هو عدم النزول من المصفحات ، خوفا من الالغام والكمان .  
لم تظهر في المعقل الخالي اثار القتال . فقاعة الطعام لم تصب ، وكذلك  
كان المولد الموجود في الساحة بحالة كاملة . ونادى الرجال الذين كانوا في  
المصفحة : (هل يوجد هنا اسراييليون ؟ لقد اتينا لاصطحابكم) . ولم تكن هناك  
دلائل على وجود جثث ، وبعد ان اطلق الرجال عدة طلقات تركوا الموقع .  
وفادرت القوة المعقل باتجاه المنطقة التي كانت تحت سيطرة جيش الدفاع  
الاسرائيلي وهنالك تزودت وتلقت قنابل يدوية للمرة الاولى . وقد ارتفعت  
معنويات الجنود عندما استلموا ايضا مدافع رشاشة وقبل ذلك كان اجام قد  
نجح هو وزملاؤه في التزود بهذه المدافع بانفسهم . . . فعندما كانوا يمشون  
قرب دبابه او مصفحة اسرائيلية اصيبت في المعركة وتركت ، كانوا يفتشونها  
ويأخذون المدافع الرشاشة ، والمعدات الحربية الاخرى التي بداخلها . وكان  
اجام صاحب حظ . . . ففي احدى الدبابات الاسرائيلية المهجورة ، وجد  
منظارا ، وكان هو قائد الفئه الوحيد في سريته الذي يحمل منظارا .  
اتضح اليوم مصير عدد من رجال المدرعات والمعاقل الذين اعتبروا في  
حكم المفقودين ، فلقد نشرت الصحف المصرية صوراً لعشرات الجنود الاسراييليين  
وكان من ضمنهم الكثير ممن امكن معرفة هوياتهم . وعندما عاد هؤلاء من الاسر  
اتضح ان المصريين كانوا قد ادخلوا بين صفوف الاسرى جنودا مصريين لبسوا  
اللباس الخاص بجيش الدفاع الاسرائيلي ، ثم التقطت الصورة بحيث ظهر  
الجميع وكأنهم اسرى اسراييليون .

\*\* \* \*\*

اما على الجبهة السورية ، فقد وصلت القوات الاسرائيلية هذا اليوم ، الى  
اخر المعقل في الخط الشمالي . وتم تخليص اخر المقاتلين الذين بقوا

خلف الخطوط السورية ، واعاد المظليون التابعون لوحدة حازي احتلال مدينة القنيطرة ، وقد قاموا بالدوران حول المدينة وتسلبوا اليها من الشمال . كانت المهمة سهلة ، حتى ان احد المظليين تساءل : ( اين الحرب التي وعدنا بها ) ؟

عاد جيش الدفاع الاسرائيلي الى الخط البنفسجي وهو خط وقف النار السابق ما سوريا وعلى ما يبدو ، فقد عاد الوضع كما كان عليه صباح ( يوم الغفران ) ولكن المنطقة لم تصبح خالية من السوريين . فلقد كان هناك افراد من الجيش السوري وجماعات صغيرة من رجال الكوماندو هائمين على وجوههم في المنطقة وكالعادة فقد امتلأت الطرق بوابل من القذائف والمتفجرات الصادرة عن صواريخ الكاتيوشا . وفي قطاع حسينية ترك السوريون خلفهم دبابات كثيرة ، معظمها في حالة سليمة ، كما تركت دبابات اخرى ، ومحركاتها تعمل . وكانت الطرق المؤدية الى هضبة الجولان مليئة بقوافل الشاحنات التي تحمل الذخيرة والمعدات القتالية الاخرى . فبدأ سينفذ جيش الدفاع الاسرائيلي حملة باتجاه دمشق وقررت رئاسة الاركان عدم تأخير الحملة . فبعد يوم واحد فقط من اعادة تنظيم الصفوف ستقوم القوات الاسرائيلية باقتحام الخطوط السورية .

وصدر الامر للقيادة بان تقوم خلال اليوم باتمام خطة الاقتحام . وكان معروفا ان الفرقة العراقية تتقدم نحو الجبهة ، وكان يجب الاسراع لملاقاتها . في حرب الايام الستة نجح السلاح الجوي في تحديد موقع القوة العراقية وهي في طريقها الى الجبهة ووقع بها اصابات شديدة . اما هذه المرة فلقد كان العراقيون اكثر حذرا ، فكانوا يتحركون في الليل ، لذلك لم يتمكن الاسرائيليون من اكتشاف القوة العراقية وهي في طريقها الى الجبهة . في الجبهة السورية انتهت مرحلة من الحرب . وللمرة الاولى اصبح لدى القيادة والجنود وقت لمراجعة حساباتهم .

١١ تشرين اول ١٩٧٣

بدأ جيش الدفاع الاسرائيلي ، هذا اليوم ، حملة في الجبهة السورية ، بقصد عبور خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ متوغلا في داخل المنطقة

السورية . وكان جيش الدفاع الاسرائيلي قد قام حتى الان بالصد والهجمات المضادة فقط ، وبعد ان انتهت هذه المرحلة كان يوم واحد كافيا لتنظيم صفوف القوات . . . والان جاء دور المرحلة الثانية من العملية . كان من المقرر ان تقوم الفرق التابعة لرئاس ايتان ودان لنريشق الطريق كما تقوم فرقة بيلد بعملية الصد . وتوجه المازار لقيادة رفايل ليسمع من القادة عن تفاصيل عملية الاقتحام . وكانت هذه هي المرة الاولى منذ نشوب الحرب التي ينجح فيها رئيس الاركان بمقابلة قادة الالوية في ساحة المعركة . . . فقد كان عليه حتى الان ان يكتفي بالنقاش والزيارات في غرفة العمليات الحربية التابعة للقيادة .

جرت المقابلة في خط الجبهة شمالي معسكر نافع ، وتجمع القادة قسرب مصفحة رفايل ايتان ، وكانت عيونهم منمكة ، وقد برزت ذقونهم التي لم تحلق منذ نشوب القتال . وكان بيدرو لاول وهلة انهم قد اتوا عملهم وهو صد السوريين عن هضبة الجولان . ولكن في نفس الوقت الذي كان يسقط فيه مئات القتلى طلب منهم القيام بجهد جديد ، هو اقتحام تجمعات السوريين والحاق الهزيمة بهم في ارضهم ، مع انه لم يكن هناك قوات تحمل محلهم . . . فقد كان مخزون الطاقة البشرية في جيش الدفاع الاسرائيلي يأخذ في الهبوط ، وكانت اسرائيل تقف في حرب على الجبهتين المصرية والسورية معا ، وحاول المازار أن يشرح الامر بكل ما لديه من قدرة .

وفي البداية شرح المازار الوضع على الجبهة المصرية ، فالمقاتلون في هضبة الجولان لم يكونوا يعرفون ما يجري في الجنوب . ومن أن بعضهم كان قد التقط من هنا وهناك بعض الاخبار التي نقلها راديو اسرائيل ، الا انهم لم يكونوا يعرفون عن حقيقة الوضع ، كما لم يكونوا مطلعين على خطط جيش الدفاع الاسرائيلي وعلى فرص المعركة . فلقد كان جل اهتمامهم منصبا حتى الان على قتال السوريين . وقد شرح رئيس الاركان الامر بقوله : ( ان فرصة الحسم السريع للحرب تعني القضاء على الجيش السوري كقوة محاربة ، فبعد هذا فقط يستطيع جيش الدفاع الاسرائيلي نقل مركز الثقل للجبهة المصرية ،

كما سيكون ايضا اكثر هدوءا بالنسبة للجبهة الشرقية مع الاردن . واضاف رئيس  
الاركان قائلا : ( اننا منطرون للقيام بذلك لان فيه اهمية كبرى ) . وكان  
يقصد الهجوم الذي سيبدأ في الساعة الحادية عشرة ظهرا !!  
وكانت المرحلة السابقة لعملية الاختراق قد بدأت وفي الوقت الذي كان فيه  
المجازر يتحدث مع رفائيل ورجالها في المصفحة ، قامت عشرات الطائرات التابعة  
لسلاح الجو الاسرائيلي بهجمات تمهيدية ، في القطعات التي كان على جيش  
الدفاع الاسرائيلي ان يشق طريقه اليها . وكانت الطائرات تمر على شكل  
موجات ثم تعود بعد ذلك على ارتفاع منخفض . وكان على الرجال في المصفحة  
عند مرور احدى التشكيلات ، ايقاف النقاش بسبب الضجة المائلة . وفجأة رفع  
الجميع ميونهم . . فلقد كانت احدى الطائرات قادمة من الجانب السوري وهي  
تترنح والدخان يتصاعد من ذيلها ، وتوجهت الى المنطقة الاسرائيلية كحيوان  
جريح يشق طريقه بصحوة الى مأواه . وبعد دقيقة طيران ظهرت مظلة فتحت  
في السماء ، وبعد ان ترك الطيار طائرته هوت وتحطمت في موقع قريب وبينما  
كانت المظلة في الجو ، اتصل عامل اللاسلكي التابع للسلاح الجوي من المصفحة  
وطلب ارسال طائرة عمودية فورا لتخليص الطيار .

لم يكن الجميع راضين عن قرار القيام بحملة خلف خطوط السورية ، وكان  
احد القادة الكبار في القيادة العليا يرى انه يكفي جيش الدفاع الاسرائيلي  
انه نجح في صد المهاجمين عن هضبة الجولان ، وكان يعتقد انه يجب اعادة  
مركز الثقل الان الى الجبهة المصرية ، وبذلك ربما كان باستطاعة جيش  
الدفاع الاسرائيلي ان يتخلص من الضغط في الشمال ونقل قوات الى القناة .  
ولكن رئيس الاركان كان يريد ، اولا وقبل كل شيء ، اخراج سوريا من لعبة  
الحرب . وقال موشه دايان لرئيسة الحكومة انه يأمل ان تفقد سوريا ، خلال  
اربع وعشرين ساعة ، قوة الاستمرار في الحرب ، وندمشق ستدفع ايضا ثمن النجاح  
الذي حققه المصريون في قناة السويس . ومن ناحية عملية ، لم يكن الهدف  
احتلال اراض ، وانما تحطيم الجيش السوري في اثناء التقدم الى دمشق  
كما كان القصد جعل العاصمة السورية تحت رحمة المدفعية الاسرائيلية

وايجاد تهديد على دمشق بحيث يفضل السوريون ايقاف الحـرب .  
جرى الاقتحام في محورين ، بحيث تقوم فرقة دان لنربشق طريقها على الطريق  
الرئيسية القنيطرة - دمشق ، بحيث تتمكن الفرقة من اقتحام التجمع السوري قرب  
خان أرنبة ، وفي نفس الوقت تقوم قوات رفول بالتدخل في المنطقة الجبلية في  
القطاع الشمالي لمنطقة الجولان . انها حلقة ضعيفة من التجمع السوري ، بحيث  
يمكن ان تمر القوات المقتحمة بجانب السوريين ، ثم تتقدم في سفوح جبل الشيخ  
مؤمنة بذلك الجناح الايسر ، وهذا هو ايضا اقصر الطرق الى دمشق .  
اما قوات رفائيل المتوغلة فكان يتقدمها دبابات موزج التي كانت تشق طريقها  
عبر حقول الالغام . وفي المقابل سيطر رجال لواء جولاني على مركزين كبيرين ،  
وبعدهم قدمت دبابات لواء المدرعات الذي قام في ( يوم الخفران ) بصـد  
الحملة السورية قرب القنيطرة .

وكان على فرقة دان لنراخترق تجمع اكثر كثافة قرب قرية ارنبة اقيم بحمد  
حرب ١٩٦٧ . وفي مدخل القرية وعلى جانبي الطريق الرئيسية كان يوجد  
مركز كبير لحنى تقدم القوات . وفي حين حاول قسم من المدرعات شق طريقه  
وقفت دبابات اخرى في الجبهة المقابلة وحاولت تحطيم مواقع المركز السوري ، الذي  
كانت قوته مبنية في الاساس على سلاح مضاد للدبابات . كذلك كان السوريون  
يستعملون صواريخ مضادة للدبابات ومدافع غير مرتدة ، وكانت نيرانهم ذات فعالية .  
لم يسلم من القوة التي بدأت الاقتحام مع حلول المساء سوى ثلاث دبابات  
وكانت هذه وحدة احتياطية حاربت في البداية بجنوب منطقة الجولان . كما فقد  
الرتل الثاني الذي قدم بعد ذلك عشرين دبابة في اثناء عملية اقتحامه .  
قام المظليون التابعون لحازي بعملية تطهير على جانبي الثغرة ، وكان  
القصف شديدا والممركة شرسة . فالسوريون يطلقون من بيوت قرية أرنبة  
وبخزارة ، قذائف البازوكا نحو الدبابات والعربات نصف المجنزرة . وقد اصابت  
احدى هذه القذائف مصفحة محطة بحوالي مئة كيلوغرام من المواد المتفجرة  
فكان الانفجار هائلا ، ولم ينج احد من طاقم المصفحة المكون من ثلاثة عشر رجلا .

لم يفر السوريون ، وقد ابقوا بجانب الشخرات مفارز من حاملي قذائف البازوكا الذين كانوا يقومون بعمليات انتحارية . ومما انه لم تكن لديهم فرصة للصمود زمنا طويلا امام الدبابات الكثيرة والمقتحمين ، الا انهم كانوا يوقعون الاصابات في ارتال جيش الدفاع الاسرائيلي . فقد كانت هذه المفارز جريئة . وحتى بعد ان نجح جيش الدفاع الاسرائيلي في اختراق التجمع السوري ، كانت رجال المفارز يقتربون في الظلام من اماكن وقوف الدبابات ويطلقون قذائف البازوكا باتجاهها .

لقد سقط ، حتى الان ، في معارك هضبة الجولان حوالي خمسمائة من جنود جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد بقيت جثث كثيرة في داخل المدرعات وعلى مقربة منها . وقد اعطيت الاولوية لاجلاء الجرحى ثم نقل القتلى . وبالقرب من بقعاتا كانت جثث رجال الوحدة الاستطلاعية تنتظر اخلاءها . عاد اليوم عرن زمرة ، وبحضر زملائه الى موقع المعركة ، فقد سمعوا ان زملاءهم الذين قتلوا لم يتم اخلاؤهم بعد ، لذلك طلبوا اخلاءهم بانفسهم ، وقاموا بتحميل الحربة التي قدموا فيها بجثث العشرات من زملائهم ، وكان هنالك ست جثث مسحروقة لم يتم التعرف على اصحابها .

وفي المساء وصل رتل من قوات رفائيل الى مسافة اربعين كيلومترا من دمشق . وكان وزير الدفاع في هضبة الجولان حيث صرح للمصحفيين بان جيش الدفاع الاسرائيلي قد اصبح قريبا من دمشق . وكانت هنالك مخاوف في الكرملين من ان اسرائيل قد تعرض العاصمة السورية للخطر ، فما ان عبرت القوات الاسرائيلية خط الحدود ، حتى تردد اسم دمشق على الالسن . وعلى ما يبدو ، فان اللكمات التي وجهت في الايام الاولى للقوات الاسرائيلية ، وكذلك الرغبة في رفع الروح المعنوية لدى الجمهور ، هي التي حثت القيادة الاسرائيلية على تغيير اسلوبها ، ولقد اظهر دايان نفسه دلائل انتعاش . وعلى ما يبدو فان النبأ الذي ورد من واشنطن بان الولايات المتحدة قد وافقت مبدئيا على الاستجابة لطلبات اسرائيل من المعدات ، وكون الوضع على الجبهة السورية قد تغير الان كلية ، كل ذلك ادى الى التحول الذي طرأ على حالة دايان النفسية .

ان اختراق الجبهة السورية واقترب جيش الدفاع الاسرائيلي من دمشق وغيره  
من صيخة البلاغات السورية . ومنذ اللحظة التي بدأت فيها الدلائل الاولية  
للفشل وعادت دمشق الى ترويض روايات حرب الايام الستة حول زعم اشتراك  
اميركا في الحرب الى جانب اسرائيل . وقالت دمشق ان الطائرات الاميركية  
قد هاجمت اهدافا في سوريا ، وان احدي هذه الطائرات قد اسقطت قرب دمشق .  
لم يكن هذا هو النبأ الوحيد الذي اقلق واشنطن ، فلقد وصل نبأ من عمان  
كان اكثر مدعاة للقلق . . . فقد استدعى الملك حسين سفير الولايات المتحدة  
في عمان ، واخبره بان لا يستطيع الوقوف متفرجا ، وان عليه ان يتدخل في الحرب  
وكان الملك حسين قد امتنع حتى الان عن التدخل خشية رد جيش الدفاع  
الاسرائيلي ، ولحماية بلاد ، من طائرات سلاح الجو الاسرائيلي ، ولمنع حرب  
شاملة ضده . وقد اعلن انه لن يقوم بفتح النيران على اسرائيل من حدوده ، بل  
انه سيرسل اليوم اللواء المدرع الرابعين لمساعدة السوريين . وكان هذا اللواء  
المزود بدبابات باتون الاميركية قد اشتبك مع جيش الدفاع الاسرائيلي في حرب  
الايام الستة بمنطقة السامرة . وما زال مساعد اللواء دان لنري يحتفظ بعلم  
هذا اللواء في بيته كتذكارة ، وكان هذا العلم قد وقع بأيدي الاسرائيليين آنذاك .

\*\*\*

على الجبهة المصرية ، حصل اسحق اجام وزملاؤه في الوحدة الاستطلاعية  
على اسلحة اخرى جديدة . . . فلقد تلقوا بندق رشاشة ثقيلة ، وكان شعورهم  
افضل . . . ولكن ما زال ينقصهم مناظير ، وهو امر مزعج بالنسبة لهم . وبعد خمسة  
ايام من المعارك يمكن القول بان الوضع التمويني قد بدأ في التحسن ، فالطعام  
اصبح على ما يرام ، وكذلك ايضا تزويد المحروقات كما ان وضع الالبسة قد تحسن  
كثيرا . وكان ينقص الجنود اسلحة شخصية وكذلك معدات قتالية اخرى . اما  
التزود بالذخيرة فكان يسير بصورة افضل ، ولكن كمية كبيرة منها كانت فسي  
الحربات المنتشرة على طول المحاور الطويلة . وهذه الحربات لم تكن  
تستطيع التقدم بسبب كثرة المراقيل على الطرق ، وكانت تمر ساعات قبل ان يتمكنوا  
من ازالة هذه المراقيل . كما ان عربات كثيرة ضلت طريقها . وعلى عكس

الحال في هضبة الجولان ، فان العربات في صحراء سيناء لا تستطيع النزول  
عن الطريق حتى لا تضيع في الرمال .  
وفي الجنوب قام جيش الدفاع الاسرائيلي هذه الليلة ، واول مرة في هذه  
الحرب ، بالافارة خلف خطوط العدو ، وكانت هذه في الواقع العملية الليلية  
واللمرة الاولى ، التي يتم فيها انزال المظليين وراء خطوط العدو . وتم انزال جنود  
من الناحال بواسطة الطائرات العمودية على جبل عتاقة . واستمر هؤلاء في  
قصف احدى القيادات المصرية ومخازن الذخيرة في السهل الواقع تحتهم ، لمدة  
خمس وعشرين دقيقة . ولم تكن هذه عملية كبيرة ، ولكنها ساهمت في رفع الروح  
المعنوية لدى المظليين وقيادتهم ، حيث كانت هذه هي المرة الاولى  
التي ووفق فيها على خطة عملية لهم .

وفي الواقع ، ان التقدم المصري توقف على طول القناة ، ووقف جيش الدفاع  
الاسرائيلي على طول طريق البطاريات تقريبا . وكان واضحا ان الجيش المصري  
لم يكمل بعد اقامة رأس الجسر ، كما كان واضحا انه يريد الاستيلاء على كسل  
طريق البطاريات ، وعلى المنحطفات الواقعة على طول هذه الطريق ، وكذلك  
على التلال القريبة منها . ولم يكن هنالك اي منعطف بيد المصريين ، كما لم  
يتمكنوا من عبور طريق البطاريات سوى في موقعين اثنين .

لقد كان يخشى ان يكتفي المصريون بما توصلوا اليه من مكاسب ، وان يتنازلوا  
عن المرحلة الثانية من العملية وهي شق الطريق باتجاه ممرات المتلة والجدى ،  
وان يستمروا في شن حرب استنزاف بدون الموافقة على وقف النار ، وان يبقوا على  
خمس فرق في سيناء . وحيث ان القيادة الاسرائيلية مستعدة للعودة الى مهاجمة  
راس الجسر بصورة جبهوية ، لذا كان عليهما ان تسعى الى اخراج القوات المصرية  
عن توازنهما . والوسيلة الوحيدة لذلك هي عبور القناة الى الغرب والتفصل  
وراء خطوط الجيش المصري .

ان عبور القناة لم يكن امرا فجائيا او فكرة خطرت ببال القادة في اثناء حرب  
( يوم الخفران ) ، فعبور القناة الى الجبهة الغربية كان امرا مقررا في خطط  
جيش الدفاع الاسرائيلي لدى قيام المصريين بالحرب . وقد جرت تمارين في



جيش الدفاع الاسرائيلي بهذا الصدد وعلى مستويات مختلفة . وفي القيادة الجنوبية كان هنالك ملفات مفصلة حول هذا الموضوع ، كما قامت قيادة الجبهة بمناورات عبور في منطقتها عندما كان اريك شارون قائدا لها . وكانت هنالك عدة احتمالات . . . فمن الممكن التوفل خلف الجيش المصري عند احد الاجنحة ، وفي خليج السويس ( مثل الغارة المدرعة التي قام بها جيش الدفاع الاسرائيلي في ايلول عام ١٩٦٩ ) أو في الشمال .

وبعد ان تقرر أولوية القيام بعملية في قلب الجبهة ، ظهرت عدة احتمالات كان احدها شمالي البحيرة المرة . . . وكان واضحا ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيركز جهده في محاولة كبيرة ، ولن يحصل في رأس جسر .

تقرر العبور قرب البحيرة المرة . . . وكان لذلك عدة مبررات : ففي قطاع البحيرة المرة اكتشف قبل اسبوع الخط الواصل بين الجيشين المصريين . وفي هذا الموقع يستطيع جيش الدفاع الاسرائيلي التقدم الى موقع العبور ، بحيث تشمل البحيرة المرة الكبرى جناح الرتل الاسرائيلي .

كذلك ، فان طبيعة الارض خلف القناة كان لها اثر في اختيار موقع العبور . فقرب القنطرة توجد قنوات مياه كثيرة كما يوجد العديد من القرى . اما قرب البحيرة المرة فتوجد قناة ماء واحدة وراء السويس ووراء قناة الماء الحلوة يوجد سهل كبير بحيث تستطيع المدفعات العمل بنشاط ، كما ان اختيار القلح يتفق وخطه قيادة قديمة قديمة .

والان يجب اقناع رئيس الاركان ، ووزير الدفاع ، ومجلس وزراء الحرب ، وقد اتفق بارليف مع رئيس الاركان على انه في الغد - يوم الجمعة - سيتوجه بارليف بنفسه الى رئاسة الاركان في تل أبيب لعرض مشاريع العبور .

\* \* \*

درج الاسرائيليون منذ سنين على ترديد عبارة (ليل جيش الدفاع الاسرائيلي) في حين قالوا عن الجيوش العربية بصفة عامة انها تخشى من عمليات الليل . فعلا فان عمليات الليل كانت دائما تميز جيش الدفاع الاسرائيلي . فحتى في عام ١٩٤٨ اعتمدت معظم عمليات جيش الدفاع الاسرائيلي في الظلام وهكذا اعتمدت منظمة الهاجانة والمنظمات السرية قبل قيام دولة اسرائيل .

وفي الخمسينات ، وفي أيام عمليات الانتقام الكبرى التي سبقت حرب سيناء عام ١٩٥٦ وصل جيش الدفاع الاسرائيلي الى الذروة في عملياته الليلية . وقد استمر تطوير القتال الليلي ، ثم نقل الى المدرعات التي تدرت على هذا النوع من القتال كما بذل سلاح الجو جهدا ، حتى لا يتأخر في هذا المجال عن وحدات المشاة والمدربات . ومع أن الجهد الأكبر من حرب الايام الستة جرى في وضع النصار الا أنه جرت فيها ايضا عمليات ليلية هامة ، مثل اختراق الجبهة المصرية من قبل فرقة ريك شارون والسيطرة على ( أم كتف ) .

ولقد استغل الليل ، في البداية ، لتغطية الفارق الكمي بين جيش الدفاع الاسرائيلي والجيش المصري ، وللتقليل من تأثير قوة النيران العربية المتفوقة منذ الاقتراب من الهدف وقد سمر جيش الدفاع الاسرائيلي ، رغم تعاظمه ، في تطوير القتال الليلي ، كما ورع لوما تطبيقية كثيرة من اجل استخدام تشكيلات كبيرة من الدروع في الظلام ، بمساعدة السلاح الجوي . ويمكن القول انه منذ حرب الايام الستة ساد الامتداد بان جيش الدفاع الاسرائيلي مستمر في تطوير هذا الموضوع . فالغارة الحرة على معسكرات المنظمات المسلحة الفلسطينية قرب طرابلس في لبنان ، والتفعل في بيروت للايقاع بزعماء المنظمات المسلحة وقيادتهم ، اعطت الانطباع بان الامر هو هكذا متطور فعلا . ولكن اختبار حرب ( يوم الخفران ) دل على ان جيش الدفاع الاسرائيلي قد حاد من تقليد القتال الليلي ، وفي هذه الحرب لم تعمل تقريبا العناصر الرئيسية لهذا الجيش في اثناء الليل . وبصورة عامة فقد رفضت الاقتراحات بقيام عمليات ليلية كبيرة . والعناصر لوحيدة التي كانت تخرج للعمل كل ليلة وتفاجىء ( العدو ) من جديد كل مرة ، والتي توصلت الى مكاسب مناسبة هي قوات السلاح البحري .

وعندما نشبت حرب ( يوم الخفران ) ، وكان جيش الدفاع الاسرائيلي واثقا ومقتنعا بأنه سيقدر على اعدائه الذين عرفهم من الامس من خلال نهج مباشر وفي وضع النهار بدون ان يبذل جهدا في مجال التجديد . وقد اضطرت القيادة العليا منذ الحملة الاولى وحتى المعركة الاخيرة الى تخطيط عملياتها كرد على خطوات العدو . ولم يتصرف جيش الدفاع الاسرائيلي في

اي حادث وفق النهج غير المباشر الذي امتاز به في الماضي . فالخطط المناسبة بقيت داخل المجر وهذا ما حدث ايضا عندما اخذ جيش الدفاع الاسرائيلي زمام المبادرة في الهجوم الشامل على الجبهة السورية وعبور قناة السويس في الجبهة المصرية .

لقد تمت معظم العمليات القتالية في ساعات النهار ومع هبوط الظلام كان يبدو ان كتل الدروع كانت تبتلع لدخول مهاجميها الليلية . وقد لوحظ هذا الوضع الجديد من خلال بيانات الصباح الصادرة عن المناطق بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد اشار ما لا يقل عن تسعة بيانات ( ان الليلة مرت على قواتنا بهدوء ) او ( ساد الهدوء طيلة الليلة ) .

لماذا كان هناك هدوء في الليل ، ولماذا كان هناك قبول لهذا الهدوء ؟ فلقد كان ممكنا استغلال جيش الدفاع الاسرائيلي لاحدى مزاياه الهامة - قتال الليل - في هذه الحرب ايضا . واذ كان وقت جيش الدفاع الاسرائيلي في هذه الحرب محدودا حقا ، فلماذا لم تستغل بصورة اكبر ساعات الظلام للقيام بعمليات كبيرة ؟!

الحقيقة انه لم يعد الليل تحت تصرف جيش الدفاع الاسرائيلي فقط ، فلقد استعد العرب ايضا للقتال الليلي . . وفضل برهان على ذلك الاجهزة الكثيرة للرؤية في الليل التي زود بها العرب قواتهم . فلقد ثبتوا على بنادق الكلاشنكوف نواظير خاصة ثمن كل واحد منها حوالي ألفي دولار ، كما اقاموا الجسور على القناة في الليل . وقاموا بانزال رجال كوماندو ونقلوا مدركات كثيرة للمجمعات الليلية وخاصة على الجبهة السورية . وكان رجال المدركات الاسرائيليون يشكون من نقص كبير في هذه المعدات .

ان العمليات الليلية القليلة التي قام بها جيش الدفاع الاسرائيلي في الجبهة ، تشير الى أنه كان من الممكن ان نستخدم بصورة اكثر الوحدات للقيام بعمليات هجومية في الظلام ليس فقط من اجل الحركة واجتياز الموانع . والمثال على ذلك العمليتان في الجبهة السورية : احتلال جبل الشيخ السوري واحتلال تل شمس بعد ان صد الدرع في وضع النهار على اعقابهم .

كانت قلة الغارات خافت، تجمعات العدو وفي عمق ارضه تبدوا أمرا غريبا . ففي  
حرب الاستنزاف وبعد ما قام المظليون ودوريات الاستطلاع التابعة لجيش  
الدفاع الاسرائيلي بالاغارة على العدو وأرياكه . بدأ بالغارة على نجع حمادي في  
مصر العليا وانتهاء بعملية التوغل الى بيروت . وقد استعد المظليون على  
مدى سنوات للضرب في عمق اراضي العدو وأرياكه وتجميد قواته واخراجه عن  
الاتزان . لماذا لم يتم استخدامهم لهذا الهدف ؟ لقد حارب المظليون وانفراد  
الاستطلاع بجراحة كبيرة ، وكان بشكل جنبا الى جنب مع الدروع او كاسناد للدروع .  
لقد استخدموا كصنف مشاة متفوق ، ولكن ليس كوحدات كوماندوز واقسارة .  
ومن هذه الناحية فقد ان جيش الدفاع الاسرائيلي مهيأ للامال . وفيما  
عدا الغارة بالقرب من جبل عتقه في الجبهة المصرية وعملية التوغل شمال مدينة  
دمشق لنسف جسر ( لتحميل قوافل الجيش العراقي ) لم تكن هناك عمليات ليلية .  
وكانت هذه العملية الاخيرة دليلا على ان قوة وحدات الاغارة هذه ما تزال معها ،  
لكن يتضح بأنه لم يسروا لاستخدامها . ولم تصل قوة واعداد هذه الوحدات  
طوال سنوات التي مرحلة التجسيد . وقد أجلت خطط لسبب ما .  
في الايام الاولى كان المظليون يشكلون قوة احتياطية ، وكان من الممكن  
تشغيلهم بسهولة ، ولكن يظهر أن التردد والرقبة في العمل على الجبهة فقط  
هما اللذان منعا عمليات المظليين . ومع ان الغارات لم تكن لتحسم الحرب ، الا  
انها كانت ستؤدي دورا لا يقل عن دور سلاح البحرية . ويجب النظر الى  
الحرب كمجموعة من الضربات الكثيرة والمتعددة القادمة من اتجاهات مختلفة  
والتأثير المتجمع لهما سيقدر في النهاية امكانية صعود العدو أو زعزقته . ولم  
تشعر مصر تقريبا بالحرب خارج الجبهة ، كذلك فان القوات المسلحة الجوية  
لم تستخدم الا ضد مطارات قرب الجبهة ، في حين لم يخش المصريون من  
اغلاق مضيق باب المندب ، ولا من اطلاق صاروخ قتل باتجاه تل أبيب ، الذي  
تم اعتراضه واسقاطه في اللحظة الاخيرة .  
لقد أهمل سلاح المشاة الاسرائيلي على مر السنين بالمقارنة بالاسلحة  
الاخرى ، فلقد تلقى الجميع قطعاً أكبر من قرص السكك . ف سلاح الجو

تلقي طائرة الفانتوم وهي من افضل الطائرات في العالم ، كما زود سلاح البحرية  
— بعد سنوات من الامل — بمعدات محسنة كزوارق الصواريخ السريعة  
والاجهزة الالكترونية الحديثة وصواريخ جبرئيل الفعالة ، وفي القوات البرية وجه  
الاهتمام الى المدفعات ، وفي بناء هذه القوات تركز كل شيء في الدبابة . وكان  
هنالك حوالي الف دبابة بل واكثر ، ادخلت الى معظمها تحسينات مهمة  
( ادخال موتورات ديزل ومدافع ١٠٥ ميليمتر ) .

وقد كشفت حرب ( يوم الخفران ) ان التركيز على الدبابة قد اوجد عـدم  
توازن في تنظيم المدفعات فشركاء الدبابة في الطاقم المدرع بقوا في المؤخرة .  
ونجاح الدبابة في حرب الايام الستة التي كانت في اساسها حرب حركة ( اكثر  
من حرب حركة ونيران ) قد اوجد الشعور بان الدبابة قادرة على كل شيء فسي  
ممارك النهار وممارك الليل ، في القتال على الارض الحراء والارض المبنية .  
ولكن الدبابة بقيت في اكثر من مناسبة عديمة القدرة لان شركاءها في الطاقم  
المدرع لم يكونوا الى جانبها ، او كانوا ضعافا جدا . وفي المرحلة الاولى من  
الممارك — عندما وقفت الدبابة لوحدها مقابل المشاة المصري — كانت  
مكشوفة اكثر مما ينبغي بدون شركائهما في الطاقم المدرع . وهؤلاء الشركاء هم  
المدفعية المتحركة ، وسلاح المشاة المدرع وسلاح المشاة الاخر ورجال الهندسة .  
وكان وضع رجال المدفعية هو الافضل بين جميع الشركاء ولكنهم ايضا لم  
يكونوا راضين تماما . وفي حرب الايام الستة اثبتت مدفعية جيش الدفاع الاسرائيلي  
— للمرة الاولى جدارتها — ازاء سرعة حركة الدبابات . وفي حرب سيناء عام  
١٩٥٦ كان فشلها كاملا . ورغم ذلك فان رجال المدفعية لم يحصلوا على  
اعتراف جيش الدفاع الاسرائيلي الا في حرب الاستنزاف ، التي كانت في اساسها  
حربا ثابتة . وعندما بدأت حرب الاستنزاف كانت المدفعية ضعيفة ، واضطرت  
رئاسة الاركان ان تشتري وبسرعة مدافع جديدة . وتلقى سلاح المدفعية  
مدافع بعيدة المدى ( ٨٧٥ مليمترا ) واجهزة الكترونية لتساعد على تسديد  
اصابة النيران . ولكن بعد حرب الاستنزاف كان على سلاح المدفعية ان يدافع  
بكل هذه المعدات عن وجوده . ولم تكن تلك مسألة ميزانية ، ولكن خلافا فسي

وجمات النظر . . وجاءت حرب ( يوم الخفران ) لتثبت أن الدبابة المناورة  
إذا لم تصحبها نيران كثيفة فإنها تكون في أوضاع مكشوفة مختلفة . .  
والشريك الآخر - وهو سلاح المندسة - كان في وضع أكثر تدنيا . وأفضل  
برهان على ذلك هو معدات العبور التي كانت لدى جيش الدفاع الإسرائيلي ،  
بالمقارنة بمعدات العبور التي كانت لدى المصريين وفي الواقع لم يكن هناك وجه  
للمقارنة إطلاقا . فمعدات العبور الروسية تفوق معدات العبور الخربية بدرجة  
واحدة على الأقل . ويقوم مبدأ المعدات الروسية على وسائل إقامة جسور متحركة  
بصورة كبيرة ، والتصد منها إعاقة تحرك القوات إلى الحد الأدنى ( والجسر  
الحائم بيه . ام . بيه الذي كان قد اعد في عام ١٩٦٣ ، متقدم بعشر سنوات  
على الأقل على الاجهزة المماثلة في الولايات المتحدة قواروريا ) . ولكن المصريين  
لم يكتفوا بالمعدات الروسية المتفوقة ، بل قاموا بشراء جسور عائمة من ألمانيا  
الخربية وانجلترا ، وقوارب هجومية من فرنسا .

ولم يكن جيش الدفاع الإسرائيلي مجهزا أيضا بأفضل معدات عبور غربية . وفي  
حرب الايام الستة لم يكن له اية معدات عبور ، إذ ان هذه المعدات كانت من  
مخلفات الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٩٦٨ بدأ جيش الدفاع الإسرائيلي  
التعمق في موضوع العبور ، وكان وزير الدفاع موشه دايان احد المؤيدين لذلك  
وتطور موضوع العبور ، وكانت الخطط بعيدة المدى كثيرة . . ولكن حرب ( يوم  
الخفران ) فاجأت جيش الدفاع الإسرائيلي وهو بوضع أكثر تدنيا من الجيش  
المصري في هذا المجال .

ولقد كان أسوأ وضع هو وضع الشريك الآخر في الطاقم المدرع ، الا وهو  
سلاح المشاة ، ولقد كان هذا السلاح الوحيد الذي لم ينتفع من حركة تعاظم  
جيش الدفاع الإسرائيلي بعد حرب الايام الستة . ولقد هبط سلاح المشاة  
المدرع إلى الدرجة الثانية في المدرعات . فالعربات نصف المجنزرة التي  
استعملها وهاجم بها كانت من مخلفات الحرب العالمية الثانية ولم يتم شراء  
سوى عدد قليل من المصفحات الأمريكية ( ام ١١٣ ) . وكان هناك من قال ان  
سلاح المشاة المدرع هو سلاح مشاة نسي التدريب على المشي .

وكانت وحدات المشاة الاخرى ( المليون وجولاني ، والفرق الاستطلاعية )  
تقف في نهاية القائمة بالنسبة لتخصيص وسائل القتال والاسلحة الحديثة . وليس  
هناك مثال افضل على ذلك من السلاح الشخصي وهو بندقية رجل المشاة . ففي  
حرب الايام الستة تقرر ان البندقية البلجيكية اف . ان ( المنتجة في اسرائيل )  
والتي يستخدمها جيش الدفاع الاسرائيلي ، هي بندقية قديمة ويعيوبا كثيرة  
لذا كان من الافضل البدء بانتاج بندقية رشاشة اسرائيلية حديثة . ومع ان وحدات  
المثليين التي سارت في العرض العسكري الذي اقامه جيش الدفاع الاسرائيلي  
عام ١٩٤٨ كانت تحمل بندق من طراز جليل ، الا ان جيش الدفاع الاسرائيلي  
قد حارب في ( يوم الخفران ) ببندق قديمة كانت تصلح قبل حوالي خمس عشرة  
سنة . وظهر جنود الوحدات الممتازة في جيش الدفاع الاسرائيلي وكأنهم جيش  
من العصابات مجهز بغنائم من اسلحة ( العدو ) وكانت بندقية الكلاشنكوف تعتبر  
سلحة مطلوبة لدى جنود جيش الدفاع الاسرائيلي . وبندقية الكلاشنكوف مسن  
طراز ١٩٧٣ افضل بكثير مما كانت عليه في حرب الايام الستة ، فهي اخف كثيرا  
( امشاط الرصاص من البلاستيك ) . وكان الكثير من جنود سلاح المشاة المصريين  
مزودين بتلسكوبات قناصة ، واجهزة مساعدة للرؤية في الليل . ولم تكن بندق اف  
ان ، وفورين لغنائم بندقية الكلاشنكوف الحديثة .

ومن الاسلحة التي غنمها جيش الدفاع الاسرائيلي بعد حرب ( يوم الخفران )  
والتي تعتبر سلحة مطلوبة : البازوكا الروسية . آر . بي . جي ٧ ، وهو  
سلاح مضاد للدبابات . وكان جميع جنود جيش الدفاع الاسرائيلي سعداء  
للتزود به ، ولكنه كان ايضا برهانا على ان سلاح المشاة المصري مجهز بسلاح  
مضاد للدبابات وقديم وهزيل . وفي هذا الموضوع ايضا كان رجال المدرعات  
مقتنعين بان الدبابة ستحل مشاكل سلاح المشاة في منازلته لدبابات العدو  
فقد كشفت حرب ( يوم الخفران ) انه لم يكن لدى جميع مستويات وحدات المشاة  
اسلحة مضادة للدبابات . ومع ان السلاح الموجود جيد الا انه معقد ، ويعود  
في معظمه للجيل السابق من هذه الاسلحة . ولقد ظهرت في اثناء الحرب  
ويشكل كبير حاجة جيش الدفاع الاسرائيلي لاسلحة مضادة للدبابات وحديثة

أكثر . ولقد قالت الصحافة الأمريكية ان المعدات التي وصلت لاسرائيل قد ارسلت على عجل .

هذان نموذجان للاهمال الذي عانى منه سلاح المشاة الاسرائيلي . ولكن من الممكن ايضا ذكر مجالات افعال اخرى . فليس هناك مجال للمقارنة مثلا بين وسائل التنقل الارضية والجوية التي كانت لسلاح المشاة المصري وسلاح المشاة الاسرائيلي . وكان سلاح المشاة المصري مزودا ايضا بصواريخ مضادة للطائرات من طراز سترله يستعملها المشاة شخصا . . . في حين لم يكن لجيش الدفاع الاسرائيلي سلاح كهذا في حرب (يوم الخفران) .

وكان المجال الوحيد الذي تفوقت فيه معدات سلاح المشاة العربي هو في معدات الاتصال ومع ذلك فالجدير بالذكر ان معدات الاتصال الروسية لعام ١٩٧٣ لا تشبه المعدات البسيطة التي كانت للجيش العربي في عام ١٩٦٧ . ولم يكف المصريون بمعدات الاتصال الروسية ، بل قاموا بتجهيز وحدات الكوماندو بأجهزة اتصال يابانية ايضا .

١٢ تشرين اول ١٩٧٣

فشل الكوماندو والبحري هذه الليلة في محاولته النفاذ من طريق خليج السويس الى معقل الشاطيء المحاصر من كل جانب . وكان معقل الشاطيء المعطل على بور ابراهيم ومدينة السويس هو المعقل الوحيد الذي بقي في خط بارليف . واستمر هذا المعقل في القتال منذ (يوم الخفران) بقيادة شلومو اردينست وهو ملازم في الحادية والعشرين من عمره وكان يساعده الملازم الطبيب ناحوم فارين وعمره ٢٧ سنة ، وكان في الاستحكامات ٣٧ رجلا بينهم العديد من الجرحى وكان هناك خمسة قتلى من بين رجال المعقل . وكان الايمان الديني العميق هو الذي ساعد شلومو على الصمود امام الضغط الثقيل .

تقرر مساء امس القيام بجهد اخير لتخليص رجال المعقل . وألقيت الممهمة على عاتق وحدة من الكوماندو والبحري بقيادة ملازم شاب . وكان الهدف هو القدوم في قوارب عن طريق البحر لاختلاء الرجال . وخرج رجال الكوماندو الى طريقهم بعد دقائق معدودة من تلقي المهمة ، وبعد ان قاموا باستطلاع



الخرائط . . . كان البحر هادئا ، والقمر يكامل ضيائه . وكان هذا الضوء يعرض  
رجال الكوماندو وللخطر وبعد تقدم بطيء ، وخلال ساعات اتتربت القوارب من  
هدفها . وفجأة بدأ قصف ثقيل . . . وكان مصدر القصف هو مدافع ١٣٠ ميليمترا  
موجهة بمساعدة الرادار . وكانت هنالك انفجارات من كل جانب واصيبت القوارب  
بشظايا كثيرة ، ونفذ الماء اليها . وتم اعلام القيادة بأن المصريين قد اكتشفوا  
على ما يبدو - وجود القوارب . وصدرا الامر للقوارب بالتخلي عن المهمة  
والانسحاب .

في الايام الاولى من الحرب كان بالامكان اخلاء الرجال من معقل الشاطيء  
اما الان فان التطويق كامل . فهناك الالاف من الجنود المصريين ، من الجيش  
الثالث ، يرضون بين المعقل وبين قوات جيش الدفاع الاسرائيلي . وكانت  
الحيرة في القيادة واضحة . . . فمن جهة ، ليس هناك داع لان يقاتل رجال  
المعقل السبعة والثلاثون حتى يسقطوا جميعا في المعركة ، فان صمودهم  
لم يعد يفيد المعركة الشاملة . . . ولكن لم تكن هناك رغبة لاصدار الامر لرجال  
المعقل بترك سلاحهم والاستسلام ، فهذا الامر لم يكن له تأثير سلبي من  
الناحية المعنوية والادبية ، ومع كل ذلك ، فقد بدىء باجراء مفاوضات مع  
رجال الصليب الاحمر الدولي حول مصير رجال المعقل .

هذا اليوم ، واخيرا ، تلقى اجام وزملاؤه من الوحدة الاستطلاعية التابعة  
لفرقة شارون مناظير ميدان . وقد اسعدت هذه المناظير قادة الدبابات بشكل  
خاص . فلقد صعب عليهم ادارة معركة الدبابات ، من مسافة تزيد عن كيلومتر  
بدون الاستحانة بمناظير . ولقد وصلت المناظير بعد مطاردة اسرخلالها  
خمسة وعشرون من رجال الكوماندو والمصريين . فمنذ عدة ايام ، تلقى رجال  
الوحدة تحذيرات ، بان المصريين قد يقومون بانزال لرجال كوماندو وخلف  
القوات الاسرائيلية ، كاعداد لهجوم مدرع واسع . وقد وجدت هذا الصباح  
بين طاسة وممرات الجدي اثار مجموعة مصرية كبيرة . وتم استدعاء السرية  
وبدأت مطاردة باتجاه التلال . وفي الطريق مرت السرية بجانب حطام  
طائرتين عموديتين مصريتين وبجانبهما العديد من القتلى . وكانت هاتان

الطائرتان قد قامتتا بانزال رجال الكوماندو المصريين  
وفي اثناء تقدم رجال الدورة الاستطلاعية بسرعة ، شاهدوا منظرا غريباً  
فعلى جانب الطريق وقفت دبابتان وبجانبهما بعض رجال الطاقم . ولمسى  
مسافة غير بعيدة منهما كان هنالك خمسة ومشرون من رجال الكوماندو المصريين  
جالسين على الأرض ، تحت حراسة اثنين من رجال الدبابات . وقال احد  
رجال الدبابات لرجال الدورة الاسرائيلية (لقد احسنتم صنعا بقدمكم ا) . فلقد  
بقيت الدبابتان في المنطقة طيلة الليل ، بعد ان تعطل جنزير احدهما  
وبينما كانتا في انتظار الميكانيكيين ، ومع اول خيوط الفجر ، اقتربت منهما  
مجموعة من رجال الكوماندو المصريين . ولم يطلق هؤلاء النار ، بل رفعوا  
ايديهم وسلموا انفسهم . وقام رجال الدورة بتفتيش الاسرى ، خوفاً من  
ان يكونوا قد أخفوا قنابل يدوية ومسدسات في ملابسهم .  
لقد هدأ هذا الاستسلام السريع لرجال الكوماندو المصريين من روع اجسام  
فعندما قدم مع رجاله للجبهة ، قيل لهم اكثر من مرة في الداخل ، ان المصريين  
يحاربون هذه المرة ، وليس كما حاربوا في عام ١٩٦٧ اوفي حرب الاستنزاف . والان  
تبين لاجام ان (العدو) ليس رهيباً . . كما وصفه اولئك الذين لم يصطدموا  
معه . وفكر اجام فيما اذا كان قد حصل تخير جذري في استعداد الجندي  
المصري للقتال حتى النهاية . ولم يكن باستطاعة جميع رجال فصيلته ان يقارنوا  
الجندي المصري لعام ١٩٧٣ بجندي عام ١٩٦٧ ، اذ لم يكن لنصف افراد  
فصيلته تقريباً اية خبرة قتالية ، ولا حتى من حرب الاستنزاف .  
وبينما كان اجام وزملاؤه يطاردون رجال الكوماندو ، توجه بارليف نحو  
الى رئاسة الاركان ، وكان يحمل معه خطة العبور ، بخطوطها العامة ،  
فعبور القناة يحتاج الى موافقة ، ليس فقط من رئاسة الاركان ، ولكن ايضاً من  
وزير الدفاع والحكومة ، فهذه عملية خاصة بمخاطرها واثارها السياسية .  
وفي البداية تباحث ياريف مع رئيس الاركان ، وبعد ذلك طلب العازار من  
بارليف ان يعرض الخطة أمام وزير الدفاع وبينما هما ينتظران دايان ، اتصل  
يسرائيل ليئور ، السكرتير العسكري لرئيسة الحكومة ، وطلب عقد اجتماع

لمجلس وزراء الحرب ، من اجل بحث اقتراح عبور قناة السويس .  
وفي اللقاء الذي جرى مع وزير الدفاع ، اشترك ايضا سكرتيره العسكري  
يشعيا هوريب .

وسأل دايان ( ما هو هدف العبور ) ؟ وكان يقصد بذلك على ما يبدو  
الاستيحاء من الاتجاه الذي ستسلكه القوات غربي القناة . واعتقد بارليف  
للخطة ، ان وزير الدفاع يشك في فائدة العملية كلها وقال بارليف ( ان هذه  
هي الحركة الوحيدة التي باستطاعتها ترجيح الكفة في الحرب ، وبهذه الوسيلة  
فقط يمكن التغلب على المصريين ، فبدون العبور لن يكون هناك وقف لاطلاق  
النار ، لانه ليس هناك اي ضغط على المصريين ، ولا حتى ضغط سياسي ) .  
وقال دايان : ( اتسركوا المسألة السياسية جانبا وابتحوا الامر من الناحية  
العسكرية ، وعلينا ان نقرر فيما اذا كان بالامكان تنفيذ الخطة من هذه  
الناحية فقط ) . وغادر دايان المكان بدون أن يحدد موقفا .

وكان بارليف والعازار مضطربين . فكان على العازار ان يقرر الان ما اذا ،  
كان سيعرض الاقتراح على رئيسة الحكومة وعلى مجلس وزارة الحرب . ولم يكن  
يعلم فيما اذا كان وزير الدفاع سيعترض على الخطة ام سيؤيدها . وفي هذه  
الاثناء استدعي المجلس الوزاري للاجتماع . وهاد العازار واتصل بالسكرتير  
العسكري لوزير الدفاع ، وشرح الامر بقوله ( لن اذهب الى جولدا بدون وزير  
الدفاع . وانا كان الوزير معترضاً على الخطة ، فليس هناك مجال للتحدث عنهما ،  
وعلى الوزير ان يحدد موقفا ) . وبعد دقائق معدودة اتصل ريبب واعلم ان وزير  
الدفاع سيشارك في الجلسة مع جولدا عند عرض خطة العبور .

اشترك في جلسة مجلس الوزراء اربعة وزراء وهم جولدا ودايان والمون  
وايسرائيل جليلي ( وقد حضر بارليف ولكن ليس بصفة وزير ) . وقدم مع رئيس  
الاركان وبارليف للمقابلة كبار ضباط رئاسة الاركان . وتحدث بارليف عن  
نسب القوات على الجبهة ، وعن فرص العبور . وذكر تفصيلات اساسية عن العملية .  
وكان رئيس الاركان وقائد السلاح الجوي ، بيني بيلد ، هما المؤيدان المتحمسان  
للخطة . وكان العازار يرغب في عبور مبكر ، وكان يشعر ان على جيش الدفاع

الاسرائيلي ان يسرع . ولم تكن واشنطن ، في هذه المرحلة ، قد قررت بحسد ، نقل المعدات العسكرية بواسطة جسر جوى الى اسرائيل . وكان نقل المعدات يتم بطائرات اسرائيلية كما كانت التقارير الواردة من قسم رئاسة المستودعات حول مخزون عدة انواع من الذخيرة تبحث على القلق . كذلك لم تكن التقارير اليومية التي كانت تصل من سفير اسرائيل في واشنطن مشجعة هي الاخرى وكان سمحه دينتس قد تحسس هذا اليوم عند الدكتور كيسنجر امكانية وقف اطلاق النار . ونظر وزير الخارجية الامريكية الى دينتس باستغراب وقال ( ان وقف اطلاق النار لا يتطلب في موقف ضعفا ) .

وكانت هنالك ايضا اراء معاكسة . ورفض احد كبار الضباط اسباب وتعليقات لرفض العبور . وكان يتحدث بحماس ، وكانت تبريراته عسكرية . فهو يرى أن عبور عائق مائي هو اصعب معرفة يمكن خوضها ، كما انه مخاطرة كبيرة . ومع أن جيش الدفاع الاسرائيلي قد تدرب فعلا على عبور عوائق مائية . الا ان الصعب الرئيسي في هذه العملية سيقع على الوحدات الاحتياطية . كما ستكون هنالك صعوبة اخرى . فبصورة عامة ، تتدرب الجيوش بما فيها جيش الدفاع الاسرائيلي ، على العبور الذي يبدأ من الضفة نهر ، او قناة ، تكون موجودة تحت سيطرتها ، وتعتبر الى الضفة الموجودة تحت سيطرة العدو ، لكن في هذه المرة فان جانبي العائق المائي يقفان تحت سيطرة ( العدو ) .

واقترح هذا الضابط الانتظار ، فهو يرى ان جيش الدفاع الاسرائيلي قسوى في معارك المدرعات ضد المدرعات لذلك فمن الافضل الانتظار حتى تبسدا المدرعات المصرية هجومها . ولم يذكر هذا الضابط شيئا عما اذا كان المصريون لم يبدأوا الهجوم ، وفيما اذا لم تحدث ظروف تؤدي الى وقوع معارك مدرعات كبيرة . وماذا سيكون البديل لعملية العبور في حالة كهذه ؟ وهل سيحارزون عندئذ في عبور القناة ؟ .

وقدم الوزراء اسئلة استيضاحية ، واتضح بان وزير الدفاع يؤيد خطة العبور . أما الون فقد اقتنع من اقوال هذا الضابط وقال انه لا يستطيع أن يحدد موقفا الى ان يتوجه الى الجبهة ويرى من كتب وضع الامور هناك

ويتحدث مع القادة . وقال النون : ( من الافضل ان ندعمهم بيدأون الهجوم  
وستكون معركة الحسم عند ما يأتي دورنا ) . وفي هذا الوضع كان واضحا انه  
ليس هناك معنى في عرض الاقتراح امام هيئة الوزارة بكاملها ، وحيث ان الاراء  
في مجلس وزراء الحرب غير موحدة ، فمن المشكوك فيه ان تحسم الحكومة الامرا لاجماع .  
وثناء انعقاد هذه الجلسة ، وصلت انباء من الجبهة بان المصريين قد  
بدأوا ينقلون على الجسور ، باتجاه سيناء ، فرقتيها المدعوتين الثقيلتين  
الرابعة والحادية والعشرين بالاضافة الى فرقة آلية ٠٠٠٠ . وكان ذلك التحرك  
المصري برهانا واضحا على ان في نية المصريين فعلا استئناف الهجوم وكان  
نقل المدرعات المصرية الى سيناء يحتاج الى يوم واحد . وهكذا ستركز حوالي  
١٢٠٠ دبابة في الحزام الضيق الذي تشكله رؤوس الجسر في سيناء . وستكون  
المنطقة الواقعة غربي القناة خالية بما فيه الكفاية . واصبح الان واضحا للمشاركين  
في الجلسة انه من الافضل تأجيل العبور الى ما بعد انتهاء الهجوم المصري  
وهكذا فان اقتراح عبور القناة لن يعرض في جلسة الحكومة هذا المساء .  
وعلى الجبهة السورية فوجئت فرقة دان لنر العاملة في القطاع الاوسط .  
وكان عليها الانسحاب بسرعة ، لتنظيم صفوفها من جديد . ولم يكن السوريون  
وراء المفاجأة هذه المرة ، بل العراقيون وكان قد علم منذ عدة ايام بسن  
العراقيين قد ارسلوا الى الجبهة السورية فرقة آلية ومعها حوالي مئتي دبابة .  
وظهر العراقيون فجأة في جناح كتيبة دبابات شرمين . وكان القادة في  
الميدان يعرفون ان السوريين يقومون منذ يوم كامل بالانسحاب تجاه دمشق  
وما هم يفاجأون بقوة جديدة تتقدم نحوهم من الشرق ، واعتقد البعض ان هذه  
القوة هي قوة اسرائيلية ضلت طريقها ، وكان من الافضل الانتظار وعدم اطلاق  
النار ، وقوى هذا الرأي مع وصول تقارير تقول بأنه يوجد في الدبابور المتقدم  
دبابات من طراز سنتوريون ، المزودة بها بعض الآلية المدركة الاسرائيلية  
ولكن احد القادة لاحظ ان الدبابات السنتوريون المتقدمة مزودة بمدفع  
مختلف . فلد بابة السنتوريون الاسرائيلية مدفع قطره ١٠٥ طمقترات ، وما سورة  
هذا المدفع اطول ويوجد في منتصفها مولد غاز كبير . اما دبابات السنتوريون  
العراقية والتي هي من طراز أقدم فتحمل مدفعا قطره ٨٢٧ ميليمتريا .

وجرى اتصال مع القيادة التي قالت بدورها ان القوة القادمة قد تكون عراقية .. وكانت القوة العراقية تتحرك من اتجاه قرية شمس ، وكانت تتقدم بمحورين - وعلى ما يبدو - فان القادة العراقيين لم يلاحظوا وجود قوات جيش الدفاع الاسرائيلي بالقرب منهم ، وكان من الواضح ان العراقيين لا يعرفون المنطقة جيدا .. وعلى ما يبدو - فان السوريين عند انسحابهم باتجاه دمشق ، كانوا قد طلبوا من العراقيين ان يحلوا محلهم في الجبهة .. ودخلت القوات العراقية بدون ان تكون معدة كما يجب ، وبدون ان تدرس طبيعة الارض ، وكان هذا من حظ القوة الاسرائيلية ، فلولا ان الامر كذلك ، لكان الاصطدام قد انتهى بصورة اخرى . وصل العراقيون بينما كان جزء كبير من فرقة دان لنرمشغولا بالتزود بالوقود وباجراء التصليحات . كما كانت هنالك دبابات كثيرة تنقصها الذخيرة بعد معارك اليوم ، ولم تكن قد تزودت بعد من جديد ، وقد وصل نوابا اقرب القوة العراقية بينما كان ضباط قيادة الفرقة مجتمعين . ووصل الى مكان الاجتماع ضابط شاب بيد وعليه الارتباك وقال ( انهم يهاجموننا ! ) وفوجيء الجميع واعتقدوا ان هذا الضابط يهذي واعادوه مرة اخرى الى نقطة الاستكشاف كي يراقب الامر جيدا . فلربما راي اشياء اخرى ، وعاد هذا بعد عدة دقائق وقال ( انهم قادسون بجمعهم ! ) .

وصعد معه هذه المرة الى نقطة المراقبة مساعد لنر حيث تأكد ان العدو يتقدم فعلا من ناحية الشرق . وصدر أمر عاجل الى الجنود بأخذ مواقعهم . وفي كتيبة العنابيين التي يرأسها حازي ، كانت المفاجأة اكبر بكثير . فلقيد استيقظ حازي الان من غفوة خاطفة في مصفحته ، ولم يكن ليخفولولا انه كان مقتنعا بان يوم المعارك قد انتهى . وفجأة سمع في جهاز الاتصال ضجيج نداءات بلهجة قلقة ، ولم تكن هناك اية عربات من حوله .. وبدأ كل شيء له غريبا . وقرر مغادرة المكان بسرعة .

واستمرت المعركة الاولى مع العراقيين حتى ظهر اليوم التالي . وصعد تعديل الخط ونقل الفئات الادارية للخلف ، اصدر مساعد لنرامرا للوائسين المدربين بالبدء بحطيات تطويق جناحية عميقة .

وقام كل لواء بتطويق جناح من القوة العراقية ، ومع خيوط الفجر الاولى بدأ تبادل اطلاق النار ، وكانت الدبابات العراقية في تلك الساعة تتواجد على مسافة حوالي مئتي متر من وحدة دبابات شرمن اسرائيلية ، وخرجت هذه الوحدة من خلف تلة صغيرة واطلقت النار عن قرب ، وبدلاً من ان يكون العراقيون قد فاجأوا الاسرائيليين اصبحوا وقد فوجئوا باطلاق النار عليهم واستمرت عملية اطلاق النار على الدبابات العراقية عدة ساعات ، وبقيت حوالي خمسين دبابة في المنطقة وكان الدخان ما زال ينبعث منها ، وانسحبت باقي القوة العراقية الى جهة الشرق تحت غطاء نيران مدفعية ثقيلة .

والى الشمال قليلاً ، في القطاع التابع لرفائيل ايتان ، جرى اصطدام مع قوة عربية اخرى كانت تساعد السوريين وهي الوحدة المخربية ، وعندما قام السوريون بمحورهم في الجبهة ، كانت القوة المخربية المرابطة في سوريا تعتبر قوة احتياطية . وعندما قامت قوات رفائيل بعملية الاختراق فوجئت القوة المخربية وكان انسحابها بصورة مضطربة ، واصيبت مؤخرة القوة بنيران الدبابات الاسرائيلية وترك المخاربة وراءهم ثلاثين دبابة سليمة ومعدات اخرى .

صدر الامر هذا الصباح الى رفيق حلواني ، قائد اللواء السوري الثامن والستين التابع للفرقة السابعة ، بتسليم القيادة على ما تبقى من لوائه ، والمثول في نفس اليوم امام رئاسة الاركان بدمشق ، وكان حلواني هو قائد اللواء الذي القيت عليه تبعة الدفاع قرب الحدود عن محور القنيطرة - دمشق وقد وقف رجاله ساعات ضد قوات لندر .

وعندما اخترقت الجبهة ، اصدر امرا لرجال الانسحاب ، لانه كان يأمل بحمله هذا ان ينقذ رجاله وينظمهم في الخلف وعندما وصل الى رئاسة الاركان بدمشق ، تبين له أنه قد استدعي للمثول امام محكمة عسكرية ، فقد وجهت اليه تهمة اصدار امر بالانسحاب بدون اذن . وجرى لحلواني محاكمة عسكرية وحكم عليه بالموت وتم اعدامه .

كان حلواني دزيا ، وكان الجميع في سوريا يعرفون ان الدررز الاسرائيليين يخدمون في جيش الدفاع الاسرائيلي ، ويخدمون الان على الحدود اللبنانية .

وصب السوريون فضيهم على القرى الدززية في هضبة الجولان ، وقد تعرضت هذه القرى منذ بداية الحرب الى القصف الشديد من جانب الطائرات والمدفعية السورية .

لقد ذهبت الحكومة السورية عندما اخترقت الجبهة وعندما تقدمت وحدات جيش الدفاع الاسرائيلي نحو دمشق . . . وقامت رئاسة الاركان في دمشق باصدار اوامرها للوحدات على الجبهة بعدم الانسحاب والاستمرار في القتال ، رغم توغل جيش الدفاع الاسرائيلي . وكانت رئاسة الاركان السورية تأمل في أن تمنح الوقت الكافي حتى تقيم بسرعة خط دفاع جديد جنوبي دمشق . وقد عمل سلاح الهندسة السوري بحماس شديد لاقامة تحصينات وحواجز دبابات مستعينا بروافد نهر العوجا الكثيرة .

وقد ارسلت الطائرات المقاتلة السورية لمعركة الدفاع بلا حساب ، وقام الطيارون الاسرائيليون بالتصدي لهم وتمكنوا من اسقاط ٢٩ طائرة سورية ، وعلى هذا المعدل فان سلاح الجو السوري ، كان سيقضي عليه خلال عدة ايام ، حتى ولو كانت سوريا ستلقى عبر الجسر الجوي الروسي طائرات اضافية ، فانه لمن يتبقى طيارون سوريون كثيرون . . وقد قتل لخاية الان حوالي ٣٠ في المئة من الذين اسقطت طائراتهم .

وكان الطيارون الكوريون الشماليون الموجودون في سوريا ومصر قد تلقوا على ما يبدو اوامر من قادتهم بعدم اقحام انفسهم في معارك مع سلاح الجو الاسرائيلي . وكان الطيارون الاسرائيليون متشوقين بالدخول في معارك معهم . . وكانوا يحاولون جذبهم للمنازلة ، ولكن كانوا يمتنعون من ذلك . وفي الليل حاول الاسرائيليون ان يفعلوا للمحراقين ما لم يفعلوه من قبل وهو ضربهم وهم في طريقهم للجبهة . وكان الهدف الذي اختير هو جسر كبير يبعد حوالي مئة كيلومتر شمالي شرقي دمشق . . وخرج لهذه المهمة رجال دورية استطلاعية تابعة للمواء المثلي النظامي . وقد وضعت تحت تصرفهم طائرة عمودية . . ومع الظلام توفلت هذه الطائرة على ارتفاع منخفض الى المتلفة السورية ، وكانت المشكلة هي توجيه دقيق للطائرة في الظلام التام



الى الهدف ، وقاموا قبل كل شي \* بنسف الجسر الكبير الذي لم يكن يحرسه  
اي شخص ، ولى ما يبدو ، فان السوريين لم يكونوا مستعدين لاحتمال حدوث  
غارات في عمق اراضيهم . وكان همهم موجها نحو الساحل ، حيث ابقوا هناك  
لوائين من الجيش . وبعد عملية النسف ، تجمع رجال الدورية في كمين قرب  
انقاض الجسر . وخلال فترة قصيرة بدأت تتجمع قرب الجسر المدمم عصابات  
عسكرية ، وكانت هذه قافلة من الجيش العراقي تتألف في الغالب من حاملات  
دبابات . وجاء الان دور القافلة ، فقام الاسرائيليون بفتح نيران قوة باتجاهها  
واصيب الكثير من العربات !! وكانت هذه هي الخسارة الوحيدة خلف الغلوط السورية .

١٣ تشرين اول ١٩٧٣

كشفت الكرملين هذا اليوم وللمرة الاولى عن انيابه مهددا . وكان هذا هو  
التهديد الاول بالتدخل المباشر في المعارك ، والذي تلاه تهديدات اخرى  
فلقد ادرك الكرملين منذ امس ان الجبهة السورية أخذت في الانهيار ، فلا  
يكفي ان السوريين لم يحتلوا هضبة الجولان ، بل ان دمشق قد اصبحت  
معرضة للخطر . وامس نشرت وسائل الاعلام السوفياتية تصريحاً دل على غضب  
الكرملين وقد جاء فيه ( ان الاتحاد السوفياتي لا يمكنه البقاء غير مبالي ازاء  
الاعمال الاجرامية للجيش الاسرائيلي ) .

وقام السفير السوفياتي في واشنطن ، دوبرنين ، بنقل هذا التحذير الى  
وزير الخارجية الامريكية الدكتور كيسنجر . وقال دوبرنين لوزير الخارجية  
الامريكية انه بسبب ما يجري في سوريا ، فلقد وضع الجيش الروسي فرقتين  
محمولتين في حالة تأهب . ولكن الامر الذي لم يذكره دوبرنين لكيسنجر  
هو ان قسماً من قيادة احدى هذه الفرق قد وصل بالفعل الى دمشق واتخذ  
له مقراً في احد اجنحة رئاسة الاركان السورية . ومقر هذه الفرقة الدائم في  
طوله بالاتحاد السوفياتي ، وهي موجودة الان في طريقها الى قاعدة عسكرية  
قرب بلخراد ، ومن هناك عليها الطيران الى سوريا .

وقد اجاب الدكتور كيسنجر بقوله ان الولايات المتحدة لا تريد  
للاتحاد السوفياتي ان يتورط بعملية غير مسؤولة في الشرق الاوسط .

وبعد فترة قصيرة من هذه المقابلة تم ابلاغ اسرائيل ببيان موسكو وبرد واشنطن عليه . وفي نفس الوقت صدر الامر الى وحدات في الاسطول الامريكى في المحيط الاطلسي بالانضمام الى الاسطول السادس الموجود في البحر المتوسط . لم يتف الكرملين بهذا التمديد ، وبوضعه فرقتين في حالة تاهب ، فقد قرر الاتحاد السوفياتي ان يأخذ على عاتقه الدفاع عن ميناء اللاذقية في سوريا . وكانت احدى سفن الشحن الروسية قد انفرت مساء امس في ميناء طرطوس اثناء معركة بين زوارق صواريخ اسرائيلية وسفن حربية سورية . وميناء اللاذقية هو البوابة الرئيسية للتموين العسكري الروسي الى سوريا ، وتتركز في هذا الميناء سفن الصواريخ الروسية ، وقد نصبت على ارضه بطاريات الصواريخ . وام تكن اسرائيل تريد ان تعطي الاتحاد السوفياتي حجة للتدخل المباشر في الحرب لذلك لم تعد زوارق الصواريخ التابعة لها تحتاج هذا المكان ، ولا حتى ميناء طرطوس . ومنذ هذا التاريخ قام سلاح البحرية الاسرائيلي بحملتين فقط على الساحل السوري ، احدهما في ميناء بانياس والاخرى قصف ساحلي لاصابة جسر .

وقام الكرملين بحث دول عربية على الانضمام للحرب ضد اسرائيل . وتوجه الاتحاد السوفياتي الى الملك حسين وبورقيبة ، في محاولة لاقتناعهما بتقديم المساعدة لمصر وسوريا . وارسل الروس الى الجزائريين الذين امروا من استعدادهم لارسال لواء مدرع الى مصر - جزاء من التموين العسكري الذي كان يخرج من ميناء رينك في يوغسلافيا .

وحتى بدون هذا الحث فقد اصبحت الجبهات في مصر وسوريا جبهة عربية واحدة ضد اسرائيل ، ووقف اللواء المدرع الاردني هذا اليوم ، والذي يضم ثمانين دبابة باتون ، على مسافة حوالي خمسة عشر كيلومترا من قوات جيش الدفاع الاسرائيلي ، وفي نفس الوقت كان يتم نقل عربات مصفحة سعودية ، ومن انتاج فرنسي ، على الطرق الاردنية باتجاه الجبهة السورية . وبدأت ليبيا بتحميل السفن بدبابات من اللواء المدرع الذي سيتوجه الى مصر . وكان المخاربة سيرسلون هذه المرة وحدة جديدة الى مصر . كما ان الكويت

قد قررت ارسال لواء مدرع مصفر الى الجبهة المصرية . وكان الكرملين واثقا من أن التجربة العربية ستعطي في النهاية نتائجها في ساحة المعركة . كانت واشنطن متأخرة في خطواتها بعدة ايام وراء الاتحاد السوفياتي ، ففي هذا اليوم فقط قرر البيت الابيض تشغيل جسر جوي من اجل تزويد اسرائيل بالسلاح والمعدات العسكرية . وكان المسؤول عن هذه العملية ، هو الميجر جنرال مارتن كيسي ، احد كبار موظفي وزارة الدفاع الامريكية . وكان اسم هذه العملية نيكل جراس . وتلقت شحنة النقل في سلاح الجو الامريكي أمرا ببداء العملية الضخمة ، وكان عليها ان ترسل فورا طائراتها الضخمة من طراز جلاكسي سي ٥ وسي ١٤ الى القواعد العسكرية التي سيتم فيها تحميل المعدات العسكرية الى اسرائيل .

وهلاوة على عملية النقل هذه قام البنتاغون باعدادات لنقل طائرات حربية الى اسرائيل . و صدر الامر الى قائد سلاح الجو في ولاية كارولينا الجنوبية لاعداد سرب يتألف من ثماني عشرة طائرة فانتم لرحلة طويلة . وطلب من هذا القائد أن يحمل على ازالة العلامات المميزة لسلاح الجو الامريكي عن هذه الطائرات قبل توجيهها الى اسرائيل . وكان سيتم تزويد هذه الطائرات بالمحروقات في المحيط الاطلسي ، سواء في الجو أو على حاملات الطائرات التابعة للاسطول الامريكي . وفي نفس الوقت صدر أمر الى قاعدة ببيز الجوية في نيويورك لارسال ثلاث طائرات تزويد بوقود من طراز كيه . سي ١٣٥ الى ثلاثة امكنة فوق المحيط الاطلسي .

وكان البنتاغون يفضل تزويد طائرات الفانتوم وطائرات النقل بالوقود في احدى دول أوروبا . ولكن قبل ان تغادر الطائرات الاولى ، برزت صعوبات من جانب الشركاء الاوروبيين في حلف ناتو . فالخوف من قطع النفط العربي كان اقوى في أوروبا من المصلحة المشتركة لاعضاء حلف ناتو ، ومن الخوف على اسرائيل من ان تترك لمجموع عربي سوفياتي .

وكانت اسبانيا وبريطانيا هما اول دولتين تعلمان واشنطن رفضهما تزويد الطائرات الامريكية التي كانت في طريقها الى اسرائيل بالوقود ، كما منعت

حكومة ألمانيا النازية الاثريين من تحصيل أسلحة أمريكية على سفن اسراييلية  
كانت راسية في موانئ ألمانيا . وبعد ذلك أعلنت اليونان انها قد أغلقت  
خطوطها الجوية الى الشرق الاوسط . وواحدة تلو الاخرى رفضت الدول الاعضاء  
في حلف ناتو تقديم المساعدة ، ولا حتى بصورة غير مباشرة للولايات المتحدة فسي  
جهودها لتزويد اسراييل بالسلاح . وكان الضع يشمل ايضا تزويد الوقود فسي  
المطارات العسكرية التي كانت تحت تصرف ناتو . وكانت البرتغال هي الدولة  
الوحيدة التي وافقت على تقديم المساعدة . كما وصل نداء تشجيعي من دولة  
واحدة علاوة على الولايات المتحدة ، وهي جنوب افريقيا . فقد أعلنت هذه  
انها ستقدم مساعدة اقتصادية الى اسراييل التي تقف امام الدول العربية  
والشيوعية العسكرية . وكان هذا صوتا وحيدا .

ولم تكف بريطانيا بمنحها تزويد طائرات الاسلحة الأمريكية بالوقود ، ولكنها  
أعلنت ايضا الحظر على ارسال السلاح الى الشرق الاوسط . . وكان هذا الحظر  
من جهة واحدة فقط ، حيث ان تنفيذ صفقة السلاح التي عقدتها مع الكويت كان  
ما يزال مستمرا . كما ان بريطانيا لم تردع عن اعاقه ارسال الادوية التي تبصر  
بها يهود بريطانيا لاجل الجرحى الاسراييليين .

واصبح تدخل الدول الكبرى في الحرب بارزا اكثر فاكثر ، ففي ظهر هذا  
اليوم صوت صفارات الانذار في جميع انحاء اسراييل ، ولم تكن طائرات عربية  
هي التي دخلت المجال الجوي الاسراييلي ، ولكنها كانت طائرة تجسس أمريكية .  
فبسرعة تزيد عن ثلاثة اضعاف سرعة الصوت مرت هذه الطائرة فوق سوريا  
واسراييل وسيناء ، ومن ثم الى القاهرة حتى سد أسوان . واندفعت طائرات  
اسراييلية في اعقابها ولكن سرعتها وعلو طيرانها لم تمكن الطائرات الاسراييلية  
من الاقتراب منها ، كذلك حاولت طائرات مصرية اللحاق بها ، ولكن عبثا ، وبعد  
عدة ساعات من ذلك اتضح انها كانت طائرة أمريكية من طراز اس . ار . ٧١ .

وكان الاحساس بالجسر الجوي الروسي اقوى . فأمس وامس الاول عانى  
السوريون من نقص في صواريخ ارض - جو . وقد ساعد هذا النقص سلاح الجو  
الاسراييلي عند اختراقه للجبهة . أما اليوم فقد عادت البطاريات السورية

الى اطلاق هذه الصواريخ بالمشترات . وسقط من جراء ذلك ست طائرات  
اسرائيلية في هذه الجبهة ، بفعل اصابتها بالصواريخ . وقام الطيارون الاسرائيليون  
بالرد على السوريين في الممبارك الجوية .

وكان نقص التنسيق بين القوات العربية بارزا ايضا في الجو ، وقام العراقيون  
باستخدام طائراتهم لمساعدة القوات البرية . وقامت مجموعة تتألف من اربع  
طائرات سوخوي عراقية بالهجوم خطأ على القوات السورية . وبينما كانت هذه  
الطائرات تحلق فوق المواقع السورية ، ظهرت أربع طائرات ميغ سورية واسقطت  
طائرات السوخوي . وقد اكمل الاسرائيليون المهمة باسقاطهم اثنتين من  
الطائرات السورية بنيران من الارض .

منذ الامس وضواحي دمشق توجد في مرمى المدفعية الاسرائيلية . ومسح أن  
جيش الدفاع الاسرائيلي لم يكن ليحسم الامر بهذا القصف ، الا انه احدث تأثيرا نفسيا  
ومغزى سياسيا بأن العاصمة السورية تقع تحت التهديد الاسرائيلي المباشر .  
فلو كانت اسرائيل تريد ان توقع خسائر فعلية بدمشق لكانت قد فعلت ذلك عن  
طريق غارات مكشوفة من الجو . وقد ارتفعت حكومة حكومة اسرائيل عن كسلا  
الاحتمالين . ففي البداية رفضت الاقتراح بزيادة الغارات على الاهداف  
الاستراتيجية في دمشق وضواحيها ، واكتفت بخارة واحدة على اهداف وصفت  
بأنها عسكرية . والان فانها لا توافق ايضا على القصف المدفعي . ومع انها لم  
تترهب من التهديد الروسي الا انه كان له اثره وصدور الامر بعدم التعرض  
سوى لاهداف عسكرية تقع قرب دمشق : مطار المزة ، ومعسكرات الجيش الواقعة  
جنوبي المدينة .

واصبح واضحا الان ان جيش الدفاع الاسرائيلي لن يستمر في التقدم نحو  
دمشق ، فهو وان كان يستطيع ان يستولي على مناطق جديدة معينة ، وأن يقضي  
على وحدات اخرى من الجيش السوري الا انه ليس بإمكانه ان يتوصل الى حسم  
استراتيجي كامل . فالتفوق العميق في المنطقة السورية معناه الخط  
في (تلج نابوليوني) .

هذا ولم يبق الان سوى تحسين خطوط الجبهة الجديدة وحيث ان القوات

الاسرائيلية لم تمتد تتقدم الى الشمال باتجاه دمشق ، لذا كانت هنالك امكانية  
للتقدم نحو الجنوب الشرقي باتجاه جبل الدروز . وكانت هذه خطة قد يمس  
لبعض السياسيين الاسرائيليين ، فبعد حرب الايام الستة قال نائب رئيس  
الوزراء ايغال الون بان اسرائيل قد اخطأت بعدم وصولها الى جبل الدروز .  
فلقد كان بالامكان المساعدة على اقامة دولة دزية مستقلة في جبل الدروز  
وهضبة الجولان . . وكان بإمكان هذه الدولة ان تخلق حاجزا جديدا في العالم  
الحربي بين اسرائيل وسوريا من جهة ، وبين الاردن وسوريا من جهة اخرى .  
والان برزت هذه الافكار من جديد ، ولكن موشه دايان اعترض بشدة على  
هذا الاقتراح فقد رأى بذلك عيبا زائدا على جيش الدفاع الاسرائيلي ، كما  
أنه لم يكن متيقنا اطلاقا فيما اذا كان الدروز يرغبون فعلا بهذا الامر .  
ان هجوم المدرعات المصرية المرتقب لم يقع . وعلى ما يبدو فان المصريين لم  
يكونوا قد نقلوا بعد جميع فرقهم المدرعة الى سيناء ، ولذا كانوا يكتفون بالقصف  
الثقيل ومعارك مدرعة محلية .

وبالنسبة لجيش الدفاع الاسرائيلي ، فقد كان ذلك يوما اضافيا لاعادة تنظيم  
صفوفه . فهذا اليوم - وبعد اسبوع من نشوب المعارك - جرى اكمال عملية  
تموين الوحدة الاستطلاعية التابعة لاسحق اجام . وفي كل يوم كانت تضاف  
قطع وذخيرة جديدة . والشيء الذي كان ناقصا اكمله الرجال من المدرعات  
الاسرائيلية التي كانت قد اصيبت في اثناء المعارك . والعملية الاخيرة كانت  
تركيب مساند للبنادق الرشاشة ، فلقد كانوا حتى الان ، يطلقون النار من  
بنادق رشاشة بدون ان تكون موصولة ومثبتة على حوامل ، وكانوا يضمون  
البنادق الرشاشة على طرف المصفحة ويطلقون النار . وبعد ان عادوا من جولة  
في منطقة الجيش الثالث ، وصل طاقم من رجال الاحتياطي وهم عمال لحام في  
ممنبتهم . وقد انسى عمال اللحام عملهم بسرعة في الوقت الذي كان فيهم  
القصف مستمرا في المنطقه .

عاد سلاح الجو وقصف بشدة مدينة بور سعيد وضواحيها في جناح الجبهة  
وألقيت الاف المتفجرات في هذا القطاع الجانبي . وقد كانت هنالك مخاوف

من ان يقوم العدو ، في هذه الجبهة ، بنصب صواريخ ( سكود ) لاطلاقها باتجاه تل ابيب . . وكان المصريون قد اطلقوا حتى الان صاروخين من هذا النوع . ومدى هذا الصاروخ حوالي ثلاثمائة كيلومتر ، وكان الروس قد نقلوا هذه الصواريخ الى مصر عشية الحرب ، كما كان رجالهم يقومون بتشغيل بطاريات هذه الصواريخ . وهذا الصاروخ هو اكثر تقدما من صواريخ فروغ ، كما أن بإمكانه ايضا حمل رأس متفجر نووي .

في غرفة العمليات الحربية التابعة للجبهة قاموا من جديد بفحص خطة الدفاع استعداد للمجوم المدرع المصري . وكان السؤال هو : اين سيوجه المصريون هجومهم ؟ وفي اي قطاع سيركزون جهودهم الرئيسية ؟ وكان القادة يحاولون التفكير مثل القيادة المصرية ، كما كان الخط الاسرائيلي بالخط المصري من حيث وجود نقاط ضعف ايضا ، وهي عبارة عن نقاط اتصال بين وحدات جيش الدفاع الاسرائيلي في التجمع . ومن المعتقد ان الاستخبارات المصرية قد اكتشفتها في اسبوع الممارك .

كان الجميع بانتظار معركة الدبابات الكبرى ، ولكن الجو قد تحرك بسبب نبأ استسلام معقل الشاطيء ، وكان مندوبو الصليب الاحمر قد اجروا اتصالا مع المصريين الذين استعدوا لقبول استسلام المعقل بوساطة الصليب الاحمر . . وكانت القيادة الاسرائيلية قد رفضت قبل عدة ايام التحدث عن امكانية استسلام المعقل . وبعد ذلك ، وحين ساء وضع الجرحى ، تم الاتفاق - بناء على طلب رجال المعقل - على دعوة رجال الصليب الاحمر من اجل اجراء ترتيبات الاستسلام . وهذا الصباح ، وبعد ان جرت الترتيبات مع رجال الصليب الاحمر ، ثار التردد مرة اخرى في رئاسة الاركان وفي قيادة الجبهة . وقال موشه دايان في مركز القيادة العليا ( يجب عدم الطلب من جنود جيش الدفاع الاسرائيلي الاستسلام ، بل ان عليهم ان يقرروا ذلك بانفسهم ) . وكان الاتصال مع المعقل يجري مباشرة مع قيادة الجبهة ، ولكن مركز القيادة العليا كان بإمكانه الاشتراك في المحادثة ايضا ، وفي الساعة ٥ هـ ٩ دقيقة جرى الحوار التالي لاسلكيا .

القيادة : هل تستطيعون الصمود ؟

قائد المعقل : اعتقد انه ليس بإمكاننا الصمود ! فوضعنا صعب للغاية واننا

أريد الاستسلام !

القيادة : لقد غيرنا الامر السابق ، فانت لست ملزما بالاستسلام ، والامر ما

زال متروكا لسك .

المعقل : ( بعد صمت ) كم من الوقت علينا ان نصمد ؟

القيادة : لا نستطيع تحديد وقت .

المعقل : ( انتظروا .. ( صمت طويل ) .. أليس الوقت متأخرا لتغيير الامر ؟

القيادة : الامر متروك لرأى المعقل !

المعقل : ( المسألة هي كم من الوقت ( اى كم من الوقت على المعقل أن يصمد ؟ )

القيادة : هذا متروك لتقديرك . واذ اما قررت الصمود ، فسنساعدك بكل ما نقدر .

المعقل : هذا لا يكفي .

القيادة : هذه هي الظروف والامر متروك لكم .

المعقل : اعتقد انه ليس بإمكاننا الصمود .

وتقرر الاستسلام . . . . فقد كان هناك ارتباك بين قادة المعقل انفسهم . . .

وتغيير الامر ، ونقل القرار اليهم ، يثقل عليهم الامر . . فقد كانوا يفضلون أن

يتلقوا امرا صريحا والان لديهم الشعور بأن المسؤولين قد تخلوا عن المعركة .

وقال احد الرجال : ( ما كان عليهم ان يتصرفوا معنا هكذا !

وقام ضابط الاتصال في المعقل عموس سيجل بتلاوة قائمة الرجال

المفقودين في المعقل ، وذكر الجرحى وحالة كل واحد منهم ، ثم قرأ بجمد

ذلك قائمة القتلى . وكان يجرى المحادثة على الطرف الاخر ماركو ، عامل

اللاسلكي في القيادة ، وكان يصرف بحضرة القتلى . وفي نهاية المحادثة قال

لزميله ( اصمد وا ! ) وترك ماركو جهاز اللاسلكي واسرع الى زاوية الخرفة حيث

ادار ظهره وانفجر بالبكاء . . . وفي المعقل قام شلومو والدكتور ناحوم فاريين

بالاعدادات الاخيرة للاستسلام فقاموا بحرق الوثائق والشهادات ، وقام

الطبيب بتغيير الشهادات للجرحى ، واقترح شلومو على رجاله ان يطلقوا



ذقونهم وان يخيروا ملابسهم ، وأمر احد هم بأن يحمل معه كتاب التوراة الموجود في المعتقل ( في كل معتقل اسرائيلي كان يوجد كتاب توراة ) وكتاب التوراة الذي كان موجودا في معتقل الشاطىء قدم هدية من يهود رومانيا الى جيش الدفاع الاسرائيلي .

قام شلومو والدكتور فارين باجراء المفاوضات مع القائد المصري الذي وصل الى غرب القناة بصحبة الصحفيين ومصوري التلفزيون ، وطلب قائد المعتقل انسا بجمع جثث القتلى ، واعطي الاذن . وحاد شلومو الى رجاله في المعتقل ، ونقل الجرحى في القارب الاول ، وبعد ذلك نقل المجموعة الاولى ومعها كتاب التوراة . ومع استسلام معتقل الشاطىء انتهت رواية خط بارليف ولكن لم تنته بذلك خسائر هذا اليوم ، فلقد تقرر عقد اجتماع عند الظهر لقادة الفرق في طاسة ووصل رئيس الاركان الى مكان الاجتماع في الجبهة ، واشترك مع القادة في تحليل خطوات سير معركة الخد . وقد توجه الى طاسة في طائرة عمودية ومعها بارليف . كما توجه في طائرة اخرى جونين وفوروايزمن . وخلال الرحلة تحدث جونين مع البرت مندلر لاسلكيا ، وكان هذا قد عاد قبل عدة دقائق من جولة في خط الجبهة ، وكان يتحدث عن داخل احدى المصفحات حين انقطع صوته فجأة . وقال جونين لوايزمان ( لا بد وأن أمرا ما حدث لألبرت ) . وبالفعل فقد سقطت قذيفة على الحربة المصفحة التي كان يستقلها وأدت الى مقتل أربعة من ركبها . وندما وصلوا الى الحربة كان البرت ما يزال يتنفس ولكنه فارق الحياة فسي الطائرة العمودية وهو في طريقه الى المستشفى .

وفي طاسة تلقى الحازار والقادة الاخرون نبأ مصرع ألبرت ، الذي كان عليه ان ينهي وظيفته في سيناء قبل ستة ايام ليتسلم قيادة سلاح المدفعات . وهكذا انتهت قصة هذا الفتى النمساوي الذي هرب مع أمه من النازيين ووصل الى اسرائيل عشية الحرب العالمية الثانية ك مهاجر غير شرعي للبلاد . وقد انضم الى جيش الدفاع الاسرائيلي في حرب عام ١٩٤٨ ، وترقى في مناصب الجيش حتى وصل الى رتبة لواء .

واستلم قيادة الفرقة كالمان ميغن ، الذي كان عليه ان يخلفه في قيادة

القوات الموجودة في سيناء • وكان ميغن قد استلم منذ نشوب الحرب قيادة قوة  
في القطاع الشمالي من القناة ، وتوجه الان الى قيادة الفرقة بالقطاع الجنوبي •  
وقال للقيادة المجتمعين الذين كانوا في انتظاره : ( لم أكن أفكر بالدخول الى  
القيادة بهذه الصفة ) ثم طلب من ضابط العمليات أعطاء تقرير عن الوضع •  
ان كون جيش الدفاع الاسرائيلي لم يبدأ بحملة في الجبهة المصرية ولم يعبر  
قناة السويس الا في الليلة الواقعة بين اليوم العاشر واليوم الحادي عشر  
للحرب ، يثير السؤال فيما اذا كانت اسرائيل قد حاربت بدون الاهتمام بجدول  
زمني سياسي • واذا كان الامر كذلك فهل نتج هذا التأخير عن اخطاء تكتيكية  
في الميدان ، وعن قرارات سيئة لاولئك الذين اداروا الحرب • أو من فهم  
استراتيجي معيب ترجع جذوره الى ما قبل حرب ( يوم الغفران ) بكثيرة؟  
والسؤال هو ما اذا كان بإمكان جيش الدفاع الاسرائيلي ان ينزل هزيمة مبكرة  
بالجيوش العربية ؟ واذا كان الامر كذلك ، فأين يمكن تقصير فترة الحرب ؟ فقد  
استعد جيش الدفاع الاسرائيلي طيلة سنوات عديدة للحرب الخاطفة ، وللحسم  
السريع للمعركة ، وكان القصد جيدا ، كما كان مخططوا الاستراتيجية الاسرائيلية  
يعلمون أن بإمكانهم ومن طريق حرب خاطفة توفير القتلى ، وتخفيف العبء على  
الجيش الاحتياطي وعلى الاقتصاد الاسرائيلي ، ومواجهة الظروف السياسية  
الخارجية او التدخل العسكري من الدول الكبرى •  
ولقد قام المبدأ الحربي لجيش الدفاع الاسرائيلي منذ الاساس على جدول  
زمني قصير ، وكان ذلك مبدأ اساسيا في النظرية الاستراتيجية الاسرائيلية ••  
وقام التخطيط على اساس ان يكون بالامكان هزيمة الجيوش العربية بسرعة ،  
والوصول الى مكاسب في ساحة المعركة في الايام الاولى من الحرب • وكانت  
حرب الايام الستة نموذجا مثاليا للحرب التي فكر بها الاستراتيجيون الاسرائيليون •  
وافضل برهان على ان الالة العسكرية الاسرائيلية كانت موجهة لحرب قصيرة  
هو مخزون الذخيرة والمعدات لدى جيش الدفاع الاسرائيلي ، وكانت حرب  
الايام الستة وحرب الاستنزاف اساسا لحساب هذا المخزون • ولكن المخططين  
حسبوا ايضا العامل الزمني ، وافترضوا ان الحرب القادمة ستستمر زمنا أكبر ،

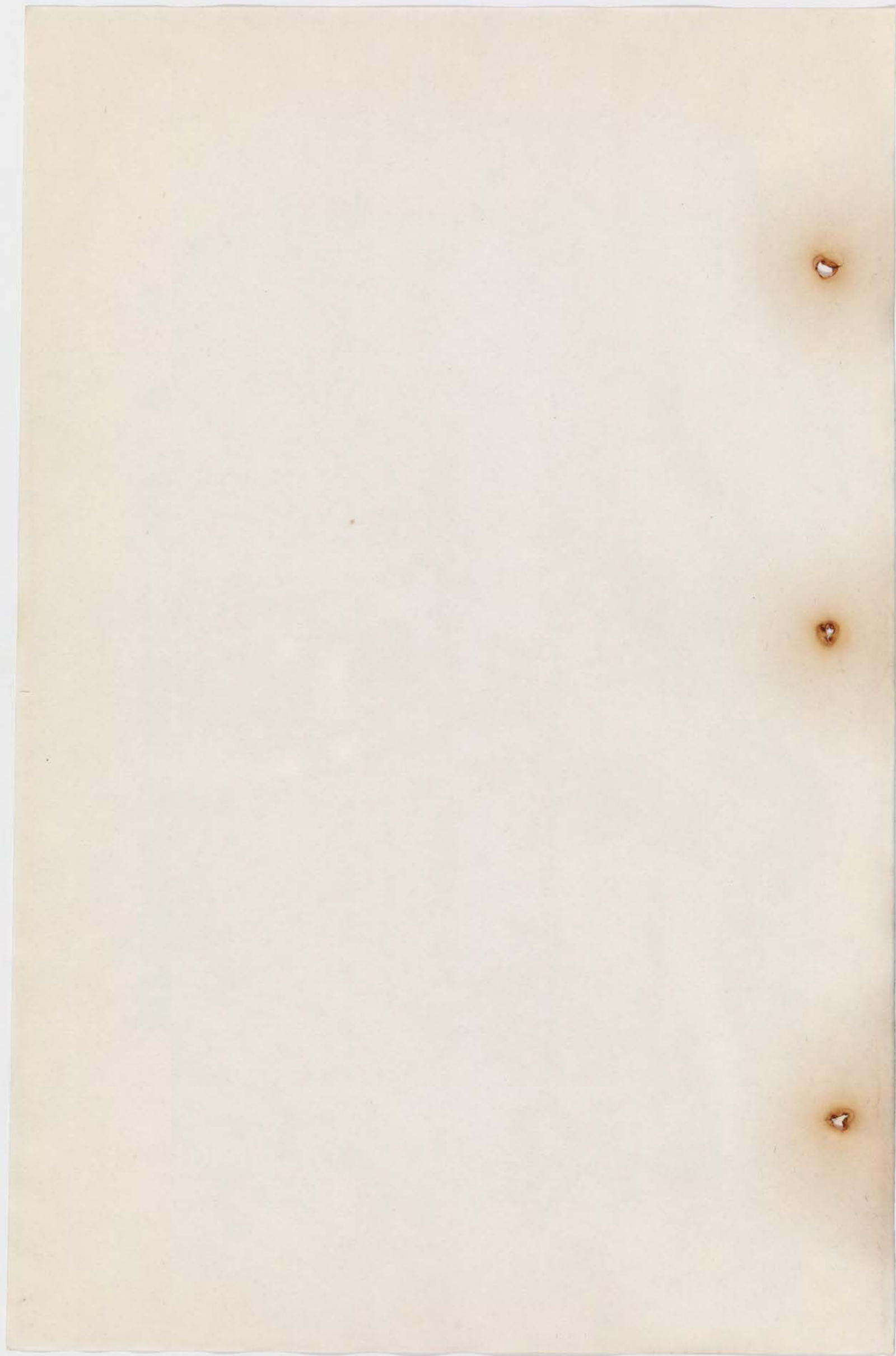
لذا زادوا المخزون الاحتياطي وبذلك وصلوا الى مخزون لا بأس به . وقد اشار السادات في بداية الحرب الى ان اسرائيل تعتمد على مخزون من الذخيرة يكفيها عشرة أيام فقط من القتال .

لم يتمثل هذا النسيج في مخزون الذخيرة فقط . فلقد كان الافتراض هو أنه طالما ان حسم المعركة سيتم سريعا ، فلن تكون هناك حاجة لبقاء كل الجيش الاحتياطي او معظمه فترة طويلة . ولذلك فليس هناك حاجة لاعداد بندقية حديثة لكل جندي . . كما انه ليس هناك حاجة - ليس فقط من ناحية مالية - لبقاء كمية ضخمة من البطانيات والبياضات تكفي جميع الجيش الاحتياطي فترة طويلة .

ومع أنه تبين ، بعد الحرب ، ان القوات الاسرائيلية قد احتاجت بالنسبة لعدة انواع من الذخيرة الى كميات اقل من تلك التي قدرتها القيادات وقت الحرب ، الا أن فراغ المخازن لم يكن ليبدل على حقيقة الوضع ، حيث أن الكميات الكبيرة كانت في طريقها الى الجبهات . وكان هنالك اصناف من الذخيرة كذخائف المدفعية ، التي لم يتبق منها في مخازن جيش الدفاع الاسرائيلي شيء على الاطلاق ، وقد كشف ذلك وزير الدفاع في نهاية الحرب لبيير في الكنيست موافقة اسرائيل على طلب الولايات المتحدة السماح بنقل مواد غذائية وماء الى الجيش المصري المحاصر .

والجدير بالذكر ان حرب (يوم الخفران) قد كشفت عن تقصير خطير في موضوع مخزون الذخيرة والمعدات في الولايات المتحدة ايضا . وقد كشف البنتاغون بعد الحرب ان تزويد الذخيرة لاسرائيل وقت المعارك قد افرغ اكثر من ثلاثين في المئة من المخزون الامريكي . كما ان معدات معينة من التي تقرر ارسالها الى جيش الدفاع الامم اسرائيلي قد وجدت بكميات قليلة فعلا لدى الجيش الامريكي ، وهكذا فان حربا قام بها جيش صغير نسبيا قد استنفذت بصورة خطيرة مخازن دولة عظمى .

ان التقصير الامريكي لا يمكن ان يكون عزاء او ذريعة لاسرائيل ، فالخطأ الذي ارتكبه اسرائيل يتمثل في انها لم تحسب مطلقا امكانية وقوع حرب شاملة طويلة لا تقوم على جدول زمني قصير . فلقد تصور الاسرائيليون ان الحرب



الطويلة ستكون على هيئة حرب الاستنزاف ، ولم يأخذوا بالحسبان إمكانية قيام حرب طويلة لا تقوم على جدول زمني قصير . كما ان تجاهل الاحتمالات الاخرى يعتبر فشلاً ذريعاً لرئاسة الاركان الاسرائيلية وهكذا فان الاعتماد على امكانية واحدة فقط - وهي الحرب الخاطفة ، والجدول الزمني القصير - كان احد اسباب التأخير .

ولقد خرجت مصر من حرب الايام الستة - وعلى ما يبدو بمساعده المستشارين السوفيات بنتيجة انه يجب الاعتماد على عدم تمكين جيش الدفاع الاسرائيلي من القيام بحرب خاطفة في جدول زمني قصير .

لذلك قام العرب بشن حرب على جبهتين في نفس الوقت ، وامتدوا في خطواتهم العملية على عدد رجالهم الكبير ، وعلى كميات الاسلحة الضخمة التي بحوزتهم ولمنع اسرائيل من القيام بحرب خاطفة سعى العرب الى جعل جيش الدفاع الاسرائيلي يضطر الى بعثرة جهوده وهدم تمكينه من تركيز قواه في جهد حاسم على قطاع واحد . وفي حين وجد الادراك العملي لجيش الدفاع الاسرائيلي غير كامل ، تبين ان الادراك العربي - السوفياتي اكثر متانة هذه المرة . يستخلص من ذلك ان التأخر في الجدول الزمني قد نشأ - الى حد بعيد -

عن اخطاء في الادراك والتخطيط العملي ، وليس فقط نتيجة لما حدث في ساحة المعركة . وما لا شك فيه انه قد نشأ الافتراض القائل بان الحرب القادمة ستحسم سريعاً ، من خطأ في تقدير نسب القوات ، ومن تحليل خاطئ لفعالية أنواع معينة من الاسلحة . وكانت الاستخبارات الاسرائيلية تعرف الارقام والكميات ، ولكن اتضح ان هذه لم تترحم كما ينبغي على المستوى العملي في جيش الدفاع الاسرائيلي . ولقد قال قادة اسرائيليين كبار ، بأنه اذا عبر جيش الدفاع الاسرائيلي القناة ، فسيتم هزيمة الجيش المصري خلال أربعة ايام ، وقد بني هذا التقدير على ان الحرب في غربي القناة ستجرى على غرار حرب الايام الستة .

ولقد ادعى هؤلاء - بعد حرب يوم الغفران - انه لولا تدخل الاتحاد السوفياتي لكان بإمكان جيش الدفاع الاسرائيلي ان يهزم الجيش المصري

خلال اربعة الى ستة ايام . ويدل هذا الادعاء على ان الوحي الاستراتيجي السياسي كان مهزوزا ايضا منذ البداية ، مما ادى الى التأخير . وهناك احتمال كبير - من ناحية عسكرية نظرية - ان يكون بإمكان جيش الدفاع الاسرائيلي الوصول الى هزيمة سريعة (للحدو) ، ولولا تدخل جهات اخرى في مجرى المعارك . ولكن الدول لا تعيش في فراغ سياسي واستراتيجي ، ففي اللحظة التي تنشب فيها حرب هذه الايام ، فان الدول الكبرى تتدخل فيها بهيئة الصورة او تلك ، وقد اخذ العرب هذا بالحسبان ، وبنوا عليه ايضا . ان الفكرة القائلة بأن جيش الدفاع الاسرائيلي يمكنه هزيمة الجيش المصري او الوصول تقريبا الى هزيمة تامة للحدو ، قد ثبت بعد حرب يوم الغفران انها فكرة مخلوطة . فحتى لو خرجنا بافتراض بان النسب المتفاوتة في القوات العسكرية تبرر هذا الرأي ، فانه كان يجب ان يكون واضحا بان الاتحاد السوفياتي لن يسمح لاسرائيل بحسم الامر تماما في ساحة المعركة لصالحها . ففي حرب سيناء عام ١٩٥٦ ، احرز جيش الدفاع الاسرائيلي انتصارا باهرا ، ولكن اسرائيل لم تنجح في تحقيق انتصارها وحتى الانتصار الكبير في عام ١٩٦٧ لم يسود الى الحسم ، فبعد شهر من هذه الحرب ، قررت الدول العربية في مؤتمر الخرطوم انها لن تتفاوض مع اسرائيل ، ولن تعترف بها ، ولن تقيم سلاما معها . وبينما كان الدخان ما يزال يتصاعد من ساحة المعركة ، بدأ الاتحاد السوفياتي في اعادة بناء الجيوش العربية .

ان هذه الحقيقة لم تفهم في حرب الايام الستة . وجاءت بعد ذلك حرب الاستنزاف لتدل بصورة اكثر وضوحا على ان الاتحاد السوفياتي لا يسمح لاسرائيل باخضاع العرب . وبعد كانون الثاني عام ١٩٧٠ بدأ سلاح الجو الاسرائيلي بترجيح الكفة في حرب الاستنزاف عن طريق الغارات على العمق المصري . وقبل ان تحسم اسرائيل الامر تدخل الاتحاد السوفياتي لصالح العرب ، وارسل الى مصر طيارين وبطاريات صواريخ حديثة ، مما اضطر سلاح الجو الاسرائيلي الى ايقاف غاراته على العمق المصري . وفوجئت اسرائيل في ذلك الوقت بالتدخل السوفياتي . كذلك اخطأت الولايات المتحدة في

تقديرها ، فلو كانت قد قدرت ان التدخل الروسي سيصل الى هذه الحدود ، لما كانت قد اعطت موافقتها بصورة غير مباشرة على الفخارات الاسرائيلية . وعند ما زاد التدخل الروسي في حرب الاستنزاف ، زادت واشنطن من ضغوطها على اسرائيل لقبول اقتراح وقف اطلاق النار ، وفي نفس الوقت نشرت مشروع روجرز لانهاء النزاع العربي الاسرائيلي .

هذا التطور الذي حدث في نهاية حرب الاستنزاف كان يجب أن يكون عبرة لاسرائيل . وكانت العبرة مضاعفة ، فالاتحاد السوفياتي لن يسمح باخضاع مصر ، وواشنطن ستقوم بضغوطها على اسرائيل للموافقة على الوقف السريع لاطلاق النار ، في اللحظة التي يزيد فيها التدخل العسكري الروسي . كما كانت هناك عبرة اخرى بالنسبة لمصر ، ففي حرب الاستنزاف فشلت مصر في ضغطها على واشنطن لكي تضغط هذه بدورها على اسرائيل للانسحاب . لذلك كان من المعقول الافتراض ، بأنه لو عادت مصر الى القيام بضغوط عسكرية ، فلن تفعل ذلك بالصورة الجزئية التي فشلت فيها في حرب الاستنزاف ، بل بحرب شاملة . لقد انتصرت اسرائيل في حرب الاستنزاف ، ولكنها لم تنجح في الوصول بها - بسبب الاتحاد السوفياتي - الى اخضاع فعلي للعرب . وتمثل الفشل في انهم لم يفهموا في جيش الدفاع الاسرائيلي مدلول انتهاء الحرب ، ولم يلائموا بين الادراك الاستراتيجي وبين العبر الجديدة .

لم يدر جيش الدفاع الاسرائيلي كيف يستخلص العبر مما حدث اثناء ذلك في فيتنام . ففي هذه الحرب لم تنجح دولة اعظمى ، وهي الولايات المتحدة في الوصول الى الاخضاع الكامل للفييتناميين لانه كان وراءهم دولة اعظمى اخرى . فلقد كانت القدرة العسكرية للولايات المتحدة كافية للوصول الى حسم الامر ، ولكن القيود الاستراتيجية لم تمكن من ذلك بدون التورط في مجابهة الصين الشعبية . ولقد زاد التورط الامريكاني في فيتنام واشتد طالما لم تكن واشنطن لتغير من هدف حربها هناك . ونيكسون وكيسنجر هما اللذان قررا تغيير اهداف هذه الحرب ، وهكذا توصلا الى فصل القوات في فيتنام . وحيث ان الولايات المتحدة قد جرى لها ذلك في حرب فيتنام ، فمن المؤكد

انه كان من الممكن الاستنتاج بان اسرائيل سوف تواجه صعوبات اخطره  
وذلك نظرا لوقوف الاتحاد السوفياتي من وراء اعدائهم .  
لم تعرف اسرائيل كيف تطور اهداف حربها بعد حرب الاستنزاف ، وفي  
حين كان الادراك الاستراتيجي لجيش الدفاع الاسرائيلي قبل حرب الايام  
السته واضحا ، الا انه بعد عام ١٩٦٧ لم يكن جيش الدفاع الاسرائيلي يعرف  
تماما ما يريد الحصول عليه اذا ما نشبت حرب جديدة ، ولم يقم وزير الدفاع  
بتوجيه الجيش الاسرائيلي في هذا الموضوع . كما ان الجنرالات الكثيرين الذين  
تعاقبوا في رئاسة الاركان لم ينجحوا في تضيير وجه الامور . وبعد حرب الاستنزاف  
استمر جيش الدفاع الاسرائيلي في التركيز في حرب الحسم بدون الالتفات الى  
ان هذا الحسم يعني في الواقع وضع حد لثماني عشرة سنة من النشيط  
السوفياتي في الشرق الاوسط ، وطرد الروس منه ، وكان ذلك خطأ في التقدير  
ادى الى ان يعد جيش الدفاع الاسرائيلي لنفسه جدولا زمنيا مخلوطا مسن  
اساسه ، بحيث يكون مستحيلا الوقوف في وجهه .  
ان حرب ايلول الاحلوية في الاردن عام ١٩٧٠ قد اوجدت شراكة جديدة  
بين اسرائيل والولايات المتحدة . ولقد قامت سوريا بغزو الاردن في ذلك  
الوقت ، ورأت واشنطن في ذلك اخلايا بالاتفاق من جانب الكرملين . ومنذ  
تلك الساعة كانت الولايات المتحدة مستعدة لتأييد الوضع الراهن الذي  
توافق مصر على اجراء مفاوضات ايا كانت . وقد تمثل هذا التأييد بمساعدة  
عسكرية لاسرائيل ويردع الاتحاد السوفياتي عن التدخل العسكري في الشرق الاوسط .  
كان دور اسرائيل في هذه الشراكة هو الحراسة العسكرية في المنطقة  
على الوضع العسكري والسياسي القائم . وبكلمات اخرى ، لمنع المصريين بأى  
من عبور القناة والسيطرة عليها . ولكن اسرائيل فشلت في هذا الدور ونتيجة  
لذلك فقد افسدت الشراكة ، والضرورة جدا بالنسبة لهما ، مع الولايات  
المتحدة . وفي جيش الدفاع الاسرائيلي ، انطلقوا من الافتراض القائل بأن  
الجيش المصري سيتم اخضاعه في المرحلة الثانية من القتال ، بدلا من ان يركزوا  
جهودهم في منع مكاسب مصرية فعلية في المرحلة الاولى . ولقد اقيمت



اسرائيل قوات ضئيلة على خط القناة ، من خلال افتراضها بان الامور ستسوى  
في المرحلة الثانية من الحرب ، أو أن القاهرة سترتدع عن الحرب الشاملة ،  
خشية قيام الجيش الاسرائيلي بضرب العمق المصري .

وبالاضافة الى الارتباكات التي حدثت في الجدول الزمني في اعقاب مفاهيم  
استراتيجية معينة ، حصلت عقبات قبل نشوب الحرب بقليل في ساحة المعركة .  
وقد حصلت اخطر ثلاث عقبات قبل نشوب المعارك وهي فشل الاستخبارات في  
التحذير مسبقا بان هنالك حملة عربية متوقعة ، والتجنيد المتأخر للقوات  
الاحتياطية ، وفشل خطة الدفاع عن القناة . وقد ادى وجود معظم قوات  
الصد النظامية في الخلف ، الى عرقلة وتأخير كبيرين .

وقبل ان افصل الارتباكات التي حدثت في الجدول الزمني علي أن أؤكد  
ان هذا الجدول ليس سامات واياما فحسب ، ولكنه قبل كل شيء ، تسلسل  
احداث . فلو قلنا بالافتراض الاول وهو ان الاتحاد السوفياتي لن يسمح  
بهزيمة الجيوش العربية ، فان اللحظة الحاسمة ستكون عند وجود خطر ملموس  
بابادة الجيش المصري ، او عند اقتراب جيش الدفاع الاسرائيلي من القاهرة . وفي  
هذا الوضع فان الاتحاد السوفياتي سيعمل على ايقاف اطلاق النار فوراً ، ومن  
خلال التمدد بالتدخل العسكري .

وهكذا فان مجال المناورة امام جيش الدفاع الاسرائيلي سيتضاءل مسبقا  
بالتأكيد ، ولكنه لن ينتهي . فطانا كان سيحدث مثلا لو كانت الاستخبارات  
الاسرائيلية قد حذرت في الوقت المناسب من الحرب الوشيكة ؟ وبالتالي كانت  
التشكيلات الاحتياطية قد جندت قبل ان يفكر العرب ببدء المعارك بزمن  
معقول ؟ هناك احتمال واحد هو أن العرب كانوا سيشعرون بذلك ، وكانوا  
سيتخلون عن شن الحرب ، وهذا احتمال معقول . ولكن من الواضح انهم ما  
كانوا ليفعلوا ذلك مرات عديدة اذا كان قرارهم قاطعا بنقض الوضع الراهن  
عن طريق حرب شاملة .

وهناك احتمال آخر ، وهو ان المصريين كانوا سيبدأون مع كل ذلك  
بالهجوم . ومن المعتقد انهم كانوا سينجحون في عبور القناة ، ولكن روس

جسورهم كانت ستكون اضر ، وكانت ستكون هناك فرصة معقولة لضربهم ، وكان الاحتياطي سيدخل في معركة مبكرة اكثر للمجوم . فلو كانوا قد عملوا وفق نفس تلك الخطوط الحملية ، وتمكن جيش الدفاع الاسرائيلي من عبور القناة في اليوم الثالث او الرابع للحرب . وكان الاتحاد السوفياتي سيقترح وقف اطلاق النار وسيهدد بالتدخل العسكري ولكن ذلك كان سيحدث في وقت مبكر وليس في اليوم الثامن عشر من الحرب . وفي كلمات اخرى ، فانه كان من الممكن تقصير فترة الحرب ، بحيث تكون الخسائر اقل بكثير . لو تم ذلك فان الجيوش العربية الاخرى ، كالجيش العراقي ، كانت ستحجز عن الوصول والتدخل ، ولم يكن الجهد السياسي للدول العربية ليصل الى هذا التصعيد ، ولما اضطرت اسرائيل الى قرق ابواب الولايات المتحدة طلبا للمساعدة . كما ان المعركة كانت ستنتهي بسرعة اكبر مع وجود جيش الدفاع الاسرائيلي غربي القناة .

حدث كل هذا لان ارتباكات قد حصلت في الجدول الزمني الاسرائيلي قبل نشوب المعارك . وهناك من يقولون - وهلى رأسهم اللواء اريك شارون - انه كان بالامكان اصلاح الخلل في الجدول الزمني ، لو بكر جيش الدفاع الاسرائيلي في عبور القناة . ولكن نتائج الهجوم المضاد في اليوم الثالث من الحرب ، تشير الشك حول قدرة جيش الدفاع الاسرائيلي في ذلك الوقت على عبور القناة . ومن المحتمل ان الهجوم كان سيئا ، ولكن الحقيقة هي ان جيش الدفاع الاسرائيلي لم ينجح في الوصول الى الجسور القائمة على القناة . ولم يكن لجيش الدفاع الاسرائيلي هناك معدات كافية لاقامة الجسور . وبسبب التسلسل في معركة الصد ، والتأخر في تجنيد الاحتياطي ، فان هنا شكا كبيرا ، فيما اذا كان لجيش الدفاع الاسرائيلي قوة كافية ، لعبور القناة ، وللقيام وراءها بمحارك مدعيات مع الفرقة المصرية المدرعة ، قبل اليوم الخامس للحرب .

في تلك الايام كان بإمكان القيادة العليا الاسرائيلية بالفعل ، الاكتفاء برد السوريين عن هضبة الجولان ، وعدم الانتقال بعد ذلك الى هجوم شامل في داخل الاراضي السورية ، بل لنقل الجهد بسرعة الى الجبهة المصرية ، والتبكير في عبور القناة . كان هذا القرار ممكنا ، ولكن ذلك

كان يعني البدء في العبور ، قبل ان تبدأ الفرق المصرية المدرعة والثقيلة بعبور القناة . فلو عبر الاسرائيليون في ذلك الوقت لكانوا قد قابلوا هذه المدرعات فربي القناة . والعبور الاسرائيلي في هذا الوضع كان مصحوباً بمخاطر كبيرة ، ولكن ايضاً بفرصة لتدمير مدرعات مصرية كثيرة ، ولم تكن لها حماية من سلاح المشاة .

ان المصريين مقتنعون بانهم كانوا منتصرين في هذه المعركة ، كما ان قادة اسرائيليين مقتنعون بانهم كانوا سيتغلبون على المصريين ، ولكن بخسائر فادحة ، وكانوا سيستولون على اراض اقل .

ولكن ذلك لم يحدث .. ففي اليومين الرابع والسابع من الحرب ، كان معظم الجهد متركزاً في الجبهة السورية . والملك حسين وحده فقط الذي يمكنه ان يشهد على ان هجوم جيش الدفاع الاسرائيلي في الشمال هو فعلاً الذي منعه من فتح جبهة ثالثة . وفي اليوم الثامن من الحرب الموافق للثالث عشر من تشرين الاول ، وصل الهجوم الاسرائيلي في الجبهة السورية الى نهايته . ولم يكن بإمكان جيش الدفاع الاسرائيلي ان يقوم بأكثر من ذلك في هذه الجبهة في ذلك الوقت . وانا اعتقد بأن الهجوم قد خفت حدته لان الجيش الاسرائيلي كان قد استنفد كل قوته في ذلك الوقت . وحتى لو كانت القيادة العليا قد قررت احتلال دمشق ، فمن المشكوك فيه ان يكون بإمكانها ذلك ، فعدد الدبابات لم يكن كافياً للبدء بهجوم جديد . ومع ان الفرقة العراقية قد ضربت فعلاً ، الا انها قد ادت الى تعطيل جديد لجيش الدفاع الاسرائيلي وكان هناك لواء مدرع اردني قريب منها ، ولواء اردني آخر كان في طريقه الى سوريا .. وقد استلزمت هذه ايضاً تقليص الجبهة وايقاف الهجوم .

\*\*\*\*

يجب ان لا ننهي البحث عن الجدول الزمني الاسرائيلي ، قبل ان نذكر ما حدث قرب رأس الجسر ، عندما عبر جيش الدفاع الاسرائيلي . فمن المؤكد انه قد حصل في هذا المكان تأخير اضافي بين ٣٠ الى ٣٦ ساعة . وبسبب هذا التأخير في اقامة الجسر على القناة ، اصدر قادة الجبهة - بتصديق

رئيس الاركان وموافقة وزير الدفاع - أمرا بعدم نقل دبابات جديدة الى غربي القناة . وقد ادى ذلك الى اعاقة فرقة ابراهام ادن . وقال اللواء شارون ان هجوم جيش الدفاع الاسرائيلي قد صد بهذه الطريقة ، فهو يرى انه كان بالامكان نقل دبابات اضافية ومعدات اخرى على عوامات ، كما نقلت الدبابات الاولى . ويرى شارون ايضا ان القرار بعدم القيام بذلك ، وتردد القيادات العليا ، قد ادى الى اضعاف وقت ثمين .

ويقول الراي الاخر ان التأخير قد نتج لان شارون لم ينجح في توسيع رأس الجسر ، وفي نقل الجسور الى القناة في الوقت المناسب . وحسب هذه الرواية فلقد كانت هنالك مخاطرة كبيرة في بناء الهجوم على رأس جسر ضيق ، كما حدث في ذلك الوقت ، وفي نقل مدركات اضافية للضرب قبل ان يتم توسيع رأس الجسر . وكان القرار هو المخاطرة في البداية بقوة ضاربة محدودة . وعندما بززت صعوبات ، اشار وزير الدفاع امكانية ايقاف العملية كلياً . وبين هذا وذاك ، فلقد كان هذا التأخير هو الاخير في سلسلة من التأخيرات ، وليس اهمها أو الحاسم فيها .

١٤ تشرين اول ١٩٧٣

كانوا في غرفة العمليات الحربية التابعة للجبهة الجنوبية ينتظرون بقلق هجوم المدركات المصرية . وكانوا مشدودين كرنبرك هائل ، وكان واضحاً للجميع ان الهجوم المصري سيأتي عاجلاً أم آجلاً . وقد وصل رئيس الاركان ونائبه الى هنا قبل طلوع الفجر ، وكان هناك البعض من الذين لا يزالوا يحلمون النفس بالفكرة القائلة انه كان يجب اسبق المصريين والبدء في هجوم اسرائيلي لشطر الجيشين المصريين في الوسط ولعبور القناة قبل بدء المدركات المصرية بالعملية . ولكن ذلك كان بعد فوات الاوان . والان يجب تركيز كل الجهد لتحطيم الهجوم المصري المرتقب في كل لحظة ، وكان نائب رئيس الاركان يسرايل طال يتمشى في الضرفة الطويلة كأسد محبوس داخل القفص . وكان يقول ( ستكون هذه معركة الحسم ، وسوف تحترق هنا خمسمائة دبابة مصرية ) . وكان واضحاً ان هذا سيكون الاختبار الحقيقي الاول في هذه الحرب للمدركات الاسرائيلية في الجبهة الجنوبية .

وقد انتقل معظم الجهد الى الجبهة المصرية ، والمصريون هم الذين بادروا بذلك وسبقوا جيش الدفاع الاسرائيلي ، وفي الجبهة السورية انتهت في الواقع خطة جيش الدفاع الاسرائيلي . واصبحت المسافة بين القوات الاسرائيلية وبين دمشق اقصر خلال الليل ، كما تعزز خط الجبهة . وكان جيش الدفاع الاسرائيلي مرابطا على مدخل اراضي هلمجة ( وهي عبارة عن صخور بركانية من بقايا الفرقتين السوريتين اللتين كانتا هناك . ووجهت دمشق نداء الى القاهرة للقيام فورا بهجوم على جبهة القناة وذلك لتخفيف الضغط الواقع على الجبهة الشمالية . وكانت القاهرة مقتنعة ايضا بأن هذا هو الوقت المناسب ، ولم تكن تعرف ان العملية الاسرائيلية في سوريا قد خمدت . وكان الافتراض مسوأن سلاح الجو الاسرائيلي ما زال مشغولا في الجبهة السورية . وكان الجيش المصري هو الذي بدأ المرحلة الثانية من معارك القناة ، بعد أن قام بتركيز حوالي ألف ومئتي دبابة وأربع عشرة بطارية صواريخ مضادة للطائرات في سيناء . بدأ الهجوم المصري في السادسة صباحا ، بقصف مدفعي ثقيل من عمدة مئات من المدافع ، واستمر دوى المدافع تكمن تسمح للمدفعات بالتحرك الا من خلالها ) . وقد انسحبت ثلاثة ارباع الساعة . كذلك حاول سلاح الجو المصري اختبار قوته ، ولكن جهده كان اقصر وأقل تركيزا ، وكان من ضمن الطائرات التي اشتركت في الهجوم ، طائرات ميراج نقلتها ليبيا الى مصر . وفي احد المواقع فاجأت هذه الطائرات جنود جيش الدفاع الاسرائيلي ورجال الدفاع الجوي ، وكان هؤلاء مقتنعين بأن هذه الطائرات اسرائيلية ، فامتنعوا عن توجيه النيران اليها ، وسقطت من جراء ذلك بعض الجرحى من قسم . وبعد القصف بدأت المدفعات في التحرك ، وقام المصريون بالمجوم على طول الجبهة ، مستخدمين ما بين ثمانمائة الى الف دبابة دفعة واحدة ، وتعتبر هذه المعركة ، من ناحية عدد الدبابات وكثافة النيران ، الحسب العالمية الثانية .

كان مستوى ادارة المعركة من جانب المصريين ضعيفا ، فلم تنجح القيادة المصرية في تركيز طاقتها المائلة في نقطة واحدة او في نقطتين . وكان الجهد

موزعا على طول عشرات الكيلومترات . وفي المرحلة الاولى قام المصريون  
بخمسة محاولات اختراق على طول الجبهة .

وكان المكان الوحيد الذي سببوا فيه خسائر لجيش الدفاع الاسرائيلي هو في  
القطاع الذي تسيطر فيه على الخط وحدة اسرائيلية مجهزة بدبابات روسية من  
طراز ( تي ٥٥ ) . وهذه الدبابات هي من غنائم حرب الايام الستة ، وكانت قد  
ادخلت في خدمة جيش الدفاع الاسرائيلي بعد ان استبدلت مدافعها بمدافع  
١٠٥ ملم . وكان القتال يجرى بين دبابات من انتاج روسي على جانبي الجبهة .  
وفي هذا القطاع اقتربت المدرعات المصرية وسلاح المشاة المصري من الدبابات  
الاسرائيلية واصابوا بعضها . ولكن المصريين لم ينجحوا في اختراق خط  
الجبهة وكان عليهم أن ينسحبوا .

وفي القطاع الجنوبي فوجئت القوات المصرية ، وكانت تعمل هناك فرقة ميجن  
وحاولت الفرقة المصرية المدرعة الرابعة القيام بعملية تطويق عميق ، ولكن  
المصريين لم يقوموا هنا ايضا في هذه العملية الا بتركيز لواء مدرع واحد فقط .  
وتوفلت هذه في احد الودية الواقعة في جناح الجبهة ، بحركة من الجنوب  
الى الشمال الشرقي ، ويؤدي الوادي الذي تقدمت به الدبابات المصرية الى  
بئر جفجفة في وسط سيناء . وكان هذا هو المكان الوحيد الذي نجح المصريون  
فيه بالتحقق اكثر من عشرين كيلومترا ، حتى الطريق المؤدية من المتلة الى  
راس سدر . ولكن معظم هذه الدبابات لم تنجح في العودة . ففي حين كانت  
طائرات سلاح الجو الاسرائيلي تهاجمهم ، قامت الدبابات التابعة لفرقة ميجن  
بالاشتباك معهم على طول محور الدخول ، وتبين في نهاية المعركة ان احدي  
وخمسين دبابة مصرية اصيبت وتركت . وتمكنت حوالي ثلاثين دبابة من العودة  
الى رأس الجسر الذي بدأت منه هجومها . وقد اصيبت في هذا القطاع  
دبابتان اسرائيليتان فقط . وكان احد القادة الاسرائيليين في هذا الهجوم  
هو ضابط شاب يدعى اوري بن اري ، وهو ابن نائب قائد الجبهة .

كذلك فقد المصريون في قطاعات اخرى الكثير من الدبابات . وقام المظليون  
بصد الدبابات المصرية التي حاولت شق طريقها الى راس سدر ، في حين

قام سلاح الجو الاسرائيلي بتدمير معظم هذه الدبابات . وفي القطاع الشمالي قرب القنطرة ، قامت قوات ساسون باشعال النيران في بضع عشرات من الدبابات . بدأ الهجوم المصري يخمد في الساعة الثانية ظهرا ، وفي الساعة الثالثة وصل الى نهايته ومن الاصة التقارير الواردة من جميع انحاء الجبهة ، تبين ان جيش الدفاع الاسرائيلي قد توصل الى انجاز كبير بالنسبة لعدد الدبابات التي دمرها .. وحسب حصاء دقيق فقد اصيبت ٢٦٤ دبابة مصرية .. وكثير منها اصيب بحيث يتعذر اضرارها . وهذا عدد كبير حتى مع اعتبار عدد الدبابات الكبير لدى المصريين . ففي يوم واحد دمر عدد من الدبابات المصرية يعادل عدد الدبابات الذي اصيب منذ بدء الحرب وحتى ذلك اليوم . وقد اصيب من الدبابات الاسرائيلية في هذا اليوم عشر دبابات فقط ، ومعظمها دبابات روسية من التي غنمها الاسرائيليون . ويعتبر هذا تحولا في الجبهة . وكان بإمكان عدة محارك من هذا القبيل ان تخير نسب القوات في الجبهة بشكل واضح . حتى معركة هذا اليوم كان معروفا بان سلاح المشاة المصري قد فاجأ الاسرائيليين بقدرته ، ولم يكن واضحا ما اذا كان سلاح المدرعات المصرية قد تحسن هو ايضا بهذه الصورة ، واتضح الان ان رجال الدبابات الاسرائيلية ومعظمهم جنود احتياط ، يتفوقون كثيرا على رجال الدبابات المصريين . وهناك واقعة اخرى مثيرة للاهتمام كشفت هذا اليوم في خلال المعارك ، ففي الايام الاولى من الحرب لوحظ تخير نحو الاحسن في تقارير القادة المصريين . وفي جميع الحروب السابقة برزت التقارير التي كانت تصل من الجبهات المصرية الى قياداتها العليا بعدم صحتها . وكان هذا هو احد العناصر البارزة في زلاتهم ، وصعب على القيادات رسم صورة صادقة عما يجري على الجبهة اذ كانت تسجل بيانات الانتصار الواردة من الجبهة ، او الانباء التي تتحدث عن القيام بمهمات وكأنها حقائق . وكانت القيادة تقوم بارسسال تقارير عن ذلك للقادة في الميدان . لذلك كانت ردود الفعل لدى القيادة العليا مضطربة بصفة عامة او انها تأخرت كثيرا ، وقد تردد قادة الميدان في تنفيذ الاوامر التي كانوا يتلقونها من القيادة حيث كانوا يعرفون انها مبنية على معلومات كاذبة قاموا بنقلها هم انفسهم .

أما في حرب (يوم الخفران) فقد كان المصريون حذرين في بياناتهم الرسمية كما ان القادة في الميدان قد بحثوا بتقارير دقيقة تقريبا عن الوضع الى ان كسان الفشل الكبير الاول في معركة الدبابات في الرابع عشر من تشرين أول ، حيث بدأ القادة المصريون في ارسال تقارير الى قياداتهم حول قيامهم بالمهام الملقاة عليهم مع أنهم لم يقوموا بذلك فعلا .

وفي المساء تحدث بارليف هاتفيا مع رئيسة الحكومة ، التي كانت ترأس اجتماعا لمجلس الوزراء ، ونقل له صورة عن الوضع على الجبهة المصرية وانهى بارليف حديثه بقوله : ( انني ارعي بكل حرارة بالموافقة على عملية العبور ) . صدر الامر للقوات بالأمس استعدادا للعبور ، وكان هناك من يعتقد بأن المصريين سيحاولون غدا مرة اخرى القيام بمجموع مدرع شامل ، لذلك كان الاقتراح هو ان يبدأ العبور في الليلة القادمة . ورض هذا الاقتراح المقدم من رئاسة الاركان على هيئة الحكومة فلم يعارضه احد من الوزراء ، الا ان وزير الاديان اثار امكانية الاكثفاء بخارة خلف القناة وعدم الدخول لتطويق الجيش المصري وتحطيم قوته .

دعيت السرية الاستطلاعية التابعة لرائي بارليف ( ابن شقيق حاييم بارليف ) لخوض سلسلة من المعارك الصعبة في هذا اليوم . وكانت هذه معارك بسلا تخطيط ، قصد منها تخليص وحدات اخرى في المنطقة .

ووصل اول نداء في الصباح الباكر ، ودعيت السرية للتوجه الى الشمال نحو معقل لجيش الدفاع الاسرائيلي يطل على المنطقة الواقعة شمالي البحيرة المرة الكبرى . وكان اسحق اجام اول من وصل مع فصيلته . وكان يمكن ان تشاهد من المنطقة المرتفعة التي كان يقف فيها ، فصيلتي دبابات وحدة مصفحات فرقت عجلاتها في السهل وتحطت حركتها وكانت هذه القسوة تابعة ايضا للوحدة الاستطلاعية التابعة لفرقة شارون . وكان الدخان يتصاعد من احدى الدبابات ومن مصفحتين اخريين كانت قد اصيبت بصواريخ مضادة للدبابات . واستمر اطلاق النار ، وشاهد اجام بوضوح ذيول دخان الصواريخ المنطقة . وكانت هنالك على بعد عدة كيلومترات الى الشمال ، باتجاه المزرعة الصينية ، معركة



أخرى وكان يمكن من بعيد مشاهدة الدبابات الاسرائيلية المنقضة بمساعدة طائرات سلاح الجو . لم يكن تخليص الدبابات والمصفحات التي غرقت عملاتها في الرمال بالامر السهول . ولم يكن لفصيلة اجام اسلحة دامة ، بحيث يمكنها اشغال مطلقي الصواريخ والتغطية على الانسحاب . وكان المصريون يتواجدون وراء مرمى البنادق الرشاشة . وكان هناك احساس كبير بنقص في مدافع ٨١ ملم . وكانت الامكانية الوحيدة هي ايجاد طريق غير مكشوفة للصواريخ المصرية من اجل الوصول الى القوة . وتجول اجام على التلة ووجد طريقا خلفية . كان في المصفحات التي في السهل قتلى وجرحى ، واقترح اجام أن يتحركوا خلفه في الطريق التي نزل بها اليهم ، وتحركت المصفحات واثنان من الدبابات وراءه . وبقيت دبابة واحدة في الخلف بعد أن قرر قائدها البقاء في مكانه وكان يعتقد بان من الافضل له الانتظار حتى يستطيع أن يتفادى الصواريخ في جنح الظلام . وقامت دبابة اخرى بالتسلق مستخدمة طريقا اخر مكشوفاً للصواريخ المصرية . ولم تكند تبعد حتى اصابتها صاروخ ساغر من خلفها فاشتعلت فيها النيران .

وخلال هذه الاثناء اسرع رافي بارليف مع بقية السرية باتجاه القوة التي كانت تقاتل من الشمال . وكانت هذه ايضا تطلب المساعدة . وكانت القوة التي قامت بالهجوم هنا قد انسحبت تاركة خلفها في ساحة المعركة المكشوفة للنيران المصرية خمس دبابات وكان هناك صوت استغاثة صادر من احدى هذه الدبابات وكانت هذه الدبابات قد اصيبت بقذائف خارقة للمدفعات . وباستثناء الثقب الذي كانت تتركه هذه القذيفة كانت هذه الدبابات تبدو سليمة . وقام رافي بمحاولة لتخليص هذه الدبابات .

وفي حين قامت دبابتان من السرية الاستطلاعية بالتغطية من الخلف دخل رافي بدبابته الى المنطقة . واكتشف المصريون وجوده ، وبدأوا باطلاق نيران المدفعية ، وخرج رافي من دبابته ودخل في احدى الدبابات المتروكة وكان بداخلها جريح فاقد الوعي وكان هذا الجريح هو الذي طلب المساعدة في جهاز الاتصال .

وقام رافي بتهدئة ثم شغل محرك الدبابة وقام بتخليصها الى الخلف . واد  
رافي ودخل الدبابة الثانية ، وكانت المشكلة هنا اصعب . فجهاز الخيارات  
فيها كان معطلا ، ولم يكن بإمكانها ان تتحرك الا الى الخلف فقط ، وبعد  
عدة محاولات ، وفي اثناء سقوط القذائف من حولها ، تم اخراج هذه الدبابة  
ايضا من المنطقة المنسوبة .

اشتدت النيران ، وقام رافي بجرد الدبابة الثالثة . وكان في داخلها اثنان  
من الجرحى اصابتهما خبطة ، كما كانت جثة احد رجال الدبابات ملقاة على  
ظهر الدبابة الرابعة . وبينما كان رافي يعمل على تخليص هذه الدبابة ،  
سقطت الجثة على الارض ، وكانت النيران شديدة جدا الى درجة جعلت احد  
رجال رافي يحاول اقلعه بالتنازل من تخليص الدبابة الخامسة ومن اخلاء القتيل  
الذي سقط من الدبابة السابقة . كما قال له احد الضباط ( ليس من المناسب  
الاستمرار بحملنا هذا ، لانه لم يبق هناك سوى قتلى فقط ، ونحن قد نخسر  
قتلى آخرين ثمنا لذلك ) ، واجاب رافي ( صحيح ان هؤلاء قتلى ، ولكنهم  
قتلى يهود ) .

وثناء استمرار النقاش اقتربت دبابات مصرية ، وكانت تطلق النيران من  
مدافعها ، واصيبت من جراء ذلك احدى الدبابات التي كانت تقوم بالتغطية  
بقذيفة خارقة للمدركات ، وقفز افراد طاقمها وكانوا جميعا بحالة سليمة ، وركضوا  
الى الخلف ونادى رافي بخضب على الهارين وسألهم بخضب مكبوت : ( هل  
اشتعلت النار في دبابتكم ) فاجابه احد الرجال بالنقي وهو ينظر الى  
الدبابة المتروكة ، وكان الذعر باديا عليه . واصدر رافي أمرا الى افراد  
الطاقم بالعودة الى دبابتهم والاستمرار في القتال . وانسحبت  
السرية ، ولم يستطع رافي تخليص الدبابة الباقية ولا جث القتلى .  
في المساء وصل قائد الوحدة يوآب بروم واستمع الى شرح عن مشاركة  
السرية ومن تخليص الجرحى . وقال يوآب ( لقد قمتم بحمل رائع ) .  
وبعد ان ذهب قال رافي لرجاله ( انا لا اوافق يوآب على رايه . فقد  
كانت ايضا تصرفات مهيمنة . فالبعض تركوا دباباتهم ، كما ان الوحدة التي

سبقتنا تركت خمس دبابات مع جرحى بداخلها ، وهذه الدبابات كان يمكن استخدامها في القتال . كذلك فان بعض رجالنا قد هربوا ايضا من دباباتهم التي اصيبت .

في الساعة السادسة والنصف مساء هبطت في مطار اللد طائرة الجلاكسي الاولى ، وهي اول طائرة من الجسر الجوي الامريكى الذى سينقل الاسلحة والمعدات الى اسرائيل . وهذه طائرة ضخمة بامكانها ان تحمل حوالي مئمة وشرين طنا الى مسافة حوالي خمسة الاف وخمسمائة كيلومتر . ومن الان فان الجسر الجوي سيعمل ليل نهار .

وكانت طائرات شركة ال ( عال ) الاسرائيلية قد قامت لخاية الان بنقل المعدات ، وقد رفعت لهذه الخاية مقلد الركاب من هذه الطائرات ، وكانت صناديق توضع فيها حتى تصل الى سقف الطائرة . وقد هبطت لخاية الان ١٢ طائرة محملة بهذا الشكل في مطار اللد . واستمرت طائرات ال عال في مهمتها ، ولكن العبء الرئيسى قد القي منذ الان على الطائرات الامريكية . وهبطت في اول يوم ٢٥ طائرة جلاكسي . وكانت الطائرات الحربية الاسرائيلية تستقبلها على بعد ١٥٠ كيلومترا من السواحل الاسرائيلية وترافقها الى مطار اللد . وكانت اثنتان من المجنندات تقومان بتقديم الزهور الى طاقم الجلاكسي ، واصبح هذا الاستقبال عادة متبعة ، وكان اول القادمين هو الكولونيل دوفلر ستروبار من نيوجرسي وهو قائد طاقم يتألف من ثلاثين رجلا ، مهمتهم الاشراف على العملية .

وفي وقت لاحق من هذا اليوم وصلت الى مطار اللد فولدا شير ، وقامت بمعانقة وتقبيل اثنتين من الطيارين اللذين قدموا امامها . وسئل الطياران اللذان فوجئا فيما اذا كانا يريدان اى شيء في الساعات القليلة التسي سيقضيانها في اسرائيل فقال احدهما انه ليسعده القيام بجولة في القدس . وقالت فولدا لمرافقيها ( جهزوا لهما سيارة ) .

كان قسم من المعدات التي وصلت في الطائرات الامريكية لازما جدا في الجبهة . وقد استهلك جيش الدفاع الاسرائيلي كمية من الذخيرة تفوق الكمية

التي تصوره المخططون • وتقلص بصورة خاصة مخزون قذائف المدافع وكانت  
أكثر القذائف المطلوبة هي قذائف المدافع الأمريكية بعيد المدى من عيار ٧٥  
مليمترًا ، وكانت هذه القذائف تنقل من الطائرات رأسًا إلى الجبهة • أما  
الذخيرة فكانت ترسل أولاً إلى المخازن وكانت الشحنات تصل في وقتها •  
ان مخزون الذخيرة اللازم لاستمرار الحرب هو الآن احد المواضيع الهامة  
أمام رئاسة الأركان ، وليس هناك أي دليل على اقتراب وقف إطلاق النار • فالعرب  
لم يكونوا يتحدثون عن ذلك ، كما ان احدا لم يقيم في الامم المتحدة باثارة اقتراح  
لاصدار الامر بإيقاف النار ، وقد قال وزير الدفاع اثناء زيارة الى غرفة العمليات  
الحربية التابعة للجبهة الجنوبية ( ان العائلة الدولية لا تريد ان تترك العرب  
باقتراح لوقف النار ، وذلك خشية ان تكون الدول العربية غير مستعدة بعد  
لذلك الوقف واضاف ( ولكن وقف النار لا يفيدنا الان ايضاً ) •

لم يكن موشه دايان يعلم انه في هذا اليوم اثار وزير الخارجية الأمريكية  
الدكتور هنري كيسنجر وللمرة الأولى امام السفير السروسي في واشنطن أناتولي  
دوبرنين ، اقتراحا بإيقاف الممارك وبقاء كل طرف في المكان الذي تقف قواته  
فيه ، ولم يجب دوبرنين على هذا الاقتراح ، فالروس سوف يقبلونه في اللحظة  
التي يرونها أكثر ملاءمة • وهدمت واشنطن سبب سكوت دوبرنين ، لذلك اراد  
موظفون امريكيون ان تسرع اسرائيل في عملياتها •

كانت اسرائيل حزينة هذا المساء ، فلقد نشر للمرة الأولى عدد القتلى في  
كلا الجبهتين وبلغ ٦٥٦ رجلاً • ومع ان عدد القتلى اكثر من ذلك بكثير ، الا أنه  
لم يتم احصاؤهم لخاية الان • وفي حرب الايام الستة وحرب السويس عام ١٩٥٦  
لم ينشر عدد القتلى الا في نهاية الحرب فقط ، اما الان فقد قررت الحكومة  
عدم الانتظار •

لقد كان جيش الدفاع الاسرائيلي ينتصر دوماً تقريباً ، الى أن جاءت حرب  
يوم الخفران وكان الجمهور الاسرائيلي يرى ان الجندي العربي لا يتمسك  
بأهدافه ، وان متوسط ثقافته منخفض ، وانه يجهد صعوبة في استخدام  
الاسلحة الحديثة كما انه غير مستعد للمخاطرة كثيراً وقت المعركة ، وينسب

الى ترك زملائه الجرحى ، وان القادة في الجيوش العربية كثيرا ما كانوا يعيشون بتقارير غير صحيحة ، وان معاملتهم الى مرؤوسيهـم سيئة . ولقد انتشر هذا الرأي ايضا بين كبار رجال الجيش مع انه لم يكن جميع قادة جيش الدفاع الاسرائيلي ميالين الى الاستخفاف بالجندى العربي ولكن السرائى السائد لدى الجمهور هو الذى طغى ، لان هذا الجمهور يشكل في الواقع الجيش الاحتياطي في جيش الدفاع الاسرائيلي بجنوده وقادته والنصر الكبير في عام ١٩٦٢ هو الذى ادى الى هذا التقدير السلبي وجعله مقبولا في اسرائيل . وبسبب هذا التقدير ، قال قادة عسكريون كبار ، ان الفارق النوعي الذى يحدد مستوى الجندى ، وبين اسرائيل والدول العربية ، سيقى لعدة قاجيال . وهكذا ، ذهلت اسرائيل من نجاح العرب في مفاجأتها في حرب يوم الخفران ، وتحقيق انجازات عسكرية جزئية ، فقد توقع الاسرائيليون ان يسلك الجندى العربي مسلكا انمزاميا ، واعتقدوا ان كميات الاسلحة الضخمة والحديثة التي تلقاها العرب لن تخرج الى حيز التنفيذ الكامل بسبب مستوى الجندى العربي . ولكن الامر لم يكن كذلك ، او أن الامور لم تظهر هكذا في قسم منها على الاقل ، وكان على اسرائيل الان ان تقدر من جديد المقاتل العربي ، ولكن هل ارتفع مستوى المقاتل العربي فعلا ؟ وفي اى المجالات ارتفع ، وما الذى بقي كما هو ؟ والامر الذى لا يقل اهمية هو : هل تدل التفسيرات على انعطاف ؟ ان التحسن البارز لدى المحارب العربي هو في الحافز ، وفي استعداده للقتال . فمن المؤكد انه في عام ١٩٧٣ اثبت الجنود المصريون والسوريون أن لديهم حافزا للحرب اكبر بكثير مما كان عليه الامر في الحروب السابقة ، وكذلك الامر بالنسبة لاستعدادهم للتضحية . فمعد حرب الايام الستة حدث تخيير جذري تقريبا في هذا المجال ، ولم يأت هذا التفسير قفزة فجائية في مستوى المصريين والسوريين . فاستعداد الجندى المصرى للانقضاض على الدبابات الاسرائيلية ، واستعداد القائد المصرى للامتناع عن الهرب وحتى عن الانسحاب ، لم يأت نتيجة لتغييرات اجتماعية في بلادهم ، فلقد كان هناك تدهور اقتصادى في مصر خلال السنوات الاخيرة ، ترك اثرا سيئا على حياة

الكثيرين • ومننحرب الايام الستة ، حرصت الحكومة المصرية على تجنيب المتعلمين ، ولم يكن هؤلاء يحفون بسهولة من الخدمة العسكرية . ومع ذلك يبدو ان تحسن الحافز كان في أكثره نتيجة للتوجيه المركز حول معنى القتال من اجل الكرامة الوطنية العربية . ويمكن الافتراض بان احد اسباب التحسن كان شعور القتال في سبيل الوطن ولحميته . فالجرب على قناة السويس ، وعلى مسافة ستين كيلومترا من دمشق ، قد ولدت الشعور بان القتال هو من اجل الوطن وليس من اجل الآخرين ، مع ان الآخرين يعتبرون اخوتربا . فالجرب من اجل الوطن ومن اجل الكرامة العربية الوطنية والشخصية ، كانت على ما يبدو أساس تقوية الحافز لدى المقاتل العربي .

والجدير بالذكر انه قد حشرت ، في هذه الحرب وبطريقة غير مباشرة مسألة شرف اخرى ، وهي شرف السلاح الروسي . فبعد حرب الايام الستة . قلل الحرب هزيمتهم برداءة السلاح الروسي الذي كان لديهم . وقال جنرالات روس بان الحرب لم يعرفوا كيف يستعملون الاسلحة الكثيرة التي اعطيت لهم وان الكثير من هذه الاسلحة لم يستعمل اطلاقا . واجاب قادة عرب على ذلك بان السلاح الروسي الموجود لديهم في ذلك الحين كان متدنيا بالمقارنة بالاسلحة الغربية التي كانت لدى جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولذلك صعب عليهم منازلة الاسرائيليين .

ان الهزيمة العربية الساحقة في عام ١٩٦٧ قد اثارت شكوكا حول جودة السلاح الروسي لدى بعض الاوساط العسكرية من الكتلة الشرقية ايضا . فالعسكريون من الدول التابعة للاتحاد السوفياتي تحسبوا من أن يكون السلاح الذي بحوزتهم ادنى من السلاح الغربي .

حين توجه العرب الى حرب (يوم النفران) كان واضحا ان هذه الحرب ستكون اختبارا جديدا لمستوى السلاح الروسي وسمحته . فالاتحاد السوفياتي لم يرد هزيمة العرب بسبب شرف السلاح الروسي الذي في حوزتهم . ولقد اسرعت وكالة (تاس) السوفياتية الى نشر تعليق في اوج الحرب جاء فيه (لقد اقتحم المحاربون المصريون خط بارليف واستولوا عليه بمساعدة السلاح الروسي .

هذا الخط الذي وصفه الاسرائيليون بأنه لا يمكن الاستيلاء عليه . كذلك فان الجنود السوريون يقومون بنجاح في صد الهجمات الاسرائيلية بمساعدة السلاح الروسي ( .

لقد اتخمت الاتحاد السوفياتي الدول العربية بكميات هائلة من السلاح . ولم يكن لبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، دبابات وطائرات ومدفعية بهذه الاعداد الضخمة ( وقد نشر المعهد الاستراتيجي في لندن الارقام التالية عن الميزان الحسرى لعام ١٩٧٣-١٩٧٤ :

كان لبريطانيا ٩٠٠ دبابة من جميع الانواع ، وفرنسا ٨٢٠ ، ولمصر ١٩٥٥ ، وسوريا ١٢٧٠ ، في حين كان لاسرائيل ١٧٠٠ . وكان لبريطانيا ٥٠٠ طائرة من جميع الانواع ، وفرنسا ٥٠٠ أيضا ، ولمصر ٦٢٠ ، وسوريا ٣٢٦ ، في حين كان لاسرائيل ٤٨٨ طائرة مختلفة . وكان السؤال هو : هل أن كميات الاسلحة الضخمة والحافز قد جعلت من الجنود العرب محاربين أفضل ؟

في البداية يجب التحقق مما اذا كان العرب قد نجحوا فعلا في استخدام الاسلحة التي كانت في حوزتهم بصورة جيدة . ان الاعداد التقني للجيش العربية قبيل حرب عام ١٩٧٣ كان أفضل بكثير عما كان عليه في الماضي . والجيش العربية جيوش نظامية ، ويمكن تدريب نفس الجنود فيها لمدة سنوات . فالتدريب على استخدام الصواريخ المضادة للدبابات ، مثلا ، كان ضرورة حيوية لسلاح المشاة المصري فلقد كان على كل فرد في الطاقم الذي يستخدم صواريخ ( سافر ) التدريب يوميا . وتكنولوجيا السلاح الروسي ليست مركبة او معقدة ، وكان سهل على جموع الجنود المصريين من ذوى الثقافة البسيطة تعلم الحركات المطلوبة وقد عوضتهم هذه التكنولوجيا عن فروق النوعية ، وجعلت حربهم الى مدى معين ( حرب ازرار ) . واثبت سلاح المهندسة المصري - وهو سلاح تقني في اساسه - مستوى جيدا في عمليات اقامة الجسور على قناة السويس . وفي هذا السلاح ايضا ، استمرت تدريبات العبور واقامة الجسور لسنوات ، وذلك باداء الجنود

تمارين محددة كررها الاف المرات ، وقد اعطت هذه التمارين ثمارها وقت المعركة .  
ولقد كان الاعداد التقني للجندى المصرى والسورى افضل بكثير ، ولكن  
مستوى الصيانة لديه لم يكن كذلك . ففي هذا المجال لم يكن هناك تقدم تقريبا ،  
وهذا المستوى ما زال متوسطا وحتى اقل من ذلك . والمعدات والاسلحة التي  
وضعت في يد جيش الدفاع الاسرائيلي تثبت ذلك ، فنسبة الطائرات الصالحة  
للاستعمال الموجودة لدى العرب منخفضة بالمقارنة باى جيش اوروبى . ولقد  
كانوا في رئاسات الاركان العربية يعرفون ذلك ، وحاولوا التغلب على ذلك  
بالكميات ، فبدلا من ان يقوموا بتطبيقات معقدة ، وبصيانة معقدة ، قاموا بجلب  
اسلحة ومعدات جديدة . فالاجهزة التي كانت تتعطل لم تكن تصلح ، بل كان  
يتم احضار اجهزة جديدة بدلا منها . وبدل على هذا النهج الكمية  
الضخمة من الاسلحة الجديدة التي كانت قد وصلت لتوها من المصانع ، والتي  
استخدمتها الجيوش العربية في حرب يوم الغفران .  
وتقسم من المركبات الحربية والسيارات التي وقعت في يد جيش الدفاع  
الاسرائيلي لم تقطع سوى عدة كيلومترات من المخازن الى الجبهة . وهذا الاسلوب  
ليس ناجحا دائما ، ففي المعدات العسكرية الاكثر تعقيدا لا تستطيع  
الكمية دائما ان تعوض الصيانة الناقصة .  
ان مستوى استخدام المعدات العسكرية المعقدة لم يكن واحدا فبسبب  
متوسط الثقافة الضعيف لدى الجندى العربى كان للجيوش العربية في حروب  
سابقة صعوبات في الاستخدام . ولقد تكون انطباع بأن المعدات العسكرية  
المعقدة تزوج احيانا الجندى العربى اكثر مما تساعده . فهكذا حدث ، خاصة  
عندما كانت تحدث اعطال في هذه المعدات وكانت هنالك حاجة للتصرف بسرعة .  
وفي المعدات العسكرية الثابتة تغلبت الجيوش العربية على العقبات واستخدمتها  
كما ينبغي ، ولكن ليس بامتياز . ولم يكن الامر كذلك في المعدات غير الثابتة  
كالطائرات الحديثة وزوارق الصواريخ على سبيل المثال . ففي استخدام هذه  
المعدات لم يكن هناك تقدم بارز ، وفي هذا المجال ما زال هناك فارق  
كبير بين الجندى الاسرائيلي والجندى العربى .



ويمكن التنويه بالتحسن الذي طرأ أيضا في التخطيط ، فالمصريون عرفوا كيف يستخلصون العبر من حرب الايام الستة وحرب الاستنزاف كما أمكنهم اكتشاف نقاط ضعفهم وملاجئها بصورة عملية وليس من المستبعد ان يكونوا قد استعانوا بالاف المستشارين السوفيات ، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة نجاحهم فقد نجحوا في التعلم من كبواتهم اكثر من الماضي .

لقد تم التخطيط الاستراتيجي بدقة ، وتمثل هذا الامر بالجمع الجيد بين الخطة العسكرية والجهد السياسي . كما اعطت الخطط العملية التي نفذت في ساحة المعركة الانطباع بانها افضل من السابق واكثر كمالا . ويمكن القول بأن تخطيط العبور كان بمستوى عربي جيد .. ومع أنه كان هنالك فرق بين التخطيط والتنفيذ ، الا ان ذلك لا ينتقص من التحسن في التخطيط لسدى القيادات العليا .

والجدير بالذكر ان نذكر ان المسافة بين الضابط المصري والجندي المصري قد تقلصت ، وان العلاقة بينهما قد تحسنت . ومع ان هذه المسافة ما تزال قائمة ، الا انها ليست كما كانت في السابق . اما في الجيش السوري فليس هناك تخير بارز في هذا المضمار .

والسؤال الان هو : كيف تجسدت التحسينات في ساحة المعركة؟ في الواقع ، لا يمكننا التحدث عن المحارب العربي بشكل عام . فبسبب هزائم الحرب في نهاية المعارك نميل الى نسيان ان العرب قد قاتلوا الاطراف في معارك المدرعات .. بجدارة مرات كثيرة في حروب سابقة ، وهكذا كان الحال في حرب عام ١٩٤٨ ونخص بالذات المقاتلين الفلسطينيين كذلك فان هنالك في حرب الايام الستة أمثلة عديدة : السوريون في تسل فاخر - الاردنيون في القدس القديمة وفي معارك الدبابات في السامرة - المصريون عندما شق الاسرائيليون طريقهم الى جردى وفي الشيخ زويد وفي قطاع غزة ايضا ، وقد امتاز الجندي المصري دائما في معارك الدفاع . وجيب الفلوجة في عام ١٩٤٨ ، وابوعجيلة في عام ١٩٥٦ خير الشواهد على ذلك . وبعد حرب (يوم الخفران) ايضا ، فان هناك بعض القادة الاسرائيليين

الكبار الذين يرون انه لم يحصل تخيير جوهري في مستوى المحارب العربي . وثلاثة  
من هؤلاء هم اسحق حوي ، رفائيل ايتان ، وباروخ هرئيل . والاول والثاني  
كانا في الجبهة السورية اما الثالث فقد حارب على الجبهة المصرية وكان قد  
اشترك في حرب الايام الستة في معارك الاختراق في سيناء ، ونقطة الانطلاق  
في تقديراتهم هي أن حرب يوم الغفران هي الحرب الاولى التي حدد فيها  
الحرب اسلوب المعركة ومنها ما فلقد استفادت الجيوش العربية ، هذه المرة ،  
ليس فقط من التفوق في الاسلحة وفنارة واتساع النيران ، من المفاجأة التامة  
ومن ميزة انزال الضربة الاولى . فبناء على هذه المعطيات يجب اختيار مستوى  
قتالهم وانجازاتهم الدائمية .

وقد قال اللواء حوي : ( كانت كل معطيات البداية في صالح العرب ،  
وكان لهم - خلال مجرى الحرب - تفوق كبير في المدفعية ، الامر الذي  
شكل عاملا مهما جدا في المعركة . وفي حرب المدفعات لم يظهروا قدرة خاصة  
فقد كانوا يتحركون مع الدبابات في اثناء الليل بمساعدة اجهزة تعطي اشعة  
خاصة للرؤية في الظلام ولكنهم كانوا يقللون من القتال . والكوماندو السوري  
نجح فقط في معركة واحدة في جبل الشيخ ، وندما قفنا بالمهجوم كان موقفنا  
صلبا . ولكن ذلك كان في الماضي ايضا . أما القوات العراقية التي حاربت في  
الجبهة فقد أبدت مستوى ضعيفا ) .

اما اللواء ايتان فقد كان اكثر تطرفا في تقديراته ، فهو يقول : ( ليس هناك  
تخير في مستوى المحارب العربي ، فهو لم يمتاز بقتال المدفعات أو بحركة  
تطويق الدبابات او في استعمال مدافع الدبابات ، وان الكمية الهائلة من  
التي اعطته القوة ، ودفعته للانقضاض . فهناك مقياسان لمستوى القتال :  
الاول : عدد الدبابات التي تركت بدون ان تصاب او ان أصابتهما كانت خفيفة ،  
والثاني : عدد الدبابات التي خسرها كل واحد منهما فلقد اتضح انه مقابل  
كل دبابتين سوريتين محترقتين في المعركة ، ترك رجال مدفعاتهم دبابتين  
صالحة للاستعمال . وفي الجبهة السورية فقط ، استولى جيش الدفاع  
الاسرائيلي على مئات الدبابات السليمة ، وكثير منها كان مزودا بالوقود

والذخيرة . وقد كانت نسبة الدبابات التي اصيبت في المعركة هي ١-٤ لصالح جيش الدفاع الاسرائيلي .  
وهناك رأى اخر اعرب عنه اورى بن آرى ، وهو رجل مدركات قديم كان قد ترك جيش الدفاع الاسرائيلي بعد حرب ١٩٥٦ ، وفي حرب الايام الستة حارب في الجبهة الاردنية ، وفي حرب ( يوم الخفران ) عين نائبا لقائد الجبهة المصرية .  
قال بن آرى : ( ان هناك أمرا واحدا اتضح في هذه المعركة ، وهو أن الجيش المصرى يمكن اعتباره جيشا جيدا ، ولا يجوز التقليل من شأنه . . . ولقد برز التحسن في مستوى الجندي الفرد وفي مستوى القيادة ايضا . . . كما كان المصريون دائما يتقنون معارك الدفاع . ولقد اتضح الان ان هناك تحسنا بارزا قد حدث ايضا في قدرة الجيش المصرى على الهجوم . ومع ان الجيش المصرى ما زال متأخرا بصورة بارزة في قتال المدرعات ، الا ان هناك تقدما واضحا في سلاح المشاة . . . فقد كانت هنالك حالات ، في هذه الحرب ، وهي أنه بعد تحطم هجوم كتيبة من سلاح المشاة المصرى بثمن كبير من الدماء ، كانت تحل محلها كتيبة اخرى من سلاح المشاة وتستأنف الهجوم . ونحسن لا نذكر امالا كهذه في الحروب السابقة .  
ويرى عمونيل شيقد ، كبير ضباط المظليين وسلاح المشاة ، انه في حرب ( يوم الخفران ) اثبت سلاح المشاة المصرى قدرة فائقة جدا . فلقد تمتع الجنود المصريون الذين وقفوا بجانب بطاريات الصواريخ وبجانب المدافع المضادة للطائرات بالجرأة ، وحاربوا وجها لوجه ضد الطائرات الاسرائيلية المغيرة عليهم . كذلك قاتل الكوماندو المصرى ايضا بصرابة . كما ان رجال الكوماندو والسوريين كانوا اكثر صلابة وتشوقا للمعركة ، ولكن انجازاتهم انحصرت فقط في الاستيلاء على موقع جبل الشيخ .  
كذلك برزت تحسينات معينة في المدفعية المصرية . فلقد نجح المصريون في استخدام وحدات مدفعية كثيرة بشكل مركز في قطاعات صغيرة ، وفي تحويل النيران بسرعة اكبر الى اهداف اخرى . وكان احد اسباب هذه الانجازات هو استخدامهم الكثير من ضباط الاستطلاع الامميين . وبدأت المدافع المصرية

بذل جهود جديدة واستثمارات جديدة تكون مبنية في اساسها علمي  
استعمال حكيم لكميات النيران والرجال من اجل تقليص الفارق النووي .

١٥ تشرين اول ١٩٧٣

طلع هذا الصباح ولم يقم المصريون بالمجوم ، كما لم يتراجعوا عن محاولتهم  
باختراق الجبهة في هجوم مدرع شامل . ولقد قضى على املهم في شق  
الطريق الى خليج السويس في اثناء الليل للوصول الى حقول النفط ، وان سلاح  
البحرية هو الذي أحبط جهودهم هذه .

لقد تجهز المصريون بصورة جيدة لهذه العملية . وحسب الدلائل التي  
وجدت في ساحة المعركة ، يبدو أن الخطة كانت تستدعي أن يقوم رتل  
المدربات بشق طريقه على طول الشاطئ ، وفي نفس الوقت يهبط رجال الكوماندو  
من الطائرات العمودية خلف قوات جيش الدفاع الاسرائيلي المدافعة عن الخليج .  
وكان هؤلاء المهاجمون - المدربات والكوماندو - سيتلقون المعدات والذخيرة  
من البحر . وقد اعد المصريون لذلك اسطولا كبيرا من زوارق الصيد ، وحملوها  
بالمعدات الكثيرة ووضعوا عدة مدافع رشاشة في كل زورق .

قام رجال الدبابات وسلاح الجو والمظليون من جيش الدفاع الاسرائيلي  
بصد المدربات والكوماندو والمصريين ، واكمل المهمة في الليل سلاح البحرية  
وفي مرسي راس غارب في خليج السويس اصطدمت الزوارق الاسرائيلية الصغيرة  
باسطول كبير من زوارق الصيد المحملة ، وجرت معركة قصيرة وسريعة كانت  
حصيلتها اشجار النار في ثمانية عشر زورق صيد مصريا .

وفي الطرف الاخر من الجبهة ، على شاطئ البحر المتوسط ، تلقى جيش  
الدفاع الاسرائيلي لطمة . وكان الحصار المضروب حول مركز الشاطئ ، مقابل  
بور فؤاد ، قد رفع قبل عدة ايام ، ولكن المصريين لم يتراجعوا ، وقاموا في  
الليل بانزال عدة مئات من رجال الكوماندو من البحر لاستئناف الحصار . وقام  
هؤلاء بالتمركز في المرتفع الرملي بجانب الطريق المؤدى للمركز . ووقعت قافلة  
ادارية اسرائيلية كانت في طريقها الى المركز في الكمين المصري وكان يرافقها  
بعض الدبابات . وقتل من افرادها حوالي عشرين شخصا ، بفعل الطلقات

الاولى التي كانت تحتوي على عشرات من قذائف آر. بي. جيه وصواريخ مضادة للدبابات . وقد اطلقت هذه القذائف من مسافة قريبة جدا . وكانت الطريق الضيقة على المرتفع الرملي يمنع الدبابات من الدوران . واستمرت المعركة خمس ساعات . ووصلت من الجبهة الخلفية مساعدة سريعة - دبابات اضافية ومظليون - وفي نهاية المعركة امكن احصاء ثلاثين جثة من افراد القافلة . وترك المصريون المنسحبون وراءهم عدة عشرات من القتلى وحوالي سبعين اسيرا .

في الجبهة السورية التي خمدت فيها المعارك ، دخلت القوة الاردنية في المعركة للمرة الاولى . وقامت دبابات باتون التابعة للواء الاردني المدرع بالهجوم من الجنوب . وكان رجال المدرعات الاردنيون يعرفون عظمى ولكنهم كانوا في مركز متدن في المنطقة . وقد اصيبت اثنتان وعشرون دبابة من دبابات اللواء البالغ عددها ثمانين دبابة . ولم تهمل اسرائيل لهذا الانتصار كما لم تنشر شيئا عن هذه المعركة التي وقعت على بعد عدة كيلومترات من الطريق الرئيسي المؤدى من جنوب هضبة الجولان الى دمشق . وقامت عمان بنشر انباء معركة المدرعات مع جيش الدفاع الاسرائيلي كما تثبتت على ما يبدو دورها في الحرب مع اسرائيل . كما ان حكومة الاردن قد أعلنت انها ستُرسل الى الجبهة لواء مدرع آخر .

هذا المساء استعد جيش الدفاع الاسرائيلي لعبور القناة الى الغرب . ومع ان هذا الحمل كان يجب ان يبدأ في الاسبوع الاول من الحرب ، الا انه قد تأجل حتى اليوم . وعندما تبين ان المصريين لن يخرجوا هذا اليوم للهجوم في الجبهة اعطي الضوء الاحمر .

وفي غرفة العمليات الحربية في قيادة الجبهة ، وامام قادة الفرق وعشرات الضباط الاخرين عرفت خطة العبور . وألقي على فرقة شارون اصعب مهمة ، وهي اقامة راس جسر . وشارون هو صاحب اكبر خبرة ، ويعرف المنطقة جيدا ، كما انه اقدم قائد فرقة . وعندما كان قائدا للجبهة الجنوبية قام باجراء مناورات للعبور وأمد في القيادة لملفات عملية في هذا الموضوع .

كان على فرقة شارون ان تنقل الى غرب القناة مظليين ومدعات وان تمسك  
ثلاثة جسور على ان تنقل هذه الجسور بطريقتين متوازيين الى موقع العبور  
طريق يدعى (العنكبوت) والثاني يدعى (الطنين) . وكان يجب المحافظة على  
بقاء هذه الطرق مفتوحة . وكان على فرقة ادن ان تمر في هذه الطرق ثم تعبر  
القناة بعد ذلك مستخدمة الجسور التي سيقمها شارون . اما في سيناء فستبقى  
قوات اخرى لصد المصريين .

وقام شارون - باعتباره قائد الفرقة التي ستبدأ العملية بشرح المهمات  
الملقاة على عاتق وحداته . ففي حين يقوم احد ألويته بالمهجوم والضغط  
من الشرق الى الغرب شمالي البحيرة المرة الكبرى ، تنفذ الوية اخرى السي  
المكان المخصص لرأس الجسر . ولدى اللواء المذكور ان يتسلل عبر الكثبان الرملية  
في نقاط الاتصال التي كانت القوة الاستطلاعية التابعة للفرقة قد اكتشفتها  
قبل ذلك بأسبوع . ويقوم رجال الاستطلاع بتقدم الرتل ، وتتبعهم كتائب  
المظليين التي ستكون اول من يعبر القناة . وتتحرك خلف هذه الكتائب  
التشكيلية التي ستقوم بعملية الاختراق والتي القي عليها مهمة السيطرة  
على رأس الجسور ومعهما الكتيبة المدربة التي ستعبر مع المظليين . وكان على  
هذه الكتيبة ان تجر وراءها الجسر الاول .

كان شارون متفائلا وواقفا من امكانية اقامة جسرين خلال الليلة الاولى من  
العملية . وقد علق رئيس الاركان على ذلك بقوله : ( اذا امكن اقامة جسر  
واحد حتى الصباح فسيكون ذلك أمرا حسنا ) .  
وتم الاتفاق ايضا على اتجاهات الهجوم خلف القناة فعلى كتيبة المدعات  
التي تدخل في البداية ، أن تصعد باتجاه الحماجز الزراعي ، وتقوم بنزب  
بطاريات الصواريخ المضادة للدائرات بشكل خاص أما قوات ادن فان عليها  
أن تشق طريقها باتجاه آخر . فأولا عليها التوجه الى الغرب ثم تشق طريقها  
بعد حوالي خمسة وعشرين كيلومترا الى الجنوب باتجاه جبل جنيفه . كما قيل  
لقادة الفرق بان عليهم أن يكونوا مستعدين للتقدم نحو الغرب .  
واصبحت معدات العبور التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي في سيناء جاهزة

الآن كما أن العوامات جاهزة في القطاع الشمالي . وكان هناك عوامات  
أخرى تنتظر في وسط سيناء . وفي احد الامكنة كانت توجد قطع جسر آخر .  
أما وحدات الهندسة والعبور التي كانت تقف على اهمية الاستعداد فسي  
سيناء ، منذ اليوم الثالث للحرب ، فقد تلقت أمرا بالتحرك الى الخط الامامي .  
وتحركت جميع هذه الوحدات باتجاه طاسه في القطاع الاوسط ، على ان تلتقي  
هناك ثم تتحرك في محورين يوديان الى الطرف الشمالي من البحيرة المرة الكبرى .  
في الخامسة بعد الظهر بدأ التحرك الشامل ، ولم تكن وحدات العبور التي  
تحمل الجسور هي التي تتحرك فقط ، على المحاور الموصلة من طاسه ، ان كانت  
تتحرك على الطرق الواقعة في القطاع الاوسط الوحدات الخلفية التابعة  
لشارون . ومن الجنوب كان يصعد المظليون ، وكان عليهم الالتقاء في الطريق  
مع رجال الهندسة كي يتلقوا منهم قوارب المطاط التي سيستخدمونها في  
عبور القناة .

كانت تلك حركة ضخمة ، على طرق ضيقة واخرى ترابية وخلال اقل من ساعة  
حدثت أزمة سير لم يكن بالامكان تجنبها تقريبا . وكان الظلام الدمايط بسرعة  
يزيد من تعقيد الوضع ، ولم يكن هنالك اشارات ضوئية على الطرق . والاضواء  
الوحيدة هي تلك الناتجة عن وميض قذائف المدفعية . ولقد بدأت مدفعية  
جيش الدفاع الاسرائيلي بقصف ثقيل على طول الجبهة وكانت تأمل بذلك  
تحويل انظار القيادة المصرية عن منطقة العملية .  
كانت أزمة السير تزداد تعقيدا من لحظة الى اخرى . ولم يصل الى طاسه  
من القطاع الشمالي سوى عدة عوامات . ومن الجنوب ، من وحدة عبور اخرى  
وصلت تسع عوامات . كما حشرت اجزاء جسر على بعد حوالي عشرين كيلومترا  
من القناة . وكان هذا الجسر اول جسر يتم انزاله الى القناة ، وكانت الدبابات  
تقوم بجر اجزائه ببطء ، وكان يقوم بالعملية رجال دبابات من الاحتياطسي .  
ولقد ادى تعب هؤلاء الرجال الذين يقومون بالجر الى زيادة العقبات ،  
فمخيمهم لم ينل قسطا كافيا من النوم منذ وصولهم الى الجبهة ، وكانت الحركة  
بطيئة ومملة . واثناء التحرك غط سائق الدبابة الاولى في نوم عميق مصا

تسبب في تأخير الحركة حوالي نصف ساعة - وبعد ذلك انحرفت إحدى الدبابات  
عن الطريق ، وتمزق أحد كوابل الجر ، مما أدى إلى تأخير الحركة ساعة أخرى .  
وفي هذه الاثناء كان الجزء الامامي من المحور مسدودا تماما .  
لم يكن حظ العوامات التي كانت ستستخدم في اقامة الجسر الاخرى أفضل  
كثيرا فقد كانت مجرورة هي الاخرى بدبابات ، تتحرك على طريق معبد عرضه  
حوالي خمسة امتار ، وليس له حواف ، وكانت اطراف العوامات العريضة تغطي  
جانبي الطريق ولو كانت الطريق خالية لا يمكن المرور ، ولكن الاف العربات  
كانت قد تجمعت على هذا المحور في ثلاثة أو اربعة صفوف . كما كانت هناك  
سيارات قادمة من الاتجاه المعاكس ، من جهة القناة ، وهي تحمل الجرحى .  
لم يكن هناك شك في ان الانسداد كان محكما . وفي وضع كهذا ليس هناك  
اية امكانية لنقل اجزاء الجسر والعوامات الى القناة والوحيدون الذين  
نجحوا في المرور كانوا افراد كتائب المظليين التابعة لداني . وكان على  
هؤلاء ان يشقوا لانفسهم طريقا بالقوة ، وان يدفعوا بعرباتهم نصف المجنزرة  
والمركبات الاخرى ، وان ينزلوا الى الكتيبان الرملية . . . فنذ العصور رجال  
المهندسة ينتظرون بالقرب من طاسه مع قوارب مطاطية كبيرة . ولم يصل المظليون  
الى المكان الا حوالي الساعة الثامنة مساء ، وكانت كل عربة نصف مجنزرة تمر  
في مفترق الطريق لتتلقى قاربا مطاطيا واحدا .  
وهكذا سبب انسداد الطرق قلقا كبيرا لقيادة الجبهة ، وكان هناك من  
يرى انه من الافضل تأجيل العملية ، وسألوا شارون عن رأيه . وكمسؤول عن  
اقامة رأس الجسر ، كان الكثير مهلقا بقراره . كذلك كان هناك في قيادته  
من يرى انه من الافضل تأجيل العملية . وبعد عدة دقائق قرر شارون انه  
يجب الاستمرار رغم كل شيء . وكان يخشى من ان يؤدي تأجيل الهجوم الى  
اغلاق خط الوصل في الجبهة المصرية ، الامر الذي سيستلزم معارك اختراق  
صعبة . وهكذا كان على الفرقة ان تقوم بالم هجوم وان تنقل قوات ال  
غرب القناة بحركة واحدة بدلا من حركتين . وصدرا الامر الى قائد المعديات  
التي تحمل الدبابات بالتحرك خلف وحدة الاختراق .



كان يتقدم القوات افراد الوحدة الاستطلاعية ، وتبعتم سرية رافي بارليفس .  
وقام رافي بجمع رجاله قبل التحرك واصلهم توجيهاته الاخيرة ، وعاد القادة  
ودرسوا الطريق التي سيتقدمون عليها ، وهي نفس الطريق التي مروا عليها نسي  
الاسبوع الماضي وهم في طريقهم الى البحيرة المرة الكبرى . وانسى رافي  
توجيهاته بقوله : ( آمل أن نلتقى ) . وقام عامي فريدمان بقيادة المصفحة الاولى  
التي بدأت في الواقع حملة عبور القناة . وكانت الحركة بطيئة وحاول رجال  
الاستطلاع تجنب القوات القريبة من البحيرة المرة ، واضطروا الى التأخر معنا وهناك .  
مرت ساعة قبل ان يعلن فريدمان انه قد عبر الكبان الرملية ووصل الى الطريق  
الممتدة على طول البحيرة المرة . وهذه هي الطريق المدعوة ( بالقاموس ) . كانت  
الساعة انذاك هي التاسعة تقريبا . ومن هنا توجهوا شمالا الى طرف البحيرة ،  
حيث الحركة اسهل بكثير . وتحرك رافي على رأس الرتل وخلفه فصيلة من  
الدبابات ، كما تحركت خلف رجال الاستطلاع كتيبة مدرفات من تشكيلة الاختراق  
ووراءها كتائب من المظليين . ولم يشعر المصريون بشيء حتى الان ، ولم يطلقوا أية طلقة .  
قامت احدى سرايا الاستطلاعية بالاستيلاء على المعقل الخالي الواقع  
شمالى البحيرة المرة الكبرى ، قرب مدخل القناة بالبحيرة . وبجانب المعقل  
الذي يطلق عليه ( متسعد ) توجد ساحة واسعة محاطة بسور ، وكانت القسوة  
العبارة مستجمع فيها .  
ألقي المظليون قوارب المطاط الى الماء ، وكان التوتر شديدا ، ثم صعد  
اوائل الرجال على الحاجز الشاهق الواقع غربي القناة ، وبعد ان تبين لهم  
انه لا يوجد مصريون هناك ، بحثوا باشارات ضوئية الى الجهة الاخرى للقناة ،  
ونادوا بجهاز الاتصال ( لقد أقمنا مركزا لنا . . اننا الان في أفريقيا ) . وقامت  
القوارب المحملة بالمظليين بقطع القناة نهائيا وايابا وسرعة لنقل القوات  
الى غرب القناة .  
كانت سرية رافي تتحرك الى الشمال من موقع العبور . وكان عليها البدء  
بعملية تطهير المنطقة ، وكانت المنطقة الشمالية تزخر بالمصريين ، وثمينة  
شاحنات كثيرة بداخل حفر عميقة ، كما كان هناك مراكز مدافع ودبابات .

يبدو أن المصريين قد اعتقدوا ، في البداية ، أن امامهم رتلا من قواتهم وان هؤلاء يطلقون النار عليهم فأصيبوا بذهول . واشتعلت النيران في بعض المركبات . وشوهد المصريون على ضوء اللهب المتصاعد وهم يفرون ، ولم يبق الذخيرة الخريصة من القناة قام المظليون بتطهير راس الجسر ، وكان الشعـور لدى سرية رافي جيدا ، والعملية تتقدم كما ينبغي ، وحتى الان لم يظهر المصريون مقاومة شديدة . وكان المصـاب الوحيد هو أحد افراد مصفحة عامي فريدمان ، وكان قد اصاب بفعل شظية ، كما جرح عامي في عينيه .

\*\*\* \*\*

بعد منتصف الليل اشتدت النيران المصرية . ووصل الى الساحة الواقعة قرب القناة المعدات الالية الاولى . ولكن الكتيبة المدرعة التي كانت تسعى الى توسيع راس الجسر الى الشمال قليلا ، باتجاه المزرعة الصينية ، قد واجهت مقاومة شديدة ، فلقد ادخل المصريون في العملية دبابات كثيرة ومفارز من حاملي الصواريخ المضادة للدبابات ، وكان القمر المكتمل يساعد المصريين الموجودين في مراكز دفاعية . كما كانت النيران المتصاعدة من العربات المصرية المشتعلة تضيء المنطقة . وكانت النيران المصرية تغطي محوري ( الحنكسوت الطنين ) النازلين من الشرق الى البحيرة المرة . وكانت الطريق المارة في الكتيبان الرملية هي فقط المفتوحة والبعيدة عن مرعى النيران .

استدعت سرية رافي لمساعدة كتيبة المدرعات التي كانت تقاتل جنوبي المزرعة الصينية . وفي الساعة الثالثة كانت السرية الاستطلاعية تقاتل السرية جانب كتيبة المدرعات . وفجأة فتحت عليها نيران الدبابات من الخلف . وتردد رافي في الرد على النيران ، فاقد اعتقد للحظة ان النيران قادمة من قوة اخرى تابعة للجيش الاسرائيلي . وتلقت الضربة الاولى مصفحة عامي فريدمان التي تقدمت فرقة شارون الى غربي القناة ، واصيب خزان الوقود فيها فاشتعلت فيها النيران ، ونجح اثنان فقط في القفز الى خارجها وهم عامي وجندي آخر وبقي في المصفحة ستة قتلى من ضمنهم المضمـد الذي عالج عين عامي الجريحة . وانطلق اسحق اجام من عربته لمساعدة المصابين وفي نفس اللحظة انفجرت المصفحة المشتعلة ، وكان عامي والجندي مستقلقيين في مكان قريب وقد اصيبا بحروق .

وفي الطرف الاخر من سيناء ، كانت المنطقة كلها عبارة عن ساحة قتال . وقام  
المصريون بمحاولة لسد الطرق في وجه القوات التي كانت تحاول الدخول الى  
غربي القناة وفجأة سمع اسحق اجام في جهاز الاتصال صوت ضابط عمليات  
الكتيبة الذي كان ينادى على رافي . فالى الجنوب قليلا وقرب المعقل الخالسي  
الواقع قرب القناة ، اصيبت دبابة قائد الوحدة الاستطلاعية ، وفي هذه الاصابة  
قتل يوآب بروم الذي كان قد تلقى قيادة الوحدة بعد مقتل قائدها السابق  
في الايام الاولى من الحرب . وقام ضابط العمليات بالبحث عن رافي لينقل اليه  
القيادة ، ولكن رافي لم يرد على هذه النداءات .

وقال اسحق اجام للجندى الذي كان بجانبه ( ان رافي لا يجيب ) ، فأشار  
الجندى الى دبابة تشتمل فيها النيران على مسافة عشرات الامتار ، وقال تلك  
هي دبابة رافي . وبينما كان ضابط العمليات يبحث عن رافي كي ينقل اليه  
القيادة ، اخترقت قذيفة من النوع الخارق للمدركات برج دبابة رافي ، فقتل  
رافي واثنان من افراد طاقمه في الحال . ولم ينج سوى سائق الدبابسة  
الذى كان مذهولا ومنظريا .

في غرفة العمليات التابعة للجبهة كان حاييم بارليف ، عم رافي ، يصغى  
الى جهاز اللاسلكي ، وكان يستمع الى أوامر المعركة المصادرة لتشكيلة الاختراق  
وقد سمع لتوه نبأ مصرع قائد الوحدة الاستطلاعية ومن قرار نقل القيادة الى  
ابن اخيه رافي . ولم يكن يعلم بأن رافي ايضا قد قتل في هذه اللحظة .  
وتلقت دبابتان أخريان من سرية رافي اصابات مباشرة . وقام اجام بتجميع  
المصابين من العربات وتركيزهم في احدى الحفر التي اعدتها المصريون في  
المنطقة . واصر قائد كتيبة الدبابات أمرا للدبابات التي بقيت من وحدته ومن  
السرية الاستطلاعية باعادة تنظيم نفسها . وتم تخصيص ثلاث مصفحات لاختلاء  
الجرحى ونقل عامي في المصفحة الاخيرة . وتوجه الجميع الى محطة الاخلاء  
التابعة للكتيبة ، والموجودة في الجنوب قرب البحيرة المرة الكبرى في احد  
المعاقل التي تم السيطرة عليها من جديد ويدعى لققان .

لم تصل المصفحة التي كانت تقل عامي الى محطة الاخلاء ، فلسبب ما انصرف

سائق المصفحة الثالثة عن الطريق ، ودخل في قناة قريبة . ولم يشعر احد من ركاب العربتين الاماميتين بالامر ، فكل ما يذكرونه هو انه بالقرب من ذلك المكان اطلقت تجاههم عدة طلقات من قذائف البازوكا . وعلى امتداد الطريق انضمت اليهم من الخلف عربات اخرى ، وكانت تحمل جرحى بدورها ايضا لذلك لم يشعروا بفقد المصفحة التي نزلت الى القناة . وبعد ذلك بعدة ايام وجدت المصفحة التي قتل فيها عامي وكان بداخلها جثتان ، وحولهما جثث بقية ركابها . واتضح انهم استمروا في التقدم بداخل القناة حتى وقعوا في كمين مصري . وحسب الامثلة التي وجد فيها ركاب المصفحة ، يبدو ان معظمهم - ومن ضمنهم الجرحى - كانوا قد قفزوا من العربة وانتظمو للدفاع من حولها ، وقد قتلوا في المعركة من اصابتهم بطلقات .

١٦ تشرين اول ١٩٧٢

ومع اقتراب الصباح وصلت المعديات الالية الى الساحة الواقعة على الضفة القناة ، وقامت آلة حفر ضخمة بهدم سور الساحة الخري ، وبهذا فتحت الطريق للقناة ، وقامت آلة حفر اخرى بجرف المانع الترابي الكائن على الضفة الغربية ، وانسابت المعدية الاولى الى الماء ، واسرعت الدبابة الاولى بلا صبر . وبعد دقائق معدودة بدأ محرك المعدية بالعمل ، واتجهت الى الضفة الغربية من القناة ، حاملة الدبابة الاولى . وكانت هذه لحظة رائعة ، فالمظليون على الضفة الغربية لن يبقوا وحدهم ، اذ ان الدبابات ستؤمن لهم حماية مدروعة . ووصلت معديات اخرى وقامت بنقل دبابات جديدة الى الضفة الغربية ، دبابة اثر دبابة . لم يكن هذا عبورا سريعا ، فلقد كان نقل الدبابات يجرى ببطء ، ولكن هذا التيار الدقيق كان يجرى باستمرار .

كان العمل يجرى في القناة بهدوء ، ولم يكن المصريون غربي القناة يزعجون المظليين ، اذ ما استثنينا القصف المدفعي القصير والشديد . ولم يكن الامر كذلك على المحورين الرئيسيين المؤديين من شرقي رأس الجسر الى الشمال باتجاه المزرعة الصينية ، فهذان الطريقان كانا مسدودين في الواقع ، وكانت طريق الكثبان الرملية من الجنوب هي الوحيدة المفتوحة .

على الطريقين الرئيسين - العنكبوت والطنين - وفي المنطقة الواقعة  
شمالهما ، انتشرت الشواهد الدالة على المعارك الشديدة التي وقعت في اثناء  
الليل . فقد كان هناك العشرات من العربات والدبابات المحترقة والممزقة .  
وكانت هذه الدبابات مصرية واسرائيلية تواجه بعضها البعض . وكشف ضوء  
الصباح على انه قد حصلت معارك دبابات وجهها لوجه من على بعد أمتار  
معدودة . وكانت اصابات المصريين أكثر ، ولكنهم نجحوا في اطلاق هذين  
الطريقين . وكانت الطريق الجنوبية ( العنكبوت ) مغطاة بنيران البنادق الرشاشة  
والدبابات ، وكانت الوحدات المصرية تسيطر من مسافة قريبة على الطريق  
الشمالية ( السطين ) ، والتي هي عبارة عن طريق ترابية عرضها حوالي سبعة  
امتار . ومع اقتراب الصباح نزل من جهة التجمع المصري ، الواقع في المزرعة  
الصينية المئات من الجنود المصريين واستحكموا بالقرب من الطريق . وكان  
هناك العديد من الدبابات المبحثرة من خلفهم وبينهم .

لم تكن تشكيلة الاختراق في وضع جيد ، فقد اصيب لها دبابات كثيرة في  
اثناء الليل ، ولم يبق سوى بضع عشرات منها ، كما قتل العديد من افرادها  
وكان ينقصها ذخيرة من كافة الانواع . ورغم كل ذلك ، فقد ألقيت عاصي  
شارون مهمة الاستيلاء على مفرق الطريقين الصلعد من الجنوب وعلى طول  
البحيرة المرة والمدعي ( بالقاموس ) والقادم من شرقي (الطنين) . ووجدت  
القيادة بارسال طائرات للمساعدة ، ولكن اتضح خلال فترة قصيرة ان هذه  
الطائرات لن تصل لسبب ما .

وبينما كان الحديث ، في اجهزة اللاسلكي ، ما يزال يدور حول السيطرة  
على مفرق الطرق ، سقطت عشرات القذائف بالقرب من قيادة شارون ، وكانت  
هذه واحدة من اشد الخارات منذ بدء العبور . وكانت الانفجارات شديدة  
لدرجة انه لم يكن بالامكان معها سماع شيء في اجهزة اللاسلكي . وتقرر  
امعاء قوات شارون من القيام بهجوم على مفرق الطرق ، كما تقرر قيام تشكيلة  
الاختراق بالانسحاب قليلا الى شاطئ البحيرة المرة باتجاه معقل (لققان) ،  
حيث تمديد تنظيم نفسها وتلقى الوقود والذخيرة . كما تقوم كتيبة دبابات



قرب الجسر جوني ، ضابط الهندسة القيادي ، وحاييم رزون من افراد سلاح  
الهندسة وقد عمد هؤلاء بتصليح الجسر خلال ساعة أو ساعتين .  
وكان المشور في قيادة الجبهة هو ان العبور مشكوك فيه ، فبعد ثمانتي  
عشرة ساعة من بدء العملية ، لم يتم اقامة اي جسر على القناة . كما أن شارون  
لم ينجح حتى الظهور ، في تعزيز المظليين غربي القناة الا بسبع وعشرين  
دبابة . وكان الحبل السري الذي يمد هم دقيقا للغاية بحيث يمكن ان ينقطع  
بسهولة . . . وكانت عملية جيش الدفاع الاسرائيلي هي عبارة عن هجوم قامت  
به قوة مدرعة استندت منذ البداية على معدات اقامة جسور ، هزيلة وقليلة . ولم  
تنجح حتى الان الا في غزاة واحدة في تجمع (العدو) ولم تكن هذه حملة  
عبور عادية الى الضفة يسيطر عليها (العدو) ولكنها حملة عبور توجد فيها ضفتي  
القناة بيد (العدو) ويتعين فيها ، قبل كل شيء ، شق الطريق عبر الحاجز المائي .  
منذ ساعات الصباح وموشه دايان في غرفة العمليات التابعة لقيادة الجبهة  
وقام باستطلاع الخرائط ، والاستماع بقلق الى تقارير عما يجري في راس الجسر .  
وقال دايان : ( اننا اقترح اعادة القوة بما فيها المظليون والدبابات ) . وساد  
صمت . ولم يكن هذا امرا ، بل اقتراحا ، واعرابا من قلق .  
وقام جوني بالرد اولا ، فعارض الاقتراح ، فهو يرى ان على قوات شارون  
وادن أن تقتحم المحاور وأن على الجسر أن تقام . كذلك عارض بارليف  
اقتراح اعادة المظليين .  
وشرح بارليف الامر بقوله ( ان المصريين لن يذبحوهم ، وانما لم تسيطر  
الامور كما ينبغي فسنعيد القوات بنفس الطريقة التي عبرت فيها . وبهذا  
نكون قد خسرنا عدة عشرات من الدبابات المحترقة .  
وقال دايان : ( انما أقبل هذا الرأي ، ولكن يجب تحديد خط أحمر  
اي الوقت الذي ستعاد فيه القوات من الطرف الاخر انما لم يقم الجسر  
حتى ذلك الوقت ) .  
كان شارون في اثناء هذا النقاش موجودا غربي القناة ، وكان قد استقل  
احدى المحديات في الصباح ، واستمع من رجاله عن الممارك الاولى غربي

القناة ، ومن دخول المصريين الذين اصطدموا معهم ، وقام شارون ببلورة  
اقتراح لتشيير خطة الهجوم ، وبموجبه لا تقوم فرقة بتوسيع راس الجسر  
والسيطرة عليه ولكن تعبر كلها حالا ، وسيكون العبور صعبا وبطيئا ، لان الجسور  
غير معدة بعد ، ولكن من الممكن العبور بواسطة معدات وفي نفس الوقت  
تقوم فرقة ادن باقتحام المحاور المسدودة وتتمركز في الاجنحة لحراسة رأس  
الجسر ، اى ان فرقة ادن لن تعبر القناة اولا عندما تقام الجسور ، بل ستقوم في  
الوقت بتبادل المهمات مع فرقة شارون بسبب التطورات في المنطقة .  
بعد ذلك تأتي الفرقة الثالثة . وهذه في الواقع هي الخطة الاصلية  
لفرقة شارون ، ولكنها سحبت قبل العملية وتقرر مكانها خطة القيادة . والازولى  
اثر افلاق المحاور الى راس الجسر والصعوبات في توسيعه ، اثار شارون  
المسألة من جديد حيث ان الوقت ضيق ومن الافضل المخاطرة بنقل القوات  
جديدة قبل اقامة الجسور على القناة . فطالما لم يصح المصريون من ذهولهم  
فمن الممكن الوصول الى انجازات لا بأس بها غربي القناة .  
كان أمام القيادة اقتراحان متباينان : اقتراح دايان بايقاف عملية العبور  
واعادة القوات ، او تقرير سعة معينة لايقاف العملية اذا لم تكن الجسور قد  
اقيمت حتى ذلك الوقت ، واقتراح شارون بالاستمرار في العملية رغم كل شيء  
ونقل مدريات جديدة على المعدات وقبل اقامة الجسور .  
لم يستطع كل من دايان وشارون الفوز باقتراحه ، وكان بارليف هو الذي حسم  
الامر ، وتقرر الاستمرار في الخطة كما حددت في البداية فالقوات التي عبرت  
القناة تستمر في عملها ، اما ادن فلن يعبر حاليا . وبدلا من ذلك تنقل اليه  
مسؤولية اقتحام المحاور الى راس الجسر ونقل معدات اقامة الجسور الى  
القناة . واسند الى نائب ادن مهمة نقل معدات اقامة الجسور الى الساحة  
الواقعة على الضفة القناة ، ومعالجة أمر هذه المعدات .  
لم يكن قائد تشكيلة الاختراق راضيا عن هذا القرار فهو لا يريد الاكتفاء  
بمهمة مقتحم الطريق بل كان يرغب في العبور فورا مع مدرياته . وكان يجبر  
بذلك عن ارادة شارون . وتوجه الى بارليف بالسؤال : ( سيدى القائد



ايضا اكثر أهمية - كتيبة دبابات هنا قرب الجسر او قرب القاهرة ؟ . افتراض  
بارليف من هذا السؤال واجاب بصوت عال : ( ان كتيبة مدرمات قرب القاهرة  
تعتبر كتيبة ميتة اذا لم يكن لنا محور مفتوح وجسر ، وانا اطلب منك تنفيذ  
مهمتك بلا فلسفة ) .

لم تكن القيادة المصرية العليا تعلم بما يجري بالضبط شمالي البحيرة المرة  
وغربي قناة السويس . وكا وا في الجيش الثاني يعتقدون أن قوة اسرائيلية صغيرة  
قد عبرت القناة ، اى قوة افارقة صغيرة ما تلبث ان تعود بسرعة ، والافستد مر سهولة .

\*\*\*

ألقى الرئيس السادات خطابا في جلسة خاصة لمجلس الشعب ، ووصف تسلسل  
المحارك ، ولكنه لم يتناول بكلمة واحدة عن دخول جيش الدفاع الاسرائيلي الى  
مصر غربي القناة . وتحدث الرئيس المصري للمرة الاولى عن استعداد له لتوقف  
اطلاق النار ، ولكن بشرط ان توافق اسرائيل على الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ .  
لم يكن في التقارير الواردة من الجبهة ما يبعث على القلق وكان اهتمام  
السادات موجها هذا اليوم لضيف كبير وصل في زيارة مفاجئة . فقد حضر رئيس  
وزراء الاتحاد السوفياتي ، كوسينجين ، لاخذ صورة عما يجري في مصر ، واسم  
ينشر المصريون نيا قدومه .

فهم زعماء الكرطيين بان الحرب في الشرق الاوسط قد وصلت الى مفتقر  
طرق . فالعرب لم يكن بإمكانهم الوصول الى مكاسب عسكرية جديدة ، بعد أن  
استنفدوا قوتهم في الواقع . وفي سوريا يقف الاسرائيليون في مرمى المدافع  
من دمشق ، وكان الجسر الجوي الروسي يقوم بنقل معدات كثيرة الى الجيش  
السوري ، ولكن الطائرات الاسرائيلية تقوم الان باماعة حركة القطارات والحربات  
في ارجاء سوريا . وكانت اربعة من الجسور الكبيرة المتماثلة على هذه الطرق قد  
اصيبت من الجو ، وما تبقى هو المحافظة على انجازات الجيش المصري قرب  
القناة . واقتربت اللحظة التي سيكون فيها على الاتحاد السوفياتي أن يحصل  
على ايقاف المحارك . وكان من المفيد وجود مندوب على أعلى مستوى من قبل  
الزعامة السوفياتية في المنطقة بحيث يستطيع أن يشعر حالا ويصرف ما يجري

لم يزعج المصريون كوسيفن في يوم قدومه بروايات عن القوة الاسرائيلية التي عبرت القناة . واصدر اسماعيل عاي ، وزير الحربية المصرية ، امر الى قائد الجيش الثاني بعدم ترك القوة الاسرائيلية تفصل ما يحول لها . ولم تكن وجهة الاسرائيليين معروفة ، ولذلك كان من الافضل توجيه هجوم مدرعات وكوماندو ضد هم بلا تأخير . وقام قائد الجيش الثاني بلمانة وزير الحربية ووعده بالقيام بهجوم في نفس اليوم .

ولكن حتى مساء هذا اليوم لم يقم المصريون باى عمل . وكان المظليون والمدربات التي معهم يقومون بمهمتهم بدون ازعاج ، وقد اصابوا بعض العربات ومراكز المدافع ، كما اصابوا بطاريتي صواريخ ومع المساء ، عندما تلقوا امرا بالعودة الى قرب القناة ، كانت الدبابات قد توفلت اكثر من عشرين كيلو مترا في الاراضي المصرية .

وفي خطابها بالكنيست الاسرائيلي ، قالت فولدا مئير جطة قصيرة مبهممة جاء فيها : ( في هذه الساعة تعمل قوة من جيش الدفاع الاسرائيلي في الجبهة الغربية من القناة ايضا ) . كذلك فان مناحيم بيغن ، زعيم المعارضة ، السدى ، خطب بعدها ، و اشار الى عملية جيش الدفاع الاسرائيلي وراء القناة . وكان بيغن قد تحدث هذا الصباح مع شارون وسمع منه للمرة الاولى عن عملية الاقتحام لغربي القناة . ولم تورد رئيسة الحكومة تفاصيل ، كما لم تذكر اهداف الحملة . وفي قيادة الجبهة لم يكونوا راضين عن بيانها . فقد قال القادة هناك انه كان من المستحسن لو انتظرت فولدا حتى الغد ، وذلك لزيادة بلبله المصريين .

كان الاهتمام كله في الجبهة موجها الى اقتحام المحورين اللذين كان سينقل عليهما معدات اقامة الجسور . وكان المئات من سلاح المشاة المصريين يريضون في احد هذين المحورين . وكانت الايام الاولى من الحرب ما تزال حية ومؤلمة ، وذلك حينما اوقع سلاح المشاة المصري بالمدربات الاسرائيلية باستخدامه الصواريخ وقذائف البازوكا . وفي خليج السويس ، كان هناك لسوء مظلي في الانتظار . وقد القي عليه وعلى المدربات تبعة اخلاء المحاور المسمى

راس الجسر . وارسلت دوائر عمودية لنقل المظليين للقطاع الاوسط من الجبهة .  
ومع المساء ، وعند وصول المظليين ، تحدث بارليف في اللاسلكي مع قائد قسم  
وقال له : ( ان فتح المحور يعتبر أمرا حيويا ، وحيث ان النجاح كله معلق بسره  
ويدون هذا النجاح لا عرف كيف ستتقوى الحرب ) .  
وقام قائد المظليين بنقل اقوال بارليف الى اركانها ، وكان عليهم القيام بعمل  
كبير ، وكان الوقت يسرا ، وهم يدخلون في المعركة بدون ان يكونوا قد  
تلقوا اعدادا كافية . ولم تكن صورة ( المدر ) في المنطقة كاملة . فقد قيل  
للمظليين بشكل عام ان المصريين يسيطرون على المحور الشمالي ، وليس أكثر .  
وفي البداية دخلت المدفعية كتيبة وخلفها قيادة اللواء . . وتم الدخول على طول  
المحور بدون دعم مدفعي او جوي . كذلك لم تكن الدبابات ترافقهم عن قرب .  
قطع المظليون ثلث مسافة الطريق بمحارك قاسية ، ثم اصبحوا لا يستطيعون  
حراكا . وكانت اكثر من عشرة مدافع رشاشة من طراز فور يونوب توجه نيرانها  
الى الطريق وتخطيها بنيران النيران وفجأة تبين للمظليين انهم قد دخلوا  
في موقع مصري مجهز كما ينبغي . وكانت اطراف الموقع تصل الى المحور الذي  
كان على المظليين اختراقه . . وكان امتداد الموقع يرتكز على مباني المزرعة  
الصينية . ولم يكن للمظليين خيار سوى الانقضاض على مراكز المدافع الرشاشة .  
وتمكنوا من دفع المصريين عن بعض هذه المراكز ، ولكنهم تركوا على كل متر من  
الطريق التي فتحوها حيثما اخترقتها النيران فلقد كانت المحارك تجري من  
مدى قصير لا يتجاوز عدة امتار . وكان للمصريين تفوق في النيران ولم يكونوا  
بحاجة للخروج من مواقعهم للانقضاض .  
كانت سرايا المظليين مبشرة في المنطقة ، وكل واحدة منها تقاتل  
قتالا شرسا وهنيئا . وحتى طلوع السيفجر كان قد قتل أربعة من قادة السرايا  
كما جرح قائد سرية آخر بصورة خطيرة . . وسقطت بعض القذائف وسط جماعة  
القيادة وقتلت بعض الرجال . وكانت المشكلة الان هي ايجاد مخرج من  
النيران المصرية . وكانت هناك قرب الطريق قناة واسعة ، استعملت قبيل  
سنوات من قبل المزرعة الصينية . وكان في طرفها قوة مصرية ، ولكن المظليين

دفعوها للخارج ووجدوا لهم مأوى في القناة . وكانت هذه تحميم من النيران  
ذات المسار المسطح .

ولكن سرعان ما اكتشف المصريون ان معظم القوة الاسرائيلية قد دخلت في  
القناة ، فقاموا بصب نيران مدفيعتهم عليها ، واصبحت نيرانهم ادق من  
لحظة الى اخرى .

كان احد المختبئين في القناة قد اشترك في عملية بيروت ضد قيادة الجبهة  
الشعبية الديمقراطية . وقد اعتقد في ذلك الوقت انه ليس هناك اشد واكثف  
من النيران التي كانت تنصب من مبنى القيادة . . اما الان ، فانه يرى ان تلك  
المعركة كانت كلعبة اطفال بالنسبة لما يجرى مقابل المزرعة الصينية .

طلع الفجر على المظليين وهم محشورون في القناة الطويلة . فبدلا من أن  
يقوموا بفتح المحور ، وقعوا في كمين من النيران . ولقد نفذت الذخيرة لسدى  
معظمهم ، وكان هناك مظليون ممن لم يبق معهم سوى طلقة واحدة أو طلقتين  
والم تستجب جميع نداءاتهم بطلب الذخيرة حتى الان .

١٧ تشرين اول ١٩٧٣

كان اسهل على المصريين تسديد نيران مدافعهم نحو المظليين في ضوء  
النهار ، وكان جميع الجهد المصرى موجها الى الطريق الترابية والى الطريق  
الواقعة جنوبها . وكان الوضع اكثر هدوءا على الضفة قناة السويس ، في المكان  
الذى عبر فيه المظليون مع بعض الدبابات . وفي الليل ومع الضوء الاول ، قامت  
المعديات بنقل دبابات جديدة ، وبلغ عدد الدبابات الموجودة غربي قناة  
السويس ستا وثلاثين دبابة اسرائيلية . ومع أنه كان باستطاعة هذه القوة  
ضرب المصريين والحقاق الضرب بهم ، الا انها لم تكن قبضة مدربة بعينها  
يمكنها توسيع حملة كبيرة .

لم يكن المظليون يعرفون ما يجرى قرب قناة السويس ، وكان كل مهمهم هو  
الخلاص من المأزق الذى وقعوا فيه . . وقد حاولوا تخليص انفسهم ، وشعر  
قائدهم بان قواته قد وصلت الى نهاية طاقتها . ولم تعد المعركة من اجل  
شق الطريق ولكن لتخليص الرجال . وفي البداية توجه قائد المظليين

الى رئيسه اللواء ادن وطلب منه اننا بالانسحاب من اجل اعادة تنظيم قواته .  
وتردد ادن ، ولم يكن يريد الموافقة بدون اخذ تصريح من قيادة الجبهة . وقام  
ادن بارسال تقرير اللواء جونين عن المصابين الكثيرين لدى المظليين .  
وكرر قائد المظليين طلبه امام اللواء جونين ، وكان الجواب اكثر وضوحا  
هذه المرة : (على المظليين البقاء في مكانهم ) . وقال جونين : ( يجب اخلاء  
الجرحى فقط ) . وكان واضحا ان قيادة الجبهة ترى صورة المعركة بشكل يختلف  
عما يراه قائد المظليين في الميدان . وكان قائد المظليين مضطربا لما مر به  
افراد ه منذ امس عندما بدأت عملية لشق الطريق . وكان ما يزال يذكر اقوال  
بارليف عن أهمية المعركة . فهو لم يكن ليطلب الانسحاب لو لم يكن يعرف وضع  
رجال ه ، وهو لا يريد التخلي عن الطريق ، ولكنه يطلب استبدال قوته بقوة اخرى .  
لم يكونوا في قيادة الجبهة يشعرون بذلك . بل كانوا مقتنعين بان المظليين  
يقومون بتأمين جناح راس الجسر . وان اخلاءهم سيؤدي الى قيام المصريين  
بزيادة تفويض بحيث يخلقون الممر تماما ، ولكن الامر لم يكن كذلك ، فالمظليون  
لم يعودوا يحافظون على الجناح . وكانت هناك قوة مدروعة تقاتل في خط  
مواز لهم . وكانت الدبابات هي التي تمنع المصريين من قطع الممر الى راس الجسر .  
الجسر كان حاييم بارليف الذي توجه لزيارة اللواء (ادن) قد اطلع على حقيقة  
الوضع في اثناء وجوده بالمنطقة ، فقام باصدار الموافقة على اخلاء المظليين .  
وفي الحقيقة ان تخليص المظليين من المنطقة التي تضررها النيران لم يكن  
بالامر السهل ، اذ ليس بإمكانهم قطع الاتصال والخروج مكشوفين من المنطقة .  
ولم يكن بالإمكان اخراجهم الا بوساطة مصفحات ، وقد جرى اخراجهم فسي  
مجموعات صغيرة مفرزة اثر مفرزة . وكان اخر من بقي في المنطقة مجموعتان كانتا  
تقاتلان قرب المزرعة الصينية . وكانت المجموعة الاولى تضم ثمانية افراد والاخرى عشرة .  
حلت الدبابات محل المظليين وكان القادة في قيادة الجبهة ، وهم من رجال  
المدربات البارزين ، يفهمون جيدا انه بدون سلاح مشاة ، سيصعب على جيش  
الدفاع الاسرائيلي توسيع راس الجسر ، وقد هجمت سلاح المشاة المصري .  
لذا صدر الامر بارسال قوات مشاة اخرى ، وقاموا بتجميع سرايا من المظليين  
من كل جهة وركزوها من الخلف لاكمال المعركة .

قامت خلال الليل قوة خاصة من جيش الدفاع الاسرائيلي ، وهي الكوماندو  
البحري ، بعملية جريئة في بورسعيد . وكان الكوماندو والبحري قد قام في  
حرب الايام الستة بحملات في ميناء بورسعيد . ويمتد هذا الميناء الى الجبهة  
فكانت على طول النهر الشمالي للقناة وتنتشر مراسي الميناء في منطقة  
كبيرة . ودخل أربعة من رجال الضفادع الى الميناء من البحر ، وكانت السباحة  
صعبة ، حيث ان التيارات الشديدة في القناة وفي مداخل المراسي كانت  
تصيق السباحين .

وكان المصريون يقظين لاحتمال قيام رجال الضفادع الاسرائيليين بمهاجمة  
أقرب ميناء الى الجبهة ، فكانت زوارق الحراسة المصرية تتجول بين المراسي  
وفي القناة ، وتلقي بين الحين والاخر عبوات ناسفة في الماء . كذلك كان  
الحراس الذين يقفون قرب رصيف الميناء يقومون بالقاء عبوات ناسفة في الماء  
وكانت الانفجارات المكثومة تحدث موجات من الضغط القاتل تحت الماء .  
تسلل اثنان من رجال الكوماندو الى الحوض الذي ترسو فيه سفينتا انزال  
كبيرتان ، وقررا تركيز جهدهما في سفينة واحدة لتأمين افراقها ، وقاموا  
بالمصاق لجميع الالغام التي كانا يحملانها بسفينة الانزال هذه . وقد نتج عن  
انفجار الالغام فتح ثغرات كبيرة فيها ، فبدأت تخرق بسرعة . كذلك اصبحت  
السفينة الاخرى من جراء الانفجارات . وقام رجلا ضفادع آخران وهما امير  
وقمحي بالتسلل الى مرسى آخر ، حيث كان يرسو زورق صواريخ وزورق طوربيد .  
وقاما بسرعة بالمصاق الغمام العلقية على هذين الزورقين وافراقهما . ولكن عود  
أمير وحمي لم يحويا ولم يعرف مصيرهما ، ويبدو انهما قد اصيبا من احدى  
العبوات الناسفة . وقام احداهما بانتظارهما في مدخل الميناء ، ولكن عبثا .  
وتقرر المخاطرة والبحث عنهما في وضع النيران وأمام اعين المصريين المتطلعة .  
واقترت الزوارق حتى مدخل الميناء ، ولكن لم يكن هناك اى دليل على  
وجود المقاتلين . وشعر المصريون بالامر ، فقاموا بفتح نيران مدافعهم  
الشديدة باتجاه الزوارق . وبعد عدة ايام نشرت الصحف المصرية صورة لجثة  
رجل ضفادع اسرائيلي وجدت على حد قول المصريين في ميناء بورسعيد .

قامت دبابات ادن ر المصريين عن المحاور المؤدية الى شمالي البحيرة السرة ..  
 وكانت الدبابات تعمل من الجنوب الى الشمال ، وتتقدم ببطء خلال مصارك قاسية  
 .. وكان المصريون يقاومون بصلاب ، ولكن امكن ابعادهم عن المحور الجنوبي أولا .  
 كان نائب ادين - وهو المسؤول عن جسر العوامات - ينتظر هذه اللحظة  
 ونحو الساعة السادسة مهاجمت الدبابات التي تجر العوامة الاولى ، وكان يتقدم بها  
 تراكتور مهمته ازالة كل عائق بما في ذلك العربات المحترقة ، ونقلت العوامات الى  
 الساحة الواقعة على الضفة القناة ثم انزلت الى الماء فوراً .. وفي الساعة السادسة  
 وخمسة وعشرين دقيقة هبطت العوامة الاولى في قناة السويس ، واطلق رجال الهندسة  
 ورجال الدبابات صيحات الفرح .. وكانت هناك عوامات اخرى تتحرك على الطريق  
 وفي الساعة الثانية الاخيرى وقائى ورد خبر من الساحة عن وصول ثلاث عوامات  
 اخرى الى القناة . وكان هنالك حاجة الى عوامات اخرى لتغطية القناة التي يبلغ  
 عرضها في هذا المكان حوالي مئة وثمانين متراً ، ولإقامة اول جسر عائم .  
 في الساعة العاشرة وصلت العوامة الاخيرة الى الساحة ، ولم تكن جميع هذه  
 العوامات تابعة لوحدة واحدة .. وكانت كل عوامة تصل الى الطريق ترسل الى  
 الامام . ومن جهة طاسة قاموا بجر عوامات اخرى ، لبناء الجسر الثاني .  
 بعد خمس دقائق من وصول العوامة الاخيرة الى الساحة ، اشتد القصف  
 المصري . وكان القصف حتى الان كقطرات ثابتة من القذائف ، وتحول الان الى  
 ما يشبه الامطار الاستوائية من قذائف المدفعية ، وتنازل المدافع الكاتيوشا من  
 عدة عيارات . فلقد تمكن المصريون من تحديد المكان الذي عبر فيه جيش الدفاع  
 الاسرائيلي القناة ، وقاموا بتوجيه عشرات من بطارات المدفعية الى هناك .  
 تلقت احدى العوامات التي كانت في الساحة اصابة مباشرة ، وفتحت ثغرة  
 ضخمة في مركزها ، وقتل اربعة من افراد سلاح الهندسة كانوا على القناة ، وجرح

قائد المعديات فخلفه قائد اخر في الحال وبعد ذلك جرح قائد احدى وحدات

الصوامات .

كان رجال المعديات يحاولون في اثناء فترة الهدوء القصيرة بين القصف والاخر نقل بعض الدبابات . وتلقت احدى المعديات اصابة مأساوية من قذيفة ثقيلة ، فمالت وغطست بسرعة . وكان على المعدية دبابتان . وقام رجال الهندسة ، الذين كانوا يتقدمون المعدية ، بالقفز الى الماء ، ولكن الدابتين غاصتا بسرعة مع طاقميهما ولم ينج اي شخص .

امتلاء سطح القناة بالسلك الذي مات نتيجة لضغط الانفجارات . وكان هناك خطر مماثل يواجه الرجال ايضا . وقد سقط اربعة منهم كانوا لحسن حظهم يستعملون احزمة النجاة . وكان احد هم من كريات شونة فأصابته القذائف المنفجرة في الماء ببطنه . وحاول هذا الافلات من موجات الضغط بانقلابه على ظهره ، ولكن قذيفة اخرى سقطت بالقرب منه مما افقده وعيه ، فقام قائد ، بالقفز الى الماء وتمكن من انقاذ .

القيت المهمة الخطرة المتمثلة في اقامة الجسر العائم الاول على عاتق ثلاثة ضباط واحد عشر جنديا . واستمر هؤلاء في عملهم رغم النيران الشديدة . وعندما كان يصاب احد هم كان يخلفه جندي اخر .

كان الرائد شموئيل يعمل قرب حافة القناة ، وكان يدفع الصوامات للماء ، وواحدة تلو الاخرى بواسطة تراكاتور . وقامت مجموعة اخرى من الجنود برئاسة الرئيس يهودا حوده بايمان الصوامات ببعضها البعض . وقد نجح يهودا من جميع المرات الى أن جاء اليوم الاخير . ففي اثناء الفارة الاخيرة ، وقبل ان يبدأ مفصول وقصف اطلاق النار قتل يهودا من جراء اصابته بقذيفة كاتيوشا .

وفي مياه انشاة كان يعمل سديقه ، وتان يشي . وكان هذا يقوم بتوجيه الصوامات لاماكن الوصول . ولم يكن الخطر الذي ينتظره ناتجا عن شظايا القذائف والقنابل فقط ، ولكن ايضا من الضغط المتولد من انفجارات القذائف تحت الماء .

وعند الظهر ، قام القائد بالتشاور على أرض المعركة ، وذلك في قيادة اदन . وبالإضافة الى شارون وعمل بارليف والمآزار ودايان ، واصبح واضحا الان انه في



غضون ساعات محدودة ، وقد تجميع الجسر الاوّل بحيث يكون مصداً للمعبور ، ومع أن  
راس الجسر لم يوسع حجم الخطة ، فقد اقتراح بارليف تمكن شارون من عبور القناة  
من جزء من قواته لمجرد اقامة الجسر ، وعلى ان يبقى نائب شارون بجانب راس الجسر ،  
ويبدأ شارون نفسه في توسيع الهجوم خلف القناة ، وتضم الى قواته دبابات روسية  
من الفئتين .

رفض اقتراح بارليف ، فرئيس الاركان يرى انه يجب الاستمرار في الخطة كما  
تحددت في البداية ، وعلى شارون السيطرة على راس الجسر وان يكون مسؤولاً عن  
جهته الشرقية ايضاً ، وسيكون على اذن المعبور اولاً اما كلمان فيجب ان يستلقي  
هذا اليوم امراً بالتأهب لاستعداداً للتحرك .

استمرت المعركة في اثناء هذه المشاورات لزعزعة المصريين عن محاور الحركة  
الى راس الجسر ، ووقام سلاح الجو بالمساعدة في هذه المعركة بقذرة كبيرة ، وقامت  
طائراته واحدة تلو الاخرى بالاغارة على التجمع المصري قرب المزرعة السينية وشمالها  
والتيب الاف القابل على هذا التجمع الكبير ، ووجه الكثير من هذه القنابل ضد  
سلاح المشاة المصري .

ورد نبأ بان لواء مدرعاً مصرياً يصعد من الجنوب وعلى طول البحيرة لدعم  
الجيش الثاني ، والذي يحاول عبثاً قطع الطريق الى راس الجسر .

وتقرر ان يقوم اذن بالتصدي لهذا اللواء ، وان يؤجل مؤقتاً مهمة اعداد قواته  
المعبور ، ووضعت تحت امرته لهذا الغاية قوة كانت محفوظة كقوة احتياطية ، وانضمت  
وحدة اخرى بقيادة نتكه الى كمين الدبابات الضخم ، فكانت قوة تقوم بالصد من  
الشمال ، واخرى تنتظر في الجناح من الشرق ، وكان المصريون يتحركون شمالاً في  
رتل طويل فوقهما كهيئة سبابة في كمين المدرعات الاسرائيلي ، وخلال فتيرة  
قصيرة اشتعلت النيران في ثمان وثلاثين دبابة وحاملة جنود ، وحارات بتقوية  
القوة الانسحاب ، ولكن الدبابات الاسرائيلية احقتها واشعلت النار في دبابات  
وضربات اخرى .

واجه المصريون مشكلة صعبة ، فلقد اتضح لهم من خلال تقارير الطائرات  
الاستطلاعية ان العمارة الاسرائيلية ليست مجرد غارة عادية بحيث تقوم بالقوة

بعد الانتهاء من مهمتها . كما انها ليست عملية كوماندر هبل هي محاولة لاقامة  
راس جسر . وكان على القيادة المصرية الان ان تقرر ما اذا كانت ستعيد بعض  
قواتها من سيناء لمواجهة القوات الاسرائيلية التي دخلت الى غربي القناة ، أم انها  
ستستدعي بعض القوات المدافعة عن القاهرة ، وتقرر اختيار الامكانية الثانية .  
اقام المصريون خط صد جديد في الطريق الى القاهرة ، باشتراك قوات من  
المظليين والمدربات . وفي نفس الوقت اسدروا اوامرهم الى الجيش الثاني بأن  
يوسع هجوما مضادا من الشمال بمساعدة لواء آلي وكتيبيتي مظليين ، على أن يقوم  
الجيش الثالث بالعمل ضد راس الجسر من الجنوب بمساعدة قوات مدرعة من الفرقة  
الرابعة ، وتقوم هذه بارسال جزء من قواتها الى غربي القناة . كذلك تلقى سلاح  
الجو المصري اوامر بالعمل بصورة مركزة ضد راس الجسر الاسرائيلي .

قام سلاح الجو المصري هذا اليوم بمحاولة ثانية للنفوذ الى عمق الاراضي  
الاسرائيلية وألقيت المهمة على طائرات الميراج الفرنسية التي نقلتها ليبيا الى  
مصر ، وقامت ست طائرات ميراج بالاقلاع من قواعد في طنطا وطارت على ارتفاع  
منخفض فوق البحر ، وحاولت الدخول الى المنطقة الاسرائيلية قرب العريش . حيث  
كانت الطائرات الاسرائيلية قد اعدت لها كميناً وللطيارين الاسرائيليين دراية اكبر  
في استخدام طائرات الميراج . فخلال دقائق معدودة تمكوا من اسقاط أربع  
طائرات ميراج مصرية ، ولم تعد سوى طائرتي ميراج مصريتين الى قاعدتهما .  
وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ، كان الاسرائيليون مشغولين في وصل الصوامع  
الاخيرة في الجسر ، وكان يشرفوا على هذه العملية يهودا حود ، ولم يكن هذا  
بحاجة الى حث رجاله على العمل ، فلقد كان هؤلاء يعملون بحماس شديد . وفجأة  
اغارت عليهم طائرات ميغ مصرية . وكان هذا اكبر هجوم مركز على الجسر . واسباب  
احد الصواريخ الصوامع الاخيرة وفتح فيها شجرة كبيرة مما جعل الصبور على هذه  
الصوامع غير أمين ، كما ان فكها يستلزم وقتا كبيرا . وكان الحل هو استخدام  
دبابه من حاملات الجسور ، وقامت هذه الدبابه بمد جسرها على الصوامع ثم انسحبت .  
كانت الساعة هي الثالثة والنصف بعد الظهر . وقد اصبح الجسر الاول معددا  
للصبور . . وهكذا سبق سلاح الهندسة المدرعات والقوات اذن التي كان يتعمد  
عليها الصبور ولم تكن مستعدة بعد لذلك .

استغل شارون فرصة التوقف التي حدثت قرب الجسر ، فأثار من جديد اقتراحه بالسماح لقواته بالعبور أولا . وكانت الساعة الرابعة وخمسين دقيقة . وفي غرفة العمليات الحربية التابعة للجبهة كان رئيس الأركان موجودا فقسام بالرد على شارون : ( آرينسك ، انا لست موافقا على خططك ، عليك الاحتفاظ برأس الجسر وتمكين أدن من العبور ) .

— شارون : ( ان هذه لغلطة تاريخية واضاعة للوقت ) .

— السازار : ( انا لا اشتغل بالتاريخ ، وعليك ان تستمر بملك وان تنفذ ما يطلب منك وان تقدم تقريرا عن ذلك ) .

ولكن شارون لم يستسلم ، فبعد خمس دقائق من ذلك اتصل ثانية وكرر على طلبه بالعبور ، واجاب السازار : ( عليك اولا القيام بالمحافظة على رأس الجسر ، وبعد ذلك نرى ) .

استمر التأخير قرب رأس الجسر ، منا طويلا ، وكانوا في قيادة الجبهة يستحثون أدن لاستكمال اعداداته . وفي الساعة ١٩٤٥ اعلن أدن انه بحاجة الى ١٥ دقيقة اخرى . جونين : ( هذا ليس حسنا ، عليك ان تعبر فورا وان لا تؤجل الامور ) .

ادن : ( نحن بحاجة الى ملء الدبابات بالذخيرة والوقود ) .

جونين : ( عليكم اولا الاسراع الى الطرف الاخر ، ثم تملأون هناك ) .

تلقي قسم من الدبابات الوقود في اثناء المعركة ، على الطريق القريبة من المزرعة السينية ، والمركز المدعو مسوري . وفي ان قادة الدبابات كانوا يريدون العبور ودباباتهم مليئة بالوقود والذخيرة ، االا انهم قد تلقوا امرا بالاسراع .

اسرعت الدبابة الاولى الى الجسر ، وكان حماس سائق الدبابة للمهمة التاريخية الملقاة على عاتقه اكثر مما ينبغي ، فبدلا من ان يتحرك بسرعة ثمانية كيلومترات في الساعة ، حسبما تقتضي اوامر العبور على الجسر ، زادت سرعته عن ثلاثين كيلومترا . وعلى احد العوامات انحرفت الدبابة الى اليمين وهدمت حاجز الجسر . ومرت دبابات اخرى مما ادى الى تضعضع الجسر في مكان الاصابة ، والى احداث تاخير جديد في العبور حتى انتهاء التصليح . ولمنع تأخير اضافي ، تاملت المعديات بنقل الدبابات .

وفي نحو الساعة العاشرة ليلا ، وبعد ان تم تصليح الجسر ، عبر ادن مع قيادته .  
وكان القمر المكتمل ينعكس على صفحة مياه القناة . وفي الضفة الغربية من القناة ،  
تعرضت قيادة ادن لقصف ثقيل ومركزه وكان هذا القصف يتعرضون له منذ  
بداية الحرب . ووقعت القذائف ايضا قرب الجسر وفي الساحة وادت الى مقتل  
عدة اشخاص من بناء الجسر .

شعر المستشارون انه وفيات الذين كانوا الى جانب رئاسة الاركاب المصرية  
بالخطر على الجبهة . الجيش الاسرائيلي قد يعطل عليهم كل عملهم ولذلك  
قاموا هذا المساء بتقديم تقارير عما يجري الى رئيس حكومة الاتحاد السوفياتي الذي  
كان موجودا آنذاك في القاهرة . وزاد النشاط الروسي في حوض البحر المتوسط ،  
فقد شوهدت هذا اليوم في مضيق البوسفور خمس سفن انزال روسية في طريقها  
الى البحر المتوسط . وفي العاد ، ويوجد على متن الاسطول السوفياتي في البحر  
المتوسط سفينتا انزال فقط . وعندما مرت سفن الانزال في المضيق ، لم يشاهد  
عليها رجال . وكانت الاستخبارات الامريكية تعتقد انه ليس هناك بداخلها  
سوى كتيبتين من رجال البحرية ، وان الدبابات تشغل الحيز الباقى . وقد وصل  
الاسطول السوفياتي الان في البحر المتوسط الى ذروته ( ٩٥ سفينة ) . كذلك  
بلغ تزويد السلاح الى سوريا ومصر الذروة مع وصول سفن شاحنة روسية جديدة الى  
الموانئ التي اتجهت اليها . وقامت خمس عشرة سفينة شحن روسية بافراغ  
حمولتها في الموانئ السورية ، وكان من ضمن المعدات التي حملتها اربعمائة  
دبابة جديدة .

تجمعت على المحاور المؤدية الى رأس الجسر وبطنه ، ارتال طويلة من فوكة  
ادن . وكان عليها عبور القناة هذه الليلة . وفي نهاية احد الارتال كانت  
هنالك وحدة طبية تستعد للعبور .

١٨ تشرين اول ١٩٧٣

تمثل الارتباك المسرى ، الناتج عن التحول الذي حدث في الجبهة ، بالبيانات  
الرسمية عن المعارك . فلم تمد هذه تلك البيانات المتزنة في الايام الاولى من  
الحرب . ومع ان المتحدثين الرسميين كانوا يتحدثون عن معارك شديدة فسي

القطاع الرئيسي الا انهم كانوا يقللون من الاشارة الى عبور القناة • وقد ورد في احد بياناتهم هذا اليوم انه ( تملت في اثناء المعركة سبع دبابات اسرائيلية خلف الخطوط المصرية في منطقة البحيرات المرة غربي القناة ، وقد تم تدوير ثلاث من هذه الدبابات ، وتفرقت الدبابات الاربع الباقية ) •

كان الكسي كوسينين ، رئيس حكومة الاتحاد السوفياتي ، الذي أمضى يومه الثالث في القاهرة ، يعرف حقيقة الوضع • وكان واضحا للمستشارين السوفيات في مصر ، ان الجيش المصري لا يمكنه منذ الان تحقيق انتصارات جديدة • وكانت المكالمات الهاتفية التي اجراها هذا اليوم كوسينين من سفارة الاتحاد السوفياتي في القاهرة مع سكرتير الحزب ليونيد بريجنيف في الكرملين ، اكثر من جميع المكالمات التي كان كوسينين قد اجراها منذ وصوله الى مصر •

وكانت تقديرات كوسينين تتفق والمعلومات التي حصلت عليها الاستخبارات السوفياتية من اعمار التجسس الاصطناعية التي كانت تحلق فوق ساحة المعركة ، ففي كل يومين ، كان احد هذه الاقمار يهبط وفي جبهته صور عن حركة القوات وسير المعركة في الجبهة • وكان الروس قد جربوا لأول مرة اعمار التجسس هذه في الحرب الهندية - الباكستانية لحل لغز بعض الاجراءات التكتيكية في ساحة المعركة ، والان فانهم يقومون بتطوير وسيلة الاستخبارات هذه •

اصبح واضحا للكرملين انه قد حان الوقت لحدث الاطراف على وقف اطلاق النار ، وكان الروس حتى الامس يرفضون الاستجابة للاقتراحات الامريكية بهذا الصدد • وتحدث هذا اليوم ليونيد بريجنيف هاتفيا مع رئيس الولايات المتحدة وقال له انه من الاحسن وقف الممارك فوراً في الشرق الاوسط • وقام سفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن بنقل اقتراحات موسكو بوقف اطلاق النار وحل النزاع العربي - الاسرائيلي الى وزارة الخارجية الامريكية •

وكانت الانباء التي تتحدث عن وقف قريب لاطلاق النار هي الموضوع الرئيسي في ردات وزارة الخارجية الامريكية وفي اوساط الصحفيين بواشنطن • كذلك فان سمحه دينتس سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة الذي كان قد استدي لمقابلة وزير الخارجية الامريكية الدكتور هنري كيسنجر استمع الى نداء الاتحاد السوفياتي •

لم تكن الزعامة السياسية والعسكرية في اسرائيل تدرك حقيقة ان الجدول الزمني الاسرائيلي قد شارف على الانتهاء ، فقد قال وزير الخارجية ابا ايابان للمحفيين بانه لا يعلم شيئا عن اعدادات وقف اطلاق النار ، كذلك لم يشعر سياسيون اسرائيليون اخرون في الايام التالية بانه لم يتبقى سوى زمن قليل .  
ومع الفجر قامت قوات ادن غربي القناة باختراف خطوط الجبهة . . . وبعد أن كانت الدبابات الاولى التي عملت هنا قد اعيدت الى مكان قرب قناة الماء الحلوة ، فان هناك حاجة الان لاختراف التجمع المصري من جديد . ولقد قام المصريون في هذه الاثناء بنقل قوات كبيرة من المدرعات ورجال الكوماندو وكان الكثيرون منهم مزودين بصواريخ مضادة للدبابات .

ارسل المصريون بسرعة ياثة لواء مدرعا من الجيش الثاني في الشمال ، باتجاه راس الجسر ، وذلك لصد قوات ادن المتحمة . كما عمدت من الجنوب قوة من الفلسطينيين الذين يخدمون في صفوف الجيش المصري ، ولكن هذه القوات لم تتمكن من ايقاف دبابات ادن وظفرون .

كان الدعم الجوي ، في عملية الاختراف هذه ، افضل دعم تلقاه القوات البرية العاملة في الجبهة المصرية حتى الان . وكانت الطائرات تأتي على شكل موجات - وتعمل قرب المقتحمين ، كما كانت الدبابات التي عملت هنا قبل ذلك بيوم واحدا ، قد قامت بتدمير بطاريات الصواريخ في هذه المنطقة ، مما سهل الامر على السلاح الجوي . وشبكة الصواريخ ، في الجبهة المصرية ، مقامة بحيث تقوم كل بطارية بصواريخ ، بحماية وتغطية باقي البطاريات . ويعتبر هذا الغطاء المتبادل اكثر كثافة من شبكة الصواريخ التي اقامها الفيتناميون الشماليون قرب هانوي . والان ، ومع اقتحام الدبابات لغربي القناة . فان شبكة الصواريخ هذه قد تضررت ، واسبغ بإمكان الطائرات ان تختار الزاوية السهلة والاقبل خطورة للتقدم لمهاجمة البطاريات التي بقيت في الجبهة . وكانت المنطقة ما تزال تزخر ببطاريات الصواريخ التي تشبه في شكلها اوراق الزهرة .

وفي البداية قامت قوات ادن بشق طريقها الى الغرب ، ثم بدأت تبسط ظلها الى الجنوب ، وصدرت الاوامر للمدرعات بتدمير بطاريات الصواريخ واحدا تلو الاخرى .

كان هذا اخر يوم في الحرب بالنسبة لاسحق اجام من الوحدة الاستطلاعية ،  
فقد عادت وحدته منذ امس للقتال شمالي راس الجسر من اجل توسيعه ، واشتركت  
في محاولة دفع المصريين عن المزرعة الصينية وشمالها \* وامس عاد اجام وانفراد  
وحدته الى المكان الذي قتل فيه ، خلال الليلة الاولى للعبور ، رافي بارليف ،  
وكثيرون اخرون من اسد قائمهم \* وطلع عليهم الصباح في نفس السهل الموجودة فيه  
دبابه رافي المحترقة \* وكانت قذائف المصريين تطارد هم ، ولم يكن اثناء قيام افراد  
المهندسة هناك اية تلة او حفرة يختبئون فيها \*

ان اسحق اجام ليزكر جيدا الساعة التي اسبب فيها ، فمن راديو الترانزستور  
الذي كان في المصفحة سمع صوت مذيح راديو اسرائيل الذي بدأ بقراءة نشرة  
اخبار الساعة الحادية عشرة \* وتحدث المذيع عن انجازات جيش الدفاع الاسرائيلي  
في معارك القناة ، وفي هذه اللحظة اصيبت الدبابه بضربة هائلة \* وتذكر اجام  
محاولاته للنهوض والقفز من المصفحة المشتعلة فقد نجح في القفز والركض  
قليلا الى الامام ، ثم سقط جريحا في جميع انحاء جسمه ، وكذلك في عمود الفقري  
كما قفز معه خمسة رجال ايضا ، وبقي في المصفحة اثنان من القتلى \*

وقبل ذلك بساعة بدأوا بجزء الجسر الى القناة على طول المحور الشمالي  
( الذي قاتل عليه المظليون ) \* فلقد تقرر زيادة الجهد واقامة جسر جديد \*  
وكان من الخطر الاعتماد على جسر واحد في القيام بهجوم مدرع \* وكان الجسر  
الوحيد قد تلقى العديد من اصابت القذائف المباشرة \* وفي كل مرة كانت  
تحدث فجوة ، وكان رجال الهندسة يسرعون الى سد ها بالومل \* والجسر الثاني  
الذي كان سيقام هو ذلك الجسر الذي كانت اجزأؤه قد حشرت في اليوم الاول  
للعبور على بعد ثمانية عشر كيلومترا من القناة \*

لم تكن عملية الجسر سهلة ، واقامتها المهمة اثنتا عشر يوما \* وكانت الحال  
بتنقطع بين الحين والاخر ، مما كان يستدعي التوقف لاجراء التمهيلات اللازمة \*  
وكان يتقدم الدبابات ثلاثة تراكاتورات تتألف بلونها الاصفر ، وهي تراكاتورات مدنية  
خضعت لازالة كل عقبة عن الطريق ، وكان على هذه التراكاتورات ازالة الموانع  
الترابية التي تعترض الطريق وتعرض المرور \* وسارت على راس الرتل سيارة جيب

حدث هذا اليوم اسطدام جوى مع الطيارين الكوريين الشماليين الذين تمسك  
طائراتهم جنوبي القاهرة • ويوجد في هذه القاعدة ثلاثون طيارا من كوريا  
الشمالية • وقد اكتفى هؤلاء بمهمات دفاعية بطائراتهم التي كانت تحمل الاشارات  
المميزة المصرية • وقد امتنع الكوريون هذه المرة ايضا عن الدخول في معركة مع  
الاسرائيليين • وواتتصر هذا الاسطدام على تبادل اطلاق النار •  
وفي الواقع • فلقد احرز سلاح الجو الاسرائيلي تفوقا جويا في الساحة • وبلغت  
غاراته الجوية قرابة العشرة الاف • وقد قام هذا اليوم موشه دايان بسؤال بينسي  
بيلد عن مدى قدرة سلاح الجو على الاستمرار في القتال بهذا المعدل • فاجاب  
بيلد : ( من ناحية سلاح الجو ليست هناك مشكلة • وذلك لان لنا نفسا طويلا ) •  
ان سلاح الجو يضم طيارين وطائرات اكثر مما كان عليه الامر في حرب الايام الستة •  
ومع ان الحرب طويلة هذه المرة • وخسائرها كثيرة • الا ان الطيارين لم يكونوا  
بحاجة الى القيام بمعدل غارات يومية كما حدث في ١٩٦٧ • ومع ذلك فالقتال  
هذه المرة اصعب اضعا فاكثيرة • فلقد قام المصريون والسوريون باطلاق الالاف من  
الصواريخ • وهناك طيارون ممن اطلق عليهم المسميات من الصواريخ •  
كذلك قام سلاح الجو المصري هذا اليوم بجهد خاص في الجبهة • وكان هذا  
موجهها في معظمه ضد الجسر الاسرائيلي شمالي البحيرة المرة وفي البداية • قامت  
خمس عشرة طائرة ميج بالمهجوم • وبعد ها قامت اربع طائرات عمودية وحاولت القاء  
قنابل نابالم على الجسر • وكان مصير الطائرات الصمودية هو الاصب • فقد قام  
رجال المدافع المضادة للطائرات والمتمركزون قرب الجسر بفتح النيران عليها • وفي  
حين قامت الطائرات الاسرائيلية بمطاردة الطائرات المصرية الباقية • وقد سقطت  
طائرات هليكوبتر بين الاشجار الاوكاليبتوس غربي القناة • كما سقطت ثمانية  
طائرات ميج • وبعد ساعة وربع تقريبا قام المصريون بمهجوم مشابه • ومرة اخرى  
فقدوا بضخ طائرات هليكوبتر • وسبع طائرات ميج • ولم ترد عليهم هذه الخسائر •  
فمع اقتراب المساء قامت موجة ثالثة من الطائرات بالمهجوم • ومع ان الاضرار التي  
احدثتها كانت اكبر • الا انها لم تنج من تدمير الجسر •  
لم يتوقف القصف على المنطقة المحيطة بالجسر • وكان معظم النيران قادمة  
من شرقي القناة • ومن شمالي وجنوبي راس الجسر •



وسمها جوني ، مضابط الهندسة القيادي وقد القيت عليه تبة احضار اجزاء الجسر الى القناة ، وكان الى جانبه كبير ضباط الهندسة اسحق بن دوب . كان المحور بيد و مفتوحا لاول وهلة ، ولكن الدبابات الاسرائيلية كانت تقا تل على مقربة من الطريق بجانب المزرعة الصينية . ولتأمين الجسر وقاطريه ، تم تخصيص وحدة من الدبابات . ولم يكن افراد هذه الدبابات راغبين عن مهمتهم ، اذ كان عليهم التحرك ببطء ، بمعدل سرعة جراجزاء الجسر ، وقد جعلتهم هذه الحركة البطيئة هدفا ثابتا تقريبا لحاملي الموارىخ .

قام المصريون في الليلة الاخيرة بزرع الفام كثيرة على الطريق . ولكنهم نشروها على عجل . وقامت ثلاث عربات نصف مجنزرة بمعالجة امر هذه الالفام وازالتها وفي اثناء ازالة هذه الالفام عن الطريق سب المصريون قذائفهم عليها فأصبحت عملية ازالتها في اثناء انفجار القذائف من كل جانب صعبة للغاية . كما لم تكن هناك امكانية للانسحاب ، لان اجزاء الجسر كانت تسد الممر . وكانت الامكانية الوحيدة هي الاسراع في ازالة الالفام . وبدلا من ازالتها ببطء كان يتم اخراج صمام الامان منها ثم توضع على جانبي الطريق ، بما في ذلك من مخاطرة . وعادوا الى التحرك الى الامام ، ومر رجال الهندسة والقاطرون في المنطقة التي قاتل فيها المظليون حتى امس وكانت هذه عبارة عن وادي للموت . كانت عشرات جثث الجنود منتشرة من الاسرائيليين والمصريين . وكان بالامكان التعرف على الاسرائيليين بموجب احذية المظليين الحمراء . وكان القتلى المصريون ينتملون الاحذية السوداء .

اظهر جوني الى جثث المظليين الاسرائيليين " ها هو شخص آخر منا وثاني " وامر بن دوف جوني : تحرك الى الامام ولا تنظر الى الجوانب . لقد خشي ان يلفت بصرف منظر القتلى الكثيرين عن مهماتهم . وفي النقطة التي يلتقي فيها الطريقين الترابي من الطريق الاتي من الجنوب على طول البحيرات المرة توقفوا للحظة واحدة . يوجد هنا مرمائي كبير وسعد بن دوف فوته .

وكانت التراكورات تسير متناقلة فكان يجب الانتظار الى حين وصولها . وتوقفت

عربة الجيوب ، والسرعات نصف المجنزرة الثلاث ، على مقربة من المكان . وفي هذه اللحظة اغارت خمس عشرة طائرة موج مسرية ، وقامت بتوجيه نيران مدافعها وسواريتها فاصيبت عربة نصف مجنزرة خالية واشتملت فيها النيران . وعندما حاولت الاغارة مرة اخرى لالقاء قنابلها ، ظهرت في الجو طائرتا ميراج اسرائيليتان ، وسمح بن دوب جوني ينادى على رجاله قائلا : ( اتبعوني ) ، وراه يسبح تجاه مدخل قناة الماء ، وخلفه عدة رجال . وبعد ذلك خبا بن دوب راسه بين كتفيه وانتظر سماع الانفجار . وحصل دوى شديد ، وسمح بن دوب شخصا ما يصيح ( لقد جرح جوني ، لقد جرح جوني ) .

كان جوني مستلقيا على مدخل الممر المائي ، وكان بن دوب مقتنما بان جوني قد اصيب في الفارة . ونجاة تبين له ان هناك رجل كوماندا مسريا ضخما مستلقيا قرب جوني . وكان الاثنان قد اصيبا بجراح خطيرة ، كما كانا يتنفسان بمسوية وكان الدم يسيل من صدغ وجوني . وعلى ما يبدو فانه قد اعطدم برجال الكوماندا والمصريين عندما حاول البحث عن ملجأ في قناة الماء . ومن المؤكد انهم قد اطلقوا النار على بعضهم البعض . اصاب جوني اولهم واصيب برصاصة في صدغه . وفي الداخل بقي مصريون اخرون ، وانهمك الرجال في هذا الوقت في تطهير القناة - بالقنابل اليدوية . فارق جوني الحياة بعد ذلك بفترة قصيرة . وبعد ساعة من وفاته قتل على مقربة من الجسر ضابط الهندسة التابع لفرقة شارون يهود - دى ليثون الذي كان يوجه الحركة اثناء القصف .

واستمرت عملية السحب . وفي الساعة الحادية عشر انجزت عملية نصب الجسر . وفي هذا الوقت كان قد اقيم جسرين فوق القناة . وكانت المسافة بينهما تبلغ حوالي ٢٠٠ متر . وقام بحماية الجسور افراد الكوماندا والبحري خوفا من رجال الضفادع البشميرية المصريين . كانوا اثناء الليل يكثرون من القاء القنابل اليدوية الى الماء ، كما كانوا بين الحين والاخر يقومون بالغوص تحت الجسور . في الوقت الذي كان يقام فيه الجسر الكبير ، قامت الطائرات العمودية بنقل قادة الفرق الى قيادة الجبهة . وعند منتصف الليل تحددت محاولة لبحث الاجراءات القادمة والان فان الجميع في القيادة متفقون على انه من المستحسن المخاطرة بنقل

قسم كبير من الفرقة الثالثة الى غربي القناة وعلى ان تبقى في سيناء قوات اخرى  
لصد القوات المصرية في رؤوس الجسر . وكانت خطة بارليف هي ان يخلص  
كالمان ميغن شارون في راس الجسر . وكان بارليف يعرف ان شارون قد قاتل  
في اصعب معركة قرب راس الجسر ، لذلك اراد ان يستبدله . . . وكانت اخذى  
وحداته ما تزال تقاتل قرب تجمع ميسوري الذي يضم المزرعة الصينية والمنطقة  
الواقعة شمالها . . . وكانت تشكيلة الاختراق التابعة لشارون ، والمظليون  
التابعون لها ، والذين عبروا القناة في بداية العملية ، متواجدين الان في  
غرب القناة .

كان هذا هو ملخص الامر ، وتفرق قادة الفرق المجتمعون ، وانزوى بارليف  
في غرفة الطعام الضخيرة الواقعة بجانب غرفة العمليات . وبعد ذلك بدقائق  
شوهد شارون يعود ويدخل في حديث مع بارليف وقد ادت هذه المحادثة  
الى تخير اساسي في المهمات . واستدعوا مجين للمرة الثانية للعودة الى  
القيادة ، ووضح بارليف بانه بناء على طلب من شارون ستندفع قوات مجين  
باتجاه السويس وبناء الادبية بدلا من قوات شارون . اما شارون الذي يصرف  
المناطقة التي يربط فيها فسيقوم بتوسيع راس الجسر ويتجه شمالا باتجاه  
الاسماعيلية التي تقع في وسط قناة السويس .

#### السلح الجوى

عشية حرب الستة ايام لم يكن في الاركان العامة لجيش الدفاع الاسرائيلي  
والقوات البرية ضابط واحد يتصور بانه في اقل من ثلاث ساعات سيهزم السلح  
الجوى الاسرائيلي اسلحة الجو المصرية . وآمن عدد من كبار القادة بأنسه  
سيحرز نصر في المحارك البرية حتى اذا احرز السلح الجوى تعادل في الجوى .  
وعندما قال العميد عيزر وايتسمان في كلمة امام كلية القيادة والاركان  
بان سلح الجوى الاسرائيلي سيدمر اسلحة الجو المصرية في ستة ساعات كان  
هناك من اعتقدوا بأنه يهذى . وفي يوم الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧ ومنذ  
الساعة السابعة و ٤٥ دقيقة ولغاية العاشرة و ٣٥ دقيقة صباحا تم تدبير  
السلح الجوى المصري . وهكذا حسمت الحرب بالفصل ضد أكبر جيش عربي

الذي أقام في سيناء حشدا عسكريا يشكل تهديدا . وكانت إحدى نتائج هذا الانتصار كثرة التوقعات من السلاح الجوي ومنذ ذلك الوقت أصبح الاعتقاد في الأركان العامة بأنه إذا ما نشبت الحرب فإن السلاح الجوي سيحقق تفوقا جوي وسيكون الذراع الاستراتيجي لجيش الدفاع الإسرائيلي ويقدم الإسناد القوي للقوات البرية . وقامت الخطط الدفاعية على أساس إعطاء سلاح الجو دورا رئيسيا فيها ولم يكن هناك مجال لتوقع إمكانية أخرى . وقد أدت مكاسب سلاح الجو في حرب الاستنزاف ، التي شكل فيها عنصرا هجوميا أساسيا ، إلى ترسيخ هذا الاعتقاد . أما الصعوبات التي واجهت سلاح الجو في نهاية حرب الاستنزاف ، من جراء بطاريات الصواريخ المصرية على قناة السويس ، فقد اعتبرت أمرا عارضا .

تساءل الآن : هل أحسنوا ، في سلاح الجو نفسه ، تقدير الفرص والمخاطر ، وهل كان سلاح الجو مستعدا للحرب التي نشبت في (يوم الغفران) ؟ لقد سمعت ، بين نهاية حرب الاستنزاف ونشوب حرب الغفران ، قادة كثيرين في سلاح الجو يصفون الحرب القادمة ونتائجها . وكانت هذه التقديرات مزيجا من رؤية المستقبل والأخطاء . وقد قال الجميع إن الحرب القادمة لن تكون على غرار حرب الأيام الستة أو حرب الاستنزاف . وكان الافتراض بأنه ستحدث مواجهة أكثر ضخامة ، ذات طابع قتالي آخر ، وستكون فيها معارك برية كثيرة جدا . ومع ذلك ، فبسبب ضخامة الحرب المتوقعة ، اعتقد الجميع بأن الحرب ستكون قصيرة . ولم يعتقد السلاح الجوي كبقية الجيش الإسرائيلي بأن حرب القادمة ستكون طويلة . أي أنه بالنسبة لطابع الحرب كان تقديرهم صحيحا ولكن ليس بالنسبة لطولها واستمرارها . وقال القائد السابق للسلاح الجوي العميد مردخاي هوبان النصر لن يتحقق سريعا كما حدث في حرب الأيام الستة أيام . وقد راقب قائد السلاح الجوي في حرب يوم الغفران العميد بني بيليد قبل بضعة أسابيع من الحرب بأن السلاح الجوي سيواجه خلال المصادم أجهزة دفاع جوي أكثر شمولا سواء من ناحية نوعية أو كمية . كان في السلاح الجوي شعور واضح بأن شبكة الدفاع الجوي التي أقيمت في الاقطار الحربية

لا تشابه تلك التي واجهتها في حرب الاستنزاف ومع هذا فقد اعتقدوا بأنهم سيقدرون على هذه الشبكة أكثر مما حدث في الواقع . انتهت حرب الاستنزاف في الوقت الذي كانت فيه المنافسة بين الطائفة الإسرائيلية وبين بطاريات الصواريخ الحديثة ، التي استخدمها المصريون وكانت الخلية للطائرات . ولكن الاطقم الروسية التي وصلت الى مصر مع صواريخ سام ٣ واجهزة الرادار الحديثة ، ومدافع اس ، يو ، ٢٢ ، الموجهة بالرادار ، قد غيرت من نسب القوات . ومع ان واشنطن قد هبت لمساعدة اسرائيل بارسالها معدات الكترونية حديثة لمجابهة الصواريخ ، الا ان حرب الاستنزاف انتهت في الوقت الذي لم يكن فيه لسلاح الجو الاسرائيلي جواب كاف لشبكة الصواريخ الحديثة . وكان الامريكيون يرغبون في ان تتوقف المجابهة في هذه المرحلة وذلك لانه لم يكن لهم ايضا جواب شاف في مجال الاسلحة على الصواريخ الروسية . عندما توقفت النيران ، بعد حرب الاستنزاف بدأ سلاح الجو بأجراء تمرينات مكثفة وتطوير مناورات هجومية ضد شبكة الصواريخ وتلقت اسرائيل من الولايات المتحدة صواريخ شرايك . . . وبعد ذلك بنصف عام - في الثاني والعشرين من شباط ١٩٧١ - قال احد قادة السلاح الجوي للمراسلين العسكريين ( اننا مقتنعون بان لدينا جوابا كافيا للصواريخ ، في حين لم يكن لنا في تموز من عام ١٩٧٠ جواب كهذا ، ولن تواجهنا مشكلة جدية في التغلب عليها ومع اننا سنتحمل بعض الخسائر . الا انها ستكون اقل مما كان عليه الامر عشية وقصف اطلاق النار ، وسيكون بالامكان التأكد من ذلك في الساعات الاثنتين أو الثلاث الاولى من الحرب . وسيكون بإمكاننا التغلب على الشبكة كلها في يومين أو ثلاثة ) . تبين في حرب ( يوم الغفران ) ان هذا التقدير كان متفائلا اكثر من اللازم . فالعبء الكبير الذي ألقي على سلاح الجو منعه من معالجة امر هذه الصواريخ بصورة مركزة في بداية الحرب . . . فقد كان على سلاح الجو ان يعترض الطائرات المعادية ، وان يقدم الدعم ، ويقوم بالصد والافارة على اهداف استراتيجية في الحمق ، ويضرب المطارات وبطاريات الصواريخ . ولم يكونوا يتوقعون بأن المهمات التي ستلقى عليه ستكون كبيرة الى هذا الحد . وكان الهجوم على

شبكات الصواريخ يجرى على دفعات بحيث يهاجم في كل مرة قطاعا من قطاعات الجبهة . فمرة في الجبهة السورية ، واخرى قرب بور سعيد ، ثم الى القنطرة وقطاع السويس ، وهكذا واليك . وعندما بدأ جيش الدفاع الاسرائيلي في عبور قناة السويس كان ما يزال هناك عشرات من بطاريات الصواريخ في الجبهة المصرية وقد علق على ذلك اسحق رابين ، الذي كان رئيسا للاركان في حرب الايام الستة بقوله ( لقد اعطوا لجيش الدفاع الاسرائيلي صورة اخرى عن هذه الصواريخ ) .

كان سلاح الجو يعرف الكثير عن بطاريات الصواريخ ، ويبدو أن المفاجأة كانت فقط من كميات الصواريخ الجديد (سام ٦) التي كانت لدى الحرب . ولم يكونوا في سلاح الجو يعرفون كل شيء عن صواريخ (سام ٦) . كذلك نشر للمرة الاولى ، ظهور صواريخ (سام ٧) وهو عبارة عن صاروخ الكنف (ستروله) الذي يطلق من شاحنة كالكاتيوشا ، في مجموعات تتألف من أربعة أو ثمانية صواريخ . وقد نسبت صحف العالم والصحف الاسرائيلية الى هذا الصاروخ الجديد التسبب في احداث اكبر نسبة من القتلى . الا ان خلاصة نتائج الحرب وتحليل الاسباب التي ادت الى اسقاط الطائرات المئة والاثنتين التي فقدت اسرائيل في الحرب لتدل على أن في هذه النتيجة المتسوعة مبالغه كبيرة . ولقد وصف الخبراء صواريخ سام ٦ بأنه قنصر مستتر يصعب اكتشافه والقضاء عليه . ولا يعني هذا ان المدافع أفضل من الصواريخ . فالشبكة المضادة للطائرات يجب النظر اليها كوحدة واحدة ، بحيث تشمل الصواريخ والمدافع . وكل واحد من عناصر الشبكة سيكمل الاخر سواء في المرمى او الارتفاع او في مجالات اخرى . والطائرات التي اصابتها المدافع المضادة للطائرات كانت تطير على ارتفاع منخفض بالطبع ، ولكن ليس من المستبعد انها اضطرت للقيام بذلك تفاديا للصواريخ .

ومن ناحية تقنية ، كان سلاح الجو مستعدا وفي ذروة قدرته . ولم يكن لسلاح الجو طيارون بهذا العدد الكبير كما كان عليه الامر في هذه الحرب كما ان عدد الطيارين زاد عما كان عليه في الماضي . وبالمقارنة بحرب الايام

السته ، فقد زادت قدرة الحمولة في سلاح الجوعدة اضعاف .. وفي كل غسارة ، كانت الطائرات تحمل اربعة اضعاف الحمولة التي كانت تحمليها في حرب الايام الستة . ومع كل ذلك ، فحتى نهاية الحرب لم ينقص سلاح الجو ذخيرة اساسية ، كالقنابل . وكان النقص في الاصناف الاخرى من الذخيرة التي استعملت بكميات كبيرة .

وعندما نشبت الحرب في ظهر ( يوم الغفران ) ، كان سلاح الجو على أتم استعداد ، حيث كان قد تلقى أمرا تحذيريا بانزال ضربة وقائية . وقد دمر سلاح الجو بعد ذلك معظم الجسور التي اقامها المصريون ، وتسبب في احداث خسائر كبيرة للطائرات العمودية التي حطمت رجال الكوماندو ، ولكنه مع ذلك لم ينجح في انقاذ القناة .

ولم يكن الامر كذلك في معركة الصد على مضية الجولان ، حيث قام سلاح الجو هنا بدور كبير . فهو الذي صد الهجوم السوري المدرع في جنوب مضية الجولان ، من ناحال بروكاد حتى غور بطيحه الى ان وصلت وحدات الاحتياطي وهو الذي صد في الواقع المدرعات المصرية التي حاولت في البداية شق طريقها جنوبا على طول الخليج الى راس سودر وباتجاه شرم الشيخ .

كان الانجاز الكبير لسلاح الجو ، في هذه الحرب ، وهو بلا شك نجاحه في احراز تفوق جوي . ولقد احرز التفوق الجوي بسرعة كبيرة نسبيا وامتد ايضا الى ما وراء الجبهة . ومع ان الجيومات لم تكن مغلقة في وجه طائرات الجيوش المصرية التي كانت تتوغل بين الحين والاخر الا انها كانت دائما تدفع ثمنا باهظا . وكانت الجبهة الداخلية الاسرائيلية مغلقة تماما في وجه الاسلحة الجوية المصرية . ولقد تم تعبئة الاحتياطي وتحرك القوات السرية الجببة بدون اى ازعاج ، مع أن الاسلحة الجوية المصرية تضم حوالي ألف طائرة . وفي المواجهة بين الاسلحة الجوية ، كان التفوق لسلاح الجو الاسرائيلي بلا منازع ، مع أنه دخل في المعركة بنسبة واحد الى ثلاثة ، وكان التعبير العملي لذلك في الممارك الجوية . ففي هذه الممارك كان الطيارون الاسرائيليون محترفين ، وقد نجحوا في سحق الاسلحة الجوية المصرية وهي

في الجو . وان ما احرز في حرب الايام الستة في مفاجأة المطارات العربية  
مفاجأة كاملة بالمجوم عليها ، احرزه الطيارون الاسرائيليون في حرب ( يوم  
الخفران ) في المعارك الجوية . وقد اسقط حوالي اربعمائة وخمسين طائرة  
عربية في المعارك الجوية علاوة على خمسين طائرة اسقطت بفعل النيران المضادة  
للطائرات ( الصواريخ والمدافع ) . وفقد سلاح الجو الاسرائيلي في المعارك الجوية  
نسبة ضئيلة من طائراته .

ومع اقتراب نهاية الحرب ، عندما قذف المصريون بمعظم طائراتهم الى المعركة  
كانت هناك ايام تمكن فيها سلاح الجو الاسرائيلي من ان يسقط في كلتا الجبهتين  
عدد ا من الطائرات يعادل سربين . وفي حين اصيبت معظم الطائرات العربية  
في الايام الستة وهي خالية ، فقد قتل الكثير من الطيارين العرب في حرب  
( يوم الخفران ) .

لقد توقعت القوات البرية الاسرائيلية من سلاح الجو دعما اكثر . وقد  
لمس هذا الدعم الجوي بصورة اكبر عند اختراق الجبهة السورية ، اما في المعارك  
التي سبقت اقامة راس الجسر على القناة ، فقد لمس هذا الدعم بصورة اقل ، وكان  
الدعم جزئيا فقط . وكان هناك احيانا شعور بأن الاتصال الجارى بين سلاح  
الجو والقوات البرية لم يكن كاملا دائما .

وفي منطقة الجبهة المصرية على الاخص حدد السلاح الجوي بشبكة  
الصواريخ الكثيفة والقريبة ولكن لم يكن الامر كذلك عندما اندفع الى الاهداف  
في عمق اراضي العدو .

وهذا ما اقرت القيادة السياسية غارات العمق ضد الاهداف الاستراتيجية  
نجاح السلاح الجوي في الوصول الى كسل هدف تم اختياره والمصادقة عليه .  
واعطيت الموافقة بالنسبة لسوريا فقط وهي الشريك العربي الضعيف . وهنا  
نشط السلاح الجوي كذراع استراتيجية . ولم يستخدم السلاح الجوي ضد  
العدو الرئيسي والاقوى ، المصريين كذراع استراتيجية . فقد كان يتعين عليه  
ان يقتصر على الحملات في حدود الجبهة ، على الرغم من أن مصر شنست  
حربا شاملة واتخذت خطوات ذات تاثير خطير مثل غلق باب المندب . ولم



هنا  
يجسد السلاح الجوي قوته ولا حتى بنفس مقياس المرحلة الاخيرة لحرب الاستنزاف .

وقد امتنعت القيادة السياسية او تراجعت عن استخدام السلاح الجوي  
ضد اهداف استراتيجية في عمق مصر .

فقد السلاح الجوي الاسرائيلي خلال الحرب ١٠٢ طائرة . وهذا العدد  
يعتبر كبيرا اذا ما اخذ بحين الاعتبار عدد الطائرات الذي للسلاح الجوي  
وعدد الطائرات التي فقدت خلال حروب اسرائيل السابقة . بيد ان قيادة  
السلاح الجوي يقولون بانه نسبة الخسائر ليست كبيرة حسب طول مدة الحرب  
وقوتها والمهمات والغارات .

في سنة ١٩٦٧ اثناء حرب الستة ايام فقد السلاح الجوي حسب المصادر  
الامريكية ٤٥ طائرة من مجموع ٢٠٠ طائرة كانت لديه . وفي حرب يوم الغفران  
سقط ( حسب تقدير معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن ) اكثر من ربع  
الطائرات التي كانت لدى اسرائيل عشية الحرب . وقد فقدت هذه الطائرات  
خلال ثمانية عشر يوما من القتال الضاري جدا . بمعنى انه في حرب يوم  
الغفران حارب السلاح الجوي فترة اطول بثلاثة أمثال . وخلال هذه المدة  
انطلقت الطائرات لشن حوالي ١٢ ألف غارة . كانت نسبة نتيجة الغارات في  
حرب الستة ايام ٩:١ على الرغم من ان بطاريات الصواريخ كانت في ذلك  
الوقت قليلة وبلا مقارنة . واثناء مهاجمة المطارات فقط كانت نسبة الخسائر في  
ذلك الوقت نتيجة للغارات ٤ على الرغم من المباغتة التامة التي حققتهما  
طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي . وفي حرب يوم الغفران كانت نسبة  
الخسائر نتيجة للغارات ٩:٠ فقط .

وقد فقد خلال يوم الغفران عدد اكبر من افراد الطاقم . بيد أنه في  
هذه الحرب كانت طائرات كثيرة فيها شخصان - الطيار والملاح .  
١٩ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣

اهتم الكرملين بوقف اطلاق النار على الجبهة المصرية قبل ان تحل الهزيمة  
بالمصريين . ولم يكن بين قوات جيش الدفاع الاسرائيلي المتقدمة غرب القناة  
باتجاه القاهرة سوى عشرات الدبابات المصرية فقط . ولم  
يكن الكرملين يعرف بان اسرائيل لا تتطلع الى القاهرة .

كان هناك سكون تام بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي . اما بين واشنطن  
والمصريين فقد كانت هناك علاقات غير رسمية . ولو كان الكرملين يعرف ان اسرائيل  
لا تنوى الاستيلاء على الواصم العربية لربما كانت رد الفعل من جانبه اقل تشددا .  
سارع رئيس حكومة الاتحاد السوفياتي الكسي كوسجين للعودة الى بلاده .  
وفي واشنطن أبلغ السفير الروسي الدكتور كيسنجر بان الاتحاد السوفياتي مهتم  
بتطبيق وقف اطلاق النار في نفس اليوم . وأكد دوبرين في حديثه مع وزير  
الخارجية الامريكى : " انها مسألة ساعات وليست ايام " . وكان في يد دوبرين  
نص قرار بشأن عرضه على مجلس الامن . اوضح الدكتور كيسنجر لدوبرين بان  
هذا القرار مرتبط بمباحثات مسبقه . ورد دوبرين بتحديد مقنع : " ان الاتحاد  
السوفياتي لن يسمح بسقوط القاهرة ويجب حل الموضوع هذا اليوم " .  
وفي واشنطن كانوا قد علموا ان الروس نقلوا يوم امس الى مصر اسراب من  
طائرات الميج ٢٥ .

وكان الدكتور كيسنجر قد اجتمع قبل ساعة من ذلك مع سفير اسرائيل في  
واشنطن سيمحا دينتس . وكان موضوع البحث : كم من الوقت تحتاج اسرائيل  
لانجاز مهماتها في الجبهة المصرية ؟ كانت المعلومات الاخيرة المتوفرة لدى  
الدكتور كيسنجر تشير الى ان اسرائيل تحتاج الى اربعة أو خمسة ايام اخرى  
من القتال . وقال دينتس ايضا بان كل يوم اخر من القتال هو بمثابة تحطيم  
آخر للقوات المصرية . لم يكن هدف جيش الدفاع الاسرائيلي الاستيلاء على  
الاراضي وانما تحطيم الجيش المصري . وقد اصبح واضحا الان بانه لن  
يكون لدى اسرائيل الوقت الكافي .

اتصل الدكتور كيسنجر هاتفيا مع دينتس . وروى له نبأ الاجتماع مع  
دوبرين وطلب الكرملين . وكانت لدى الولايات المتحدة مصدرا للخوف من  
انه اذا لم يتقرر فورا وقف اطلاق النار فان من شأن الروس التدخل بأي  
طريقة . وعند ما ستواجه واشنطن مشكلة خطيرة . ووضح كيسنجر لدينتس  
ان الولايات المتحدة لا تريد ايضا ان تكون موسكو منقذة للعرب .  
وقال كيسنجر : لقد طالب الروس باجراء بحث على الفور هنا في واشنطن .

ومعنى ذلك وقف اطلاق النار ليكون سارى المفعول يوم غد لاعطاء اسرائيل  
فسحة لمدة ٢٤ ساعة وقد ابلختهم بأن البحث سيتم عندهم . ابلغ من  
فضلك رئيس حكومتك عن مصادرتي السى موسكو .

لم تكن واشنطن راقبة في اذلال الحرب ، كما لم تكن ترغب باى حال من  
الاحوال في هزيمة اسرائيل ، ولا بانتصارها انتصارا ساحقا قد يثقل على  
المفاوضات بعد ذلك . وقد ألمح الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون في  
بيانه للكونغرس الامريكى من المعونة العسكرية لاسرائيل بمبلغ ٢ مليارد ولار  
الى هذا الموقف ، فقد اكد نيكسون بان الولايات المتحدة تبذل كل جهدها  
لوضع حد لهذا النزاع بسرعة في غضون ايام لا اسابيع . وقبل حضوره السى  
الكونغرس ارسل برقية الى غولدا مئير اوضح فيها ان وقف اطلاق النار فى  
الشرق الاوسط لازم أيضا للولايات المتحدة .

سد جسر الاسلحة الجوى الامريكى بحضر احتياجات جيش الدفاع الاسرائيلى .  
وبالنسبة لطائرات الفانتوم ، عادت اسرائيل الى الوضع الذى كانت عليه قبل الحرب .  
وكانت هذه الطائرات تتوقف في أثناء قطعها لرحلتها الطويلة في المحيط  
الاطلسي والبحر المتوسط على ظهر حاملات الطائرات الامريكى للتزود بالوقود .  
ووصل قسم من طائرات السكاى هوك راسا من اوروبا . اما الطائرات الاخرى  
والطائرات الحمودية والمدافع ، والمعدات الاخرى فقد نقلت بواسطة السفن  
وكان الروس قد سبقوا اسرائيل في مجالات حركة السفن ، فقد وصلت حتى الان  
خمسون سفينة شحن روسية محملة بالاسلحة الى الموانىء العربية . وكان  
يكفيها الابحار من ثلاثة الى أربعة ايام من موانىء البحر الاسود الى ميناء  
اللاذقية ، ولم يبخل الامريكىون الا بالدبابات .. ومع المعدات الالكترونية  
الحدیثة التي ارسلتها الولايات المتحدة لاسرائيل ، وصل أيضا خبراء  
الالكترونيون امريكىون .

وكانت الحرب الالكترونية هي موضع اهتمام الخبراء في الجيوش الاخرى .  
وفي ساحة المعركة ، فان اسرائيل هي التي تقوم الان بفرض سير المعركة ..

وكان جيش الدفاع الاسرائيلي يقوم بالمبادرة ، في حين يكفي الجيش المصري بالرد . ولقد استمر القصف المصري ضد راس الجسر ، وكان معظمه قادم من المناطق التي بيد المصريين في سيناء . ولكن هذا القصف لم يمنع سلاح الهندسة من اقامة الجسر الثالث على القناة . وكان هذا جسرا من العوامات ، شبيها بالجسر الاول .

بعد ان فشل الجيش المصري في صد القوات الاسرائيلية التي شقت طريقها الى غربي القناة ، ألقت القيادة المصرية معظم العبء على سلاحها الجوي . . . . . وكالايام السابقة ، كان المصريون يقومون بالهجوم بموجات كبيرة من الطائرات . وبصورة عامة ، كانت طائرات السوخوي تقوم بالهجوم ، في حين كانت طائرات ميغ ٢١ تقوم بحمايتها من فوق . . . . . وقد اتضح من نتائج المعارك الجوية ، أن سلاح الجو المصري يفتقر الى الطيارين . وكان الكثير منهم قد قتلوا في اثناء المعارك ، لذا قام المصريون باستخدام الطيارين القدامى .

زاد نشاط الحملة في غربي القناة . وكانت فرقة ميغن قد توغلت حوالي ٢٥ كيلو مترا غربي القناة . . . . . وتوجهت قوات ادن الى الجنوب ، وضربت في طريقها مؤخرة الجيش المصري الثالث ومرت طوابير مدعات ادن بالقرب من معسكرات الجيش بجانب البحيرات المرة . ولم تكن القوة المصرية في سيناء تظهر دلائل انسحاب . أما في غربي القناة فقد بدأت عملية فرار . . . . . وتمكنت دبابات ادن ، في حالة واحدة من الدخول الى قيادة احدى الفرق التابعة للجيش الثالث واصابت عددا من الافراد . . . . . وقد وصل عدد الاسرى المصريين خلال يومين نحو الالف .

وكالسوريين في أوج الحملة الاسرائيلية ، كذلك فان المصريين ايضا قد نسبوا فشلهم الى الولايات المتحدة ، فقد قال المتحدث العسكري المصري بان طيارا اسرائيليا اسيرا قد روى لمحققيه انه قد وصل لاسرائيل ٣٥ طائرة فانتم مع طيارين امريكيين . وبينما كانت قوات ادن وميغن تقوم بالتفلسل نحو الجنوب لتطويق الجيش المصري الثالث ، توجه شارون شمالا باتجاه الجيش الثاني . وكانت طبيعة الارض التي يعمل فيها صعبة جدا ، حيث أن

فيها نباتات كثيفة ، وقنوات ماء ، وقبلى . وكان عليه ان يتقدم من ضفتي  
قناة السويس . لقد كان شارون يدرك انه لتطويق الجيش الثاني والوصول الى  
الاسماعيلية من الخلف ، فان عليه ان يركز جهده في التقدم من غربي القناة .  
أما في شرقي القناة فعليه توسيع راس الجسر عن طريق رد المصريين عن مراكزهم .  
وفي هذا اليوم التقى رئيس الاركان مع شارون للمرة الاولى بعد اقامة  
جيش الدفاع الاسرائيلي لراس الجسر على قناة السويس . وجرى هذا اللقاء  
غربي قناة السويس شمال راس الجسر . وطلب العازار أن يسمع من شارون عن  
خطواته القادمة . وقبل ذلك قال شارون للعازار ( ان هذه الحرب رهيبية ،  
اقول لك جريا رهيبية لم نواجه مثلها ابدا . . . فقد كانت حرب الايام الستة معركة  
واحدة فقط ) . وقبل قدم العازار بوقت قصير ، قامت طائرات الميغ بالهجوم  
على مجموعة قيادة شارون ، فتصدى لها افراد المجموعة بمدافع الرشاشة .  
قام العازار وشارون بالتشاور ، وكان شارون قد قرر قبل نحو اربعة اشهر  
ترك جيش الدفاع الاسرائيلي بعد أن اوضح له العازار بأن جونين سيعين  
بدلا منه كقائد للجبهة الجنوبية . ولم يصرخ انذاك اي منصب آخر على شارون ،  
ولم يجد وزير الدفاع الامر مناسباً للتدخل لصالحه . وحتى اهتزاله الخدمة  
من جيش الدفاع الاسرائيلي كانت علاقته مع العازار متوترة . أما الان فلم  
تظهر دلائل التوتر ، في المحادثة التي جرت بين الاثنين .  
اقلعت الطائرات العمودية مقلدة رئيس الاركان في طريق عودتها الى  
قاعدتها . . . ومرت فوق القناة والجسور . ولم يشعر الطيار بأنه قد حاد عن  
الطريق ، وانه دخل في المجال الجوي للجيش المصري الثالث في سيناء ،  
وفجأة ظهر جنود مصريون ومرتات مصرية ، وقاموا بتوجيه النيران الاتوماتيكية  
صوب الطائرة . . . . . لكن الطيار نجح في الافلات والوصول الى قاعدته .  
وكانت طائرة عمودية اخرى تحمل طاقما طبييا قد سقطت  
ولكن باتجاه معاكس ، وقد اصيبت هذه الطائرة وقام قائدها بابلاغ قاعدته  
عن ذلك ، ثم ساد الصمت ، ولم تصل هذه الطائرة الى هدفها .

٢٠ تشرين الاول ١٩٧٣

بدأت في الكرملين محادثات حول وقف إطلاق النار في الشرق الاوسط بين  
سكرتير الحزب ليونيد بريجنيف وبين الدكتور كيسنجر. وفي نفس الوقت قام  
مندوبو اسرائيل في واشنطن ببذل جهودهم لاقتناع الامريكيين بعدم ذكر القرار  
٢٤٢ الذي يتحدث عن الانسحاب (من ارض احتلتها اسرائيل في حرب الايام  
الستة) في مشروع القرار الذي سيعرض على مجلس الامن. وأجاب الامريكيون  
بانهم سيحملون كل ما في وسعهم بهذا الشأن، ولكنهم أكدوا انهم لن  
يصروا على ذلك اذا كان من شأنه ان يؤدي الى استبعاد فرصة ايقاف النار.  
وكان الرئيس نيكسون مستعدا لان يقدم هذا لاسرائيل برفض كل اقتراح يتضمن  
اشراك فرنسا وبريطانيا في رعاية المحادثات التي ستجرى بين اطراف النزاع.  
كان سفير اسرائيل في واشنطن يتلقى باستمرار تفاصيل عن سير المحادثات  
في موسكو، الى ان أعلمته وزارة الخارجية الامريكية بان هناك عطلا فنيا في  
الاتصال بين موسكو وواشنطن. ولكن اسرائيل استنتجت من التقارير التي  
وصلتها ان مجلس الامن سيقدر خلال يوم أو يومين على الاكثر، وبموافقة  
الدولتين العظميين، ايقاف الفوري للنيران في الشرق الاوسط. ورغم  
كل ذلك تحدث موشه دايان في مقابلة مع التلفزيون الاسرائيلي، عن  
الملاحظات التي ابدتها ابا ايان بقوله: "انه لا يحرف اي شيء محدد عن  
موقف الولايات المتحدة من وقف إطلاق النار. واذاف بان الحرب، حسب  
رأيه، غير مستعد بين الان للسلام ووقف إطلاق النار.  
تحدث الاتحاد السوفياتي، وهذا اليوم وللمرة الاولى، عن الانتصار  
الاسرائيلي في الجبهة المصرية. فقد اعلن راديو موسكو (ان مجموعات  
اسرائيلية قد اقتحمت خط الجبهة عن طريق البحيرات المرة). ولم تعد هناك  
امكانية لتجاهل نجاح جيش الدفاع الاسرائيلي غربي القناة، أو النظر الى  
هذه العملية على انها غارة كوماندو محدودة، فلقد اصبح واضحا ان معركة  
تطوير كبيرة تجري غربي قناة السويس. ولم تكن المشكلة هي تغلج جيش  
الدفاع الاسرائيلي الى الغرب، باتجاه القاهرة، ولكنها كانت مدى نجاح

هذا الجيش في السيطرة على المحاور الرئيسية المؤدية من الجبهة الى الداخل .  
وكان الطريق الشمالي المؤدى سن القاهرة الى السويس يتعرض لانيران المدفعية  
الاسرائيلية الشديدة .

لاقت الذراع العاملة على تطويق الجيش الثالث ، وتضم فرقتين ، نجاحا كبيرا .  
وكان يستعمل عليها العمل لانها تتواجد في اراضى سهول استخدام المدرعات  
فيها . ولم يكن الامر كذلك في الذراع الشمالية التابعة لشارون ، حيث كان  
التقدم اكثر بطئا . وكان المصريون قد نسفوا قناة المياه الحلوة جنوبي الاسماعيلية  
فأفرقت المياه منطقة واسعة وملأتها بالطين والسلك الذى تسبب في انفراق  
دبابات اسرائيلية ومصرية حتى أبراجها . وكان من الضروري في هذا القطاع  
الاستعانة بسلاح المشاة بشكل خاص ، وذلك في التقدم وتطهير الممرات أو  
التحرك على الطريق الوحيدة ، وبالتالي جعل القوة المتحركة هدفا سهلا للمصريين .  
وعلى قناة السويس انتهت هذا الصباح عملية اقامة الجسر الثالث من قبل  
جيش الدفاع الاسرائيلي واصبحت الجسور الثلاثة تشغل حيزا يبلغ حوالي  
خمسمائة متر من طول القناة . وكانت الحركة على الجسور سهلة وسريعة ، وتمكن  
جيش الدفاع الاسرائيلي حتى الان من ادخال حوالي نصف دباباته العاملة  
في الجبهة الجنوبية . كذلك قام المصريون بادخال قسم من مدعاتهم الموجودة  
في سيناء الى غربي القناة . وكانوا يأملون بذلك صد جيش الدفاع الاسرائيلي  
بواسطة هذه الدبابات .

كان سلاح الجو يحمل في الجبهة بحرية . وقد اصابت المدرعات ، ففي  
المكان الذى اخترقت الجبهة فيه ، عشر بطاريات صواريخ . وفي عدة أماكن  
وصلت الدبابات الاسرائيلية الى مراكز للصواريخ وتبين لها انها امام بطاريات  
من الدمي . وقام سلاح الجو بتدمير معظم البطاريات الاخرى قرب بور سعيد  
والقنطرة ، وفي جنوب القناة - قرب مدينة السويس .

كانت قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي ترى انه حتى وقف اطلاق النار فانها  
ستتجح في السيطرة على غربي القناة من الاسماعيلية الى السويس ، مما سيؤدى  
بالمصريين الى الاسراع في اخلاء سيناء . واذا لم يفصلوا ذلك فسيتضرر  
مركزهم هناك .

وستكون النتيجة النهائية في هذه الحالة ، سيطرة اسرائيل على معظم القناة من جانبيها . في حين يسيطر المصريون على القطاع الشمالي من القناة ، من الاسماعيلية حتى بور سعيد .

وفي البحر الابيض المتوسط لم يكن سلاح البحرية المصرية يعمل شرقي الدلتا ولكن يظهر انه بسبب تدور الوضع على الجبهة فقد قرر المصريون الايقاع بالملاحه الاسرائيلية في هذا البحر ايضا . ولم تكن المهمة سهلة ، فحركة السفن في البحر الابيض المتوسط نشيطة ، وكان على الغواصات المصرية ان تكون متأكدة ان امامها سفينة اسرائيلية ، والا فانها قد توقع بسفن تابعة لدول اخرى ومنها السفن الامريكية . وحاولت الغواصات المصرية ان تكمن في المداخل القريبه من جزيرة خرتيم . وكان قد وصل الى اسرائيل حتى الان ١١٥ سفينة شاحنة ، حمل الكثير منها اسلحة ومعدات حربية ، ومرت جميعها بدون ازواج وقد حاولت الغواصات هذا اليوم اصابة احدها ولكن هذه نجحت في الافلات منها .

٢١ تشرين اول ١٩٧٣ .

اليوم هو السادس عشر للقتال . وقد كان القادة في الجبهة يشعرون أنه لم يتبق لديهم وقت كثير . وفي الصباح الباكر اتصل رئيس الاركان هاتفيا مع جونين ، واعلنه ان اسرائيل ستقبل اقتراح وقف النار ، وانه قد ورد تقرير من كيسنجر حول اتفاهه مع الروس على قيام مجلس الامن مساء الغد باصدار قرار بايقاف النار .

• وكان العازار سيصل بعد الظهر الى قيادة الجبهة . لبحث الاجراءات القادمة على ضوء ضغوط الزمن .

وكان هذا ايضا هو احد المواضيع التي اثارها قادة الجبهة أمام نائب رئيسة الوزراء يغال الون ، الذي قام هذا اليوم بزيارتهم . وقال الون انه يرى ان هناك امامهم ثلاثة ايام اخرى من القتال . وفي فرقة شارون اثاروا الموضوع من جديد . ومرة اخرى قال الوزير ان لشارون الوقت الكافي للقيام بمهامه .

وكان واضحا انه يجب الاسراع ، ولذا قاموا ببحث قادة الفرق . وقامت قوات ميجن بالتقدم على الطرق الرئيسية التي تربط القاهرة بمدينة السويس



وأصبحت دبابات ميجن تتواجد الآن في أقصى نقطة لجهة الغرب في عمسق  
الأراضي المصرية . أما فرقة ادن فكانت تحارب قرب البحيرات المرة ، في منطقة  
محسكات الجيش المصري والمطارات . وكانت هذه المحسكات قد اقيمت من  
قبل البريطانيين ، وقد أقيم قسم منها في الحرب العالمية الأولى أما الباقي  
فقد اقيم في الحرب العالمية الثانية . وكان ادن يعمل ، في جنوب البحيرات  
للوصول الى مدينة السويس والى القناة من جهتها الغربية ، بحيث يكمل حركة  
التفاف الأولى وأصغر قليلا . أما ميجن الذي كان يعمل غربي ادن ، فإنه  
يقوم في هذه الاثناء بعملية واسعة وأكثر عمقا .

كانت قوات شارون تعمل شمالي راس الجسر ، من كلا جانبي القناة ، وكان  
شارون يحث رجاله على الاسراع الى الشمال ، باتجاه الاسماعيلية . ولكن  
القتال هنا كان على كل كيلومتر .

وفي غربي القناة كان التقدم اكبر ، حيث وصل الى مسافة ثمانية كيلومترات  
تقريبا . أما في الشرق من سيناء ، فقد بقي راس الجسر اضيق مما ينبغي  
حيث تقدمت القوات حوالي أربعة كيلومترات فقط من شمالي راس الجسر .  
جرى اجتماع في غرفة العمليات لبحث الاجراءات القادمة في الجبهة .  
وحضر الاجتماع كل من وزير الدفاع ورئيس الأركان ، وبارليف ، وجونين ، ومن  
حولهم ضباط اخرون واران القيادة . وقام بارليف بادارة الجلسة . وكان  
العازار يريد توجيه معظم الجهد الى الجنوب . ولم يكن واثقا من امكانية  
حصار الاسماعيلية والجيش الثاني . وكان يرى ان الفرص في جنوب الجبهة  
افضل ، ولكنه لا يريد ان يتوسع اكثر من اللازم . فالعازار يؤيد الانجازات  
البسيطة ولكن المضمونة منها . وربما كان تطويق الجيش الثالث بأسره يحتاج  
الى ثلاثة ايام ، لذلك فمن الافضل ، حسب تقديره التقدم بمحاذاة البحيرات  
المرة ، ومن غربيها ، ثم النزول جنوبا على طول القناة .

وكان جونين اكثر تفارؤا واكثر الحاحا في اقتراحه . فهو يرى تطويق  
الجيش الثالث بحركة واسعة ، وبعملية التفاف كبيرة الى الغرب قليلا من  
البحيرات . وبعد ذلك تقوم قواته بالاسراع جنوبا على طول خليج السويس .

أما التوجه شمالا لتطويق الاسماعيليه ، والجيش الثاني فهو يحاربه بصورة قاطعة ،  
سواء كان ذلك أسباب فنية أم لأسباب تنظيمية . أما في الجيش الثالث ، فإن  
الامر لم يكن كذلك .

كان وزير الدفاع هو الشخص الوحيد المؤيد للتوجه شمالا أيضا ، نحو  
الاسماعيليه . أما بالنسبة للتقدم جنوبا ، فلم يكن يريد أن يتقدموا بعيدا على  
طول الخليج . كذلك لم يكن يعتقد بأفضلية القيام بعملية التفاف كبيرة ، من  
غرب القناة ، حسب اقتراح جونين . وكان يرى انه من الافضل التوجه جنوبا  
حسب اقتراح الحزازار .

بمحاذاة السبحيرات ثم على طول القناة ، وربما إقامة جسر جديد على القناة ،  
جنوبي البحيرة المرة الكبرى .

كانت الانظار موجهة الى غربي القناة . أما في سيناء فكانت تجري قضية اثار  
الجميع في قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي ، وادت الى جعل قائد الجبهة  
يشكو من ان شارون قد أدخل بالامر في اثناء المعركة . وقد اعترف شارون بأنه  
أدخل بالامر فعلا ، ولكنه قال انه فعل ذلك من اجل سلامة رجاله . وقد  
حدث ذلك في معركة دارت حول تجمع مصري اطلق عليه في خرائط جيش الدفاع  
الاسرائيلي لقب ( ميسوري ) ، ويقع شمالي راس الجسر ، وهو في الواقع جناح  
الجيش المصري الثاني في داخل سيناء . وقد نفذت القوات الاسرائيلية من  
جنوبه في نقطة الوصل الواقعة بين الجيشين ، حتى القناة . ويبلغ طول تجمع  
ميسوري هذا حوالي ثمانية كيلومترات وعرضه حوالي اربعة كيلومترات ، وقسمه  
الشمالي في خط مواز لبحيرة التمساح ، ومن الجنوب المزرعة الصينية .

جرى الحديث عن ميسوري منذ اللحظة التي بدأ التخطيط فيها لعبور  
القناة شمالي البحيرة المرة . وعندما اثرت هذه الخطة لم يعترض عليها احد .  
هناك وكان في ميسوري وحدة مشاة مصرية ، كان يخشى من وصول افرادها جنوبا  
الى المحاور التي كانت تستمر عليها القوات الاسرائيلية في طريقها الى راس  
الجسر . وحتى بدون ان يرضوا على هذين الطريقين ، كان بإمكان المصريين  
في ميسوري قطعها بصواريخ مضادة للدبابات . وكان القصد هو أن تقسم

قوات شارون في الليلة الاولى بالسيطرة على قسم من ميسوري ، وابعاد  
المصريين حوالي أربعة كيلومترات شمالي رأس الجسر .  
لم يتم الاستيلاء على ميسوري . فلقد وجه كل الجهد الى رأس الجسر ،  
ولشق الطريقين الواقعين جنوبي ميسوري . كما واجه المظليون صعوبات في  
الهجوم على المزرعة الصينية ، كذلك لم تتوفل المدرعات كثيرا خلف المزرعة .  
وكان رئيس الاركان يضغط بشدة ، كل يوم تقريبا ، على بارليف وجونين ويكرر  
السؤال : ( ماذا جرى في ميسوري ؟ ولماذا لم يتم احتلال ميسوري ؟ ) .

وفي العشرين من تشرين اول كان المصريون ما يزالون يسيطرون على تجمع  
ميسوري ولم يوقف سلاح الجو غاراته على الجنود المصريين في هذا التجمع ،  
فابتداء من ١٧ تشرين اول كانت الطائرات تأتي للافارة والقاء القنابل بلا حدود ،  
وقد ألقي على ميسوري وحده قنابل اكثر مما ألقي على اى تجمع آخر . وقد زعمت  
الارض بالاف الحفر الناتجة عن القنابل والقذائف ، ولكن المصريين لم يتخلوا  
عن المكان . وقد اعتقد شارون بان المصريين سيفرون من هذا المكان في نهاية  
الامر ، وسعدا له في هذا اليوم - ويحث تقريرا بذلك الى بارليف - أن  
الانسحاب قد بدأ . وكان قد تلقى تقارير من الخط الامامي بأن شاخصات  
مصرية تقوم بجمع الجنود في ميسوري .

كان شارون يرنو ببصره الى غربي القناة .. الى الاسماعيليه . فمنذ اللحظة  
التي طلب فيها ان تعمل فرقته في الشمال ، اقل ان يفعل للاسماعيلية نفس  
ما فعله ادن وميجن للمويس وللجيش المصري الثالث . وقد أهمل شارون الجانب  
الشرقي من خلال اعتقاده بان هذه التجمعات ستسقط من تلقاء نفسها .  
وفي الصباح تلقى أمرا واضحا بأيقاف التقدم في غربي القناة والتوجه الى  
ميسوري . وفي الساعة ٩ر٤٨ اتصل جونين بشارون قائلا : ( عليك توجيه  
الجهد الرئيسي الى ميسوري .. وانقل الى هناك من الخرب أ ) (تشكيلية  
الاختراق ) وايضا قسم من الوحدة ح ، انما يجب الاستيلاء على ميسوري ،  
وليس من المحتم ان يتم هذا خلال دقائق ، عليك التوجه الى هناك بحد  
ان يؤدي سلاح الجو مهامه ) .

استمر سلاح الجو في القصف . وفي هذه الاثناء كانت قيادة شارون مشغولة  
باحدى السفن المحشورة في البحيرة المرة الكبرى . ومنذ يومين والجنود يلاحظون  
انطلاق النيران من احدى السفن . وكانت قذائف الكاتيوشا تنطلق من  
السفينة ، ويبدو أن المصريين قد اتخذوا لهم مواقع فيها ، وكانوا يوجهسون  
نيرانهم منها .. واعطي الاذن بمهاجمة السفينة وحتى الظهر لم يكن الهجوم  
على ميسوري قد بدأ بعد .. وفي الساعة ١٢ ر ١٧ طلب من شارون مرة اخرى  
ان يبدأ الهجوم ورد شارون بقوله صراحة انه لا يرى في هذا الامر منطلقا عسكريا ..  
أريك : ( بدلا من بذل الجهد في ميسوري ، يجب التقدم الى الامام  
لقطع طرق تموينهم ، وانا افضل التوجه شمالا بدلا من التوجه شرقا ) .  
جونين : ( اسمع .. نحن نريد ميسوري ، والاولوية من ناحيتنا هي لميسوري .  
فلقد تلقت ميسوري اكبر غارات جوية في كل الحرب ) .  
أريك : ( قد يكون كلامك صحيحا ، ولكني اعتقد ان التوجه للاستيلاء على  
ميسوري يعتبر خطأ . ومن الممكن التوجه الى الشمال وقطع الاسماعيليين  
والمحاور المؤدية اليها ، وليس التوجه شرقا ) .  
جونين : ( ان الامر هو التوجه الى ميسوري وليس التوجه شمالا ) .  
أريك : ( انظر ، اننا ننفذ اوامر . ومع ان الامر ليس منطوقيا ، ولكننا سننفذه ) .  
جونين : ( اذا كنت تريد الاعتراض ، فان حاييم بارليف سيكون بطرفك  
خلال نصف ساعة ) .  
كان وزير الدفاع موجودا في غرفة العمليات الحربية في اثناء هذا الجدل  
وقد غادر المكان بدون ان يدللي بشيء . واستمر الجدل مع شارون بعد  
ذلك في قيادته ، وحاول شارون اقناع بارليف وشرح الامر بقوله ان التوجه الى  
ميسوري يعتبر ضربا للرأس في الحائط ، وان الاسماعيلية هدف مهم  
وتطويقها سيؤدي الى احداث صدمة نفسية للجيش المصري .  
روافق بارليف على ان الاسماعيلية هدف مهم ، وان تطويقها نافع ، ولكنه  
قال ( اننا نقرب من وقف اطلاق النار ، وراس جسر كهذا لا ينبغي ) .  
وفي الساعة الثالثة بعد الظهر بدأ شارون الهجوم على ميسوري وقامت

بالمجموع وحدة من فرقة شارون، كانت قد بقيت شرقي القناة وانقضت بضع عشرات من الدبابات .

سار الهجوم في البداية على ما يرام ، ولكن سوان ما صعدت بحوض الدبابات فوق ألغام ، فتوقفت ثلاث دبابات ، كما أصيبت دبابات أخرى من هوارينخ وقنابل آر . بي . جيه وتمكنت أربع دبابات من الوصول الى مركز التجمع ، واستولت القوة المهاجمة على حوالي كيلومتر ونصف من التجمع المصري ثم توقفت . . . وخمد الهجوم حيث لم تستطع القوة اتمام مهمتها . وبقيت في الساحة أربع عشرة دبابات . ولم تستطع ان تتحرك . وبقي في بعض منها افراد طاقمها . ولم يكن بالامكان تخليصهم .

كان نبأ الخذلان هذا مذهلا ، وكانوا في قيادة الجبهة مقتنعين بانه كان يجب دعم القوة المهاجمة ، ومدتها بمساعدة اكبر .

وقد قال شارون في وقت لاحق عن هذا الهجوم : ( لقد عذني النسيان لانني قمت بتنفيذ اوامر المسؤولين عني ، وان هذا لا يمنحني الراحة . فلقصد تصلبت وتصلبت ، واخيرا تراجعت وقمت بتنفيذ الاوامر . وقد انتهى ذلك بخسائر كبيرة) . لم تتراجع قيادة الجبهة ، وطلبوا من شارون ان يعود ويهاجم . وقال له جونين ان القوة المصرية ينقصها الذخيرة بالتأكيد . وصدر الامر لشارون مرة اخرى بنقل قوة جديدة من غربي القناة لدعم الهجوم الجديد . ولكن هذا الهجوم تأخر مرات ومرات .

حاول جونين الاتصال بشارون ولكن عبثا ، فمرة قالوا لجونين ان شارون مشغول ، وفي وقت لاحق اجابوا على نداءات قائد الجبهة بان قائد الفرقة نائم وانه منهك ويجب عدم ايقاظه . . . وفي قيادة الجبهة سمعوا عن اركان قيادة شارون ان الفرقة لا تنوى في الواقع استئناف الهجوم على ميسوري . وفي الساعة ٢٣ر٥٩ اي قبل منتصف الليل بدقيقة ، امكن ايجاد اتصال بين جونين وشارون .

جونين : ( مساء الخير ) .

شارون : ( مساء الخير ) .

جونين : ( هل تنوى دعم ط . . . الوحدة التي هاجمت ميسوري والتي عليها

استئناف الهجوم ؟ ) .

- شارون : ( لا ، ليس لي ما اقدمه ) .
- جونين : ( وماذا عن أ (وحدة الاختراق) ؟ ) .
- شارون : ( باي حال من الاحوال لا ) .
- جونين : ( اذا فانا امرك بتقديم الدعم ) .
- شارون : ( لن افضل ذلك باي حال من الاحوال ! ) .
- جونين : ( ليكون معلوما لديك ان هذا يشكل عدم تنفيذ امر ) .
- شارون : ( وماذا يعني ؟ ) .
- جونين : ( ان هذا يعتبر عدم تنفيذ للامر ) .
- شارون : ( بالله اتركيني من اقوالك هذه ! ) .
- جونين : ( اذن ليكن معلوما لديك اني امرك بتقديم الدعم ! ) .
- شارون : ( ليس لدي ما اقدمه لهذا الدعم ) .
- جونين : ( مع أ ) .
- شارون : ( ليس لدي ما اقدمه ) .
- جونين : ( حسنا ، طابت ليلتك ) .
- شارون : ( طابت ليلتك ) .
- جونين : ( لمن كان حاضرا في غرفة العمليات ) : " ان الامر لن ينتهي هكذا " .
- وتوجه جونين الى بارليف بقوله ( انت ممثل الاركان هنا ، وانا اطلب منك أن تنقل له ذلك . ان هذه ليست مسألة اعتبار ولكنها عدم تنفيذ للامر ) .
- وتحدث بارليف مع شارون ، واطمن شارون انه سيقوم باسناد القوات ، وتحركت خمس دبابات الان الى الشرق ، ولكن الهجوم لن يحصل .
- وبينما كانت الدبابات متوجهة للاتحاق بالقوة التي كانت تقوم بالهجوم ، اتصل شارون بوزير الدفاع ، وكانت الساعة الرابعة صباحا ، ودايان في مركز القيادة العليا بتل ابيب . وشرح شارون الامور التي طلبت منه وموقفه منها وطلب منه ان يلغي هذا الامر .
- وقبل الصباح اتصل اللواء طال ، مساعد رئيس الاركان باللواء جونين .
- واخبر طال جونين بان وزير الدفاع قد قال له بان محاولة السيطرة على ميسوري

تعتبر انتحارا ، وان الوزير قال له ( ماذا يريدون من ميسوري ؟ ) .. واصدر  
طال امرا لجونين بعدم مهاجمة ميسوري .  
وكان هذا الامر بمعرفة رئيس الاركان وموافقة ، وقبل المحادثة التي اجراها  
طال من جونين ، اتصل طال برئيس الاركان وقدم له تقريرا عن موقف وزير الدفاع  
في ما يتعلق بميسوري ، وكان العازار يريد ان يتم الاستيلاء على ميسوري ،  
ولكن بسبب تسلسل الامور وسبب محادثة شارون مع دايان ، فقد استنتج ان كل  
هجوم يوجه الان الى ميسوري لن يكون بقوة كافية لاحتلال التجمع بأكمله ، فالامور  
لم تكن تجري باخلاص . وقال العازار لدايان ( ان احتلال كيلومتر آخر من التجمع  
المصري لن يخير من الامر كثيرا ، وبامكانك اصدار الامر لجونين لايقاف الهجوم  
على ميسوري ) .

لم يكن جونين يعلم بان رئيس الاركان قد ايد هو ايضا بعد ذلك اقتراح  
دايان بايقاف الهجوم . وقد توجه بعد ذلك الى العازار بطلب لعزل شارون  
من منصبه بسبب رفضه تنفيذ الاوامر ، وقال ان بارليف يؤيده في طلبه . وهذه  
هي المرة الثانية التي يطلب فيها جونين عزل شارون . وكان قد توجه للمرة  
الاولى بطلب الى رئيس الاركان بهذا الصدد ، في التاسع من تشرين اول .  
وادعى في ذلك الحين ان شارون قد قام بالهجوم في منطقة تلفزيون خلافا  
لامر صريح ، وانه فقد نتيجة لذلك اكثر من عشرين دبابة .

اما في هضبة الجولان ، فقد وصلت الاعدادات للمعركة الاخيرة الى ذروتها .  
وكما بدأت الحرب في الجبهة السورية على جبل الشيخ ، فلقد انتهت في  
هذا الجبل الشامخ . وقد شكل سقوط المركز الاسرائيلي الواقع على قمة جبل  
الشيخ ، والذي صار يعتبر اشهر موقع اسرائيلي منذ حرب الايام الستة  
مأساة ضمن مأساة الحرب . فحتى الخامس عشر من تشرين اول لم تكن  
الرقابة لتسمح بنشر اي شيء عن سقوط هذا المركز وفي اسرائيل سمحوا عن  
سقوطه بعمرة غير مباشرة ، وليس من خلال بيان رسمي . وفجأة ادركت القيادة  
الاسرائيلية انه لا يمكنها اصدار بيان عن صد السوريين بدون ان تعلن قبل  
ذلك عن سقوط المركز بايدي السوريين ومع ان لواء جولاني لم ينجح في

الاستيلاء على جبل الشيخ في الهجوم الاول ، الا انه كان واضحا لكل شخص في القيادة العليا ، وفي قيادة الجبهة ، ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيحاول مرات ومرات ، وحتى يرد السوريين عن هذا المركز الجبلي .

تقرر الان عدم الاكتفاء بالمركز الاسرائيلي في جبل الشيخ ، بل توسيع الهجوم ليشمل القمم العليا التي يسيطر عليها السوريون . وقاموا باختيار تشكيلين ممتازين لهذا الغرض ، وهما لواء جولاني ، والمظليون العاملون في هضبة الجولان . وكان على لواء جولاني ان يعود ويحاول احتلال الموقع الاسرائيلي ( والبالغ ارتفاعه حوالي ٢١٠٠ متر ) ، في حين يقوم المظليون بالاستيلاء على المراكز السورية الثلاثة الاعلى وهي مركز التمرجات ، ومركز التجاويف ومركز جبل الشيخ السوري ( والبالغ ارتفاعه حوالي ٢٢٠٠ متر ) والسذي يظل على المركز الاسرائيلي .

تركت قيادة الجبهة لهذه القوات حرية اختيار اسلوب الهجوم ووسائله ، ولذا قرر افراد جولاني ان يعملوا لوحدهم ، من الجبهة ، ومن نفس الاتجاه الذي انقضوا فيه على جبل الشيخ في اليوم الثالث للحرب ، واختاروا الوصول الى هدفهم سيرا على الاقدام . وكسلاح مشاة ، فقد اعتمدوا على ارجلهم وعلى الارض الصلبة . ففي حين تقوم كتيبة واحدة بالتسلق على الجبل بمحورين ، تتحرك قوة اخرى على الطريق المعبدة الصاعدة الى جبل الشيخ ، ويتقدمها دبابات عربات نصف مجنزرة . وهذه هي نفس الطرق التي صعدوا فيها الى الجبل في هجومهم الاول الذي صدده السوريون . واصر قائد الجبهة ومساعداه موافقتهما على الخطة بكل تفاصيلها .

أما المظليون ، فلقد اختاروا استخدام الطائرات العمودية . وكان عليهم التفكير جيدا ، وكان يتوجب عليهم الوصول الى مؤخرة جبل الشيخ ، والسعي ضلعه الغربي . فاذا ما ذهبوا مشيا على الاقدام ، فسيتوجب عليهم الدخول في المنطقة الواقعة على الحدود اللبنانية السورية ، والتي يتواجد فيها المسلحون الفلسطينيون ، والتي يطلق عليها الاسرائيليون ( فتوح لاند ) . وسيكون عليهم السير ساعات طوال ، وقد يضطرون الى الاصلادام



بالمسلحين الفلسطينيين في طريقهم الى هدفهم . وعلى اية حال فانهم سيصلون  
منهكين . واذ لم ينجحوا ، فان الطائرات العمودية ستقوم باخلائهم . فالميزة  
في استخدام الطائرات العمودية هي ان القوة ستصل الى خط البداية بحالة  
منتعشة ، ولكن سيتوجب عليها الطيران فوق وهاد وودي ان تزخر بالمسلحين  
الفلسطينيين . وهؤلاء قد يصيبون الطائرات العمودية الثقيلة والمليئة بالجنود .  
وهكذا كان هناك اسلوبان للمهجوم ، وكان كل لواء مقتنعا بان خطته هي  
الافضل . وفي قيادة الجبهة كان القلق اكثر تجاه المظليين ، فلقد كان الخوف  
على الطائرات العمودية التي قد تصاب وهي في طريقها الى هدفها ، وليس  
على رجال جولاني الذين سيتسلقون الجبل مشيا على اقدامهم .

كان استخدام الطائرات العمودية يلزم المظليين ببدء عملياتهم في وضوح  
النهار . . . حين كان افراد لواء جولاني متجمعين قرب القرية الدرزية مجسدل  
شمس ، ينتظرون هبوط الليل ، صعد المظليون الى الطائرات العمودية ، وكان  
يجب الانتماء من نقل وانزال كتيبي المظليين خلف المراكز السورية قبيل  
الساعة ١٢ / ٣٠ وكانت مهمة قادة الطائرات العمودية صعبة . فقد كان عليهم  
الارتفاع فوق الوادي حوالي ثلاثة كيلومترات في طريق متعرج بداخل وديسان  
ضيقة مكشوفة لمراكز المسلحين الفلسطينيين ، وكان عليهم ان يحددوا بسرعة  
موقع الهبوط ، لانزال الرجال ثم العودة لنقل حمولة اخرى .

وفي الوقت الذي كانت الطائرات العمودية تقوم بنقل المظليين ، بدأت  
المدفعية الاسرائيلية في صب نيرانها على المراكز السورية ، وكان قد تم حشد  
كمية كبيرة نسبيا من المدافع استعدادا لهذا الهجوم ، كما اشتركت طائرات  
سلاح الجو في المعركة .

وفي الساعة ١٢ر٤٠ هبطت الطائرات العمودية الاولى ، ولم تكن مهمتها  
سهلة نظرا لطبيعة الارض القاسية هناك . وكان على المظليين الابتعاد عن  
الطائرة فور هبوطهم منها ، لان الطائرات الهابطة كانت هدفا للمدفعية السورية .  
كانت كل طائرة عمودية تصل خلال ربع ساعة ، حاملة العشرات من المظليين  
وكان دعم السلاح الجوي متصلا وناجحا جدا ، فقد قامت الطائرات بقصف

المواقع السورية بالصواريخ والقذائف كما ألقى الكثير من قنابل الدخان .  
كان هناك رجال كوماندر وسوريون ، يحسرون على بعد عدة امتار من موقع  
المهبط ، ويبدو أنهم قد فوجئوا بتسلل الاسرائيليين من خلفهم . ولكن الدعم  
السوري سرعان ما وصل ، فقد وجهت المدفعية السورية قذائفها فسقطت على  
مقربة من موقع المهبوط . وعند ما ارتفع حازي بالطائرة العمودية من داخل  
الوادي الضيق ، شاهد طائرتي ميغ سورييتين تحلقان فوقه .

دفع السوريون بالعديد من طائرات ميغ ٢١ للمحركة ، ودارت على مسرى  
من المظليين معركة جوية كبيرة استمرت حوالي عشر دقائق . سقط فيها ثلاث  
طائرات ميغ ، كما اسقطت اربع طائرات ميغ اخرى في النور السوري .  
وفي الساعة ١٥٣٠ جرب السوريون اسلوبا آخر : فقد حاولت خمس طائرات  
عمودية تحمل رجال كوماندر وسوريين المهبوط ، الا انها وقعت فريسة سهلة  
للطائرات الاسرائيلية . وقد اسقطت طائرتان عموديتان بالصواريخ كما تحطمت  
طائرة عمودية اخرى في اثناء محاولتها الفرار ، ونجحت الطائرتان الباقيتان في  
الافلات . كما اصابت الطائرات الاسرائيلية ايضا الدبابات السورية التي  
حاولت الصعود على الطريق المتعرجة ، من الوادي - من جهة قرية عرنسة .  
وفي الساعة ١٧٠٠ بدأت كتيبة حازي في التحرك ، وكانت الخطة هي  
ان تقوم هذه القوة باحتلال مركز التمرجات ومركز التجاويف . اما وحدة اليشع ،  
التي ستكون في الخلف كقوة احتياطية ، فستمر بعد ذلك وتسيطر على مركز  
جبل الشيخ السوري .

وقبل ان يتوجهوا الى الطريق ، كرر حازي أوامره بقوله : ( يجب العمل  
ببطء .. بكثافة من النيران ، وبغطاء متبادل ، فلديكم وقت كبير ، ويوجد تحت  
تصرفكم بطاريات مدافع ١٦٠ مليمترا و ١٥٥ ميلمترا . وسيتقدمكم حائط من النيران ) .  
كانت طليعة القوة المتقدمة بقيادة عوزي تسور من كيبوتس شمير . وكانت هذه  
القوة تتألف من مظليين قدامى ، ومعظمهم ممن تجاوزوا سن الثلاثين ، وممن  
يتمتعون بخبرة قتالية كبيرة . وكان نقص الهواء في أعالي الجبل يحد من سرعة  
الحركة . وللوصول الى مركز التمرجات البالغ ارتفاعه حوالي ١٨٠٠ متره

كان يجب النزول في منحدر شاهق . وكان المركز يوجد قرب الطريق المتعرجة من عرنة ، ومن هنا جاء اسمه . وكانت الحركة بطيئة ، ولكن النار شديدة . وفي هذه المعركة سقط القليل الوحيد من وحدة حازي ، وهو من مستعمرة بردس حنا ، وكان على رأس الفئة المتقدمة ، وقد أصيب من على بعد عدة امتار ، برصاصة انطلقت من احد المراكز السورية واصابته في جبهته .

وبعد حوالي ساعتين ونصف الساعة من بدء المعركة ، سقط المركز السوري بايدي المظليين ، بعد ان تركه السوريون . ووجد في المركز سبع جثث فقط ، وقد بقيت وحدة حازي في هذا المركز .

وفي مكان لا يبعد كثيرا عن المركز اقاموا متراسا ، وكان هذا اجراء آليا ، فقد توقفت بعد فترة قافلة تتألف من ست شاحنات سورية عند هذا المتراس ، وكانت تتألف من وحدة مدافع ثقيلة ، حاولت دعم الكوماندو السوري ، الا انها وصلت متأخرة . وفي المعركة التي جرت قرب المتراس ، لم تنجح سوى شاحنة واحدة في الافلات ، اما افراد القافلة فقد نجحوا في تخليص انفسهم . وتقدمت قوة اخرى بقيادة شاي لين باتجاه مركز التجايف ، الذي يزيد ارتفاعه ب ٦٠٠ متر عن مركز التعرجات ، وكانت القوة تتقدم ببطء تارككة للمدفعية المتقدمة ، القيام بمهمتها .

استمرت المعركة في هذا المركز حوالي اربع ساعات ، وامتألت كل زاوية بالنيران ، وبعدها تقدم المظليون . وقد وجد رجال شاي في المراكز وفي التجايف جثث ١٥ رجلا من رجال الكوماندو السوريين وكان الباقون قد فروا الى السفوح الشرقية . وفي مركز قيادة الموقع وجدت جثث القائد السوري واثنين من رجاله ، وكانوا قد قتلوا بفعل قنبلة مدفع ، نفذت الى الموقع وقتلت الثلاثة . وكان بعض السوريين من القتلى يلبسون قداما من ملابس جيش الدفاع الاسرائيلي ، ويبدو انهم كانوا قد اخذوها من مركز جبل الشيخ ومن الاسرى الاسرائيليين ، كما وجد لدى بعضهم وثائق لجنود اسرائيليين . كان شاي في ذروة تقدمه ، لذا قرر حازي ان عليه الاستمرار في هذا التقدم . . . وحوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل مر رجال اليشع باتجاه

المركز السوري الواقع على قمة جبل الشيخ ، وهذا المركز يشبه في شكله موقع القسطل الكائن على طريق القدس - يافا . كان القلق كبيرا ، ولكن سرعان ما اتضح ان رجال الكوماندو السوريين قد فروا من هذا المركز ، بعد أن علموا بان الاسرائيليين يتقدمون من الامام ومن الخلف . وهكذا تم الاستيلاء على المركز السوري في جبل الشيخ بدون اية مقاومة .

طلب المظليون التابعون لالشيخ التقدم باتجاه المركز الاسرائيلي في جبل الشيخ ، ولمساعدة افراد لواء جولاني من الخلف . وكان وابل الطلقات من هناك كثيفا وشديدا . وصدر الامر بالانتظار ، فقد كان افراد جولاني يريدون اتمام المهمة بانفسهم .

ومن ضوء الصباح الاول شوهد رجال الكوماندو والمنسحبون من اتجاه المركز الاسرائيلي ، ولم يفر هؤلاء بل دخلوا في معركة مع المظليين ، وقتل في هذه المعركة احد رجال الشيخ . . . وعندما تبين للسوريين ان طريقهم مسدودا بدأوا بتسليم انفسهم .

لم تكن مهمة رجال جولاني سهلة وبسيطة . فقد كلف جبل الشيخ لسواء جولاني ، هذه المرة ايضا ، الكثير من الدماء ، وعشرات القتلى . وكان رجال اللواء جنودا في الخدمة الالزامية ، وتمت كفاءتهم الجسدية افضل ، وقد نجحوا في عملية تسلق جبل الشيخ التي استمرت ثمان ساعات . وكانوا يتقدمون بنفس المحاور التي كانوا قد ساروا فيها في الهجوم السابق ، والتي كانوا قد فشلوا فيها .

لم يفاجأ السوريون هنا ، بل كانوا يتوقعون هجوم جولاني كما في الهجوم السابق . وقام رجال الكوماندو والسوريون باتخاذ اسلوب سليم للدفاع عن النفس ، ولم يحاولوا خوض المعركة في داخل المركز نفسه ، بسبل كانوا ينتظرون القوة الاسرائيلية على الطريق الوحرة الكائنة امام المركز ، وعلى الطريق المتعرجة في الجبل .

وتقدمت على الطريق المعبدة عدة دبابات في طليعة الرتل . وصارت الدبابة الاولى فوق لخم كما اصيبت عربات اخرى بفعل قذائف الباروكا . كما

زعت الطريق الواقعة قرب محطة التلفريك الحليا ، والتي كان يستخدمها  
الكثيرون في التزلج على الثلج ، بالكثير من اللغام . وقد توقف الرتل ، وجرت  
معركة شديدة استمرت حتى الفجر .

ومن اول ضوء توقف الرتل بجانب التلة الواقعة اسفل المركز الاسرائيلي ، وكان  
السوريون قد ابقوا هناك ٢٨ رجلا ، جميعهم من المتطوعين ، بقيادة قائد  
سرية . وكان هؤلاء يختبئون من وراء السفح ، وعندما اقترب احد افراد جولاني ،  
اصابوه عن قرب . وقام سوريون اخرون بتوجيه نيرانهم من التجاويف الكثيرة ومن  
بين الصخور ، واصبحت نيران المدفعية التي ساعدت جولاني قبل زمن قصير  
غير ناجعة . وتفرق جنود جولاني على ارض كبيرة ، وكانوا قريبين جدا من رجال  
الكوماندو السوريين . وكان هناك احتمال ان تصيب القذائف الاسرائيليين  
ايضا مما دعا الى ايقاف نشاط المدفعية .

وطلع ضوء الصباح على افراد جولاني وهم ملتصقون بالارض يدون أن يكون  
بامكانهم التحرك بسبب النيران السورية . وألقيت القنابل اليدوية من طرف  
لاخر من مسافة قصيرة . . . ودارت معارك من مسافة امتار معدودة . وكانت  
الشمس الصاعدة تضيء ابصار رجال جولاني الذين يهاجمون من الشرق .  
وتزايدت الاصابات من لحظة لاخرى ، وانتشرت عشرات المسجث في المنطقة ،  
وكانت هذه المسجث ملقاة على بعضها البعض ، لان الرجال الذين كانوا قد  
اسرعوا لتخليص رفاقهم ، اصابوا بدورهم ، وكان عدد القتلى يتقلص سلسة  
لاخرى . وكان يجب اخلاء الجرحى بسرعة ، كما كان كل جريح بحاجة  
الى أربعة جنود لحمله .

لم يتراجع افراد لواء جولاني . . . وكان كثيرون يشعرون بان شرف اللواء  
معلق بهذه المعركة . وقبل خروجهم الى الطريق خطب فيهم قائد اللواء  
وشرح لهم اهمية جبل الشيخ بالنسبة لاسرائيل ورابطة الدم التي تربط  
جولاني بهذا المركز . وكان الكثيرون من الجنود يطلقون على مركز جبل الشيخ .  
اسم (عين اسرائيل) وجرح الان قائد اللواء ايضا وكان من اوائل المتقدمين  
الى المعركة .

كرر الجنود هجومهم وقامت مجموعات منهم بالالتفاف حول القناصة السوريين .  
وفي الساعة التاسعة تقريبا من صباح الثاني والعشرين من تشرين اول بسدا  
رجال الكوماندو السوريين بتسليم انفسهم . وكان من ضمنهم ايضا قائد السرية  
التي قام افرادها باطلاق النار واصابة الحشرات من افراد جولاني .  
كان الدخان يملأ الجبل ، ودخل جنود جولاني الى المركز الاسرائيلي  
الذي قتل فيه الكثير من الاسرائيليين . وفي الساعة ١٠:٥٣ تماما ، صمد  
جندي من جولاني باسم علي ، على سارية علم المركز ورفع عليها علمين - علم  
اسرائيل وعلم اللواء .

وهاد جبل الشيخ الى جيش الدفاع الاسرائيلي ، ولكن ثمنه كان باهظا . ففي  
هذه المرة ، دفع لواء جولاني ٦١ قتيل . وبينما كانت الطائرات العمودية  
تقوم باخلاء المصابين الكثيرين . . قام الجنود بتمشيط المركز والطرق الواقعة  
حوله ، وقاموا بالبحث عن جثث زملائهم ، والجثث التي بقيت في الساحة  
من المعارك السابقة .

٢٢ تشرين اول ١٩٧٣

كان لقضية (ميسوري) توابح ايضا في هذا اليوم ففي صباح هذا اليوم  
بكر وزير الدفاع في زيارة فرقة شارون . حيث سمى شرحا من اريك ، ثم توجه  
بعد ذلك الى قيادة الجبهة . واسرع دايان في الصعود على درج الاستحكام  
بينما كان حارسه يسير خلفه حاملا بندقية كلاشينكوف من صنع صيني وفي غمرة  
العمليات الحربية جمع بعض كبار الضباط ، ولكن معظم اقواله كانت توجه الى  
اللواء جونين . ولم يكن بارليف هناك ، حيث كان قد توجه لمقابلة رئيسة  
الحكومة ولزيارة رئاسة الاركان .

بدأ ديان اقواله : ( لقد طلبتم منه الاستيلاء على ميسوري واعلموا  
أن هذه فضيحة ، فمحاولة الاستيلاء على ميسوري تعتبر انتحارا ) .  
ورد جونين على ديان بقوله : ( ان شارون يدبر حربا خاصة به ) .

وكان يبدو أن وزير الدفاع قد تبني لنفسه اراء شارون العملية . وقال  
ديان ( انا افضل حصار الاسمعية على حصار الجيش المصري الثالث ، ومن

المهم قطع الجيش الثاني ، كما أن الاسماعيلية مهمة من ناحية سياسية .  
واستطلع ديان الخارطة وأشار باصبعه على الخارطة الى داخل سيناء ، ثم  
وضع اصبعه على تجمع مصري مقابل البحيرة المرة الصغرى ، يدعى عنقه . وقال  
ديان ، يجب الاستيلاء على هذا التجمع . وعلى القوة ج ان تقوم بذلك ، حيث  
انها لم تفعل شيئا طيلة الحرب ) ، و اضاف ( اطلبوا منها ان تحتل هذا التجمع ) .  
وجرى بعد ذلك نقاش فني ومارس جونيون اقتراح مهاجمة عنقه . واكتفى  
بشرح الاسباب العسكرية مع انه كان واضحا انه تاجر كثيرا من الاتهام المتعلق  
بشارون ، والتلميح عن طابعه السياسي للقيادة وشرح جونيون الامر بقولاه :  
( ان احتلال الاسماعيلية و قطع الجيش الثاني يعتبران حربا جديدة ، وفي  
حين ان حصار الجيش الثالث قد اشرف على الانتهاء ) . وكان اعتراضه يستند  
على ما يبدو على أن التوجه شمالا يستلزم عبور عائقين مائيين ( قنوات مياه  
حلوة ) . ويوجد في تخوم الجيش الثاني بطاريات صواريخ كثيرة ، ومدفعيية  
بوفرة . كما ان هذه منطقة زاخرة بالمستنقعات والكثبان وقطعها تماما مستحيل  
تقريبا وذلك لان الجيش الثاني يستطيع ان يتلقى تموينا من الشمال ، من جهة  
بور سعيد .

لم يقتنع ديان من التعليقات التي قدمها جونيون . وحاول جونيون تأجيل  
القرار بقوله لوزير الدفاع : ( سأحاول اقناع رئيس الاركان بعدم لزوم الامر ) .  
غضب ديان ، وغادر غرفة العمليات الحربية ، وبقي الجو متوترا . وكانت  
هذه اخر مرة يزور فيها ديان قيادة الجبهة الجنوبية قبل عزل جونيون من  
منصبه وابداله بيسرائيل طال ، مساعد رئيس الاركان .

اتصل جونيون الان برئيس الاركان وجرت محادثة قصيرة اصدر على اثرها  
المازار اوامره بالاستمرار في المهمات كما حددت في السابق ، وبدون تغيير  
اي شيء . كما حث على السعي للوصول الى اقصى ما يمكن انجازه قبل دخول  
وقف اطلاق النار حيز التنفيذ .

\*\*\*

لم يكن حصار الجيش المصري الثالث قد تم بعد ، ولكن قوات جيش الدفاع  
الاسرائيلي كانت في زخم حملتها . ووصل مساعد ميغن ، الذي حل محل

احد قادة الالوية الذي جرح في المعركة ، الى الكيلومتر ١٠١ على طريق السويس - القاهرة وكانت دبابات السنتوريون التابعة لهذا اللواء مليئة بالذخيرة والوقود . كما كانت مستعدة غربا باتجاه القاهرة . وطلب قائد دبابات السنتوريون اذنا بالاستمرار في التقدم ، لكنه تلقى امرا بعدم التقدم والبقاء عند الكيلومتر ١٠١ .

دخلت قوات اदन في معارك قاسية في المنطقة الزراعية المجاورة للقناة ، وكانت ألويته تحارب في منطقة معسكرات الجيش الواقعة غربي البحيرات المرة وقد بقيت هنا جيوب مصرية ، وكان فيها ايضا وحدات فلسطينية وكويتية . وفي معارك المدرعات انزلت دبابات اदन ضربة بالمصريين ، وكان الدعم الجوي يسهل الامر على الدبابات . وقطعت الجبهة من معظم بطاريات الصواريخ ، وكان للمصريين فيها اكثر من خمسين بطارية صواريخ مضادة للطائرات في بداية الحرب ، وبقي الان منها عدد محدود . وتدمير بطاريات الصواريخ ، زاد دور سلاح الجو . كما قامت القوات البرية ايضا بضرب اكثر من عشر بطاريات صواريخ واستولت عليها ، وكان بعضها بحالة سليمة .

كان سلاح الجو يزيد دعمه في معارك المدرعات ، ولم يكن الامر كذلك عندما قامت الدبابات تقف في وجه المشاة المصريين . ومع ان وحدات مصرية كثيرة قد فرت من غربي القناة ، الا ان جنودا مصريين كثيرين كانوا مستعدين للمقاتل من مسافة قريبة ضد الدبابات الاسرائيلية وكانوا يظلون حتى تقترب الدبابات الاسرائيلية منهم لمسافة عدة امتار ، ثم يطلقون عليها قذائف آر بي . جي وكانت الشجيرات الكثيفة الواقعة بجانب القناة تساعد سلاح المشاة المصري . ومع حلول الظلام ، ومع اقتراب وقف اطلاق النار ، زادت هنا جسارة الجنود المصريين ، ونجحوا في الايقاع بشدة باحدى كتائب المدرعات التابعة لادن ، والتي وصلت الى الضفة القناة من الضرب . واصيبت تسع دبابات ، واثنان من العربات نصف المجنزرة ، ولم ينج افراد هذه الدبابات في الخلاص من كمين الشجيرات وقنوات الماء والالغام الا بصعوبة كبيرة . كانت قوات شارون تغرق طريق الاسماعيلية - القاهرة بالنيران . ولم



يكشف شارون بذلك ، فقد كان المظليون والقوات الاستطلاعية يتواجدون في ضواحي الاسماعيليه .. يتقدمون ببطء في الوقت الذي كان يتحرك فيه من خلفهم ، على الطريق الوحيدة ، رتل من العربات والمدافع واقف التقدم في مدخل المدينة الجنوبي ، فلقد قامت كتيبتان من رجال الكوماندو المصريين - لديها كمية كبيرة من الصواريخ المضادة للدبابات - بسد الطريق . ودارت معركة شديدة ، سقط فيها الكثير من الجرحى . وعندما حل الظلام ، واقتربت ساعة ايقاف النار ، وفي الساعة ١٨٥٢ ، بالتمام - وهو الموعد الذي حدد مجلس الامن - تلقت قوات ميجن وادن ، امرا بالتوقف عن اطلاق النار . وكانت المعركة قرب الاسماعيليه على اشدها ، ولم يكن من الممكن ايقافها قبل تخليص المصابين من ساحة المعركة .

طلب شارون دعما جويا للمساعدة في تخليص رجاله ، ولكنه تلقى جوابا سلبيا .... وشرح بارليف الامر بقوله : ان الليل مظلم بحيث يصعب على الطائرات تقديم العون من قريب ، كما انها قد تصاب بسهولة . ولم يقبل شارون شرح بارليف ، ولم يكن يعرف ، في تلك الساعة ، ان لبارليف ايضا مصلحة شخصية في المعركة الدائرة قرب الاسماعيليه . فلقد كان ابنه ضمن افراد الدورية الاستطلاعية التي كانت تقاتل على راس الرتل قرب المدخل الجنوبي للمدينة . كذلك شرح اللواء هود لشارون الصعوبات في استخدام الطائرات في هذا الوضع .. وكان على المظليين ورجال الاستطلاع ان يعملوا على تخليص انفسهم بانفسهم ، وبمساعدة المدفعية الثقيلة .

وفي الساعة ١٩٣٢ تلقى شارون تقريرا من قيادة الجبهة ، بان بقية الفرقة قد اوقفت القتال في الواقع .. وذلك بعد ان دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ . وتلقى شارون امرا بأن لا يبادر الى القيام بعمليات جديدة في المنطقة التي تتواجد فيها قواته وأن عليه ان يكتفي بتخليص الجرحى ، وانه من الافضل ان يتم ذلك بدون اطلاق النار . وقد استمرت عمليات التخليص اربع ساعات اخرى الى ان تم اخلاء الساحة من القتلى والجرحى . ومع طلوع الصبح تبين للمظليين الاسرائيليين انهم على بعد عشرين مترا من مواقع رجال الكوماندو المصريين .

وفي حوالي منتصف الليل هدأت الجبهة قرب الاسماعيلية ولكن ليس في القطاع الجنوبي .. فقد دخلت وحدات من الكوماندو والمشاة المصريين الى الاماكن التي تعسكر فيها المدرعات الاسرائيلية ، واصابت الدبابات والعربات المتواجدة هناك بقذائف آر. بي . جيه . وعلى ما يبدو ، فقد كانت هذه الوحدات تريد فتح ثغرة أمام الجيش المصري الثالث . وقتل من جراء هذه الهجمات جنود اسرائيليون ممن اعتقدوا ان اطلاق النار قد توقف . وكان في هذه العملية ما يكفي لجعل قيادة الجبهة تقر بان وقف اطلاق النار غير نافذ المفصول ، وتقرر استغلال هذا الاخلال بايقاف النار .

وفي مساء هذا اليوم قررت رئيسة الوزراء بان جيش الدفاع الاسرائيلي سيرد على كل حادث حالي من جانب المصريين ، ويقع بعد وقف النار ، بعملية شاملة . وفي الفجر ، صدر الامر لقوات ادن وميجن بالاستعداد للتحرك لاتمام الحملة ..

٢٣ / تشرين اول / ١٩٧٣

بعد ان اخل المصريون بايقاف النار ، اصبح بإمكان جيش الدفاع الاسرائيلي ان يكمل اليوم ، حصار الجيش المصري الثالث مع مدينة السويس . وكان قد تم محاصرة اكثر من عشرين الف جندي مصري وحوالي ثلاثمائة دبابة بداخل جيب في سيناء وفي جزء من مدينة السويس . كما تم اسر حوالي ثمانية الاف جندي اخر منذ عبور جيش الدفاع الاسرائيلي لقناة السويس .

كان الجهد المصري كله مركزا لمنع الحصار . وقامت وحدات المهندسة التابعة للجيش المصري الثالث بمحاولة مد جسور على قناة السويس ، وذلك للعبور الى الغرب في هذه المرة ، لمنع اتمام الحصار . وقامت قوات ادن سبع مرات باحباط جهود المصريين لمد جسور على القناة .

وبعد الظهور قام ادن بهجومه الكبير والآخر ، فقد قامت وحدتان من فرقته بهجوم على شكل قوس واسع ، وادت الى انهيار التجمع المصري في الطريق الى مدينة السويس . واصيبت في هذا الهجوم عشرات من الدبابات المصرية ، كما تركت عربات ومدفعية . وكانت هذه المعركة تشبه في زخمها

مشارك المدرعات في حرب الايام الستة وقد وصلت قوات ادن في نهاية هذا الهجوم الى اطراف مدينة السويس ، وقامت الدبابات الاسرائيلية في التجول في الحي الصناعي بالمدينة ، قرب مصنع السماد ومصافي البترول ، التي كان قد دمر معظمها في حرب الاستنزاف .

فتح النفاذ الى السويس ، الطريق الى الجنوب .. الى خليج السويس وقامت قوات ميغن بالاندفاع نحو الخليج حيث تتواجد قوات مصرية ، ووحدة مصرية ، كانت قد وصلت الى مصر في اثناء الحرب . وكان على راس الرتل الاسرائيلي تشكيلة من المدرعات ، كانت في سيناء في يوم الخفران ، عندما بدأت الحرب . وكان الكثيرون من افرادها قد قتلوا ، وحل محلهم رجال من الاحتياطي . وقد وصلت هذه التشكيلة الى اقصى نقطة في الجنوب ، بعد أن اكملت عملية الحصار . ودخلت الى ميناء ادبية في خليج السويس وفي الساعة ٢٣ر٤٠ بحث ميغن بتقرير الى قيادة الجبهة قال فيه ( ان ادبية في يدي ) . وبعد ذلك بوقت قصير ، دخلت الميناء المصري زوارق خفر تابعة لسلاح البحرية الاسرائيلية . وكانت هنالك سفينتان تجاريتان راستان قرب الرصيف ، احدهما سعودية والاخرى يمنية ... كما كان هناك ثلاث سفن حربية صغيرة تابعة لسلاح البحرية المصرية . وكان الدخان يتصاعد من احدهما وعلى ظهرها جثة ملاح مصري .. وقام قائد القاعدة البحرية المصرية نادر دياب باداء التحية العسكرية للضباط الاسرائيليين واستسلم .. وقال الضابط الاسرائيلي الشاب الذي كان قد وصل لتوه في زورقه للميناء ، بلغة انجليزية وبلهجة اعتذار ، ( يوسفني أن اقابلك في هذه الظروف ) ، واجاب القائد المصري ( هذه هي الحرب ) .

لم يمه اكمال الحصار الحرب ، وتقرر المحافظة على وقف اطلاق النار ، وعدم القيام بحملات جديدة ، بل اكمال تطهير المنطقة الموجودة تحت سيطرة جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد بقيت جيوب مصرية صغيرة في المنطقة التي استولى عليها جيش الدفاع الاسرائيلي . وكان هناك جنود مصريون ، ممن حاولوا هنا وهناك ، شق طريقهم الى خارج هذه المنطقة مستعينين بالنيران من داخل المنطقة .

وصلت قوات ادن الى ضواحي السويس، وقامت بالسيطرة على بعض الشوارع.  
وكان القرار هو محاربة السيطرة على المدينة بأكملها.  
وفي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل اتصل اوري بن آري مساعد  
جونين باللواء ادن قائلاً : ( اننا نريد ان نستولوا على مدينة السويس، ولكن  
بشرط أن لا تكون هذه ستالينغراد اخرى ) .

قبل ادن هذا الامر، ولكنه فضل أن تبدأ العملية في وضح النهار، وكانت  
هذه هي آخر وأكبر معركة، وواحدة من اشد المعارك التي قاتل فيها المظليون.  
كان الاحساس لدى القوات الاسرائيلية بان الحرب قد انتهت قبل اوانها،  
وان الانتصار الكامل قد سرق منها عندما اشرفت على خطفه .. كذلك فان الامر  
اليومي الاخير في حرب ( يوم الغفران ) والذي اصدره رئيس الاركان كان به  
شيء من هذا الشعور .

ونحو الفجر، نشر الناطق باسم جيش الدفاع الاسرائيلي بلافا عسن حصار  
الجيش المصري الثالث ومن دخول جيش الدفاع الاسرائيلي ميناء ادبية . وقد  
استخدم هذا البلاغ في وقت لاحق دليلاً بيد الاتحاد السوفياتي على أن حصار  
الجيش الثالث قد حصل بعد الموعد الذي حدده مجلس الامن لوقف النار .

٢٤ / تشرين اول ١٩٧٣

لبس التهديد السوفياتي بالتدخل العسكري في الشرق الاوسط صورة  
ملموسة، وكانت هذه هي المرة الاولى التي يرسل فيها اركان البعثة العسكرية  
الروسية في مصر معلومات مضطربة الى الكرملين . فوقف اطلاق النار الذي  
قرره مجلس الامن، في اعقاب الضغط السوفياتي على واشنطن، ولم يحافظ  
عليه . ومعارك اليوم الاخير أدت الى احداث تخيير جوهري في الجبهة،  
وفي المعامات الاربع والعشرين الماضية احرز جيش الدفاع الاسرائيلي مكاسب  
لم يحرزها طيلة ايام الحرب . فلقد حوضر الجيش المصري، كما ضرب تجمعه  
الخلفي وتفرق . وام يكن يوجد بين ارتال المدرعات الاسرائيلية وبين القاهرة  
سوى بضع عشرات فقط من الدبابات . وكان امام جيش الدفاع الاسرائيلي  
عدة خيارات للهجوم، واحدها باتجاه القاهرة . وام يكن هناك في الواقع

من يوقف الدبابات الاسرائيلية ، حيث ان الجيش الثاني كما ان جاهزا  
في الشمال ، بعيدا عن المحاور الرئيسية والقصيرة للقاهرة .  
التقطت اجهزة الاستخبارات الامريكية ، في عدة اماكن ، اشارات حـول  
استعدادات الاتحاد السوفياتي ، ولتدخل العسكـري في الشرق الاوسط ،  
وكان يبدو وأحيانا ان الروس لا يحاولون اخفاء استعداداتهم وسجلت محطات  
التصنت الامريكية ، اعدادات وتحركات قوات روسية في ألمانيا الشرقية وبولندا .  
وتلقت سبع فرق من المظليين ، وسلاح المشاة ، وأمر بالتحرك ، استعدادا  
للطيران الى الشرق الاوسط ، وللمكوث فترة طويلة في الاماكن الجديدة . وبدأت  
بعض هذه الفرق بالتحرك الى المطارات . كذلك تلقت اسراب حربية أسـرا  
بالاستعداد للتوجه الى الشرق الاوسط . كما ان الجسر الجوي الروسي ، الذي  
قام حتى الان بنقل معدات وأسلحة وذخيرة الى مصر وسوريا ، قد أوقف هذا  
الصباح نشاطه . ويبدو أن طائرات النقل كانت ستوجه الى مـهمتها  
الجديدة وهي نقل سبع فرق روسية الى الشرق الاوسط .

سجلت اقدار التجسس الاميركية تفاصيل جديدة .. فلقد قام اللـواءان  
الروسيان المجهزان بصواريخ ارض-ارض ، من طراز سكاك ، بنشر بطاريات  
صواريخهما شرقي القاهرة . وعندما مرت ألوية الصواريخ في السفن ، عبر  
مضيق البوسفور ، سجلتعدادات حساسة وجود اسلحة نووية في هذه السفن  
الروسية . ويبدو أن الروس كانوا يريدون ان يعرضوا بصراحة ، الاسلحة  
الذرية ، التي نقلوها لمصر . فالصور التي التقطتها اقدار التجسس الاميركية  
اظهرت بوضوح الرؤوس النووية قرب بطاريات الصواريخ .

وافق هذه الدلائل المقلقة ، تصريحات مشبوهة ، فقد اعلن السادات أنه  
يقترح اقامة قوة مشتركة روسية - امريكية ، للمحافظة على وقف اطلاق النار في  
الشرق الاوسط ، واسرع الكرملين الى اصدار بيان مفاده ان اقتراح  
الرئيس السادات اقتراح جيد .

وفي واشنطن قال سفير الاتحاد السوفياتي أنتولي دوبرنين للدكتور كيسنجر  
بأن بلاده تنوي ارسال قوات من اجل ان تحافظ سوية مع الولايات المتحدة

على وقف اطلاق النار الذي خرقتة اسرائيل . وكان رد كيسنجر شديدا باذا انضم  
الاتحاد السوفيتي الى الحرب ، في الجواو البحر او البرقان الولايات المتحدة  
ستجد نفسها تقف في الجانب المقابل .  
وبعد الحديث مع دوبرنين دعا كيسنجر مجلس الامن القومي الى الانعقاد .  
وكان احد التقديرات هو ان الروس لا ينوون على الاطلاق ارسال جيش الى الشرق  
الايوسط ، وان كل ما جرى ما هو الا مناورة كاذبة هدفها اعادة جيش الدفاع  
الاسرائيلي الى الخطوط التي كان يربط فيها في ٢٢ تشرين الاول وضع وقف  
هجوم آخر . لكن مجلس الامن القومي في الولايات المتحدة لم يكن على استعداد  
لتحصيل مخاطر لا لزوم لها .  
اعلن الرئيس نيكسون حالة الطوارئ في الجيش الامريكي . وتلقت القيادة  
الجوية الاستراتيجية أمرا استعداد في نفس الليلة . وانطلقت سفن امريكية اضافية  
مسيرة الى البحر المتوسط . وفي داخل الولايات المتحدة نفسها تلقت الفرقة  
٨٢ المنقولة جوا أمرا بالاستعداد للانتقال الى الشرق الاوسط .  
تراجع الروس . ولو كانوا حقا ينوون نقل جيش الى الشرق الاوسط لما فعلوا  
ذلك . وحققوا بصورة غير مباشرة احد اهدافهم . فحصار الجيش الثالث لم يكن  
كاملا وتاما . وما تحتاجه الولايات المتحدة واسرائيل هو الهدوء ووقف اطلاق  
النار . وقد اوضح كيسنجر للزعماء الاسرائيليين اثناء زيارته لاسرائيل بأن منع  
الخداء عن الجيش الثالث ستؤدي الى قيام الروس بأرسال سفن الى ميناء السويس .  
ولم يطرح كيسنجر اقتراحه على شكل انذار ولكن كان يفهم بأنه اذا ما  
رفضت اسرائيل ذلك عندها سيتدخل الاتحاد السوفيتي ، وستعتبر واشنطن  
القدس بانها المسؤولة عن التدهور . ووضح كيسنجر قائلا : " ستكون هذه  
مشكلتكم . اذا استؤنف اطلاق النار قد تضربون المصريين لكن بالنسبة لكم  
ستنشأ مشكلة خطيرة جدا " .  
وهكذا فقدت اسرائيل ورقة مهمة . صحيح أن كيسنجر وافق على عدم  
انسحاب جيش الدفاع الاسرائيلي الى خطوط الثاني والعشرين من تشرين  
الاول لكن الجيش الثالث سيتم انقاذه . وقبل بضع ساعات من قدم كيسنجر

الى اسرائيل قال وزير الدفاع في جلسة الحكومة بان تطويق الجيش الثالث هو  
الانجاز المهم جدا لدى جيش الدفاع الاسرائيلي . وان عليه على الاقل أن  
يلقي سلاحه ويخلي المنطقة . انضم يفتال الون الى راي موشي ديان وأضاف  
ان الحرب على الجيش الثالث هو الذي سيدفع المصريين الى اجراء محادثات  
على الفور . ولم يستمر هذا الموقف المتشدد اكثر من ٢٤ ساعة . فالتدخل  
السوفييتي الى جانب العرب خلق بالضرورة تبعية متزايدة من جانب اسرائيل  
للولايات المتحدة . في هذا الوقت كانت اسرائيل هذه المرة تمني نفسها  
بأمل أن تؤدي المحادثات المباشرة مع المصريين الى شيء ذو مغزى وليس  
مجرد ترتيب آخر قابل للانحياز .

وفي هذه الاثناء كان المصريون يقاتلون ويبدلون كل جهد من اجل  
تحطيم الطوق . وبالقرب من الطريق الرئيسي المؤدى الى القاهرة وعلى مقربة  
من الكيلو ١٠١ ، هاجمت قوة مصرية الوحدة الموجودة على الطرف الغربي  
بقيادة عمجين . ودارت المعركة الاكثر ضراوة داخل مدينة السويس . وهذه هي  
المعركة الوحيدة التي دارت خلال الحرب داخل منطقة مبنية حيث تسورط  
جيش الدفاع الاسرائيلي في هذه المعركة عن دون رفبة .

وفي هذه الحالة ايضا ظهر نقص في المعلومات . دخل جيش الدفاع  
الاسرائيلي بلحوم الاسد بدون ان يشعر بأن الانياب قد تطبق عليه . وقد  
استخلص افراد الاستطلاع الذين ذهبوا لجس النبض في الصباح من حول  
المواقع المصرية بأن المدينة اصبحت مدينة اشباح ، أو أن القوة المرابطة  
بداخلها هي قوة صغيرة وفيسر منازمة .

صحيح أنهم شاهدوا مواقع للمدفعية المضادة للدبابات ، غير أنه لم يجر  
تبادل في اطلاق النار من قبل هذه المواقع عندما كانت الدبابات  
الاسرائيلية تطلق نيرانها .

ولكن هناك في السويس عدة الاف من الجنود ، كان بعضهم تابعين  
لوحدات انتشرت في غرب القناة ، لكن هناك وحدة على الاقل من منظمة بصور مناسبة .  
كان القادة الاسرائيليين مقتنعين بان المكان والعدد القليل من الجنود

يريدون الاستسلام . وكانت التليفونات ما تزال تعمل داخل المدينة . وتسم  
الاتصال من ضواحي المدينة بالحاكم المدني للمدينة . وكان هذا على استعداد  
للاستسلام ، ولكن حسب قوله لا جدوى من استسلامه بدون موافقة من القائد  
العسكري . وبعد المشول هو والقائد العسكري ولكن لم يسمح منه بعد ذلك  
اي شيء . ونجحوا في الحصول على مكالمات هاتفية مع القائد المصري للموقع  
القريب من العينة . وقال هذا القائد بان افراده على استعداد للاستسلام .  
وسيلقون بسلاحهم في اللحظة التي تصل فيها قوات جيش الدفاع الاسرائيلي  
اليوم . كان كل شيء يبدو سهلاً ومضموناً . وتقرر اقتحام المدينة .  
وفي الساعة العاشرة والنصف بدأ التحرك . وتحركت القوات باتجاه عين  
اتجاه حد الارتال من الشمال والثاني من الغرب . وكانت النية ان تلتقي هذه  
القوات بالقرب من الساحل . ولم تسبق عملية الاقتحام عملية تمهيد مدفعي  
على المدينة وعلى الطرق التي تحركت عليها الارتال . سارت في المقدمة  
كتيبة دبابات ، وليس قوات مشاة التي من مهمتها جس النبض في مثل هذه  
الحالات ، وان تفحص عن كذب ، فيما اذا كانت القوات ستدخل احد الكمان .  
وسارت خلف الدبابات المسرفات وحاملات الجنود المدعمة والمظليين وافراد  
احدى وحدات الاستطلاع . كانت الحركة فوق طرقة ضيقة حيث اصطفت  
على جانبيها بيوت مرتفعة . وجرت عملية الاقتحام بهدوء وبدون اطلاق  
ونجأة فتحت نيران قوية ومن كل اتجاه . ألقى المصريون من نوافذ  
البيوت ومن السطوح الاف القنابل اليدوية . ووجهوا القنابل اليدوية الى  
داخل المسرفات المفتوحة من خلف الجدران ، والشرفات واطلقوا الصواريخ  
المضادة للدبابات . وخلال فترة قصيرة اصيب عدد كبير من الدبابات  
والمسرفات . وانتشرت الارتال الاسرائيلية في منطقة كبيرة . ولم تكن  
هناك وسيلة للخلاص من النيران غير الانسحاب .  
واستدارت الدبابات الى الخلف وتخلصت . وكان المظليون مكشوفين  
اكثر من غيرهم . قفز الكثيرون منهم من داخل آلياتهم المعطوبة وسيطروا على  
البيوت المجاورة ودافعوا عن انفسهم من داخلها . وكما حدث في المزرعة



الصينية والقرب من الاسماعيلية فلقد كانت المشكلة هنا ايضا : كيف يمكن سحب المظليين من مصركة لم يعرفوا فيها مسبقا قوة العدو . ووجه في هذا الوقت الجهد كله لانقاذ الافراد واخلاء الجرحى . كانت مسرفة استخبارات اللسواء هي الاخرى اندفعت الى الداخل . واصيبت المسرفة وانطلق افرادها السى احد الجدران المجاورة . وهنا شوهد لآخر مرة افراد المسرفة التسعة وارسلت سرايا دبابات الى الداخل اكثر من مرة للاتصال بالمظليين الذين انسحبوا على شكل مجموعات . واصيبت دبابات اخرى اثناء عملية الاقتحام هذه كما ارتفع عدد الجرحى .

وبالقرب من المدينة ، وفي مدى النيران هبطت طائرات هليوكبتر من اجل اخلاء الجرحى بسرعة . انطلقت احدى هذه طائرات الهليوكبتر الكبيرة من فايد في طريقها الى السويس . وقبل عدة دقائق من ذلك كان الدكتور أورى فراند قد نظم ثلاثة مضمدين وقرر أن يخرج بنفسه لاء الجرحى . وعندما كانت الطائرة تم بالهبوط بالقرب من السويس اصيبت الطائرة بصاروخ كسف من نوع ستيرلا ، وتحطمت الطائرة وبداخلها ثمانية من الركاب . وتم تخليص مجموعات اخرى من المدينة التي غمرت بالنيران . وقتل حوالي ٨٠ مظلي ورجل دروع ، ومع هبوط الظلام ، وعندما كان جنود قوات الطوارئ الدولية يرفعون بالقرب من الكيلو ١٠١ العلم لتأشير اقصى نقطة في الضرب وصل اليها جيش الدفاع الاسرائيلي ، كانت لا تزال هناك ثلاث مجموعات معززة داخل مدينة السويس : (أ) افراد الاستخبارات ، الذين قطع الاتصال معهم . (ب) مجموعة المظليين بقيادة ح . (ج) مجموعة اكبر تحصنت هي الاخرى داخل احد المنازل . وكان مع هذه المجموعة قائد كتيبة اصيب اصابة بليغة . ومحروف ان أمر الكتيبة هو الذي يد ير المعركة . كان الاتصال مع مجموعتي المظليين مستمرا . وعند هبوط الظلام قررت المجموعة الاولى بقيادة (ح) الخروج من المدينة سيرا على الاقدام . وقد حمل افرادها الجرحى معهم بواسطة اسنادهم . وكانت تسير في المقدمة قوة قوية خشية الاصطدام مع المصريين أملا في الخلف فقد سار المجمع ( افراد اخلاء الجرحى .. المترجم ) وبمسيد ساعتين من التقدم البطيء نجحت هذه المجموعة في الخروج من المدينة .

أما المجموعة الثانية الأكبر حجما فكانت تمثل مشكلة خطيرة جدا . فقد حشد المصريون من حولها قوات كبيرة . وظهر انهما مطوقة من كل اتجاه . واثناء احدى محاولات الانقاذ قتل نائب آمر لواء المظلات . وفشلت جميع وسائل الانقاذ بواسطة الدبابات . وفي حالة واحدة وصلت خمس دبابات عبرتتين مدعيتين من الوصول الى مسافة ٢٠٠ متر من المكان الذي تحصنت فيه المجموعة . وأقام المصريون على الطريق حاجزا كبيرا وزرعوا الخام كثيرة . واضطر الرتل الارتداد خلف عندما اطلقت باتجاهه صواريخ مضادة للدروع .

وجرت عند منتصف الليل مشاورات حول ما اذا كان يتعين أن يطلب من قائد القوة المحاصرة الخروج مشيا على الاقدام مع الجرحى أو الانتظار حتى النهار . من اجل الاقتحام تحت غطاء السلاح الجوي والمدفعية . طلب جونين محادثة قائد القوة المطوقة . بعد عدة دقائق سيكون منتصف الليل .

جونين : كيف حالك ؟

آمر القوة : الوضع الان عال . نحن في منزل محمي بصورة جيدة . ان وضعنا داخل البيت جيد . ان المشكلة هي أن خروجنا سيدخلنا الى منطقة فيها مواقع عسكرية . من حولنا توجد قوات مخدقة لهذا فقد طلبت الانتظار هنا حتى صباح غد .

روت حول .

جونين : هل لديكم تموين وعتاد ؟

القائد : تموين لا يوجد لدينا تقريبا . سنحاول ان نأخذ الان من داخل آلياتنا المحترقة اذا تبقى فيها شيء . بالنسبة للعتاد الوضع خطير . وفي رأيي ان الحل هو صباح يوم غد . الدخول مع قوة صدمة حقيقية من الدبابات وخلفها آلية صغيرة لاخراجنا . وربما يمكن التفكير ايضا باسناد جوى .

جونين : لدى سؤال آخر . هل هناك طريق آخر لاحتمال الخروج في الليل

القائد : في تقديري غير مجد . فنحن محاطون .

جونين : ما اسمك ؟

القائد : دافيد دودو .

جونين : دودو ، ربما نأخذ بأقتراحك . ما هو شعور الافراد ؟

دودو : تعبين جدا . لكن نسبيا الوضع عال .

جونين : هل هنالك اصابات بليغــــــــــــــــة .

دودو : اصابتين .

جونين : هل تعالجونهم ؟

دودو : اجل . لدى طبيب يقوم بحمل مددش . يوجد هناك طاقم جيد .

لا توجد مشاكل من ناحية الجرحى فيما عدا اثنين من الممــــــــــــــــم اخلاؤهما .

جونين : هل سطح منزلك مسطح (منبسط) ؟

دودو : ، بالايجاب . انا موجود في مبنى شرطة السويس ، شرطة البلدية .

يمكن تشخيص البيت حسب التصوير الجوي .

جونين : سأتمصل بك . أبق منصتا .

وفي غرفة العمليات ، عرضت التصاوير الجوية وبدأت عملية البحث عن المنزل

الذي يحاصر فيه دودو ورجاله . انهم يريدون ايجاد محور خروج ومحاولة

توجيهه دونه الى الخارج .

دودو : معذرة عن الاقتحام . نحن موجودون داخل تشعب للطرق ..... ان

الخريطة الموجودة لدى غير دقيقة ، من الافضل الاستعانة بتصوير جوي .

جونين : هل لديك مثل هذا التصوير؟

دودو : لدى صورة واحدة فقط وهي ايضا في حالة غير جيدة .

جونين : هل الطريق يقع عند ملتقى طرق ، على شكل مربع وفي السقف ثقب؟

دودو : اجل .

وفي غرفة العمليات اراد جونين معرفة كم بالامكان تركيز مدفعية على

ضواحي المنزل .

جونين : اريد ان اوجه المدفعية من حولك . انت تتابعني ؟ هل تسرى

العدو من حولك ؟

دودو : ارى العدو . لدى عمليات رصد . لقد امسكت بأسير ايضا .

جونين : هل انت على تماس بالنار الان ؟

دودو : هدوء من حوالي الان • لدى حراسة شديدة •  
جونين : هل انت على استعداد بذل محاولة لاجراج قوة صغيرة؟ مسـن  
الجائز انهم غير متيقظين •

دودو : درست الامور • بيدولي ان وضع الافراد هو كالتالي : انه ليست  
هناك امكانية للخروج في هذه المرحلة • انضمتم الينا ايضا قوات من افرادنا  
الذين رابطوا في منزل من الشرق وتبادلوا النيران طوال اليوم • سأصعد  
الان الى الطابق الثاني وأحاول مشاهدة ما يحدث من حولنا •  
جونين : مشاعل من اجلك للاضاءة •

في هذه الاثناء اجري جونين محادثات مع ضابط الاستخبارات في القيادة  
ومعادن ومع رجال السلاح الجوي • ومرة اخرى خلصوا الى نتيجة وهي أن  
الوسيلة الأمثل هي الخلاص في الليل • ويتعين على دودو ورجالهم قطع مسافة  
كيلومتر ونصف • ان توجد في الليل مزايا كثيرة • وقرروا حثه على الخروج  
بالسرعة الممكنة • واتصلوا ثانية بدودو •

دودو : لم اشاهد حركة • حقا كانت هناك بضع طلقات •  
ادن ( يتدخل في المكالمة ) : اطلب منك الخروج حالا • أعد القوة للخروج •  
قرر فقط الاتجاه وانذا لم تسارع فانك قد تدخل في ورطة غير عادية • عليك  
ان تخرج حالا •

جونين : سجل - اقطع مسافة ٢٠٠ متر جنوبا حتى نهاية القطعة الثالثة  
من ملتقى الطرق •

دودو : واضح • روت حول •  
جونين : بعد ذلك اقطع ٢٥٠ مترا باتجاه الغرب على طول الزقاق • قبل  
نهاية الشارع يوجد زقاق آخر • اتجه وواصل السير • ٢٠ مترا شمالا • ستصل  
الى سكة حديد وقناة مياه وجسر • ومن هنا اتجه مباشرة حتى ملتقى الطرق  
الذي في ايدينا • الان عليك أن تقرر ما اذا كنت تريد الاسناد أم لا •  
استمرت هذه المخاطرة حتى ما بعد الساعة الثانية قبل الفجر • وفي  
النهاية قرر دودو القيام بمحاولة للخلاص بدون اسناد مدفعي ومفاجأة

المصريين بالانسحاب الصامت . وكان قراره صحيحا . استمر التقدم البطيء ساعتين وسار الجميع مترا تلو متروهم يحطون الجرحى على ظهورهم . وفي الساعة الرابعة صباحا قبل بزوغ الفجر اقتربت القوة من مفترق الطرق الذي يقع تحت سيطرة جيش الدفاع الاسرائيلي . وهنا كانت في انتظارهم سيارات الاسعاف لاختلاء المصابين . وهكذا انتهت المعركة الكبيرة الاخيرة في حرب يوم الخفران . وقد سقط في هذه المعركة حوالي ٨٠ شخصا . وتم استلام جثث الكثيرين منهم من قبل المصريين بعد وقف اطلاق النار .

٢٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣

وانتهت الحرب . الحرب الاخرى . لكن الناس ظلوا يقتلون حتى بعد رجاء أن وضعت الحرب اوزارها بصورة رسمية . فقد هاجم الكوماندوز المصريون هذا الصباح قيادة احدى القوات . كان القادة يحضرون اجتماعا عندما انفجرت بالقرب منهم قذائف آر بي جي . وسقط عدد منهم قتلى . حاول جنود مصريون يائسين مضطربين ان يشقوا لانفسهم طريقا خلف الخطوط . ولاقى الكثيرين منهم مصرعهم ، واثناء تبادل النيران اصابوا ايضا عددا من الاسرائيليين . كان في الجيش جنود مصريون على استعداد للتسليم ، ولكن رفاقهم كانوا يطلقون النار عليهم عندما حاولوا تسليم انفسهم . وفي الفرقتين المحاصرتين التابعتين للجيش الثالث تم تشكيل محاكم عرفية لمحاكمة كل جندي يحاول تسليم نفسه للاسرائيليين والحكم عليه لمدة خمسة عشر عاما بالسجن مع الاشغال الشاقة .

انتهت الحرب الخامسة لاسرائيل . حرب الاستقلال في عام ١٩٤٨ وحطمة سيناء في سنة ١٩٥٦ ، وحرب الستة ايام سنة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف عام ١٩٧٠ . والان حرب يوم الخفران ، ولقد دفعت اسرائيل هذه المرة ثمنها باهظا جدا . وتفوقت حرب الاستقلال عليهما بعدد القتلى . وفي حرب يوم الخفران قتل ٢٥٢٢ اسرائيلي . وبقي الكثيرون منهم في ساحة المعركة التي انسحب منها جيش الدفاع الاسرائيلي . كان هذا هو الجيل الثاني الذي حارب من اجل كيان اسرائيل . لكن الحرب هذه المرة كانت حرب

الآباء والابناء • فالآباء الذين شاركوا في الحرب عندما كانوا شبابا في حرب  
الاستقلال ، هم الآن القادة الذين يرسلون أبناءهم إلى المعركة وإلى النار  
للاقتضاض • وهناك قادة كثيرون يقاتلون في الجبهة التي يقاتل فيها أبناؤهم •  
وفي حرب الاستقلال كان جيل الآباء في المؤخرة في البيت •  
الآن يتفرغ الآباء للاستفسار عن سلامة أبنائهم ، المدنيين منهم ورجال  
الجيش يشطون ساحات القتال • فهناك قادة في جيش الدفاع الإسرائيلي ليسوا  
بالقلائل فقدوا أبناءهم ، بينما كان أبناء الآخرين مصابين بجروح أو مفقودين •  
وبالقرب من موقع جبل الشيخ كشف العقيد إبراهيم إيلون من مقاتلي جفعاتي  
أبان حرب الاستقلال عن جثة ابنه البكر • وبالقرب من مواقع الجيش المصري  
الثالث كان العميد عاموس حوريف يسحب <sup>جثة</sup> صهره تحت جناح الظلام ، والذي كان  
أمرد بابة في الحرب • كان يصل إلى ساحات القتال الآباء بحثا عن جثث أبنائهم •  
وفي مرتفعات الجولان كان يبحث عن جثة يونتان ميكس البالغ من العمر ثمانية  
عشر عاما ونصف • ولم يكن والده بين الباحثين ، لأنه قتل في القدس أثناء  
حرب الستة أيام عندما كان أمر كتيبة من أفراد الاحتياط • أنها حرب الآباء  
والأبناء جيلا بعد جيل •

اسرائيل التي كانت لمن تكسون

فمسي آذار ١٩٦٠ زار اسرائيل المعلق العسكري البريطاني المعسروف  
ليديل هارت • وخلال احد اللقاءات مع القادة الاسرائيليين اعرب عن رأيه فسي  
أن الخطر الكبير على جيش الدفاع الاسرائيلي والذي يعرف كجيش متفوق • يتمثل  
في كونه جيشا منتصرا • فالجيوش المنتصرة يكون طريقها الثقة بالنفس والميل  
للاستعداد للحرب وفقا لنفسها قاييس نجاحاتها • في ذلك الوقت كان جيش  
الدفاع الاسرائيلي قد انتصر في حربين • وبعد ذلك انتصر ثانية : في حرب  
الستة أيام وحرب الاستنزاف وفي الحرب ضد منظمات التخريب • ازدادت ثقة  
جيش الدفاع الاسرائيلي خاصة بعد الانتصار الباهر في سنة ١٩٦٧ • وقد  
ملأت هذه الانتصارات جيش الدفاع الاسرائيلي بالتهور والاندفاع • وقد اظهرت  
حرب يوم الخفران مدى صدق ليدل هارت •

والخريب هو ان السلاح الوحيد في جيش الدفاع الاسرائيلي ، سلاح البحرية الذي خرج من حرب يوم الغفران منتصرا انتصارا تاما ، هو نفس السلاح ، الذي اعتبرت حرب الستة ايام بمثابة فشل له . وكان سلاح البحرية هو السلاح الوحيد في جيش الدفاع الاسرائيلي الذي لم تسكره الانتصارات . وهناك فشلان حالا دون ذلك .

في سنة ١٩٦٧ دخل سلاح البحرية الحرب وهو غير مستعد لها وكانت انجازاته لا تذكر . وفي نفس السنة وقع فشل آخر - اغراق المدمرة ايسلات بواسطة الصواريخ بالقرب من ميناء بورسعيد . كما ان كارثة الخواصة ، دكاره التي فقدت في البحر المتوسط . حالت دون الشعور بالامان . كان قادة السلاح البحري يحاولون اللحاق بصنوف جيش الدفاع الاسرائيلي الاخرى ، وحاولوا استتباط الدروس من فشل السلاح . وقال قائد السلاح الجوي العميد بنيامين بيليد : ربما كنا اكثر من اية جهة اخرى في جيش الدفاع الاسرائيلي في ممارسة اختبار انفسنا . وبالفعل احرز سلاح البحرية الاسرائيلي في حرب يوم الغفران انتصارا في معارك الصواريخ الاولى في العالم . فقد نجح في ان يستخدم بنجاح وفي المعارك الليلية ( السلاح الوحيد الذي استغل حتى النياية ساعات الليل ) المعدات الحديثة التي وضعت تحت تصرفه - زورق صواريخ مع اجهزة الكترونية معقدة .

لقد هزت حرب يوم الغفران اسرائيل من القمة حتى القاعدة . فبدلا من الثقة المبالغ فيها حلت الشكوك والريبة . وقد برزت الشكوك بصفة خاصة بعد الحرب لدى الزعماء والقادة . فالثقة بالنفس اهتزت وتقوضت . وفجأة ظهرت الاسئلة التي دفع بها الى زاوية النسيان مع مرور الوقت : هل سنعيش الى الابد على سيفنا ؟ وهل هناك امل بالصمود في حروب اخرى بينما فوارق الكمية تزداد باضطراد لصالح الحرب ، وبينما هؤلاء يسيطرون على الموارد الطبيعية ومخزونات الوقود ؟ ومرة اخرى بدا خطر على كيان الدولة . واثارت المخاوف القديمة من جديد .

وخلال هذه الصدمة الكبيرة تسببت الحرب ايضا في ازمات صغيرة ولكنها

قوة الرنين • فبعد سنوات تبني جيش الدفاع الاسرائيلي خلالها مبدأ عدم ترك الجرحى في ساحة المعركة ، ترك الجرحى وكذلك السالمين في اراضي العدو • وتركت دبابات مع اطقمها وجرحى ليسوا جرحى • وواجه القسادة مشكلة خطيرة وهي : هل يضحون بالمزيد من افرادهم من اجل انقاذ المصابين • وعند انتهاء الحرب كانت هناك اسماء مئات الجنود في قائمة المفقودين •

لقد كشفت حرب يوم الخفران من ازمة اخرى • كشفت الزعامة الاسرائيلية بكامل صورتها • ولم يكن في هذه اللحظة العصبية هناك من يتحدث السي الشعب • وفي هذه اللحظة العصبية كان يعوز اسرائيل زعيم بعظمة دافيد بن جوريون • ان العيب الاساسي لادارة الحرب وقع على كاهل جده عصرها ٧٦عاما • وقد حاول وزير الدفاع بعد الحرب ان يدحض الروايات التي تتحدث عن انهياره اثناء المعارك ، ولهذا الغرض سمح بنشر حيثيات اللقاء مع لجنة المحررين في الصحف يوم التاسع من شهر تشرين الاول • ان موشي ديان بالتاكيد لم ينيهار خلال هذا اللقاء ولا في الايام الاخرى ايضا ، ولكن التفويض الذي تلقاه لم يكن من اجل ادارة لجنة المحررين وليس حول هذا الموضوع ينبغي ان يتركز النقاش ، ولم يكن فيه ايضا محكم موشي ديان • لقد كان على وزير الدفاع ان يعد جيش الدفاع الاسرائيلي للحرب او الاشراف على هذه الاستعدادات وان يضع خطة للدفاع ورؤية الواقع وقيادة جيش الدفاع الاسرائيلي اثناء الحرب • ولم ينجح ديان في مواجهة معظم هذه المهام فديان في حرب يوم الخفران ١٩٧٣ لم يكن نفس ديان في حرب الستة ايام •

لقد خلقت الحرب ازمة عدم الثقة • فالشعب لم يعد يثق بزمعائه • وكان البعض قد ربط الازمة ببيانات المتحدث بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي/ حتى سارع الزعماء الى تبني هذا الشعور • لكن الازمة اعلمق من ذلك وهي تتصل بمسائل كثيرة : يعود بتطوير القطاعات المتخلفة بين السكان : ان الوضع الراهن بين اسرائيل والدول العربية سيستمر وانه شيء جيد بالنسبة لاسرائيل : وان الحرب لن تنشب الا بعد سنوات طويلة ، واذا نشبت فلن يكون في مقدور المصريين صد جيش الدفاع الاسرائيلي عن قناة السويس • لقد



اكتشفت الازمة اثناء الحرب ولكن بذورها زرعت قبل ذلك . هل استشرت العفونة  
ايضا في جيش الدفاع الاسرائيلي ؟ لقد نشأت على مدى سنوات اسطورة تقسول :  
ان جيش الدفاع الاسرائيلي هو شيء مختلف : وان ما يحدث في الجمهور المدني  
لا يحدث في جيش الدفاع الاسرائيلي : ان الجيش هو جزيرة معزولة وهو شامق  
ليس بوسع الامواج المعكرة أن تخمره . لقد كان هذا وهم تورع على مدى سنوات .  
صحيح انه بالنسبة لموضوع الامن يوجد في اسرائيل انسجام وطني . نظرا لان  
هذا الموضوع يرتبط بكيان الدولة ولكن ليس صحيحا ان جيش الدفاع الاسرائيلي  
ليس كالمؤسسات الاخرى في اسرائيل . ان جيش الدفاع الاسرائيلي هو جيش  
الشعب وقد استمد مزاياه وميوه من الشعب الذي نشأ منه . ان الانحطاط  
الاخلاقي الذي استشرى في الشعب منذ حرب الستة ايام لم يتخط جيش  
الدفاع الاسرائيلي .

وقد برزت السلطة والمجتمع الاسرائيلي بالبروقراطية المذلة ولم يكن بوسع  
جيش الدفاع الاسرائيلي الخروج عنهما . وبينما كان هناك في المجال العملي  
( العملي ) تطور كبير في جيش الدفاع الاسرائيلي فقد تولدت فيه بمرور السنين  
بيروقراطية مزعجة .

كما ان جيش الدفاع الاسرائيلي لم ينج من الظاهرة التي برزت بين الجمهور  
المدني الجري وراء الترف والمظاهر . فيكفي اللقاء نظرة على مكاتب القادة  
التي اقيمت بعد حرب الستة ايام ومقارنتها مع المكاتب القديمة المتواضعة .  
والمؤلم هو انه كان واضحا في ذلك الوقت ان جيش الدفاع الاسرائيلي يعاني  
من نقص في الوسائل القتالية الحديثة بسبب النقص في الاعتمادات .

وكان من الممكن ان تتطور مثل هذه الظواهر ليس لانها جزء فقط من  
السباق في المجتمع الاسرائيلي وانما لان جيش الدفاع الاسرائيلي وجهت  
الامن لم يواجهها بالنقد . لقد خص جيش الدفاع الاسرائيلي بمركز الافضية  
فيما يتعلق بالنقد الجماهيري له ، اما القليل من الانتقادات التي كانت فقد  
استقبلت بشكل عام بالضحج والسخرية وأدت في بعض الاحيان الى الانتقام .  
ان الانضباط القومي الواطيء وانعدام المسؤولية الجماهيرية تغلظا

ايضا في جيش الدفاع الاسرائيلي . وخلال السنوات الاخيرة طرأ انخفاض بارز  
على الضبط والربط في جيش الدفاع الاسرائيلي . وليس هناك دليل على هذه  
الظاهرة ابرز ما حدث في الجيش منذ ان اعلنت بين صفوفه حالة الانذار عشية  
يوم الخفران . فالامر الصادر بعلان حالة الانذار لم يحافظ عليه كما ينبغي  
في اماكن كثيرة . كما ان الاوامر الصادرة بتحزيز المواقع على الخط مثل موقع  
جبل الشيخ لم تنفذ . وقد خرج الجنود الى المعركة بدون حلقة التشخيص  
وفيسر ذلك .

ان الحوار الفكري وتدور القيم الاخلاقية التي برزت بين الجمهور المدني  
لم تتخط جيش الدفاع الاسرائيلي . وسيكون من الظلم الادعاء بان قادة جيش  
الدفاع الاسرائيلي اساءوا استخدام مناصبهم . لكن الكثيرين منهم فضّلوا  
الطرف . ونشأت كذلك ظواهر كان جيش الدفاع الاسرائيلي قد اشأز منها .  
فالسواق العسكريين مثلا تحولوا الى خدم لاسر القادة . ودار اللخط (تقليد  
الارقي او المتكبر لمن يعتبرون ادنى منه) من حول قادة جيش الدفاع  
الاسرائيلي . ورأت الاحزاب ان هناك احتياط من الاسماء اللامعة واخذت  
تفازل قادة جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد تزايدت هذه العملية بعد حرب  
الستة ايام . فالوزراء اخذوا يبحثون لانفسهم عن جنرالات ومستشاريين  
عسكريين وهكذا تبنا أغواء القادة . ونشأت في الحياة السياسية عملية  
مطارحة غزلية لرجال الجيش . فالصراع الشخصي في زعامة السلطة غدى هذه  
الظاهرة . وهكذا تم تمرير (تطهير) الجنرالات من الخدمة العسكرية السي  
الحياة السياسية ومائدة الوزارة . وجرت المفاوضات بين القادة والاحزاب بينما  
كان هؤلاء القادة لا يزالون يرتدون الزي العسكري . وفي يوم الخفسوان  
اكتشفت البشاعة بكاملها عندما شابت المناقشات حول الامور العملية  
النخسة السياسية .

ان الجسم السليم يطرد من داخل الاوبئة . ولم يكن جيش الدفاع  
الاسرائيلي سليما . وكشفت حرب يوم الخفران هذا للجميع . ان عملية  
التسييس والوهن والفساد الاخلاقي والرتابة كانت علامات من علامات تصلب

الشرابين • فالجيش الذي حرصوا على من قاده انتابته امراض الشيخوخة • ربما كان القادة الجدد ارباب حرف افضل من قادة الجيل السابق ، ولكنهم كانوا ممنومين وكان ينقصهم معظم الامم والفضيلة • كان قادة الجيل الجديد ذوي ثقافة شكلية اوسع ، لكنهم كلما سعدوا سلم الترقيات كان الاختيار صعبا للخبايسة • ولم تكن المسؤولية بكاملها تقع على عاتق جيش الدفاع الاسرائيلي • واذ كان خيرة الشباب قد توجه خلال سني النضال ضد سلطات الانتداب للدفاع والاستيطان ، فانه بعد قيام الدولة كان يتعين على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يقتسم مع شركاء مهمين اخرين • وقد اقتسم الجيدون بين جيش الدفاع الاسرائيلي ، ودوائر الحكومة والجامعات والصناعة والمصارف وغير ذلك • وقد فضل آباء كثيرون ان يروا ابناءهم الكفوئين يبحثون لانفسهم عن سيرة افضل كضابط في الجيش الدائم •

ان ثعلب الشرايين هذا كان لا بد ان يلاحظ في مجالات كثيرة ، ومن البدهي ايضا في اعداد جيش الدفاع الاسرائيلي للحرب • ان الاعداد ليس فقط شراء الاسلحة • لقد عرفوا في جيش الدفاع الاسرائيلي تفاصيل كثيرة عن الجيوش العربية ، لكن هذه المعرفة لم تستغل ولم تؤد دائما الى افعال • من المؤكد ان نهج اية مؤسسة بشرية غارقة في الرتابة والتكيف هو من طبيعة الانسان لكن في عصر التقدم التقني الكبير يعتبر الخوار الذهني بمثابة كارثة لقد عرفوا في جيش الدفاع الاسرائيلي كل شيء عن العقيدة القتالية السوفييتية ، حسب ادخالها الى الجيوش العربية ، وعرفوا ايضا عن الصواريخ والاسلحة الموجودة لدى الجيوش العربية : عرفوا وعرفوا • ولكنهم استعسوا ولحرب كلك التي حدثت في السابق •

ان المسؤول عن ذلك هي القيادة العليا • ان من يدعي انه لمس الامور وصمت يتحمل مسؤولية مزدوجة • والقليلون جدا هم الذين تجرأوا على الانتقاد والاعتراض ، وكان من الصعب جدا الاعتراض لان كان يتعين على المحترضين ان يتجادلوا مع من نجحوا في حرب الستة ايام ، وكان ذلك النجاح تعليلا نهائيا في اي نقاش • لا زلت اذكر قضية واحدة : في نهاية احد

التمرينات التي جرت على مستوى الفرقة نهض ضابط كبير في صنف الدروع ، ووجه انتقادات عنيفة . وكان هذا في شهر كانون الثاني ١٩٧٣ وقد سجلت كلمته في محاضر ذلك التمرين . وكانت كلمته بمثابة نبوة غضب .

قال : " اعتقد انه ينبغي ان يكون هناك تحول في تفكير القيادة العليا في جيش الدفاع الاسرائيلي اعتقد اننا نستخف . انه يسود بيننا نفس تفكير ووهي حرب الستة ايام ، وفي اعتقادي اننا سنتلقى رصاصات مريعة جدا في ساحة المعركة اذا لم نستعد . واني اؤكد هنا بان هذا هو ما ينتظرنا . وأقول هذا امام شهود بأننا اذا نحن لم .....

وهنا قاطع حديث الضابط قائد كبير اثناء الاجتماع وهو جنرال في جيش الدفاع الاسرائيلي وقال : " بالنسبة لهذه الامور من المنتظر عقد اجتماع لهيئة القيادة العليا . وهذه فرصة نادرة عندما يكون رئيس الاركان ووزير الدفاع وكل القيادة الامنية والعسكرية . يمكنك ان تنهضوا وتذف بكل ما لديك وما تريد من كلام . ما هي العلاقة بين التمرين الذي اجريناه وبين اقوالك ."

ولم يتساهل الضابط الكبير و اضاف ان جيش الدفاع الاسرائيلي هو في رأيه تحت الخط الاحمر فيما يتعلق باقامة وحدات جديدة ومستودعات للطوارئ .  
بينما في الجانب الاخر يقوم جيش جديد .

وبعد حرب يوم الغفران حيث كان هذا الضابط يعمل نائبا لآمر فرقة في الجبهة السورية ذكر بما قاله في السابق ، والذي لم يلق اي استجابة . ان الدولة التي يتمدد كيانها خطر كبير يفوق اي خطر يتمدد اية دولة ، اعتمدت في شؤون الامن على جهاز دفاعي بدون اية رقابة تقريبا . وليس هناك دليل على ذلك افضل من حقيقة ان وزراء كثيرين في حكومة اسرائيل لم يعرفوا شيئا عن حشود الجيشين المصري والسوري واستعداداتهم المكثفة على طول خطوط وقف اطلاق النار عشية يوم الغفران . وانقضت شهور بعد الحرب دون ان تجد حكومة اسرائيل وقتا لبحث ومناقشة الدروس المستخلصة من حرب يوم الغفران والاستعداد للحرب القادمة أو منع وقوعها . ولم تنجح الحكومة بسبب المشاكل الحزبية وأمور الكرامة في ان تشكل من داخلها لجنة

وزارة واعتبرت الحكومة بكامل هيئتها لجنة وزارية لشؤون الامن . ووضح أن هذا التوسع وعدم التخصص أديا فقط الى الاثقال على العمل وعلى اتخاذ القرارات . وبدلا من العمل السري الذي يتناسب مع العصر الحديث ، فقد عالجت الحكومة شؤون الامن من خلال العمل الارشالي والاجماعي . وبعد هزة يوم الخفران فقط كان زعماء اسرائيل مستعدين للموافقة على أن الدولة التي اضطرت أن تخوض خمس حروب خلال خمسة وعشرين عاما . تحتاج الى مجلس للامن التومسي . ولم يتحمس زعماء الحكومة لمثل هذا المجلس . لقد خشي هؤلاء التدخل في الشؤون الحساسة ، الى حد أنه كلما اثير اقتراح لاقامة مجلس الامن الوطني بعد حرب يوم الخفران ، ووجه بالرفض . وقد تحولت لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست الى ختم مطاطي للتمديد بصورة اوتوماتيكية على كل مخاطبات قادة الجهاز الدفاعي الموجه اليها .

وانتهى الاشراف من قبل الجهات المدنية على جيش الدفاع الاسرائيلي في معظم الحالات باسماح الاسرار امام اللجنة . واقتصرت صلاحية اللجنة على التعديلات بالنسبة للاعتمادات في البنود غير المهمة . ولم يعالج اعضاء اللجنة الامور الجوهرية ولا الامور التافهة وانما الامور الهامشية . وليس المستغرب ان تتحول هذه اللجنة الى موضوع تندر وسخرية في نظر قيادة جيش الدفاع الاسرائيلي .

ولقد اقررت الاستخبارات العسكرية اخطار الاخطاء التي نسبت الى جيش الدفاع الاسرائيلي ، بتقديرها ان حشد القوات العربية لم يكن استعدادا للحرب . وما حدث في هذه الايام ينبغي اعتباره كحادث خطير واستخلاص عبرة منه على ان الاستخبارات التي اعتمدت من افضل مثيلاتها في العالم ليست محصومة عن الاخطاء الفظيعة . لقد كان هذا حادثا خطيرا نظرا لان عميون الاستخبارات العسكرية مجزت عن الرؤية لمسافة حوالي مئتي مترا خلف قناة السويس . لقد تجاهلت المؤشرات البسيطة والواضحة مثل نقل معدات الصبور بكميات كبيرة الى خط الجبهة ووجود مجموعات كبيرة محسوسة بالقرب من الخط وما شابه ذلك . وكان من الممكن ان يكون وضع اسرائيل اشد

خطورة لولا ذلك الخبر الوحيد الذي وصل قبل فجر يوم الغفران . انه خبر واحد كان من الممكن أن لا يصل . ولولا وصول هذا الخبر لكانت المفاجأة تامة والكارثة اخطر اضعافا مضاعفة . ولا شك ان اعتماد اذار الاستخبارات نسي حرب يوم الغفران على خبر واحد فقط يثير افكارا صعبة . ويتضح الان بالنظر الى الراء كيف تفاقم الخطأ . فالتحذيرات والاشارات الكثيرة والمعلومات جزئت بشكل مصطنع الى روايتين منفصلتين . ففي المحور الاول والمستقل نشأت الرواية السورية . فقد اعتبرت الاستخبارات الاسرائيلية حشد القوات في هذه الجبهة على انها احدى نتائج التوترات بسبب اسقاط ثلاث عشرة طائرة سورية والرفيسة في الانتقام من اسرائيل . أما حشود القوات المصرية فقد نظر اليها بمنظار آخر - كجزأ من مناورة عسكرية كبيرة . ان هاتين الروائيتين لم يتم توحيدهما لان هناك افتراضا قد ترسخ وهو ان العرب لن يجروا على شن حرب شاملة نظرا لان اسرائيل تتمتع بتفوق جوى حاسم وتام . وعلى ابعد تقدير فقد وضعا في الاعتبار احتمال وقوع معركة على الحدود مع سوريا .

ولا شك ان عدم وضوح مفهوم الانذار منذ حرب الستة ايام قد سهل على هذا الخطأ . والحقيقة ان توفر عمق اقليمي كبير اخر لذي اسرائيل وفي المقابل زيادة مجال الانذار الجوى ، اسهمت في زيادة الغموض بالنسبة لانذار الاستخبارات لذي الكثيرين . فهذا الانذار بالذات تقلص بعد حرب الستة ايام . كان يكفي حتى عام ١٩٦٢ أن يعبر الجيش المصري قناة السويس الى سيناء . او يجتاز الجيش الاردني نهر الاردن ليحصل انذار الاستخبارات ولكن الامر لم يكن بهذه الصورة بعد حرب الستة ايام . فالجيش المصري كان يربط بكامله على خط الجبهة ولم يكن الانطلاق الى الحسب يستدعي تحركات كبيرة كما كان في الماضي . وهكذا قصرت فترة الانذار على الرغم من التخيرات الاستراتيجية لصالح اسرائيل .

بيد ان خطأ الاستخبارات بين راس السنة ويوم الغفران كان حادثا مفاجئة ، اى كانت خطورته وكأنه خطأ أساسي اكر من كونه حادثا عابرة . انه خطأ في تقدير علاقات القوى . ان اندام الشعور بأن العرب ليسوا فقط

مستعد ين لشن حرب شاملة وانما قادرون ايضا على دحر جيش الدفاع الاسرائيلي  
بضربة اولى عن قناة السويس . ومرتفعات الجولان والحد من قدرة السذراع  
الاستراتيجية لجيش الدفاع الاسرائيلي بالسلاح الجوى .

ان القيادة الاسرائيلية لم تشعر ولم تستوعب ما يجرى وراء الاكمة . عندما  
غادر المستشارون السوفيت مصر في صيف ١٩٧٢ قال قادة جيش الدفاع  
الاسرائيلي بان مصر فقدت بذلك قدرتها العسكرية .

والخريب في الامران العرب انفسهم فوجئوا بمفاجأة الاسرائيليين فسي  
هذا الصدد . ففي بحث نشر في مجلة مركز الدراسات الفلسطينية في لبنان  
كتب رياض الاشقر : كانت المفاجأة ان اسرائيل لم تقيم بصورة صحيحة نوايا  
العرب وقوتهم .

لقد كان هذا خطأ شاملا لجميع مستويات القيادة العليا ، يتجاوز خطأ  
الاستخبارات . ولقد تطور هذا الخطأ بصورة طبيعية نتيجة لحرب الاستنزاف  
وتحليل اشتباكات الحدود وعمليات جيش الدفاع الاسرائيلي وفاراته خلال  
السنوات الاخيرة من ضمنها المعارك الجوية . وفي جميع هذه المعارك كان  
المستوى الحربي لوحدات جيش الدفاع الاسرائيلي يفوق مستوى الحرب .

وقد اتصفت القيادة العسكرية الاسرائيلية بجراتها وبعد نظرهما . لكن  
يبدو ان هذا وحده لم يكف . ان نتائج هذه الاشتباكات المحدودة لم تعط  
صورة كاملة لا عن الجيوش العربية المستخدمة بكثافة كبيرة . وحيث ان الضربة  
الاولى كانت من جانبهم ، ولا عن جيش الدفاع الاسرائيلي الذي فرضت عليه  
حرب صد ودفاع بعد ان فوجئ في المرحلة الاولى .

ان الخطأ في تقييم علاقات القوى انتشارا لجميع مستويات القيادة العليا  
قبل بضعة اشهر من الحرب ، وانا فترة التوتر في شهرى ايار وحزيران  
سمعت احد كبار القادة يقول : تكفي عدة ايام للحاق هزيمة نهائية بالجيش  
المصرى وحتى الوصول الى مشارف القاهرة . وعشية الحرب كان هناك احد  
كبار قادة الدرع قد قال انهم يباخون في عدد الدبابات التي يوجهونها  
الى مرتفعات الجولان . تكفي مئة دبابة لصد هجوم السوريين الشامل .

وقد اظهر الجدل صبيحة يوم الغفران بالنسبة لعدد افراد الاحتياط من  
يتعين تحبثهم ان التقييم المعيب لنسب القوى تغلغل في المستويات القيادية  
الكبيرة ووزير الدفاع بشكل عام . ان الادماء بعد حدوث الحادث ، بان من  
الافضل عدم تطبيق خطة الدفاع عن سيناء وان الدرع كان سيمنى بخسائر  
كبيرة . هو دليل اخر على الخطأ الفظيع الذي اقترفته اسرائيل بالنسبة  
لنسب القوى .

فالخطأين : - خطأ الاستخبارات مشية يوم الغفران والخطأ الاكثر  
اساسي لتقييم نسب القوى - مكنا العرب من مباغته اسرائيل سواء من  
الناحية التعبوية او من الناحية الاستراتيجية . وربما كان فشل جيش  
الدفاع الاسرائيلي الاكثر خطورة : هو انه لم يتعلم بعد حرب الاستنزاف  
معركة المستقبل . وهذا الفشل لا يمكن ان نعزوه فقط الى الاستخبارات . ان  
نصيب المستوى العملي لم يكن اقل من ذلك . لقد كان كل شي مبني على  
سيناريو واحد يشبه ذلك الذي كان ابان حرب الستة ايام . انتصار سريع في  
حرب قصيرة . ولم يفكروا بمشارك المد التي ستشارك فيها فرق كثيرة تابعة  
لجيش الدفاع الاسرائيلي .

لقد اعتمدوا في جيش الدفاع الاسرائيلي على اهمال العرب وعلى المناطق  
التي اضيفت الى اسرائيل بعد حرب الستة ايام ، على العرب الذين سينابرون  
على التقاليد ويكثرون من الاخطاء التي سيستغلها جيش الدفاع الاسرائيلي  
بقدرته على الابتكار : وعلى المناطق التي ستمتص الضربة الاولى من جانب  
الجيوش العربية وتصد تقدمهم .

ان الاخطاء لم تنشأ عن فشل الاسلوب والمقيدة القتالية . انه فشل  
قيادة الجيش النظامي التي لم تحفظ معركة المستقبل ولهذا لم يكن بوسعها  
الاستعداد لها بصورة مناسبة . هذا هو التقصير الرئيسي لجيش الدفاع  
الاسرائيلي .

بيد ان تلك القيادة التي اخفقت في اعداد الجيش وفي المفهوم  
الاستراتيجي ابدت كفاءة عسكرية بعد مرحلة المد في الحرب . ان القدرة



على الافاقة من جانب جيش الدفاع الاسرائيلي تدل على المستوى العظمى المتفوق لهذا الجيش وعلى قدرة القيادة وخاصة القيادة الصغرى ، على التكيف بسعة مع الاوضاع الجديدة . لقد كان قتال الجنود جرئاً ومقداماً . لقد نجح جيش الدفاع الاسرائيلي في المرحلة الثانية في كسر الحرب الخاطفة من جانب الجيوش العربية . وبعد ذلك طور هجماته على الجبهتين وحققت انجازات باهرة في ساحة القتال على الرغم من انه هاجم كما كان دائماً بقوات صغيرة نسبياً .

كانت القيادة في مرحلة الصد في حالة ذهول من المفاجآت . وكان الوضع يتطلب اعصاباً فولاذية من اجل مواجهة ضغط المقترحات المتشائمة . وهنا ظهرت مساهمة رئيس الاركان العامة دافيد العازار . فادارة الحرب بعد الثامن من تشرين الاول كانت جيدة . وهذا لا يعني انه لم تقع اخطاء او انه تحقق كسل ما اراده القيادة .

لقد اتخذت منذ نشبت الحرب وانهاية نهاية مرحلة الصد من قبل المستويات القيادية العليا والجبهات ثلاثة قرارات حاسمة : ارسال قوات احتياطية الى الجبهة الشمالية : وقرار بشأن المعادل والمجوم التدريجي لفرقتي ادن وشارون في ٨ تشرين الاول . ان القرار الاول يبدو الان فقط كان صحيحاً بالتأكيد . انه لولا القوات الاحتياطية التي صعدت الى المنطقة الشمالية لكان من الجائز ان تكون نتائج الحرب في مرتفعات الجولان مختلفة تماماً . ولم يكن القراران الاخران هكذا . ولو كان قد صدر مساء يوم الغفران . عندما تراجعنا عن المعادل عن القيام بدور مهم ، امر باخلائها ، لكانت خسائر جيش الدفاع الاسرائيلي اقل بكثير ولما كانت هناك حاجة لبذل مجهودات اتحام صعبة في الايام الثلاثة بعد ذلك .

ان مخاوف دافيد العازار ازاء النزح بالفرقتين دفعة واحدة في الهجوم يوم ٨ تشرين الاول يمكن فهمها اذا ما تذكرنا الصدمة خلال اليومين الاولين والحرص للمستقبل . لكنه اصبح واضحاً الان بان هذا الهجوم المهم عانى من جراء تشتت القوات . ان عدم النجاح في حشد القوات سواء بسبب

الحاجة لخوض معركة ضارية على جبهتين متباعدتين في آن واحد ، او بسبب  
اخطاء القيادة في الميدان ، واسباب موضوعية اخرى كانت بمثابة حجر عثرة فسي  
طريق جيش الدفاع الاسرائيلي في حرب يوم الخفران . ونتيجة لذلك فقد  
تعذر على جيش الدفاع الاسرائيلي استغلال تفوقه النسبي كما استغله اكثر  
من مرة فسي السابق .

بعد مرحلة الصد كانت هناك ايضا ثلاثة او اربعة قرارات حاسمة : قرار  
بتوجيه جهد السلاح الجوي الى الجبهة الشمالية والتركيز فيها : والقرارات  
الاستراتيجية في انحاء سوريا : وقرار اقتحام خط وقف اطلاق النار في مرتفعات  
الجولان وتطوير الهجوم : وتحديد موعد عبور قناة السويس بعد انتقال معظم  
قوات الدروع المصرية الى سيناء والمهجوم المصري في ١٤ تشرين الاول وأخيرا  
اتجاهات هجوم جيش الدفاع الاسرائيلي فري القناة . ان جميع هذه القرارات  
كانت صحيحة اذا ما اخذت بعين الاعتبار الظروف الواقعية وحجم القسوات  
والقوات الاحتياطية التي كانت تحت تصرف جيش الدفاع الاسرائيلي والظروف  
السياسية .

ان احدي المسائل الاكثر اذعاجا لاسرائيل بعد حرب يوم الخفران هي انه  
اذا كان يتعين الاستنتاج من هذه الحرب بان تفوق اسرائيل العسكري آخذ  
في التضاؤل . بالنسبة لعناصر التفوق يوجد من بينها ما يمكن قياسه بدقة .  
لكن توجد عناصر ( مستوى القيادة ، والحافز والقدرة على التصرف والابتكار  
من جانب المقاتلين ) ليس لها نسبة . لهذا فان الرد على مسألة التفوق لا يمكن  
أن يكون رياضيا . يمكن ان نشير الى اهداف لكن دون ان نحدد بالضبط  
الفارق وسرعة تخطيه . والواضح هو أنه منذ حرب الستة ايام أخطأت اسرائيل  
عندما لم تنظر بجدية الى الكميات العربية المندمجة بالاسلحة الحديثة .  
وفي تصوري بان احد الدروس الهامة المستفادة من حرب يوم الخفران هو  
أن الكمية الواطئة ايضا يمكن ان تتحول الى نوعية في اللحظة التي ينجحون  
في تجديزها بادوات قتال حديثة ومناسبة . ان النوعية العربية كما ظهرت  
في حرب يوم الخفران لم تتجسد في قدرة الحسم وانما بالدرجة الاولى فسي

قدرتها على الحاق الخسائر الاكثر فداحة باسرائيل . وبذلك نجح العرب  
بمساعدة الاتحاد السوفييتي في تقليص الفارق الذي كان قائما بينهم وبين  
اسرائيل . ان الصعوبة التي تواجهها اسرائيل تتمثل في عدم قدرتها على  
مواجهة هذه المشكلة بواسطة زيادة كمياتها . وحتى اذا اصبحت اسرائيل  
اكثر جذبا وتقاطر يهود المنفى اليها . فان الفوارق المائلة في القوة البشرية  
بين اسرائيل والدول العربية ستظل سائدة باستمرار . وبامكان اسرائيل نسي  
مجالات معدودة مواجهة الكميات . ومقدورها اعداد المزيد من الطيراييس  
واعداد الكثيرين منهم ليكونوا قوة احتياطية . وهي تستطيع زيادة كمية نيران  
جنودها . كما تستطيع الحصول على مزيد من الطائرات اكثر مما تستخدم  
والاحتفاظ بها في المستودعات للحاجة اليها عند الضائقة وحتى تواجه بصورة  
مفاجئة وضعا من الحرب الصعبة وحالة تحتاج فيها الى دعم فوري . انه يتوجب  
على اسرائيل ان تفعل كل شيء من اجل زيادة عدد سكانها ، لكن الامر في  
جوهره بالنسبة للصراع على الفوارق سيكون مستقبلا فيما يتعلق باسرائيل نسي  
مجال النووية . انها النووية التي تنشأ من ثقافة افضل ومناسبة للعصر الجديد  
ومن الحافز الذي يولد الاستعداد للدفاع حتى النهاية عن المكان الذي  
نحيش فيه ون طريقة حياتنا .

ولقد اوضحت حرب يوم الغفران بطريقة ملموسة وللمرة الثانية بـسان  
الاسرائيليين هم شعب صغير . كالحامل الذي يكون حذرا في ميزانية وضع ذلك  
يجد دائما انه ينقصه مبلغ ١٠٠ ليرة ليكمل الشهر وهكذا ايضا جيش الدفاع  
الاسرائيلي . فانه دائما سينقصه تشكيل كبير واحد او تشكيلات من اجل  
انباء الحرب بصورة افضل . وبينما تستطيع مصر ان تحارب بأساليب يقتل  
فيها الكثيرين فانه يتعين على جيش الدفاع الاسرائيلي ان يحمل وفق نسب  
صغرى للقوى والاقتصاد الى حد كبير في الافراد . وهكذا كان في حرب  
يوم الغفران . ان احدى النتائج المترتبة على هذا الوضع هي أنه كلما اعتمد  
جيش الدفاع الاسرائيلي على المراحل الجبهوية فان الكميات ستؤثر في غير  
صالحه وان للكثرة العربية تأثير كبير . ان النهج غير المباشر القائل : " ان

"بالمكائد تستطيع أن تمنح لك الحرب" هو الذي يعطي فرصة  
المحافظة على التفوق النووي .

لقد كانت حرب يوم الغفران في مجالات عدة حرب "الازرار" أكثر مما توقعست  
اسرائيل ذلك . لقد كانت بالفعل حرب الكترونية . وهكذا كان في شبكات  
الصواريخ المضادة للطائرات والأسلحة التي استخدمت ضدها . وفي الحرب  
البحرية وبالصواريخ المضادة للدروع التي استخدمت بكثرة من قبل العرب وفي  
كثرة أجهزة الرؤيا الليلية : وفي الصواريخ الجديدة التي حصل عليها  
المصريون . كما ذكرت الصحف المتخصصة . لضرب محطات الرادار : وحتى  
في التشويش الالكتروني التي جرت خلال سير المعارك والتضنت المكثف على  
شبكات المخابرة .

لقد دخلت الجيوش العربية عمدا جديدا . فمُنذ حرب ١٩٦٧ خُطت هذه  
الجيوش في الحقل الالكتروني خطوة كبيرة الى الامام . لقد تحدثوا في اسرائيل  
ايام حرب الاستنزاف عن صيف "الالكتروني" ، لكن العرب - وعلى رأسهم مصر -  
قرروا الاستعداد للحرب الالكترونية . لقد ابتاعوا اسلحة حديثة سلسلة  
الاستخدام . واستثمروا أموالا هائلة على المعدات واعداد القوة البشرية فسي  
اقتارهم وخارجها . وقد وجد من بين الوثائق التي غنمت اثناء الحرب كتب  
للتدريب وفيها مقدمة لوزير الحربية المصرية يستشهد فيها باقوال الرئيس  
السادات . لقد وعد السادات الجيش المصري بان الحرب القادمة ستكون  
حربا الكترونية وان عليهم الاستعداد توطئة لخوضها . وعندما نشبت الحرب  
رأت القيادة الاسرائيلية بان هذه الحرب هي حرب ضد الكثرة العربية  
المدعومة باجهزة الكترونية روسية حديثة .

ولصالح المصريين يجب القول بانهم عرفوا استخلاص عبر كثيرة من حرب  
الستة ايام وخاصة حرب الاستنزاف . فأبان حرب يوم الغفران نجحوا فسي  
تشغيل معظم الاجهزة الالكترونية الحديثة . ولا شك بأن الاتجاه القائم في  
اسرائيل والذي يعتبر خصومها على أنهم محافظون على كفاءتهم وان الروس  
يفعلون من اجلهم كل شيء ، ينبغي ان يتبدل .

صحيح ان صيانة الشبكة الالكترونية الحديثة في الجيوش العربية منخفضة بالمقارنة مع الجيوش الأوروبية او جيش الدفاع الاسرائيلي . لكن العرب كما يبدو ليسوا قلقين بسبب هذا الوضع . عندما تصاب هذه الاجهزة بالخلل فانهم لا يجهدون انفسهم في التصليحات وانما يستبدلون - بمساعدة الروس - الجهاز كله . وهنا تجد اسرائيل نفسها ليس فقط في مواجهة الكميات العربية ، وانما ايضا في مواجهة مستودعات دولة كبرى . لقد احست بذلك بصورة جيدة اثناء حرب يوم الغفران . وكان من الممكن ان نتبين من خلال حالة واحدة بان السوريين كانت تنقل صواريخ مضادة للطائرات . فقد اطلقوا على ما يبدو معظم صواريخهم . وكانت الساعة الحادية عشر قبل الظهر . وفي ساعات ما بعد الظهر وصلت الى سوريا موجة جديدة من طائرات النقل الروسية وفداة اليوم التالي توفر للسوريين صواريخ كثيرة .

لقد نجح العرب في التطور بفضل تحسين جهازم التقني . فالمعدات الحديثة ، ومن ضمنها كميات كثيرة من اجهزة الرادار الليلية والصواريخ بأنواعها ، ستساعدهم على تحقيق النوية . ان ما كان يعتبر سهلا في حينه لدى جيش الدفاع الاسرائيلي - التغلب على صف المشاة - اصبح صعبا في هذه الحرب . لقد ظل الفارق النوعي قائما طالما ان النزاع كان يدور بين سلاح وسلاح آخر مماثل . وهذا ما كان في الممارك الجوية وكذلك في ممارك الدروع وممارك الزوارق الحاملة للصواريخ . وفي تشغيل هذه الاجهزة كانت القدرة على المناورة وقدرة الارتجال من قبل القادة العامل الحاسم . وبالنسبة لهذه الامور فقد كان جيش الدفاع الاسرائيلي يتمتع فبتفوق واضح على جميع المستويات القيادية .

ومن سوء حظ اسرائيل ان نتائج الحرب لا تقتصر في ساحة القتال فقط . ان ما يجري في ساحة القتال مهم جدا ، ولكنه ليس كل شيء ، بالنسبة لدولة صغيرة خاصة اذا كانت تقف في مواجهة دولة كبرى وانما كانت تبعيتها لها لدولة كبرى ثانية كبيرة .

ان الاجابة على السؤال من الذي انتصر في حرب يوم الغفران . هي

لذلك محققة ولا ريب ان اسرائيل انتصرت في الجبهة السورية . فالجيش  
الاسرائيلي صد السوريين عن جميع الاماكن في مرتفعات الجولان وتوغل في  
عمق الاراضي السورية . ان الجيش السوري لم يدمر ولكنه ضرب جيدا . كما  
ان دمشق تقف على مرمى مدفعية جيش الدفاع الاسرائيلي .  
ان هذه هي مكاسب مهمة لكن سوريا تمثل الجبهة الثانية من حيث  
اهميتها . و مرة ثانية اكدت حرب يوم الغفران ان اسرائيل لا تستطيع ان  
تتوقع انتصارا حاسما على اعدائها أو احدا من هؤلاء الاعداء . انها  
تستطيع في احسن الحالات هزيمتهم واستنزافهم .  
لقد تحقق في الجبهة المصرية تعادل اقليمي . فبينما استمر الجيشان  
الثاني والثالث المصريان في الاحتفاظ برووس الجسور في سيناء ، نجح  
جيش الدفاع الاسرائيلي في الاستيلاء على اقليم كبير من الارض غربي القناة  
وتطويق فرقتين من الجيش الثالث .  
وليس من شك بان الجيش الاسرائيلي كان لو استمرت الحرب ، سيوجه  
ضربة قوية الى الجيش المصري بل كان حتى سيتقدم باتجاه القاهرة . لقد  
كان هذا تعادل من ميل واضح لصالح جيش الدفاع الاسرائيلي ، لكن هذا  
التعادل لم يستمر طوال الايام . فعلى اثر الضغوط والاتفاقيات المختلفة  
رفع الحصار عن الجيش المصري وانسحب جيش الدفاع الاسرائيلي من غربي  
القناة وبقيت رروس الجسور المصرية في سيناء بل وتم توسيعها . لقد حصلت  
مصر على كل قناة السويس . وكان تعبيرا عن انتصارها الاستراتيجي ،  
ونجاحها في تقييد الوضع في منطقة الشرق الاوسط . وهذا لم يتحقق  
بانتصار عسكري وانما نتيجة الخروج للحرب . وهكذا نجحوا في الاحتفاظ  
لانفسهم بجزء من انجازهم العسكري منذ الايام الاولى ومنع جيش الدفاع  
الاسرائيلي من صدعهم عن التنازع قبيل سريان مفصول وقف اطلاق النار .  
لقد تمثلت الصدمة في اسرائيل بصفة اساسية في الاحساس بان الدولة  
اعيدت دفعة واحدة الى مراحلها الاولى ، الى الصف الاول . وعلى الرغم  
من انتصاراتها في جميع الحروب وجدت نفسها فجأة بعد حرب يونيو

الخفران تعاني مرة ثانية من اخطار على وجودها . ومرة ثانية ادركت اسرائيل بان هزائم في معارك محلية كبيرة ايضا من شأنها ان تعرض وجودها للخطر . وعلى الرغم من انتصاراتها وقوتها العسكرية التي نمت وتطورت فانه لا يمكنها من ردع اعدائها من مهاجمتها . ولقد كان الجزء التالي من صيغة الردع الاسرائيلي يتمثل في قدرة الحسم عندما لا يكون الردع فعالا . ولم يكن هذا من ناحية اسرائيل كما ذكرنا حسما حقيقيا ، وانما هو دحر وهزيمة وخير برهان على ذلك الانتصار الكبير في عام ١٩٦٧ . لقد كان دائما لا تناسق بارز بين اسرائيل والحرب . وبينما غطت الدول العربية الاستراتيجية التدميرية فقد كان على اسرائيل ان تركز على استراتيجية الاستنزاف لكسب الوقت .

قبل حملة سيناء ١٩٥٦ لم تكن لدى اسرائيل قدرة للردع . ولم يتبردد عبد الناصر في اغلاق تيران وارسال الفدائيين الى اسرائيل ، نظرا لانه لم يخش وقوع صدام جبهوي شامل معها . واعتقد دانيال بن جوريون وزير الدفاع في ذلك الوقت بأن اسرائيل لا تملك قدرة الحسم . وكان القلق الاساسي الذي ساوره هو ان السلاح الجوي الاسرائيلي لن ينجح في توفير الحماية الحقيقية للاهداف المدنية وسكان اسرائيل . من هنا جاء على ما يبدو استعدادها للتواطؤ مع الفرنسيين والبريطانيين في مؤامرة حملة سيناء السويس . وفي اطار هذا الاتفاق حصلت اسرائيل من فرنسا على بضخ عشرات من الطيارين للدفاع عن مدنها . وفي مثل هذه الحالة نشأ توازن في الردع . وبصد هذه الحرب حرصت اسرائيل على تطوير رعاية سلاحها الجوي . فلقد كان هذا السلاح هو ذراعها الاستراتيجية والرادعة . لكن هذا الردع لم يعمل عشية حرب الستة ايام . لقد اعتقد عبد الناصر بان الزعامة السياسية في اسرائيل لن ترد بسبب ضعفها على اغلاق المصريين وان اسرائيل ستوافق على العودة الى فترة انعدام حرية الملاحة أو الملاحة بحماية الولايات المتحدة . لقد اخطأ في حساباته . وهنا لجأت اسرائيل الى الجزء الثاني من صيغة استراتيجيتها . واستخدمت قوتها .

وفي حرب الاستنزاف كانت اسرائيل تتمتع بقدره الردع . والدليل على ذلك ان عبد الناصر تردد فعلا في خوض حرب شاملة . فقد كان على استعداد لخوض حرب محدودة فقط . ثابتة في اساسها ، على طول قناة السويس . وفي مرحلة معينة وعندما ارتفع عدد القتلى الاسرائيليين ، وسعت من نطاق العمليات عن طريق النزح بال سلاح الجوى في المعركة على الجبهة في بداية الامر ثم في عمق مصر .

كان كشف ظهر مصر امام السلاح الجوى بمثابة اشارة الى نهاية حرب الاستنزاف . وقد فعل المصريون ما فعلته اسرائيل عشية حملة سيناء . استدعوا طيارين اجانب ( روس ) للدفاع عن قلب بلادهم . وعلى هذه الحالة تركت اسرائيل مصر في نهاية حرب الاستنزاف . كان يساور المراتب العليا في جيش الدفاع الاسرائيلي عشية يوم الخفران احساس بان المصريين ظلوا كما كانوا في شهر آب ( اغسطس ) ١٩٧٠ عند سريان وقف اطلاق النار ونهاية حرب الاستنزاف . اي انهم ليسوا مستعدين للحرب الشاملة ولهذا فلن يهاجموا . بيد ان المصريين والسوريين توصلا الى نتيجة وهي انه لن يكون بوسعهم تحقيق اهدافهم بالحرب المحدودة . لذا فان من المستحسن خلق تحد امام السلاح الجوى الاسرائيلي .

ان الاعتقاد بان حرب يوم الخفران كانت حربا محدودة ، نظرا لانها دارت فوق منطقة مقلصة بمحاذاة قناة السويس ومرتفعات الجولان هو خطأ بصرى . لقد كانت عمده حربا شاملة لكن في البر اضطر المصريون للتركز في مناطق معينة . وليس هناك أدل على ذلك من انهم فكروا بمفاهيم الحرب الشاملة اكثر من مجرد اغلاق باب المندب في وجه الملاحة الاسرائيلية ، كما فعلوا في سنة ١٩٦٧ في تيران وكما لم يتجرأوا على عمله اثناء حرب الاستنزاف . ارتكر الردع الاسرائيلي حتى حرب يوم الخفران على التفكير بان المصريين لن يتجرأوا على التعرض للملاحة حتى بعيدا عن حدود الدولة خوفا من حرب شاملة ورد اسرائيل في اماكن اخرى كالاكندرية مثلا . وكان تقييم الحرب هو الصحيح . لم ترد اسرائيل في " مكان آخر " على اغلاق



الملاحه واضطرت ان تقتصر ، في الحرب مع المصريين ، على العمليات في الجبهة .  
نشأ البديل الاستراتيجي ، عندما زود الاتحاد السوفيتي العرب وفضي  
مقدمتهم مصر بصواريخ ارض ارض بعيدة المدى وعن عدم رغبة الزعامة الاسرائيلية  
نفسيا في منازلة هذا التحدي ابان حرب يوم الخفران .  
وعندما لم ينجح العرب في منازلة السلاح الجوي الاسرائيلي ، حصلوا من  
الروس على صواريخ سكاك ، التي تستطيع الوصول الى اى هدف في اسرائيل .  
وعلى الرغم من ان مدى هذه الصواريخ متوسط فان تأثيرها على الميزان  
الاستراتيجي كبير جدا . ان مصر وسوريا لم تكفيا بهذه الصواريخ من اجل  
الحد من تأثير السلاح الجوي الاسرائيلي وانما جندا وطيارين من السدول  
العربية والاسلامية واعدوا بواسطة الروس طيارين مرتزقة من باكستان وكوريسا  
الشمالية وفيتنام الشمالية .

وهكذا فان قدرة الردع الاسرائيلية التي تحققت في معظمها على يـد  
سلاحها الجوي المتفوق ، تم موازنتها بردم عربي مضاد . ان صواريخ سكاك  
هي التي حيدت اسرائيل ومنحتها من القيام بعمليات في اماكن اخرى وايست  
صواريخ ارض جو . ان هذه القدرة كانت موجودة لكن الحقيقة هي ان القيادة  
السياسية الاسرائيلية قررت هذه المرة عدم استخدام هذا الاسلوب . ولم  
ينشأ القرار عن رادع اخلاقي ، ان اسرائيل استخدمت هذا الاسلوب ضد  
الشريك الصغير في الائتلاف العربي ، سوريا .

وفي اعقاب هذا التحول عادت اسرائيل الى نفس الوضع في الخمسينات على  
الرغم من الفوارق التي طرأت بمرور الوقت على حجم القوات والظروف الجغرافية .  
ومن الشواهد على ذلك هو استعداد اسرائيل بعد حرب يوم الخفران لتغيير  
نظرتها ازاء قوات الامم المتحدة . بعد حملة سيناء كان عبد الناصر هو  
الذي اراد الاختباء وراء قوات الطوارئ الدولية وخصص لها مناطق داخل  
الاراضي المصرية . اما الان فان اسرائيل تجد قلعة ورض في المنطقة  
الحازلة بينها وبين الجيش المصري التي ترابط فيها القوات الدولية وتقربا  
تشعر بأن قوتها الرادعة فقدت تأثيرها . وهذا يعد مفترق طرق في الصراع  
العربي الاسرائيلي .

لقد تخلى العرب حاجز الموعب . انهم لم ينتصروا ولكن هذه هي المرة الاولى التي لم يخفقوا فيها . ويرد العرب منذ الحرب بان من ينجح مرة واحدة بإمكانه ان يجرب مرة ثانية . ان بالامكان القضاء على اسرائيل على مراحل . ان الرئيس السادات يتحدث عن سلام وفقا لشروطه هو من بينها اعادة الحقوق المشروعة للفلسطينيين .

وفي اسرائيل لا يعرفون ما يقصده السادات من هذا المفهوم . هل القصد اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ؟ او ان القصد هو ضغط اسرائيل الى حدود التقسيم في سنة ١٩٤٧ أي بدون يافا والمد والرملة والجليل الغربي ؟ ويحدد رجال منظمة التحرير الفلسطينية حقوقهم المشروعة بالتحرير الكامل لكل فلسطين ، الى القضاء على دولة اسرائيل . واذا كان الحال بهذه الصورة فان على اسرائيل ان تكون مستعدة للحرب القادمة .

بعد زلزال اكتوبر ١٩٧٣ يتعين على اسرائيل ان تكون حذرة اضعافا مضاعفا . وستخاطر اسرائيل بحياتها اذا استعدت للحرب القادمة بمقاييس حرب يوم الخفوان . ان جيش الدفاع الاسرائيلي يكرس الكثير من فكره ويكرس وسائل كثيرة لبناء خط دفاعي جديد في سيناء ، لكن من الجائز جدا ان لا تدور الحرب القادمة على الاطلاق بالقرب من هذا الخط ، وليس ممن المستبعد ان تتخطاه وتدور في مؤخرته وبأساليب مختلفة . ان الحرب القادمة قد تكون في معظمها حرب صواريخ وقذائف . وان تكون المراحل البرية في اقاليم اخرى كحدود الاردن على سبيل المثال .

ان التمكن بطبيعة الحرب المحتملة الوقوع يتغير بسرعة وباضطرار ، ولكن يمكن ان نحدد اتجاهات واحتمالات تطورها . من الواضح ان الحرب القادمة ستكون اشد ضراوة من سابقتها . واكثر تدميرا وسيقتل خلالها عدد أكبر بكثير . كما ان المؤخرة المدنية ستضرب خلالها . وسيصاب الجانبان باضرار كبيرة ولا تستطيع اسرائيل ان تعزى نفسها اذا ما ضربها اعداؤها بصورة اشد . عليها ان تستعد لحرب من نوع آخر . وخلافا للماضي فان لن يكون بوسعها ان تجد الاجابه على التهديد بالحرب عن طريق تعزيز العناصر الهجومية

لجيش الدفاع الاسرائيلي فقط لا يكفي ايضا تعزيز قوات وسائل الدفاع الجوي .  
عليها أن تحزز الدفاع السلبي أكثر مما فعلت ذلك في الماضي . ويتعين ايضا  
توفير غطاء كامل وافضل للسكان ، والا فأن اسرائيل ستكون مكشوفة امام التمديدات  
والابتزاز وستجد زعامتها من الصعوبة عليها اتخاذ القرارات كما ان معنويات  
القطاعات ستضار .

وعلى اسرائيل ان تخرج عن الفرضية القائلة بانه في الحرب القادمة  
سيتمين عليها ان تقاتل فوراً وفي وقت واحد على ثلاث جبهات . ومن المشكوك  
فيه جدا ان يحجم الاردن مرة ثانية عن المشاركة الجبهوية في الحرب . لقد  
كان الملك حسين في شهر تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٣ لا يزال يقبع تحت تأثير  
حرب الستة ايام التي خرج منها الخاسر الكبير . وهذا طال حرب يوم  
الخفران وجد من الواجب ارسال لوائي دروع الى سوريا . ومن الجائز أن  
حسين يعتبر هذا الان كخطأ عندما اكتفى بذلك فقط . ان جيشه يتعزز  
ويتطور بمساعدة الامريكان ويحول الى جيش آلي ذو قوة نارية كبيرة . أنه  
تنقصه حماية جوية كبيرة . ان واشنطن حائرة فيما اذا كان عليها ان تبني  
صواريخ هوك لكن حسين يمكن حل هذه المسألة من طريق دعوة السوريين  
لنصب فوهات الصواريخ ارض جوفي الاردن .

حاربت اسرائيل في حرب يوم الخفران على جناحين احدهما بعيد جدا  
عن المركز السكاني في البلاد . ومن الطبيعي هو أن اهتمام جيش الدفاع  
الاسرائيلي تركر على هذين الجناحين . وفي احدهما يقبع عدوها الكبير  
والقوى وفي الاخر أشد اعدائها تطرفا . ان افعال الجبهة الوسطى مع  
الاردن ، وهي الجبهة الاهم من الناحية الجيوستراتيجية ، من شأنه أن يكون  
خطأ فادحاً . واستعدادا للمستقبل فان على جيش الدفاع الاسرائيلي أن يكرس  
اهتماما اكبر للجبهة الوسطى ويحرص على ان يكون للاركان العامة قسوات  
احتياطية كافية . وعلى اسرائيل ان تفترض بان زمام المبادرة العسكرية فسي  
حالة وقوع الحرب ، سيكون في يد العرب . وسيسمى الحرب مرة ثانية التي  
وضوح يكونوا هم الذين يباغتون فيه اسرائيل في مرحلة البداية من اجل أن

يحققوا معظم الانجازات خلال المرحلة الاولى . ومن المشكوك فيه ان تكسبون اسرائيل حرة كما كان في الماضي في تحقيق نظرية الحرب الوقائية الخاطفة . هل ستخرج اسرائيل لحرب احتلال جديدة ، مع اجتياز قناة السويس أو بدونه ، اذا ما وصلت اليها معلومات مؤكدة من ان العرب ينوون الهجوم أو انهم يحشدون جيشا على حدودها كما فعلوا في سنة ١٩٦٧ ؟ ان مفهوم الحرب الوقائية المتبعة تغير كليا بعد حرب يوم الغفران . ويمكن على الاكثر الحدوث عن ضربة وقائية او عن اعداد قوة استراتيجية تضمن انزال " ضربة ثانية " قوية وموجهة جدا اذا ما بادر العرب الى شن الحرب . وحتى بالنسبة لانسزال ضربة وقائية مسبقة لن تكون اسرائيل حرة كما كان الحال في السابق . وسيتعين على القيادة السياسية ان تاخذ بعين الاهتمام المعطيات الجديدة : قدرة العرب على ضرب المؤخرة المدنية .

ولقد تعذر على العرب في السابق الاقدام على هذه الخطوة نظرا للتفوق الكاسح للسلاح الجوي الاسرائيلي . ويعتقد بان هذا التفوق سيستمر بيد أنه توجد لدى العرب صواريخ ارض ارض . ولا يمكن او من الصعب جدا اعتراض هذه الصواريخ اثناء انطلاقها كما ان فترة الانذار حول اقترابها قصيرة جدا . من هنا واستعدادا للحرب القادمة فان اهمية المنظومة الدفاعية سترتفع في أعين جيش الدفاع الاسرائيلي . وهذا لا يعني ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيعتمد على التحصينات والخطوط المخندقة . ولا يمكن بالدفاع هزيمة العدو . وانما ستكون هناك ضرورة للمسعي الى وضع يمكن من خلاله الحياق خسائر فادحة بالمهاجمين اثناء الهجوم وبعد ما سيكون من الممكن تدويرهم من خلال المناورة في الميدان .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي لن يستطيع ، كما كان في السابق ، حل كسل المشاكل بضربة قوية . ومرة اخرى فان اهمية الدفاع الاقليمي ستزداد . وسيتعين على اسرائيل العودة بالنسبة لهذا الموضوع الى مراحلها الاولى . وليس المقصد هنا ان تعتمد المستوطنات الى الدفاع عن نفسها على غرار " حرب الاستقلال " بالبنادق والمرشاشات . وسيكون من الضروري تكيف

الدفاع الاقليمي مع الظروف الجديدة . فبدلا من المسارعة الى اخلاء المستوطنات  
كما حدث في حرب يوم الخفران ، يمكن الاستعانة بالرجال في هذه المستوطنات  
لاستخدام المنظومات المضادة للدبابات والتي تضم افضل انواع الاسلحة  
الحديثة . لقد نجم اخلاء المستوطنات في بداية الحرب ، هو ايضا عن  
الاحساس بان المناطق الجديدة ستحل كل شيء وقد قطعت اسرائيل في هذا  
المجال شوطا كبيرا منذ حرب الاستقلال عندما كان بوسع المستوطنات الصغيرة  
ان تواجه بمفردها وهي مطوقة جيوشا نظامية ان تنظم دفاع اقليمي جديد مهم  
ايضا في اطار الخطط الهادفة الى الاستغلال الناجع للقوة البشرية في اسرائيل .  
ان بوسع العرب عن طريق الاموال الهائلة ومخزونهم النفطي شراء اية سلاح  
حديث في الشرق والغرب . لذا فان الحرب الالكترونية ستتعمق وتتسع كما  
ان استخدام الصواريخ سيكون مألوفا . ان الصواريخ ستعطي بعدا جديدا  
للحروب في الشرق الاوسط والمفتائلين يمكنهم ان يأملوا بان صواريخ أرض  
على جانبي الجبهة ستخلق توازن رعب يحول دون نشوب الحرب .

ولكن من المشكوك فيه ان يكون الوضع هكذا . اولا اذا كان يوجد فعلا  
لدى اسرائيل صواريخ يمكنها ضرب اهداف حيوية في الاقطار العربية فعليها  
ان تعلن عن ذلك . واذ لم يعرف العرب بان لدى اسرائيل مثل هذه الصواريخ  
فانه لا وجود لميزان الرعب . لكن هل صحيح ان الصواريخ ستخلق توازن الرعب؟  
من الجائز ان يكون الحكام العرب على استعداد لتقديم خسائر مدنية مقابل  
انجازات عسكرية في الصراع ضد اسرائيل بينما نجد اية حكومة اسرائيلية  
حساسة اضعاف اضعاف خيال الخسارة البشرية في المؤخرة والجبهة على  
حد سواء .

لقد انطلق العرب لشن حرب يوم الخفران بدون ان يكونوا مجهزين بصورة  
جيدة بصواريخ سكاك . هل سيرتدع العرب عندما يتوفر في ايديهم سلاح يمكنه  
ضرب اي مكان في اسرائيل ؟

ان توازن الرعب التقليدي في ظروف الشرق الاوسط لا يشبه توازن الرعب  
القائم بين الدول الكبرى . ليس فقط لان المقصود بالنسبة للدول الكبرى

بتوازن رعب تام ، لكونه مرتكزا على سلاح نووي وانما لان الانظمة في الدول العربية قد تفرز حاكما قادرا على كل شيء . لقد اعلن الحكام العرب بانهم على استعداد للتضحية بالملايين من ابناء شعبهم من اجل هزيمة اسرائيل . ان الصواريخ الحاملة المرؤوس المتفجرة التقليدية غير حاسمة في الحرب ولكنها تستطيع ان تؤثر الى حد كبير على سيرها وليس فقط فيما يتعلق بتكاليف الحرب وثمنها . ان الفرص المتاحة امام الاستخبارات للانذار المسبق عن هجوم مفاجئ بالصواريخ ضئيلة . وقد علمنا حرب يوم الغفران بان افضل الاستخبارات من شأنها ايضا ان تخطيء في تقديراتها ومن الواضح ان التوقعات والتنبؤات تنقل في ظل المعطيات الجديدة . ان المعطيات الجديدة ستلزم اسرائيل باعادة التنظيم مسن جديد . وعلينا ان نوائم وتكيف اساليب التعبئة واستدعاء قوات الاحتياط مع احتمال عرقلة هذه العملية عن طريق الهجمات الصاروخية . لقد استطاعت اسرائيل في حروبها الاخيرة ان تعين قواتها الاحتياطية بدون اية عقبة ، وحتى في يوم الغفران عندما بوفت ، انتظم الاحتياط وتدفع بدور على الجبهات . أما في حرب الصواريخ فمن الممكن ان ينشأ وضع مختلف . ومن هنا فان على جيش الدفاع الاسرائيلي ان ينتظم اكثر على قلعة ارضية . وينبغي ان تقلص قدر الامكان تحركات قطع الاحتياط الى مستودعات الطوارئ ومنها الى الجبهة وان يوضع في الاعتبار بان تدفق قوات الاحتياط سيتأخر او يعرقل ، ومن هنا فان امحلة الصد التي سيضطلع بها الجيش النظامي ستكون اطور واكثر تعقيدا .

ان احد النتائج المستخلصة من هذا هو ان اهمية الارض في الحرب تتزايد ولا تتضاءل كما يعتقد الكثيرون . ان قدرة العرب على ضرب المراكز الحيوية في اسرائيل من مسافات كبيرة لا تلغي اهمية الارض .

بل على العكس . ولما كان لدى الدول العربية صواريخ ارض ارض واسلحة ذات كفاءة تدبيرية وقدرة على الضرب والتشويش فانه يتوجب على اسرائيل ان تضمن عدم دحرها في المعارك البرية والتي تشارك فيها جيوش كبيرة تسندها قوات من سائر انحاء العالم العربي . ان افضل المناطق والحدود لمن

تحول دون هجمات صاروخية وضربة في المؤخرة . وعندما تضاف الى القدرة التدميرية قدرة على التوفل بسرعة في قلب اسرائيل فان قدرة الحسم العربي ستزداد . ان قدرة العرب على تعطيل عملية تعبئة الاحتياط في جيش الدفاع الاسرائيلسي تحتم على اسرائيل ان تثابر اضعاف المرات على قدرتها في صد الهجمات البرية . ولا يمكن تحقيق ذلك - طالما انه لا يوجد سلام حقيقي بين شعوب المنطقة - عن طريق التحصينات الملتصقة والقريبة من المراكز السكانية والتعبئة الدائمة لجزء كبير من قوات الاحتياط .

لقد اصبح التفوق العسكري مشكوكا فيه في حرب يوم الخفران . ولا يمكن لاسرائيل ان تتوقع بان يبقى التفوق الى جانبها كما كان في حرب الستة ايام والسنوات التي اعقبتهما .

ان اسرائيل ستبقى دائما محددة - بالمقارنة مع العرب - في قدرتها العسكرية، سواء لاسباب كمية او بسبب العوامل السياسية . وعلى اسرائيل ان تضع في حسابها بان التجمع العربي الشامل ضدها لن يكون اقل مستوى من المستوى الذي واجهته في حرب يوم الخفران وان عليها ان تتف بعفدتها او بعفدتها تقريبا امام الدول العربية التي تحظى بالدعم الهائل .

وفي ظل الظروف الجديدة تبرز أهمية التسوية السياسية . ان الزملا يعمل لصالح اسرائيل وعلينا ان تسعى الى تسوية سلام حقيقي . والمشكلة ان هذا الموضوع ليس مرهونا بها وحدها فقط . فالعرب الذين هم على استعداد للتوصل الى تسوية معها اما انهم لا يستطيعون صنع سلام حقيقي او ان شروطهم للسلام تنطوي على مخاطر كثيرة بالنسبة لوجود اسرائيل . وعلى الرغم من هذا المأزق فان اسرائيل لا يمكنها قبول اية تسوية .

وفي هذه الاثناء فانه يتعين على اسرائيل ان تستعد لحرب قد يحساول فرضها ثانية عليها . والحقيقة ان كون التفوق العسكري الاسرائيلي اصبح مشكوكا فيه لا يعني ان اسرائيل فقدت قدرتها الدفاعية الناجمة . ان لدى اسرائيل قوة تدميرية لم تستغل وان العرب يعرفون ذلك . ان بوسع جيش الدفاع الاسرائيلي السيطرة على ساحة المعركة وصد جيوش عربية كبيرة وهزيمتها

والحاق خسائر كبيرة بها . ولكي يتم تعزيز قوة جيش الدفاع الاسرائيلي يتعين عليها الاعتماد بصورة اكبر على السلاح النووي سلاح يضمن لجيش الدفاع الاسرائيلي تحقيق مزايا في ساحة المعركة سواء من ناحية الزمان والمكان على الرغم من الفوارق الكمية . أسلحة افضل وذات نوعية ومستوى ارفع سواء للمشاركة أو الدروع او السلاح الجوي . ومن الخطأ الاعتقاد بان فرص وامكانيات الطائرة والدبابه قد ضاعت في حرب يوم الغفران . ربما تكون قيمة الطائرة قد هبطت لكن الطائرة ستبقى راس الحربة بعد ان تزود بالاجهزة الالكترونية الاكثر تطورا وتتاد متفوق ضد بطاريات الصواريخ لضربها من مسافات بعيدة . كما ان الدبابه ستبقى العامل الاساسي في ساحة المعركة على الرغم من زيادة عرضتها للاصابة . وقد ظهر أن الارقام الكبيرة التي نشرت بعد حرب يوم الغفران عن الاصابات في الدبابات انه مبالغ فيها . وقدهز هذا بصفة خاصة في الجبهة السورية .

بيد ان صعود اسرائيل غير مرهون بالسلاح فقط . وبالإضافة الى السلاح تحتاج اسرائيل الى تنظيم افضل ومراكز افضل للتقييم . فهي ليست بحاجة الى مجلس للدفاع الوطني يكون بمثابة مجلس للشيوخ والحكام وانما مجلس تشارك فيها الهيئات المقررة والتنفيذية وزراء وضباط ورجال استخبارات وذوى الكفاءة الجامعية ومعاهد البحث ، يتلقون معلومات شاملة حول ما يحدث . وفوق هذا فان اسرائيل بحاجة الى نوعية اجتماعية وضاعة اخلاقية . وبدون حدوث تحول جوهري في هذه المجالات فانه لا امل بالنسبة لاسرائيل ، ولا يكفي تحسين تلك المجالات التي ادخلت بالامس . ويتعين على اسرائيل فتح صفحة جديدة ليس فقط في جيش الدفاع الاسرائيلي وانما في جميع مراحل حياتها . والتعليم واستيعاب الهجرة والاقتصاد والسياسة الضريبية والجهاز السياسي والحزبي . وأسلوب التمثيل وانتخاب الزعامة .

لقد طرأ <sup>على</sup> كل واحد في هذه المجالات تحفن بهذا القدر او ذاك . وبدون تغيير اساسي شامل يبقى التخيير في جيش الدفاع الاسرائيلي عديم القيمة . ان الدولة والسكان وجيش الدفاع الاسرائيلي هي ادوات مترابطة . لقد نشأت اسرائيل عن كارثة في الحرب العالمية الثانية . ومن الجائز انه في اعقاب



الزلزال في حرب يوم الخفران ان تفيق اسرائيل وجيش الدفاع الاسرائيلي  
وشعب اسرائيل من الامراض التي انتابتها .

### ملاحق

اثناء توفل جيش الدفاع الاسرائيلي في غرب القناة استولت قواته على معسكرات  
كثيرة للجيش المصري . وفي هذه المعسكرات ، كانت توجد قيادات الجيوش  
المصرية وقيادات الفرق واركان المراتب الصغيرة . وقد عثر جيش الدفاع الاسرائيلي  
في هذه المعسكرات على وثائق كثيرة . وقد تضمنت هذه الوثائق خططا قتالية  
مسببة لحرب يوم الخفران . وخطط التدريبات واوامر الركان العامة ورسائل  
القادة وكثيرا غيرها . ويمكن ان تتعلم من خلال هذه الوثائق الكثير عن  
استعدادات الجيش المصري ومن المشاكل التي كانت مزعجة .

ومن ابرز هذه الوثائق تقرير مثير للاستخبارات في الجيش المصري .  
ويتناول التقرير منشآت الاشغال التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلي على  
طول قناة السويس . وما يذكر انه راجت ، بعد الحرب ، اشغال مفادها  
ان جيش الدفاع الاسرائيلي فشل في يوم الخفران نظرا لعدم نجاحه في تشغيل  
منشآت الاحراق التي اعدتها على طول القناة . واستخدمت هذه الاشغال  
مادة مهمة للتحقيقات الخيالية في الصحف العالمية . وادعى وزير الحربية  
المصري احمد اسماعيل بان المصريين احبطوا خطة اسرائيلية لاشغال النار  
في قناة السويس وان رجال الكوماندوز المصريين اثلفوا الانابيب التي كان من  
المفروض ان تسكب الوقود في القناة .

ويدل التقرير الذي اعدته الاستخبارات المصرية في تموز ١٩٧٣ بان المصريين  
علموا الحقيقة بان ليس لدى جيش الدفاع الاسرائيلي خطة لاحراق القناة  
بأكملها (والتي حقيقة انه كانت هناك منشأتين فقط بامكانها تغطية  
مساحة من بضعة مئات الامتار .

ويبين التقرير شيئا آخر : ان المصريين عرفوا الكثير مما يدور في الجانب  
الاسرائيلي في سيناء . لقد عرفوا اكثر مما ينبغي . فهو يدل على منهجية  
واساسية في عمل الاستخبارات الميدانية للجيش المصري وعلى مستوى تحليل  
مناسب للمعلومات .

## سرى للغاية

ادارة المنابرات البحرية والاستطلاع      الحدود ل / ح / ٢١٩ / ١١٧٣ / ٣٦٥  
فرع المعلومات      التاريخ ١١ / ٧ / ٥٠

مذكرة بخصوص

تجهيزات الاشغال على السائر الترابي شرقي القناة

١- عام :

جربة لاشغال

أ - رصد يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٧١ قيام العدو با- جربة لاشغال  
سطح المياه . في قناة السور عندما تجهيزه انماها  
في منطقة كم ٢ / ١٤٣ على السائر الترابي في القناة . ومتابعة لنشاط العدو  
في هذا المجال رصد قيامه بانشاء . اخر من منشآت الاشغال بلغ اجمالها عدد  
( ٢٠ ) منشأة منها ١٣ . مواجهة للجيش الثاني وثمانى منشآت اخرى

في مواجهة الجيش الثالث .

ب - ومنذ هاية عام ١٩٧١ اهمل العدو هذه التجهيزات كما لم يرصد قيامه  
بأي نشاطات لصيانتها وتوقفت التجارب التي كان يجريها لاختبار كفاءتها .  
والتأكد من مدى صلاحية هذه المنشآت وضوايا العدو لاستخدامها  
فقد نفذت عمليات استطلاع ودوريات بواسطة الفرق الميدانية . وقد تم استطلاع  
٤ منشآت واثبتت نتائج الاستطلاع ان جميعها هيكلية .  
٢- عمليات قواتنا للتأكد من صلاحية هذه المنشآت للاستخدام :

١ - قامت قواتنا بارسـال عدد من دوريات الاستطلاع لاكتشاف  
مدى صلاحية منشآت الاشغال .

ب - وتؤكد نتائج الاستطلاع ما يلي :

( ١ ) ان منشآت الاستطلاع في مناطق كم ٢ / ١٤٥ ، كم ٢ / ١٤٣ ، كم ٢ / ١٣٦ ،  
١ / ٦٦ / ٨ / ٦٦ و ٤ / ٦٥٥ وشمال الفردان الشمالي ١٥٠ مترا هي

منشآت هيكلية ولا تتصل بخزانات وقود السائر .

( ٢ ) ان اطراف بعض انابيب الاشغال قد ردمت تماما بواسطة الاتربة التي  
زحزحها العدو في اتجاه القناة في نطاق اعمال تنظيم الدفاعات التي تستهدف

زيادة صعوبة عملية العبور .

(١) لم تنفذ في هذه المنشآت اية اعمال صيانة منذ فترة طويلة كما ان الصدا اخذ  
يعلو اجزاء منها . وقد قطعت اجزاء من هذه الانابيب وانحنت تحت ثقل الترسمة  
بطريقة لا تسمح بمرور النابالم بداخلها .

ج - كما تاكد نتيجة الاستطلاع بالنظر انه لم تجر اية اعمال صيانة للمنشات الاشمال  
منذ فترة طويلة . كما ادت عمليات زحزحة الساتر الترابي الى تغطية بعضها بالرمال  
٢ - لم تنفذ عمليات استطلاع للمنشات الاشمال الكاشة داخل المواقع وفي حدود  
الاسلاك الشائكة لهذه المواقع وكذلك في مناطق الشاطيء شمال وجنوب البحيرات وشمال  
الدفرسوار والفردان الجنوبي وشمال البلاح وجنوب الموقع رقم ٤ في القطرة  
الكاب والتينه

٤ - تعليقات :

١ - على ضوء ما سبق فانه من المرجح ان العدو قد اهمل المنشآت بعد ان فشلت  
التجارب عليها او لعدم تحقيقها النتائج المرجوه منها . وفي نطاق التمويه والحرب  
النفسية يبقى العدو على محذات هذه المنشآت في اماكنها ولا يقوم برفصها .  
ب - من المحتمل ان يكون العدو قد اقام وجرب منشآت الاشمال على الضفة  
الشرقية للقناة في نطاق الحرب النفسية من اجل ان يحول بين القيادة وبين التفكير  
بالقيام بعمليات هجومية خلف القناة وللتاثير على المعنويات وخلق الشعور بالياس في  
نفوس جنودنا .

ج - بعد التأكد من ان معظم منشآت الاشمال على الضفة الشرقية للقناة  
منصوبة خارج المواقع هي منشآت هيكلية فان اسوأ الاحتمالات التي تواجهنا هي  
ان المنشآت داخل المواقع ما تزال صالحة للاستخدام . ونود ان نشير هنا الى  
حقيقة وهي ان عددا من الفتحات لهذه المنشآت تقع تحت سطح المياه . وهذا  
يمكننا من غلقها بواسطة استخدام الجنود المدربين على عمليات كهذه قبل القيام  
بالهجوم . وبالنسبة لتلك الموجودة فوق سطح المياه فيمكن تدميرها بالرمي المباشر .

٥ - وجهة نظر :

- نجد من المناسب تنفيذ الامور التالية :
- ١ - يتعين الاستمرار في القيام بالرصد على منشآت الاشغال الكائنة في منطقة المواقع التي يجري استطلاعها . وهذا من اجل التأكد من مدى صلاحيتها ورصد نشاطات العدو واعمال الصيانة .
  - ب - الاعداد لدفع الدوريات قبل العمليات من اجل التأكد من مدى صلاحيته المنشآت وخاصة تلك الكائنة بالقرب من المواقع .
- وشكرا

توقيع

اللواء ابراهيم فؤاد محمد نصار  
مدير المخابرات البحرية ومخابرات الميدان  
وفيما يلي الامر اليومي الصادر عن الجيش المصري الثالث يوم العفران توطئة للحرب . وعلى غرار الامر اليومية الاخرى فقد نص هذا الامر ايضا على عناصر دينية والتشديد على ان هذه الحرب هي حرب ثار لا يجوز الشفقة فيها على العدو .

نداء

من اللواء عبد المنعم محمد واصل .  
ابنائى الشجعان جنود الجيش الثالثميدان .  
القناة امامكم انما قناتكم وانتم تستمسون الى اسواجمها . وهناك على الضفة الشرقية ارض اغتصبها اعداؤكم . ولقد حان الان اليوم والوقت لاستعادتها وتطهيرها ايها الرجال

قال  
لقد حانت ساعة الجهاد . لقد الله تعالى : قاتلوا في سبيل الله ، ان حريشا حرب عادلة . وهو الذى اصطفاكم ولم يصعب عليكم دينه . وهو الذى دعاكم باسم المسلمين .

ابنائى الشجعان  
شداوا على سلاحكم بقوة واعتمدوا على الله وثقوا ببركته . لا تشعروا بالرافسة والرحمة حيال اعداؤكم . اثاروا لآم شعبنا ومماناته . اثاروا لدم الشهداء البررة . لقد قال تعالى في كتابه العزيز : قاتلوهم . وسيمد بهم الله في ايديكم ويذلهم ويكتب لكم النصر عليهم .

والان

علينا ان نقتحم القناة . . . ان نجاح المهور يتحدد من قبل كل مقاتل وفقا لمدى ايمانه وتنظيمه وانضباطه .

كونوا شجعانا واستخدموا / كسرفوا كما ينبغي .  
عليكم ان تندفعوا بمنتهمى القوة والجرأة الى سيناء المقدسة وانتم متمسكون بقول الله تعالى  
اذا رفعتم شأن الله فسيفتحكم النصر والثبات من عنده .  
صدق الله العظيم .

\* \* \* \*

لعب السلاح المضاد للدبابات الذى كان في حوزة سلاح المشاة المصرى  
دورا مهما جدا في حرب يوم الخفران . وقد قدر المصريون منذ البداية بان الساعات  
الاولى من الحرب من شأنها ان تحدد مصير رؤوس الجسور التابعة لهم في سيناء . ( حرب  
رؤوس الجسور - هكذا يصفها المصريون الحرب في الوثيقة التي امامنا ) وفي هذه الساعة  
ينبغي على سلاح المشاة المصرى مواجهة المهجمات المضادة من قبل الدروع الاسرائيلي .  
ولمواجهة ذلك فقد جهز سلاح المشاة المصرى بكميات هائلة من اسلحة المضادة للدبابات  
واقامت في الجيش المصرى وحدات جديدة قناصة الدبابات . كما بذل جهدا خارقا في  
التدريب من اجل تدريب قناصة الدبابات وتقويتهم . لقد كان تدريب قناصة الدبابات  
احد الجهود الرئيسية التي بذلها الجيش المصرى . والوثيقة التالية التي اقتطفت منها  
اجزاء تدل على الجهد الكبير وعلى الاهمية التي علقها المصريون على هذا الموضوع وعلى  
الجدرية الشاملة التي لم يألوا فيها الجيش المصرى في الماضي التي اخذ بها من اجل  
تحليم هذا الموضوع .

سرى

وزارة الحربية

قيادة الجيش الثانى / شعبة التدريب

الفيد : توجيهات عامة / ٤٠٧ / ٢ / ٢٠٦ / ٥٨٧

تاريخ ١٩٧٣ / ٧ / ٦

توجيهات للتدريب رقم ٢

ملاحظات بشأن تدريب جنود مجموعات قناصة الدبابات .

عام ، ما زالت هناك عدة تشكيلات ووحدات لا تتركس الاهتمام المطلوب لتدريب مجموعات  
قنص الدبابات . . كما ظهرت بالاضافة الى ذلك نقاط ضعف في تدريب هذه المجموعات  
وفي الغالب فان هذه التدريبات غير واقعية حيث يهمل فيها الجانب المهنى والسيكولوجي  
وجانب تنمية حافز الرمي لدى قناصة الدبابات .

كما لم يكرس الاهتمام الكافي لتدريب المجموعة والتعاون الداخلي داخل المجموعة وكذلك التعاون بين المجموعات المختلفة مع بعضها البعض . وبين المجموعات ومقاييس الوسائل المضادة للدبابات . ان أبرز الملاحظات بالنسبة لتدريب مجموعات قناصة الدبابات تتلخص في الآتي :

١- اهتقال الجانب النفسي والمعنوي في التدريب .

ومن هذه الناحية فان الامر المهم جدا هو الاحساس بالاهمية الذاتية للجنود والاحساس بانهم يطلعون بدور هام في المعركة الوشيكة النوع . ومن هنا يتمين تعليم الجنود بان العدو والصهيوني يعتمد الى حد كبير على تشكيلات ووحدات الدبابات وان واجب كل فروع القوات البرية - وهذه هي اهم واجباتنا - تدمير دروع العدو ومثل قدرة تشكيلاته المدرعة والوقوف عقبة في طريق كفاءتها وفعاليتها . ان لقوات المشاة تأثير كبير في هذا المجال . ومن هنا يقتضي بالاضافة الى ضربات السلاح الجوي والمدفعية والسلاح المضاد للدبابات على اختلاف انواعه والالغام ومقاييس الوسائل الاخرى المضادة للدبابات اعداد مجموعات من جنود المشاة مدرسة تدريبيا عاليا لقص دبابات العدو وتدميرها .

وانا ما اخذ بحين الاعتبار ان بمقدور جنود المجموعات الاختفاء بسهولة وهم يتحركون على الارض ونظرا لانهم لا يشكلون هدفا واضحا بالنسبة للدبابة ، فاننا نعلق عليهم كبار الآمال في تدمير عددا غير قليل من دبابات العدو . وهذا شأن كبير .

وعلى الجنود ان يعلموا بانهم اذا دمروا دبابة واحدة فان هذا الامر يعادل القضاء على فصيلة كاملة من افراد المشاة . ذلك لان قوة نيران الدرع وسهولة حركة الدبابة تعادل فصيلة مشاة بافرادها وسلاحها .

ان تعميق الوعي بالتفاصيل المشار اليها لدى الجنود بالاضافة الى تكريس الاهتمام للجانب المعنوي في بقية تفصيلات التوجيه المختلفة كما ستوضح فيما بعد تعتبر بلا ريب اساسا مهما للاعداد المعنوي والنفسي لهذه المهمة .

٣- تمييز ومعرفة دبابات العدو .

١- على الجنود ان يكونوا متواجدين اثناء التمرينات على صيانة الدبابات انهم سيصرون المهتمات التي تقوم بها الاجزاء المختلفة في الدبابة ومدى سمك هذا

الجزء . ان مصرفة اجزاء الدبابة بواسطة حاسة البصر واللمس بالاعانة الى الايضاح  
افضل من الشرح على الهياكل والالواح .

ب - اثناء التوضيح على النماذج فان النقطة المهمة جدا هي عرض الدبابة باوضاعها  
المختلفة واعطاء لون مختلف لنقاط الضعف في الدبابة . وينبغي ان تكون النماذج  
لدبابات العدو . ويتعين على الجنود مشاهدة هذه النماذج طول الوقت حتى تظلم  
صورها عالقة بشكل جيد في ذاكرتهم .

ج - ينبغي القيام بالرمي ببندقى لضغط الهواء على النماذج التي توضح على طاولة  
من الرمل . وتحتسب اصابة الدبابة بنقطة واحدة . اما اصابة نقاط الضعف  
تحتسب بنقطتين . وهذا الشكل تنمي عند الجنود وهكذا ندمى الاصابة التي تكون  
بمثابة تدمير كامل للدبابة بطريقة سهلة وزهيدة .

### ٣- الاستخدام الناجع للسلاح

أ - ان قاذفوا قنبلة آر . بي . جي ٤٣ المضادة للدبابات او الارمبي جي ٧  
او حاملوا قاذفات اللهب هم جنود يحتاجون الى الاعداد الجسماني الخاص والى  
تدريبات على المسيرات والجولات لمسافات بعيدة . وقد اهمل هذا الاعداد  
اولم يكرس له الاهتمام الكافي .

ب - اذا لم نهتم خلال تدريب جنودنا بالتوقيت الامثل بحيث نضمن  
اصابة الدبابة بالطلقة الاولى او الثانية على الاكثر فان المجموعة ستكون هدفا لنيه ران  
معادية من جانب الدبابة . ان سلامة التوقيت ( ستوفير ) هي ادارة تدريب  
مهمة جدا في تدريب هذه المجموعات وعلينا ان نحدد لنا هدفا في التدريب على الدقة  
وفي نفس الوقت السرعة ايضا كما ان الرصد وتخمين المسافات ينطويان على اهمية كبيرة  
ايضا .

ج - ان الجندي لن يثنى بسلاحه طالما انه لا يحسن استخدامه بنفسه  
في الليل والنهار . وليست الاصابة فقط هي العامل المهم بالنسبة للجندي ليثنى  
بالسلاح ضد الدبابات وانما كذلك مدى الضرر . ان الارقام الواردة في كتاب

التعليم عن المسافات التي يستخدم بها السلاح وعن قوة الاختراق ، وليس لهما نفس  
اثر الروية بالمين . من هنا يقتضي اجراء تجارب امام اعين مجموعات قنص  
الدبابات . ينبغي اختيار مجموعة من القناصة المتفوقين وعلى الاخص قادة  
الار . بي جي ٧ وقذيفة آر . بي جي ٤٣ والقيام برمي بواسطة هذا السلاح على  
مراى جميع مجموعات قنص الدبابات في الوحدة على هدف ذو نفس سمك الدرع مرة فسي  
النهار ومرة في الليل . ويجب ان تكون التجربة الليلية اقصر ، وعلى اهداف متحركة  
وساكنة . كما ينبغي الانتباه الى ضرورة البدء بالقناصة النشطين في جميع ميادين  
الرمي .

#### ٤- تمرينات على القيادة اثناء تدريب مجموعات قنص الدبابات .

لا شك ان التأثير النفساني الذي تتركه الدبابة في نفس المقاتل لا تقل عن  
التاثير المادي الناشيء عن نيران وشظايا الدبابة . والجندي حين يكون واقفا  
في مواجهة الدبابة ، سواء كان مخندقا او خلف طية ارض يتصور ويحتمد من كل قلبه  
بان الدبابة توجه اليه نيرانها . ويحتمد ان كل حركة في برج الدبابة تستهدف البحث  
عنه وشربه . لذا فان يلتفت سيرا بالارض بدون الاقتراب من الدبابة او يستعد لتدميرها  
ولو كان هذا الجندي كان مكان احد جنود طاقم الدبابة . عندما تكون الفتحات مغلقة  
لا يورك جيدا الدائقة والشدة التي يحس بها افراد طاقم الدبابة ، بسبب انفلاق  
الفتحات وضجيج المحرك . والحركة والرمي من داخل الدبابة والممركة . ومن هنا  
تبرز اهمية استغلال تمرينات قيادة الدبابات وعلى افراد مجموعات قنص الدبابات  
التحرك بالدبابة في نفس الوقت الذي تكون فيه المجموعات الاخرى قد اتخذت مواضع  
خفية في القنوات او خلف ثنايا ارضية على اجنحة التقدم وينبغي بعد ذلك استبدال  
مجموعات قنص الدبابات بالسواق . ان الفائدة التي ستحققها مجموعة قناصة الدبابات  
تتمثل في عدم الضمور بالخوف .

١ ان الجنود ستعلمون كيف يحسون بمحانة افراد اطقم الدبابات ورويتهم

المحدودة . ولهذا سيساعد على انتزاع الخوف من الدبابة من قلوبهم .

ب انهم سيكتشفون اخطاء مجموعات قناصة الدبابات المكشوفين والمعرضين للاصابة

في الخارج .



ج - انهم سيكتشفون المناطق الميتة من ناحية الرؤية من داخل الدبابة .  
د - انهم سيتدربون على كيفية اخذ مواقع كمين للدبابة بحفرها او دبابة تتحرك وسط  
قافلة .

٥ ( تدريبات تكتيكية :

١ - ان وجود مجموعة واحدة من قناصة الدبابات في مواجهة اكثر من دبابة واحدة  
تتقدم في مواجهتها يسبب لها ارباكاً حول كيفية العمل ضد هذه الدبابات وضد اي  
الاهداف المتقدمة اليه ، ستتحرك .

ب - ينهفي صون النار حتى فصل الدبابة الى المسافة الفعالة والمؤثرة .

ج - اذا كانت الدبابات قريبة من بعضها البعض فيمكن العمل ضد الدبابة البعيدة  
بواسطة آر . بي جي ٧ بينما يستخدم ضد الدبابة القريبة بقذيفة آر . بي جي ٤٣ .  
وانا اقتربت اكثر من دبابة واحدة للمدو ، فان الدبابة الخلفية هي التي تقدم الاسناد  
وانا دمرت الدبابة الخلفية اولاً فان من السهل تدمير الدبابة المتقدمة .

ان نجاح التشكيلات والوحدات في السيطرة على رأس الجسر والاحتفاظ به يعتمد  
على حد كبير على عمليات مجموعات قنص الدبابات خلال المعركة على رؤوس الجسور .  
ومقدار الجهد والواقعية الذان يبدلان في التدريب بمقدار ما يكون مدى النجاح  
في المعركة الاخيرة .

لذا فان الجدية والجهد المخلص والواقعية ستكون المشمل على طريقنا وان النصر

سياتي من عند الله وان الخلاص قريب .

توقيع

اللواء تيسير محمد المقاد